المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين بالرياض
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

توحيد الألوهية
لدى مسلمي
تتارستان

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالب
راميل رفائيل فصاحوف

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع
الأستاذ بكلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي
١٤٣١/١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فإن معرفة توحيد الله من الأهمية بمكان، ومن الشرف المطلوب في كل آن، إذ شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله عالي الشأن. إن العلم بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته أشرف العلوم على الإطلاق، وهو الفقه الأكبر كما سماه بذلك الإمام أبو حنيفة النعمان. ومن المعروف أن توحيد الله بعبادته أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، بل وعليه قام سوق الجهاد وجُرّدت السيوف على المعاندين. وبذا يُعلم مدى أهمية البحث في هذا العلم، تقريراً للحق فيه ورداً على الشبه والأباطيل الدخيلة عليه.

وبما أني من بلاد التتر التي عانت من وطأة الشيوعية الهدامة لكل ديانة، والرافضة لكل عقيدة غير عقيدة الإلحاد أكثر من سبعين عاما، رأيت من المناسب أن يكون موضوع بحثي في مرحلة "**الماجستير**" مما له تعلق بمجتمعي، فجعلت عنوانه: ((**توحيد الألوهية لدى مسلمي تتارستان**))، وسأبرز من خلاله- إن شاء الله- مظاهر توحيد الألوهية في تتارستان إسهاما في إظهار ديننا ودين أجدادنا وهو الإسلام، وتبيانا لعقيدة نبينا عليه الصلاة والسلام. ثم سأتكلم عن البدع والانحرافات التي وقع فيها بعض المسلمين في تتارستان في توحيد الألوهية تنبيهاً وتحذيراً، كما سأبين موقف السلف الصالح من هذه الانحرافات ليصبح مرجعا لمن أراد أن يعرف حكمها، وكذلك سأتحدث عن هذه الانحرافات من حيث أسباب ظهورها وانتشارها واتخاذ الوسائل اللازمة لعلاجها إتماما للفائدة من الرسالة – إن شاء الله.

والجدير بالذكر أن تتارستان تعدّ مركز الإسلام في روسيا، و هي أول مناطقها دخولا فيه، فكان الاهتمام بهذه المنطقة- تقريرا للحق و تصحيحا لعقائد الناس- غاية في

الأهمية. علما بأن تتارستان تتمتع- على خلاف مناطق روسيا الأخرى- بكثرة المساجد والمدارس وبوجود الجامعة الإسلامية فيها. وهذا بالتأكيد يجعل تتارستان مركز الإسلام ومنبع العقيدة الإسلامية في روسيا، وما سواها من المناطق والأقاليم فتبع لها. وأيضاً فالتتر أكثر شعوب روسيا عدداً بعد الروس وَهُمْ منتشرون في كل مناطقها وولاياتها وهُمْ الذين يمثلون الإسلام فيها.

ولهذه الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها منطقة تتارستان ولكوني من أهلها رغبت في أن يكون مجال بحثي متعلقا بها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الأهمية الكبرى في نشر العقيدة الصحيحة.

٢- الحاجة إلى إظهار عقيدة التوحيد و تصحيح عقائد أهل تتارستان، لكون تتارستان مركزاً ومنبعاً ينطلق منه الدين الإسلامي في بلاد روسيا.

٣- إن تاريخ التتر مليء بالحوادث التي غيرت مسيرة الدول والشعوب، فلا تكاد تجد مسلماً لا يعرف التتر وما امتحنوا به الأمة الإسلامية، بيد أني أحاول في بحثي هذا أن أسلط الضوء بشيء من الإيجاز على تاريخهم، مبيناً حقيقة أولئك الذين يسمّون اليوم بالتتر، وموضحاً عقيدتهم[١].

٤- الانحرافات والبدع حقها أن تصحح وتزال لتقوم مقامها السنة، فلذا كان وجود مؤلف يرجع إليه لمعرفة حكم ما يمارسه بعض الناس من الأخطاء مهمًا.

٥- لاشك أن التصدي للبدعة فرض كفاية، فلا بد من وجود طائفة تقوم بهذا الغرض من أهل العلم وطلابه، خاصة من خلال الكتابات والرسائل العلمية معززة بالأدلة الشرعية الصحيحة وأقوال السلف الصالح و علماء أهل البلد.

---

[١]- وسيتضح أن هناك فرقا بين التتر الموجودين المعروفين بهذا الاسم في روسيا و بين التتر (المغول) الذين غزوا بغداد وكذلك سأبين العلاقة بينهما. و المعنيون ببحثي هم التتر الموجودون في روسيا اليوم.

٦- إن أغلب من يمارس الانحرافات والبدع يظنها من الدين ويتشبث بها ويعادي من ينكرها، فكان لزاما علينا تنبيه الناس عليها و بيان حقيقة الإيمان و وجوب الالتزام به وحقيقة البدعة وضررها و وجوب تركها.

٧- عدم وجود دراسات علمية سابقة في مثل هذا الموضوع، لا قديما ولا حديثا، يؤكد ضرورة الكتابة فيه.

٨- حرص الباحث على قراءة مؤلفات علماء بلده والتعرف على الوضع العقدي في البلد بشكل أكثر تفصيلا.

٩- تشجيع سماحة مفتي جمهورية تتارستان الشيخ/ عثمان عمر إسحاق للكتابة فيه، معللا ذلك بأن الموضوع مهم ولم يسبق لأحد أن كتب فيه، مع أن الأخطاء والانحرافات موجودة، فإن لم يكن هناك من يصححها فسوف تتكرر جيلا بعد جيل.

أهداف البحث:

١- الكشف عن مظاهر توحيد الألوهية في بلاد تتارستان.

٢- تصحيح المخالفات العقدية في توحيد الألوهية في تتارستان و بيان حكمها.

٣- إظهار منهج أهل السنة في العقيدة وموقفهم من البدع.

الدراسات السابقة:

لا توجد أي دراسات علمية سابقة- حسب علمي- في معالجة موضوع توحيد الألوهية لدى مسلمي تتارستان وما يخالفه من الانحرافات العقدية جمعاً ودراسةً، خاصة ما يتعلق بالدراسة الميدانية فيها. فلا يوجد في الساحة سوى أقوال ذكرت في ثنايا بعض المقالات أو بعض الكتب تحدثت عن جانب من موضوعنا، ومن الأمثلة على ذلك:

-"التقويم الديني التتري" يصدر سنوياً بأعداد كثيرة من قبل الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان. حجم الكتاب بعدد أيام السنة. تكتب فيه مقالات بعض الأئمة و الدعاة والمفكرين، فتارة تجد مقالات تذمّ البدع بشكل عام أو في مسألة معينة و تارة أخرى تحث على فعل ما هو بدعة! فمثلا: في صفحة ٩٠ من "التقويم التتري الإسلامي لعام ٢٠٠٣م"

ورد سؤال هل يجوز أن ندفن مع موتانا ورقة تسمى بـــ"جواب نماه" فيها أجوبة عن أسئلة الملكين؟ فإذا كان لايجوز فلماذا تباع في المساجد؟ الجواب: ((اليوم يبيعون كل شيء، فتجد بعض المسلمين يبيعون حتى الخمر و الخنزير. هؤلاء أعرضوا عن أوامر الله وعليهم ما يستحقون من الجزاء. أما "جواب نماه" فلا يجوز (دفنه)، إذ ليس هذا من الإسلام. ونبينا ﷺ لم يفعل ذلك ولا الصحابة من بعده. هذه بدعة جاءت في الأزمنة المتأخرة)). وفي صفحات أخرى من الكتاب نفسه تُذكر بدعٌ كثيرة، منها الحث على التعبد ليلة الرغائب (ص٢٤٢).

- الإرشاد للعباد/ لأبي النصر عبد النصير بن إبراهيم البلغاري القورصاوي. كتاب باللغة العربية تكلم فيه عن الاجتهاد والفتوى والتقليد، ثم أفرد فصلا في البدعة ومعانيها ومراتبها وأحكامها ولم يذكر – رحمه الله – مسائل بدعية ولا مظاهرها وإنما تكلم في مسائل أصولية.

- كتاب "البرق الوميض على البغيض المسمى بالنقيض" باللغة العربية للعالم التتري الإمام شهاب الدين المرجاني الذي كتب فيه مسائل فقهية وذكر في ثناياها بعض صور الانحراف في بعض العبادات (وبالتحديد ذكر حول موضوعنا مسألتين فقط) وبيّن وجه الانحراف والابتداع فيها.

- ومن الكتب التي يُستأنس بها في بحثنا كتاب "جواهر البيان" للعالم التتري الإمام عبد الرحيم أوتوز إيماني البلغاري الذي بين فيه ضرورة الالتزام بالسنة وحقيقة البدعة وذمها، وقد ذكر فيه بعض صور الابتداع في العبادات – كبعض الأذكار المبتدعة– ورد عليها.

- ولعل من أنفع الكتب في موضوعنا كتاب "شرح جوامع الكلم" للعالم التتري رضاء الدين بن فخر الدين مفتي القرن الماضي، وقد ذكر فيه بعض صور الانحراف التي تقع من أهل التتر وردَّ عليها من خلال شرحه لـــثلاثمائة وأربعة وأربعين حديثاً في مختلف المجالات. الكتاب يقع في ٦٠٢ صفحة.

- كتابات بعض المعاصرين في بعض المسائل بإيجاز ككتاب "التوحيد" لعبد الملك إبراهيم الواقع في خمس عشرة صفحة، وكتاب "قل هو الله أحد" المرتب على شكل سؤال-جواب الواقع في ٢٦٤ صفحة كتب فيه مؤلفه مسائل التوحيد على منهج أهل السنة والجماعة وذكر بعض صور الانحراف لدى بعض مسلمي تتارستان.

وغير ذلك من الكتابات التي لا تجمع مسائل توحيد الألوهية كلها أو جلها ولا تبين مظاهر الانحراف فيها مع الرد عليها.

وباستعراضنا للدراسات السابقة في الموضوع يتبين أنّني سوف أتناول بنوع من التفصيل المفهومَ الصحيحَ لتوحيد الألوهية، وذلك مع بيان حقيقته وحكمه وبيان مدى تمكنه في المجتمع التتري، ومع دراسة الانحرافات الموجودة التي وقع فيها بعض أهله؛ فهذه العناصر ليست موجودة في الدراسات السابقة: القديمة منها والحديثة المعاصرة.

منهج البحث:

سأتبع في بحثي المنهج الاستقرائي و التاريخي و النقدي وفق الآتي:

١- أجمع مسائل توحيد الألوهية و أصنفها حسب الترتيب المخطط.

٢- ألتزم في ترتيب مظاهر التوحيد والانحراف المسلك التالي:

أذكر المظاهر المتعلقة بتوحيد الألوهية في أعمال القلوب، ثم المظاهر المتعلقة بالأقوال، ثم المظاهر المتعلقة بالأفعال، وهذا الترتيب حسب ترتيبها المشهور في تعريف الإيمان شرعا.

٣- أذكر في كل مسألة مظاهر التوحيد ثم ما يخالفه من الانحرافات والشبهات.

٤- أذكر كل مسألة ثم أقومها وفق منهج أهل السنة و الجماعة مع ذكر كلام العلماء التتر في تقرير الاعتقاد الصحيح.

٥- بعد إيراد الانحرافات أبين حكم كل صورة من هذه الانحرافات وأرد على كل شبهة- بإذن الله- إذا وجدت.

٦- ألتزم المنهج العلمي في نقل النصوص وعزوها.

٧- أعزو الأحاديث والآثار الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به من غير بيان درجته، و ما كان في غيرهما خرجته في كتب السنة المعروفة مع بيان درجته من خلال حكم الأئمة عليه.

٨- أعرّف بالأعلام و بالأماكن، وأشرح الألفاظ الغريبة الواردة في البحث. وأذكر كل ذلك في الحواشي.

٩- أستند في جمع المادة العلمية إلى ما يلي:

- كل ما يعدّ مصدرًا و مرجعًا في العقيدة لدى أهل السنة والجماعة من كتاب الله وسنة نبي الله ﷺ وتفاسيرها وشروحها بما في ذلك آثار الصحابة والتابعين ومؤلفات من بعدهم من علماء السلف الصالح.
- كتب العلماء التتر المتقدمين.
- مؤلفات التتر المعاصرين.
- المقالات في الصحف والجرائد والمجلات والنشرات والدوريات في تتارستان المتعلقة بالعقيدة و مظاهرها.
- إذا نقلت من المصادر غير العربية أنقلها مترجمة مع تحري الدقة في الترجمة.
- أجعل جزءًا من عملي ميدانياً حيث يتم توزيع الاستبانات لتسجيل بعض الوقائع والحقائق من البيئة نفسها بما تحويه من أناس شاهدوا أو سمعوا عن الوقائع والأحداث الدينية في البلد؛ حيث يتم معرفة مدى انتشار مظاهر التوحيد وما يخالفه التي سجلت في الاستبانة مع إمكانية إضافة المظاهر الأخرى التي يرى المجيب على الاستبانة أنها تكثر في منطقة من مناطق تتارستان. علماً بأن نتائج الاستبانات قد تم عرضها على الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان للتوثيق.
- أحاول جمع كل الانحرافات كبيرها وصغيرها وما كان منتشرا أو محدود الانتشار.
- وقد أستشهد في بحثي بأقوال وكتابات بعض العلماء من غير التتر ولو خارج تتارستان إذا كان لهم تأثير و قبول في تتارستان.

الصعوبات التي واجهتها أثناء كتابة البحث:

لقد واجهتني أثناء كتابة هذا الموضوع عدة صعوبات، منها:

- قلة المصادر والمراجع المتعلقة بتقرير توحيد الألوهية وبيان الانحراف عنه المؤلفة من قبل أهل تتارستان.

- لما كنت أستشهد لكثير من المظاهر بأقوال أهل البلد؛ احتجت إلى ترجمة النصوص التترية والروسية إلى العربية، وقد استغرق ذلك جزءاً كبيراً من عملي، وأخذ كثيراً من الوقت وسبب نوعاً ما تأخراً في إنهاء رسالتي، ثم لما كنت أترجم النصوص إلى العربية اضطررت

إلى بذل الجهد في صياغة الجمل وهذا – مما لا يخفى – يمثل إشكالاً آخر لكوني من الطلاب غير الناطقين باللغة العربية أصلاً.

- بعض النصوص التترية مكتوب باللغة التترية القديمة، وكتابتها على طريقتين: الطريقة الأولى تسمى بالإملاء القديم وهي الكتابة بالأحرف العربية، والطريقة الثانية تسمى بالإملاء الجديد أي: بالأحرف الكيريلية التي لا تزال تستخدم إلى اليوم، وكلا الطريقتين مكتوب باللهجة القديمة مما كان يسبّب أحياناً صعوبة في فهم النص؛ فكنت أضطر إلى أن أراجع أصحاب الاختصاص اللغوي من أهل اللغة التترية.

- ومما أتعبني كثيرا كثرة الاستبانات؛ فقد تم توزيع ورصد مائة وخمس وثلاثين (١٣٥) استبانة، وقد استغرقت عملية توزيعها ثم جمعها – بحد ذاتها- إجازةً صيفيةً كاملةً، ثم علماً بأن كل الاستبانة عبارة عن أكثر من ١٠٠ سؤال وكل سؤال يحوي ٤ خيارات، فإني بعد جمع الاستبانات استشكلتُ عملية حساب النتائج، فهي عبارة عن ١٣,٥ ألف سؤال و ٥٤ ألف خيار!!! مما اضطرني أن أراجع بعض المختصين في الحاسب الآلي، فتمت كتابة برنامج في نظام "مايكروسوفت أوفس أيكس إيل" مما سهل – بعد ذلك- عملية حساب النتائج ووضعها في جدول مناسب، ولله الحمد.

ورغم أني اجتهدت في تحرير كل مسألة من مسائل البحث وفق منهج أهل السنة والجماعة وصياغتها بلغة عربية واضحة صحيحة، إلا أنني لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه، ولا أني أصبت في كل ما قلت وقررت، ولا أني أبدعت فيما سطرت؛ فكل بني آدم خطاء، وليس الكمال إلا لله سبحانه ولكتابه الكريم.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى **مقدمة**، و**تمهيد**، و**خمسة فصول** و**خاتمة**، و**ملحقات**، و**فهارس**.

المقدمة:

تضمنت ما يلي :

- أهمية الموضوع و أسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث.
- الصعوبات التي واجهتها.
- خطة البحث.

التمهيد:

يشتمل على ما يلي:

أولا: شرح مفردات العنوان و متعلقاته.

ثانيا: لمحة تاريخية موجزة عن تتارستان.

ثالثا: نبذة عن الوضع الديني العام لدى مسلمي تتارستان.

الفصل الأول

توحيد الألوهية في أعمال القلوب وما يخالفه

و يحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول:الإخلاص

المطلب الأول : حقيقة الإخلاص و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها.

المبحث الثاني: المحبة

المطلب الأول : حقيقة المحبة الشرعية و تقريرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها.

المبحث الثالث: الرجاء

المطلب الأول : حقيقة الرجاء الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها.

المبحث الرابع: الخوف

المطلب الأول : حقيقة الخوف الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها.

المبحث الخامس: التوكل

المطلب الأول : حقيقة التوكل الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها.

الفصل الثاني

مظاهر توحيد الألوهية القولية وما يخالفه

و يحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأذكار و الأدعية

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الأذكار والأدعية الشرعية عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأذكار والأدعية وحكمها.

المبحث الثاني: النذور و الأيمان

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في النذور والأيمان الشرعية عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في النذور والأيمان وحكمها.

المبحث الثالث: التوسل

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التوسل الشرعي عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التوسل وحكمها.

الفصل الثالث

مظاهر توحيد الألوهية العملية وما يخالفه

و يحتوي على سبعة مباحث:

المبحث الأول: العبادات العملية

المطلب الأول : العبادات العملية في الشريعة ومظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في العبادات العملية وحكمها.

المبحث الثاني: البدع العملية

المطلب الأول : حقيقة البدعة.

المطلب الثاني: مظاهر البدع العملية عند التتر وحكمها.

المبحث الثالث: الأعياد

المطلب الأول : الأعياد الشرعية ومظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأعياد وحكمها.

المبحث الرابع: التداوي والرقى والتمائم والتطير والسحر

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التداوي والرقى.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في التداوي والرقى والتمائم والتطير والسحر وحكمها.

المبحث الخامس: الجنائز

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الجنائز.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الجنائز وحكمها.

المبحث السادس: الزيارات

المطلب الأول : الزيارات الشرعية ومظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الزيارات وحكمها.

المبحث السابع: الولاء والبراء

المطلب الأول : حقيقة الولاء والبراء في الشريعة ومظاهره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الولاء والبراء.

الفصل الرابع

أسباب الانحراف في توحيد الألوهية

وفيه خمسة مباحث:

الفصل الخامس

علاج مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مباحث:

الخـــاتمـــة:

وتتضمن نتائج البحث وتوصياته.

الملحقات:

وتحتوي على بيان أربع استبانات.

الفهـــارس:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لها.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الكلمات الغريبة.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧، فإني أحمد الله سبحانه على ما منّ به علي من الانتساب إلى العلم الشرعي، ووفقني إلى القبول في هذا البرنامج، وفي هذا الصرح المبارك، وأعانني على إنجاز هذا العمل، ومن كل ما سألته أعطاني، أسأله –جل في علاه– أن يزيدني توفيقاً ونجاحاً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وعملاً بقول رسوله الكريم – صلوات الله عليه وسلامه: ((**من لم يشكرِ الناس لم يشكرِ الله**))[١].

وبعد الحمد لله والثناء عليه أتقدم بوافر الشكر وعظيم العرفان لهذه البلاد المباركة ولهذه الجامعة الميمونة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– التي احتضنتني منذ وفقت بالقبول فيها، ووفرت لي أسباب المعرفة، ويسرت لي سبل الوصول إليها، والله أسأل أن يجزي القائمين عليها خير الجزاء.

والشكر موصول كذلك إلى معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الإمام الذي منحني مفاتيح العلوم الدينية وهي اللغة العربية، ثم إلى كلية أصول الدين التي نهلت من مناهلها، ممثلة بعميدها، ووكيلها، ووكيل الدراسات العليا، والمشايخ الكرام من أعضاء هيئة التدريس فيها.

كما أتقدم بجزيل الشكر وأزكى التقدير إلى فضيلة الشيخ أ.د. / **ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع** الذي تولى الإشراف على إعداد هذه الرسالة، ومنحني كثيراً من وقته وراحته، وقد استفدت من فيض علمه وغزارة خبرته، ولم يبخل علي بالرأي والتوجيه

---

[١] – أخرجه أبو داود عن أبي هريرة– رضي الله عنه، في أول كتاب الأدب، باب في شكر المعروف: ص٨٧٢ برقم٤٨١١، والترمذي عنه واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك: ص٤٤٥ برقم ١٩٥٤، وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري: ٣٢/٣ برقم ١١٢٩٨، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": م١/قسم٢ ص٧٧٦ برقم٤١٦.

القيم لرفع مستوى هذا البحث؛ وله الفضل بعد الباري – جل وعلا- في إنجاز هذا العمل، فجزاه الله عني خيراً وأجزل له المثوبة؛ إنه قريب مجيب الدعوات.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل- أيضاً- لكل من قدم لي العون على إتمام هذا العمل المتواضع من المشايخ الفضلاء والإخوة الزملاء بإرشاد بآراء وإصلاحهم للأخطاء، كما لا يفوتني أن أشكر الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان وإدارة الجامعة الإسلامية الروسية لما قدموا لي من تيسير في إعداد الاستبانات والبحث عن كتب علماء البلد، ثم أشكر كلاً من أهل بيتي: أمي، وأبي، وأخي الصغير ريناد، وزوجتي وشقيقها عبد الجليل، وكلَّ أصدقائي؛ لما قدموا لي من تأييد ومساعدة كل على حسبه.

و في الختام أشير إلى أن هذه الرسالة هي أولى خطواتي في مجال البحث العلمي، وهذا البحث عمل متواضع بذلت فيه من الجهد ما كان في وسعي، وقد حرصت أن أنجزه وافياً بالمطلوب، إلا أنه لا يخلو من النقص ولا يستغني عن التصويب والتسديد، فما كان فيه من صواب فذلك من فضل الله علي وأسأله تعالى المزيد؛ وما كان فيه من خطأ أو نقصان فمني غير متعمد، أستغفره تعالى فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

التــــمهيـــد:

يشتمل على ما يلي:

أولاً: شرح مفردات العنوان ومتعلقاته.

ثانياً: لمحة تاريخية موجزة عن تتارستان.

ثالثاً: نبذة عن الوضع الديني العام لدى مسلمي تتارستان.

أولاً:شرح مفردات العنوان ومتعلقاته:

إن فهم مفردات عنوان البحث ومتعلقاته هو مفتاح فهم مرامي الباحث و مقاصده. وإليك شرح هذه المفردات:

المطلب الأول: شرح "توحيد الألوهية":

إن كلمة "توحيد الألوهية" مكونة من لفظي التوحيد و الألوهية. لنعرّف كلاً من اللفظين على حدة.

المسألة الأولى: التوحيد في اللغة:

التوحيد في اللغة مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه، يقال: وحّد يوحّد توحيدًا، و وحّد الشيء إذا جعله واحدًا[1]. فالتوحيد على وزن تفعيل و يقصد به الحكم والعلم بأن الشيء واحد أو المقصود منه نسبة كالتصديق لا للجعل[2]، فمعنى: (وحّدت الله) نسبته إلى الوحدانية لا جعلته واحدا، لأنّ وحدانية الله صفة، لا بجعل جاعل[3].

المسألة الثانية: التوحيد في الشرع:

وأما معنى التوحيد شرعاً، فقد ذكره العلماء في كتبهم بعبارات مختلفة، وكلها تؤدي

[1]- انظر "لسان العرب" لابن منظور- مادة "وحد": ٤٠٧/٦-٤١٠، وقد ذكرت هذه المعاني في "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس: ٩٠/٦، وفي "المفردات في غريب ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني: ص٥١٤، وفي "القاموس المحيط" للفيروزآبادي: ٣٤٣/١، وفي "مختار الصحاح" لمحمد الرازي: ص٣١١.

[2]- أي: لا للجعل الحسي بمعنى "صنعته" وإلا فالجعل يأتي – أيضا– بمعنى "اعتقد" كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾ الزخرف: ١٩.

[3]- "لوامع الأنوار البهية" للسفاريني: ٥٧/١، و يؤكد هذا المعنى الجرجاني في التعريفات حيث يقول: (التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد) ص٩٩، وقال بدر الدين العيني الحنفي في "عمدة القاري" شرح صحيح البخاري ١٢٣/٢٥: (التوحيد في الأصل مصدر وحد يوحد، ومعنى وحدت الله: اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه).

معنىً واحدًا، وهو: (إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ و أفعالاً)[1] أو بعبارة أخرى هو: (إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والأسماء والصفات والألوهية)؛ فهو واحد في ربوبيته فلا رب سواه، وواحد في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبغي إلا له، وواحد في إلهيته فلا إله غيره[2].

قال الله تعالى في إثبات ربوبيته ونفي الشريك له فيها:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦.

و قال الله في إثبات أسمائه الحسنى وصفاته العلى ونفي مثيل له فيها:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠، و قال أيضاً: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١.

وقال في إثبات ألوهيته ونفي شريك له في العبادة:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩، وقال أيضا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢.

ومن هنا كان التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الأسماء والصفات، وتوحيد في الألوهية[3].

---

[1]- "لوامع الأنوار البهية": ١/ ٥٧.

[2]- "دعوة التوحيد" لمحمد خليل هراس: ص ١١.

[3]- ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين: توحيد في المعرفة والإثبات ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد في القصد والطلب وهو توحيد الألوهية. ولا منافاة بين الطريقتين في التقسيم، فمن جعله ثنائياً فقد أجمل، ومن جعله ثلاثياً فقد فصل. انظر "الرسالة التدمرية" لابن تيمية ضمن "مجموع الفتاوى": ٣/٣، و"شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي: ٣١/١.

إن **توحيد الربوبية** يدور على المعرفة بالله و ربوبيته، وهو الإقرار بأن الله هو الخالق للعالم، المدبر لشؤونه، وأنه الرازق المحيي المميت الذي له ملك السموات والأرض، ونفي الشريك له في ذلك، والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطر لا يكاد ينازع فيه أحد[١].

كما أن **توحيد الأسماء والصفات** يدور على إثبات ما سمى الله ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إثباتاً يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل- و هو الذي عليه أهل السنة و الجماعة قاطبة، و ما تدين به الفرقة الناجية[٢].

أما **توحيد الألوهية**، فلندرس كلمة "ألوهية" بنوع من التفصيل إذ هو المعني بالبحث.

المسألة الثالثة: تعريف كلمة "الألوهية" لغة:

أصل الألوهية من: أله يأله.

قال الفيروزآبادي[٣]: أَلَهَ إلاهةً وألوهةً وألوهيةً: عبد عبادةً[٤].

---

[١]- انظر تعريف الربوبية في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية:١٠/٣٣١، و"درء تعارض العقل والنقل": ٧٢/٣، و"لوامع الأنوار":١/١٢٨، وغيرها، وقد جمع بعضًا منها مؤلف "التعريفات الاعتقادية" سعد آل عبد اللطيف: ص١٣١، وهذه العبارة من كلام الشيخ صالح الفوزان في كتابه "محاضرات في العقيدة والدعوة": ٣٨/١.

أما كون هذا النوع من التوحيد "لا يكاد ينازع فيه أحد" فيقرره علماء الإسلام منذ بداية الرسالة النبوية بل القرآن يؤكد أنه مما كان يؤمن به مشركو العرب. ولكني أريد أن أنبه إلى أن هذه الحالة استمرت إلى أن اخترقت عقليةَ الإنسان نظريةُ التطور الداروينية. وقد تبنّت هذه النظريةَ الملحدةَ الدولُ الشيوعيةُ كالاتحاد السوفييتي وألزمت الناس بها، ولعلي أذكر شيئا من ذلك في فصل أسباب الانحراف- إن شاء الله.

[٢]- انظر "العقيدة التدمرية": ص٦، ٧، و"لوامع الأنوار": ١/ ١٢٩، وانظر أيضاً "مجموع فتاوى ابن العثيمين": ٢١/١، ٢٢، و"محاضرات في العقيدة والدعوة": ١/ ٤٠، و"التعريفات الاعتقادية": ص١٢٨.

[٣]- الفيروزآبادي، هو: محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، أبو طاهر (٧٢٩-٨١٧هـ/ ١٣٢٩-١٤١٥م). الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها من الفنون، انتشر اسمه في الآفاق حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. توفي في زبيد. أشهر كتبه "القاموس المحيط". ومن بين كتبه الكثيرة التي ألفها كتاب "المرقاة الوفية في طبقات الحنفية"! انظر"طبقات الفقهاء الشافعية" لابن قاضي شهبة: ٢٩٦/٢برقم٧٥٢، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" للسيوطي: ١/ ٢٢٥، "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للشوكان: ٨٣٥/٢ برقم٥٣٣، "الأعلام" للزركلي: ١٤٦/٧.

[٤]- "القاموس المحيط": باب الهاء، ص ١٢٤٢، وانظر "لسان العرب":٩٧/١.

وقال الجوهري[1]: (أَلَه بالفتح إلاهةً أي عبد عبادة. قال: ومنه قولنا: "الله"، وأصله إلاه على وزن فِعَالٌ بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى معبود)[2]. وكل ما اتُخِذ من دون الله معبوداً إلَهٌ عند متخذه، والجمع آلِهَة.[3] والآلِهَةُ الأَصنام، سميت بذلك لاعتقادهم أَن العبادة تَحِقُّ لها[3].

وقد تفرّد سبحانه بهذا الاسم (الله) لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل: (الإله)، فهو مطلق على الله سبحانه وعلى ما يُعبد من الأصنام، فالله هو الإله الحق وما سواه فهو إله باطل، وإذا قلت: "الله"، لم يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى.[4]

---

[1]- الجوهري، هو: إسماعيل بن حماد الجوهري. أصله من فاراب. أول من حاول الطيران ومات في سبيله. لغوي، من الأئمة. أشهر كتبه "الصحاح". مات عام ٣٩٣هـ . انظر "بغية الوعاة":٣٦٨/١، و"الأعلام": ٣١٣/١.

[2]- "الصحاح" للجوهري: ص٥٢. وكقولنا: إمام على وزن فِعال بمعنى مفعول؛ لأنه مؤتم به، ومثل: كتاب بمعنى مكتوب، وبساط بمعنى مبسوط. انظر أيضا "لسان العرب": ٩٧/١. وقال الفيروزآبادي: واختلف في لفظ الجلالة على عشرين قولاً ذكرتها في المباسيط وأصحها أنه عَلَم غير مشتق. "القاموس المحيط": ص١٢٤٢. وقال ابن منظور: قال الخليل: الله لا تطرح الأَلف من الاسم، إنما هو الله عز ذكره على التمام؛ قال: وليس هو من الأَسماء التي يجوز منها اشْتقاق فِعْلٍ كما يجوز في الرحمن والرحيم. وروى المنذري عن أَبي الهيثم أَنه سأَله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة، فقال: كان حقه إلاهٌ، أُدخلت الأَلف واللام تعريفاً، فقيل الإلاهُ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها، فلما تركوا الهمزة حَوَّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أَصلاً، فقالوا: الِلاهُ، فحرَّكوا لام التعريف التي لا تكون إلاَّ ساكنة ثم التقى لامان متحركتان، فأَدغموا الأُولى في الثانية، فقالوا: الله. ... وقيل في اسم الباري سبحانه إنه مأخوذ من أَلِه يأْلَه إذا تحير، لأن العقول تأله في عظمته (أي تتحير الألباب) والفكر في حقائق صفاته ومعرفته، وأَلِه يأَله أَلهاً أَي تحير وأَصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهاً. وقد أَلِهْتُ على فلان أَي اشتدّ جزعي عليه مثل وَلِهْتُ، وقيل هو مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أَي لجأَ إليه لأَنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أَمر. ...وقال أبو الهيثم: وأَصل إلَهٍ وِلاهٌ فقلبت الواو همزة كما قالوا للوِشاح إشاحٌ وللوِجاحِ- وهو السِّتْر- إجاحٌ، ومعنى ولاهٍ أَن الخَلْقَ يَوْلَهُون إليه في حوائجهم، ويَضْرَعُون إليه فيما يصيبهم ويَفْزَعون إليه في كل ما ينوبهم كما يَوْلَهُ كل طِفْل إلى أُمه. "لسان العرب" لابن منظور: ٩٧/١. وقال ابن فارس: (فأما قولهم في التحير أَلِه يأَلَه فليس من الباب) "معجم مقاييس اللغة" ١٢٧/١. وطريقة الجمع بين هذه الأقوال أن نقول: إن لفظ الجلالة (الله) إن قلنا بالاشتقاق فهو مشتق من أَلَه يأَلَه: إذا عبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وأما الاشتقاقات والمعاني المذكورة الأخرى قد يقال أنها تدخل تحت هذا المعنى، إما بطريق التضمن وإما بطريق الاستلزام.

[3]- انظر "لسان العرب": ٩٦/١ و ٩٧.

[4]- انظر "لسان العرب": ٩٧/١ و"تاج العروس" لمحمد مرتضى الزبيدي الحنفي: ٣٢١/٣٦.

المسألة الرابعة: تعريف توحيد الألوهية:

أما تعريف توحيد الألوهية اصطلاحاً: فقد عرّف العلماء توحيد الألوهية بتعريفات متقاربة، و بعضها قد يكون أطول من بعض، فمن تلك التعريفات ما يلي:

- هو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له[١].
- هو إفراد المعبود بالعبادة، أو بأفعال العباد المأمور بها. [٢]

-هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان[٣].

-هو إفراد الله وحده بأجناس العبادة وأنواعها من غير إشراك به في شيئ منها مع الاعتراف بكمال ألوهيته.[٤]

وعلى كل حال فإن توحيد الألوهية يعني:

إفراد الله تعالى بكل ما شرع أن يعبد به من أعمال القلوب والألسن والجوارح.

هذا من حيث التعريف، أما من حيث التسمية، فتوحيد الألوهية يسمى بعدة أسماء، منها:

١ - توحيد الألوهية– كما مرّ- وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى الموحَّد، أي إلى الله.
٢ - توحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد.
٣ - توحيد القصد والطلب لتضمنه توجّه العبد إلى الله والنية، والطلب والدعاء.
٤ - التوحيد العملي لتضمنه لأعمال العباد من أفعال القلوب والألسن والجوارح.[٥]

---

[١]- "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي: ١٧/١.

[٢]- "لوامع الأنوار": ص٥٧/١، "التوحيد للناشئة والمبتدئين" لعبد العزيز آل عبد اللطيف: ص١٢.

[٣]- "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة" لحافظ الحكمي: ص٢١.

[٤]- "الفتاوى السعدية": ص٧، وانظر أيضاً ما يصلح ليكون شرحا لهذا التعريف في كتابه "الحق الواضح المبين": ص٥٧.

[٥]- انظر "الرسالة التدمرية" لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى: ٣/٣، وراجع أيضا "توحيد الألوهية" لمحمد الحمد: ص١٢.

المسألة الخامسة: أهمية توحيد الألوهية:

هذا النوع من التوحيد هو الذي خلق الله الخلق من أجله، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات: ٥٦، وهو الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾النحل: ٣٦.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾الأنبياء: ٢٥، وهذا النوع هو مضمون كلمة (لا إله إلا الله)، وهو الذي يدخل به الكافر في الإسلام، و هو المقصود في قراءته:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في كل ركعة من صلاته، وهو الذي يعلنه في تشهده في الصلاة والأذان والإقامة ويعلنه الخطيب في أول الخطبة، وهذا التوحيد هو الذي يستهل به المحرم حجه ملبياً: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك)، وهذا النوع هو الذي يتوقف قبول أعمال العبد عليه، وهو الذي أنكره المشركون حين دعتهم الرسل إليه، وهو الذي من أجله عُودي النبي ﷺ، وأُوذي، وحُورب، كما عُودي، وأُوذي، وحُورب كل من دعا إليه من جميع الرسل وأتباعهم، وكانت الخصومات تبلغ أشدها بينهم وبين أممهم، وذلك لأن التلفظ بكلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) واعتقادها يستلزم الكفر الكامل بكلّ ما عبد الناس من آلهة دون الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾الأعراف: ٧٠، وقال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ص: ٥.

ويضاف إلى ذلك أن كلمة التوحيد تقتضي بل توجب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات فيما بينهم إذ لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى، فلم تُبقِ بين الناس من يتميز عن الآخرين بميزة يستعلي بها عليهم فيترفع ويتكبر، أو يستعبد الناس أو

يتحكم فيهم، أو يحكمهم بغير شرع ربهم. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤.[١]

ومما يدل على أهمية هذا النوع أن توحيد الألوهية يتضمن جميع أنواع التوحيد، وذلك أن توحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية، وهو جزء منه، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فتوحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده ولم يشرك به شيئاً فقد اعتقد أنه ربه وخالقه، وأنه متصف بالأسماء الحسنى والصفات العلى التي يختص بها وحده، ولا ينال الكمال فيها غيره.

المسألة السادسة: بيان ما يضاد توحيد الألوهية:

لكي نوفي توحيد الألوهية ما يستحقه من البيان والتوضيح – لعظم شأنه ولخطورة أمره– يتحتم بيان ما يضاده.

إذ كان هدفي من بحثي بيان توحيد الألوهية وذكر مظاهره، فلا بد من بيان ما يخالفه وينقضه من الشرك مع ذكر مظاهره، فالأشياء تعرف بأضدادها[٢]. وذلك ليكون القارئ على بصيرة في العقيدة، وتلك هي الغاية التي توخيتها من وضع هذه الرسالة. وأيضاً، فإن معرفةَ ما ينافي حال التوحيد واجتنابَه أمر أوجبه الله علينا في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦، وأيضاً، فإن كل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق[٣].

[١]– انظر "عقيدة المؤمن" لأبي بكر الجزائري: ص١٠٣ و"محاضرات في العقيدة والدعوة": ٣٩/١.

[٢]– انظر "لسان العرب" مادة (ش– ب– ب): ٣٨٩/٣، وقال ابن تيمية في "درء التعارض": ٢٤/٣: (ومن الكلام السائر: الضدُ يُظهر حسنَه الضدُ، وبضدها تتبين الأشياء).

[٣]– انظر "درء التعارض": ٢٤/٣.

قال ابن تيمية[1]: (قد يكون الذي يذوق الشر والخير ويعرفهما يكون حبه للخير وبغضه للشر أعظم ممن لا يعرف إلا الخير)[2].

قال الإمام ابن القيم[3]- رحمه الله تعالى- شارحًا ما يُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: (إنما تُنقَض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)[4]، قال:(وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه؛ وقع

---

[1]- ابن تيمية، هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٣-١٣٢٨م). الإمام، العلامة، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. كان كثير البحث في فنون الحكمة، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان. ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة. طُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة و نقل إلى الاسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، ثم اعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق، ثم أعيد، فمات معتقلا بقلعة دمشق. فخرجت دمشق كلها في جنازته. انظر "الدرر الكامنة" لاين حجر: ١/١٤٤-١٦٠، "البدر الطالع" للشوكاني: ١/٩٤ برقم٤٠، وانظر أيضاً "الأعلام" خير الدين الزركلي:١/١٤٤.

[2]- "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية: ٤/٥٩٠.

[3]- ابن القيم، هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين ابن القيم الجوزية، الإمام العلامة. مولده و وفاته في دمشق (٦٩١هـ- ٧٥١هـ/١٢٩٢م-١٣٥٠م). تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق وأطلق بعد موت ابن تيمية. كان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب فجمع منها عددا عظيما، وألف تصانيف كثيرة، منها: "إعلام الموقعين"، "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، "مدارج السالكين"، "الروح" وغير ذلك كثير. انظر "الذيل على طبقات الحنابلة" لابن رجب: ٥/١٧٠-١٧٩، و"الدرر الكامنة" لابن حجر: ٣/٤٠٠ برقم١٠٦٧، "الأعلام" للزركلي:٦/٥٦.

[4]- هذا الأثر ذكره ابن القيم ومِن قبله شيخه ابن تيمية في مواضع من كتبه، منها: "منهاج السنة النبوية": ٢/٣٩٨، و٤/٥٩٠، و"مجموع الفتاوى": ١٠/٣٠١ و١٥/٥٤، ولم أجده مسنداً إلى عمر بهذا اللفظ، إنما المروي عنه معناه الذي أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى": ٦/١٨٠ برقم٢٠٢١، وابن أبي شيبة في مصنّفه: ١٧/٣٣٢ برقم٣٣١٣٩، ووالحاكم في مستدركه: ٤/٤٧٥ برقم٨٣١٧، والبيهقي في "شعب الإيمان": ١٣/٢٠٤ برقم٧١١٩، كلهم من طريق شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين البارقي، قال: خطبنا عمر بن الخطاب، فقال: (قد علمتُ- وربِّ الكعبة- متى تهلك العرب)، فقام إليه رجلٌ من المسلمين، فقال: متى يهلكون، يا أمير المؤمنين؟ قال: (حين يسوس أمرَهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ). أما لفظ "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة" أخرجه الإمام أحمد- وعن طريقه البيهقي- في حديث آخر عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً إلى النبي ﷺ: ((لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها،=

فيه وأقره، ودعا إليه وصوّبه وحسّنه. وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه؛ فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكَّفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيٌّ يرى ذلك عياناً، والله المستعان)[1].

والشرك ضد التوحيد، فإذا كان معنى توحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بالعبادة، فالشرك في الألوهية: هو صرف شيء من العبادة لغير الله.[2]

والشرك أعظم الذنوب: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٨، إذ هو ينافي المقصود الأعظم من خلق الإنسان: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يغفر لمن لم يتب من هذا الذنب العظيم مع أنه كتب على نفسه الرحمة، أما غيره من الذنوب فهو تحت المشيئة: إن شاء غفر لصاحبه، وإن شاء عذّبه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨، ١١٦.

والشرك يحبط جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنعام:٨٨، وقال تعالى:

=وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة))، وليس فيه عبارة (إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية). انظر: المسند: ٤٨٥/٣٦ برقم٢٢١٦٠، و"شعب الإيمان": ٢٠٣/١٣ برقم٧١١٨، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح (مجمع الزوائد: ٢٨١/٧).

فائدة: ويلاحظ أن حديث أبي أمامة المرفوع هذا وأثر عمر الموقوف قد جاءا عقيب بعضهما في "شعب الإيمان" للبيهقي: ٢٠٣/١٣-٢٠٤، مما يشعر بأن ما أورده ابن تيمية وابن القيم ملفق منهما. والله أعلم.

[1]- "مدارج السالكين" لابن القيم: ٣٥١/١.

[2]- انظر "معارج القبول" للحكمي: ٤١٨/١، "كتاب التعريفات الاعتقادية" لسعد آل عبد اللطيف: ص٢٠٤.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥.

والشرك سقوط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١، أي: أن المشرك هالك لا محالة[2].

و قد حرم الله الجنة على المشرك و حكم عليه بالخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢.

والشرك أعظم الظلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣؛ لأنه صرف العبادة لغير المستحق، وتنقّصٌ لرب العالمين، وتسويةٌ لغيره به سبحانه.

والشرك ضلال مبين، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١١٦، ولذلك يعترف المشركون يوم القيامة بضلالهم فيقولون: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ الشعراء: ٩٧.

وإذا كان الشرك في هذا المستوى من القبح والخطورة فهذا مما يوجب شدة الحذر من الوقوع فيه، ويوجب على المسلم أن يعرفه ليتجنبه، ويوجب على المسلمين مقاومته والقضاء عليه، وقد كانت مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجة الأولى مقاومة الشرك، والنهي عنه، والتحذير منه، فكل رسول كان يقول لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٦٥، ٥٩، ٧٣، ٨٥.[3]

هذا، وإن الشرك ليس كله على درجة واحدة، بل هو على أقسام. فإليكم بتعريفها.

---

[1]- هذه العبارة من تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل" – سورة الحج/ الآية ٣١: ٤/ ٧١.

[2]- انظر "تفسير البغوي": ٢١٨/٣.

[3]- انظر "محاضرات في العقيدة والدعوة":١/٤٢-٤٤.

المسألة السابعة: أقسام الشرك:

الشرك قسمان:

شرك أكبر: كالذبح لغير الله ودعاء الأموات، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، فهو منافٍ للتوحيد بالكلية ومخرج من الملة، لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وجزاؤه الخلود في النار إذا مات عليه.

وشرك أصغر: كالرياء والحلف بغير الله، فقد يغفره الله من غير التوبة، وإنما سمي كذلك لأنه لا يخرج من الملة بخلاف الأكبر، لكنه ينقص التوحيد وقد يتمادى بصاحبه حتى يقع في الشرك الأكبر[1].

---

[1]- انظر مسألة تقسيم الشرك إلى الأكبر والأصغر في "مدارج السالكين":١/٣٤٨، وانظر "مجموعة التوحيد" الرسالة الثالثة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك: ص٢٠٨-٢٠٩، فقد فصّل فيه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ أنواع الشرك الأكبر وجعلها أربعة أنواع. وانظر "الشرك في القديم والحديث" لأبي بكر زكريا:١/١٣٨-١٨٠ فقد فصل فيه تفصيلا واسعًا.

المطلب الثاني: شرح كلمة " مسلمو تتارستان":

هم مسلمو جمهورية تتارستان. ولفظ "تتارستان" اسم مركب من كلمتين: "تتر" و"ستان". أما كلمة "تتر" فاسم للشعب التتري يقال للواحد "تتري" أو "تتاري" بالألف، وللجمع "تتر" أو "تتار". وأما كلمة "ستان"، فإنها فارسية الأصل وتعود جذورها الأصلية إلى اللغة الهندوأوروبية القديمة وتعني (موطناً) أو (أرضاً). فإذن معنى كلمة "تتارستان" أي: بلاد التتر. ومثله أوزبكستان أي: بلاد أوزبك، وطاجيكستان أي: بلاد طاجيك وهكذا[1].

تقع جمهورية تتارستان في وسط الجزء الغربي من دولة روسيا الفدرالية على مجرى نهري الفولجا وكاما.[2]



رسم خريطة جمهورية تتارستان[3]

وتبلغ مساحة جمهورية تتارستان ٦٧٨٣٨ كيلو مترا مربعا، وتحدها من جهة الغرب جمهورية شوفاشيا، ومن الشمال الغربي جمهورية ماري-إيل، ومن الشمال إقليم كيروف، ومن الشمال الشرقي جمهورية أدمورتيا، ومن الشرق جمهورية بشقرطستان، ومن الجنوب الشرقي إقليم أرنبورغ، ومن الجنوب إقليم سمارا وإقليم أوليانوفسك.

[1]- انظر: قاموس اللغة الروسية لأوجيغوف: ص٧٦٢.

[2]- أو يقال: هو الجزء الشرقي من السهل الأوربي الشرقي. انظر: الدليل الاقتصادي الجغرافي "كل شيء عن تتارستان" لـ م. ر. مصطفين و ر.غ. خوزييف: ص٤.

[3]- تم إخراج الخريطة باستخدام برنامج الخرائط "أنكارتا" العالمية. وانظر خريطة تتارستان في الملحقات حيث ألحقت الخريطة مع بيان موقع الجمهورية في روسيا ووصف حدودها مع الجمهوريات الأخرى: ص٥٢٣-٥٢٤.

وجمهورية تتارستان تاريخ عريق مليء بالوقائع التاريخية والحوادث المثيرة. وقد ظهرت أول دولة على ضفاف نهر الفولجا في نهاية القرن التاسع الميلادي، وعرفت باسم (بولغار– Bulgar)، وكانت هذه الدولة وحيدة في الجزء الشرقي من أوربا ذات الأسس والقوانين آنذاك، ودخل الإسلام هذه البلاد في وقت مبكر وتم اعتبار الإسلام ديانة رسمية للدولة قبل أحد عشر قرنا في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله.

وفي الفترة من منتصف القرن الثالث عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي كانت دولة بولغاريا الفولغا ضمن دول القومية الذهبية (الأوردا الذهبية)[1]. وبعد انهيار القومية الذهبية تأسست دول كثيرة منها مملكة قازان (أو: خانية قازان) التي تعتبر استمراراً لدولة البولغار من النواحي كلها، وفي عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م سقطت مملكة قازان على يد الروس النصارى و ضُمَّت إلى دولة روسيا القيصرية.

و بعد الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م صدر في سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م قرار مجلس نواب الحزب الشيوعي بتسمية منطقة قازان بـ"**الجمهورية السوفياتية الاشتراكية التترية**"[2].

وفي عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م أعلنت الجمهورية جمهوريةً ديمقراطيةً ذات استقلال ذاتي لها دستورها وقوانينها وبرلمانها يرأسها رئيس مختار من قبل شعبها، تابعةً لروسيا الفدرالية.

ويمنح قانون الدولة لسكان الجمهورية – بغض النظر عن جنسيتهم – المساواة في كل المجالات: السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية.

ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين نسمة، منهم ستون بالمائة من التتر.

واللغات الرسمية في الجمهورية هي اللغة التترية واللغة الروسية.[3]

وسيأتي مزيد من البيان في المبحثين اللاحقين.

---

[1]– أو يقال لها "الخانية الذهبية". انظر محاضرة فخامة الرئيس مينتيمير شريف الله شايمييف رئيس جمهورية تتارستان عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

[2]– "كيف اضمحلت دولة بولغاريا في حوض نهر فولغا" باللغة الروسية/خليلوف– رئيس المؤتمر الشعبي البلغاري: ص٢٦.

[3]- انظر: الدليل الاقتصادي الجغرافي "كل شيء عن تتارستان" لـ م. ر. مصطفين و ر.غ. خوزييف: ص٤.

ثانياً: لمحة تاريخية موجزة عن تتارستان:

يتم بيان تاريخ تتارستان بذكر نسب الشعب المسمى اليوم بالتتر، ثم بمرور سريع على مراحل تأسس دولتهم ابتداءً بظهور دولة بولغاريا العظمى في سواحل البحر الأسود، ثم تكوين دولة بولغاريا الفولغا على ضفاف نهر فولغا، وانتهاءً بجمهورية تتارستان الحاضرة. وبيان ذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: نسب التتر (بيان أصلهم):

استفتح علماء التاريخ المعاصرون كتابهم "تاريخ التتر" قائلين: (التتر من الشعوب النادرة التي عرفت عنها حكايات وروايات كاذبة أكثر منها من الحقائق العلمية!)[1].

مسألة التتر تحير كثيرا من الناس اليوم: من هم التتر، ومن أين أتوا، و كيف صاروا في وسط روسيا مع أن دولة منغوليا تبعد عنهم آلاف الكيلومترات شرقاً؟

حقاً، إن هناك لبساً وخلطاً في المفاهيم: هل التتر هم المغول أصلا؟! وهل التتر اليوم هم نفس القومية التي دمرت بغداد؟! وما علاقة التتر اليوم بالتتر القدماء؟! لن يجيب على هذه التساؤلات بجواب دقيق إلا التتر أنفسهم.

لكن المسألة ليست سهلة حتى على التتر المعنيين بدراسة أصلهم ونسبهم وتاريخ شعبهم، وذلك لعدم توفر مصادر أصيلة تترية يرجعون إليها في بحوثهم العلمية، ثم للضغوطات السياسية التي عايشها علماء التتر منذ استيلاء الروس على قازان واستيلاء الشيوعية على روسيا إلى أن انهار الاتحاد السوفيتي.

فهذا العالم التتري الإمام المؤرخ شهاب الدين المرجاني[2] يقول: (لما كان أوائلنا لم يتشوقوا إلى معرفة علم التاريخ والتعرف على أحوال الشعوب؛ لم يكونوا يُثبتون أحوال

---

[1] - "تاريخ التتر من العصور القديمة" باللغة الروسية مونوغرافيا لمجموعة من علماء التاريخ: ٣/١.

[2] - الإمام المرجاني، هو: شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني القزاني الحنفي (١٢٢٣هـ- ١٢٩٤هـ/ ١٨١٨م-١٨٨٩م)، مولده في قرية يابنجي في تتارستان، أخذ عن والده وعن بعض تلامذته ثم درس في بخارى وسمرقند. كان عالم عصره في بلاده، له تصانيف في التاريخ والعقيدة والفقه، من تصانيفه "البرق الوميض في الرد على البغيض المسمى بالنقيض"، "الحكمة البالغة الجنية في شرح العقائد الحنفية"، "ناظورة الحق في فرضية العشاء وإن لم يغب الشفق"، "وفية الأسلاف وتحية الأخلاف"، "مستفاد الأخبار في أحوال قازان وبلغار". انظر "مستفاد الأخبار" لمراد رمزي التتري: ٤٠٣/٢ ، و"الأعلام": ١٧٨/٣.

زمانهم ووقائعهم ومجارياتهم. ولهذا بقيت أخبار علمائنا وملوكنا وعظمائنا، وأحوال آبائنا وأجدادنا ونسلنا ونسبنا مجهولة لدى شعبنا ولدى غيرنا من الملل ومستورة عنهم)[1]. ثم يحاول يحاول المرجاني أن يجد لذلك عذرا متوقعاً بأن السبب في ذلك انشغال بعضهم بتوسيع نطاق التجارة وكثرة الأسفار وانشغال الآخرين بالدعوة ونشر الدين الصحيح، وأيضاً اشتعال الحروب من حين إلى آخر، وفي مكان وآخر، ثم عدم وجود طباعة الكتب كان يؤدي إلى عدم انتشارها، والحروب والكوارث كانت تؤدي إلى فقدان وتلف النسخ الموجودة[2].

وقال عالم تتري آخر مُلاّ مراد رمزي[3] مؤكداً هذه المعلومة: (إن أجدادنا الأتراك القدماء لما لم يتركوا لنا تواريخ مبينة لأحوالهم ومجرياتهم لا جرم صرنا مجبورين ومضطرين أن نأخذ بيان الوقائع والأحوال من التواريخ التي نقلوها من أعدائهم الذين أحاطوا بهم من جوانبهم الأربعة، وكانوا في حالة الحرب معهم دائماً أبداً، أعني بهم الصين والفارس والروم والروس. ولا يخفى على أحد أن العدو كيف يحرر مناقب عدوه ويضبط محاسنه وينشرها! هيهات)[4].

---

[1]– "مستفاد الأخبار في أحوال قازان وبولغار" شهاب الدين المرجاني:٤٣.

[2]– نفس المصدر: ص ٤٥، وص ١٥٨–١٥٩.

[3]– ملا مراد رمزي: هو محمد مراد رمزي القزاني المكي ولد سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م في قرية إسكي ألمات. لما بلغ السنة الخامسة عشرة من عمره سافر في طلب العلم إلى مدينة قازان ثم إلى ترويئيتسك. وفي عام ١٨٧٤م وصل إلى بخارى ولكنه لم يقتنع بمستوى التدريس هناك، فغادرها بعد سنة، وفي سنة ١٨٧٥م أدى فريضة الحج وبقي في المدينة لمدة أربع سنوات في طلب العلم. و في سنة ١٨٨٠م انتقل إلى مكة المكرمة و عاش بها زمنا طويلا. ثم، أيام الحرب الوطنية الروسية عاش في قازان، ثم كان قاضيا في مدينة أوفا (وهي عاصمة بيشكيريا اليوم). ثم تمكن رمزي من سفره إلى التركستان الشرقية مدينة شوغوشاكي.. و في سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م مات بها. درس مراد رمزي على يد الشيخ المظهر في المدينة و السيد محمد صالح زواوي و الشيخ سرور السوداني و الشيخ عبد الحميد الداغستاني ودامولا النمنغاني و عبد الرحمن السراج و ابنه عبد الله السراج. كان مراد رمزي أباً لتسعة أولاد وبنات. له مؤلفات مطبوعة وغير مطبوعة، أشهرها وأهمها "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار" الواقع في مجلدين ضخمين، كتبه باللغة العربية ويعد ثروة ثمينة في علم التاريخ التتري، ولكنه إلى الآن لم يترجم بالكامل إلى اللغة التترية و لا الروسية. وقد درس سيرته وجمع مؤلفاته مؤرخ تركي أحمد تيمير الذي كتب في سيرة ملا رمزي رسالة علمية "مرور ١٣٠ عاماً من ميلاد مؤرخ قازاني مراد رمزي و٥٠ عاماً من يوم وفاته". انظر "التجديد الديني في العالم التركي" لإبراهيم ماراش: ص١١١.

[4]– "وقائع قزان وبلغار وملوك التتار" ملا مراد رمزي: ١/٣٣.

ويضيف في صفحات أخرى واصفاً هذه الحال في كتابه "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار":

(ما زلت مذ فرّقت الشمال من اليمين، والغث من السمين، والنقص من الكمال، والنجم من الهلال مشتاقا إلى الاطلاع على سفر من تاريخ يتعلق بأحوال بلغار وقازان وسائر بلاد الشمالية، وما جرى عليها من نوائب الدهر والحوادث السماوية. وطالما فتشت في ذلك زبر المتقدمين، وقلبت أوراق صحف المتأخرين رجاء أن أطلع في حدائقهم على نخلة من ذلك. وعسى أن أصادف في خزائنهم نحلة فيما هنالك حتى تعب مركبي الطليح من الجولان في ذلك الميدان، وتحققت عجزي في إدراك هذا الشأن؛ حيث لم أقف منه على أثر ولم أعثر في ذلك على شيء من الخبر سوى أن بعض المؤرخين الكبار ذكر بعض أحوالها في وقت من الأوقات على سبيل الاستطراد، وبعض آخر منهم ذكر بعضًا منها بعد سنين كثيرة حسب الاجتهاد، وهذا كما ترى لا يشفي العليل، ولا يروي الغليل، وأما أهل بلغار وقازان، وإن جاء منهم العلماء الأعلام، والفضلاء العظام في كل قرن وزمان، إلا أنهم لعدم رغبتهم في التأليف والتصنيف، و قناعتهم بمطالعة تصانيف الغير وتعليمها- خصوصا في علم التاريخ- استحال أن يقع منهم فيه أثر، أو يكون لهم منه خبر، ولهذا بقيت أحوالهم ووقائعهم برمتها مستورة عن أنفسهم فضلا عن غيرهم حتى انتهت بهم جهالتهم بهذا الفن الآن إلى حد يزعم أغلبهم أنهم من منذ خلقوا محكومون للدولة الروسية وأنهم تحت إسارتهم هكذا من قديم الأيام وإن طاعتهم فرض عليهم أصالة وبالذات وإن أمرت بما يخالف الشرع الشريف حتى الممات، وأنه لم يجئ منهم أحد من الملوك، ولم يحكم منهم أحد على الغني والصعلوك. وأقبح من هذا جهالتهم بأصلهم ونسبهم، وتضييعهم لمحتدهم[1] وجنسهم، فإنهم لما رأوا شماتة طائفة الروس إياهم بكونهم من التتار، وشاهدوا في كتب المسلمين أن التتار لا تذكر إلا مقرونة باللعن وما يوجب العار والشنار؛ أنكروا كونهم من التتار، ورضوا لأنفسهم بإطلاق اسم "نوغاي" تبعًا في ذلك أقوام ما وراء النهر، ولا يدرون أن أسلافهم قد تركوا جميع من في البسيطة في الدهشة والحيرة، وأن الروس كانت تحت حكومتهم كالأرقاء

[1]- المَحْتِد، أي: أصل النسب. انظر مادة (ح-ت-د) في "تهذيب اللغة" للأزهري: ٤/٤٠٤، و"لسان العرب": ٢١/٢.

مدة من الأزمنة كثيرة. ولا ينتبهون أن شماتة الروس بذلك إنما هي لإذاقة التتار إياهم أشد النكال ولكون لفظ "التتار" عندهم كالمرادف للفظ "مسلم"، كما أن لفظ "الروس" عند أهل قزان كالمرادف لمطلق لفظ "النصارى"، ولا يعلمون أيضاً أن ذكر المسلمين التتار مقرونة باللعن إنما هو لإيذائهم إياهم وتخريبهم بلادهم وفعلهم فيها من الفساد والقبائح ما لا يحصى وقتلهم الخليفة وانقطاع الخلافة العباسية بسبب ذلك، ولا يعرفون أن من فعل هذه كلها إنما هم شعبة أخرى منهم كانوا ببلاد العراق، وأما "تتار قازان" وسائر البلاد الشمالية فهم بريئون من ذلك كله، بل هم معترضون على ذلك من الأول...وقد صدر منهم من الخيرات والتوادد والمراسلة بالملوك الإسلامية المصرية ما لا يحصى.

قال: والحاصل: ما رأيت قوماً تركوا وقائعهم وحوادثهم سدى وأضاعوا مجد أوائلهم مع ظهور كثير من الملوك العظام والعلماء الكرام وفضلاء الأنام والأمور الجسام مثل هؤلاء القوم، حتى كأنهم عند الأكثرين ما خُلقوا إلى هذا اليوم، بحيث إذا رأوا في كتاب من الكتب أو سمعوا من أحد اسم قازان وبلغار لا يعرفون أنه في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال، فضلا عن سائر أحواله وهذا من أعجب العجائب وأغرب الغرائب)[1].

وقال المستشار السياسي لدى رئيس جمهورية تتارستان ومدير معهد التاريخ بأكاديمية العلوم بجمهورية تتارستان في مقدمة كتاب "تاريخ التتر": (إن تاريخ التتر في عرضه الرسمي قبل الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م وبعدها كان خاضعاً لسياسة الدولة[2] فبالتالي كان غير موضوعي. حتى أبرز المؤرخين الروسيين كانوا يتطرقون إلى مسألة "التتر" بالتحامل وفي أحسن الأحوال كانوا يتهربون منها بالسكوت عنها... بل وصل الأمر في أيام الحكم الشيوعي إلى أن أصدرت اللجنة الرئيسية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م قراراً عن الأحوال والوسائل المساعدة لرفع مستوى العمل السياسي والإيديولوجي لدى المؤسسة الحزبية التترية في أوساط الشعب التتري الذي ينص على منع دراسة تاريخ الخانية الذهبية والخانية القازانية لاغين بذلك وجود الكيان التتري من تاريخ تنظيم الدولة الروسية)[3].

---

[1]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار"/ ملا مراد رمزي التتري: ١/٢٣-٢٤.

[2]- قبل الثورة كان خاضعا لسياسة روسيا القيصرية النصرانية، وبعد الثورة لسياسة روسيا الشيوعية الملحدة.

[3]- "تاريخ التتر من العصور القديمة" مونوغرافيا باللغة الروسية لمجموعة من علماء التاريخ: ٣/١.

هذه حقيقة الاتحاد السوفيتي مع الشعب التتري حيث كانت تجبرهم على السكوت وتحاول إخفاء الحقيقة عن هذا الشعب وطمس هويتهم، فكل من كان يلتمس الموضوع بالكتابة فيه أو الموعظة في المجالس أو الخطبة في المساجد كان يعرِّض نفسه لمخاطر كثيرة[1].

هذه كانت سياسة الاتحاد السوفيتي مع كثير من الشعوب التي ما زالت تترنح تحت الظلم الشيوعي على مدار سبعين عاماً إلى أن سقط هذا الحكم الطاغي الظالم وبدأت الحقائق تنكشف و تظهر مقالات وبحوث علماء التتر المسلمين وبعض العلماء المؤرخين الروس حيث استخرجت من بطون الأرشيفات القديمة الممنوعة ومخازن المخطوطات وفتحت أمام الباحثين أبواب المكتبات وإمكانات الاستفادة من خبرات المؤرخين خارج روسيا.

إننا عندما نريد أن نبين حقيقة هذا الشعب المسمى اليوم بالتتر لا بد من بيان نسلهم بإلقاء الضوء على أصلهم التركي.

لا يخفى على أصحاب البصيرة وناقلي الأخبار والسيرة أنه لا اختلاف بين أهل الإسلام وأهل الكتابين في أن أبناء البشر الموجودين الآن منتشرون كافتهم من أولاد نوح — عليه السلام — الثلاثة: سام ويافث وحام[2]، وإن خالفهم فيه أهل فارس والهند والصين قاطبة قديما وحديثا وتبعهم كثير من أهل أوروبا في زماننا هذا ...[3]. قال قتادة[4] في تفسير

[1]- قال رفائيل حكيموف مستشار سياسي لدى رئيس جمهورية تتارستان ومدير معهد التاريخ بأكاديمية العلوم بجمهورية تتارستان: (الحرب الإيديولوجية كانت تؤثر على موقف المؤرخين كثيرا، وربما كان لاضطهادات عام ١٩٣٧م دور أكبر في هذا. مراقبة المؤرخين من قبل الحكومة الشيوعية (اللجنة الرئيسية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي) هدم من الأساس إمكانية البحث العلمي الموضوعي في تاريخ الشعب التتري) المونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة"، مقالة رفائيل حكيموف "تاريخ التتر- نظرة من العصر الحادي والعشرين": ص٤.

[2]- والشواهد على ذلك كثيرة من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، ذكرها أصحاب السنن والتفاسير والتاريخ. وسيأتي.

[3]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٣٦/١.

[4]- قتادة: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١- ١١٨هـ/٦٨٠-٧٣٧م): مفسّر حافظ ضرير أكمه. قال الامام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، وكان أحفظ أهل البصرة. وكان- مع علمه بالحديث- رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان قد رمي بالقدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون. انظر "سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٢٦٩/٥، و"طبقات المفسير" للداوودي: ص٣٣٢ برقم٤١٥، و"شذرات الذهب" لابن العماد: ١٥٣/١.

قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ الصافات: ٧٧، قال: فالناس كلهم من ذرية نوح– عليه السلام[١]. وأما من كان معه في السَّفينة من المؤمنين فماتوا بعد الطوفان و لم يبقَ إلا أَولاد نوح، فتوالدوا حتّى ملأوا الأرض[٢]. وقد روى الإمام الترمذي من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، قال: ((**حام وسام ويافث**))[٣].

وقال سعيد بن المسيب[٤]– رحمه الله: (ولد نوح – عليه الصلاة والسلام– ثلاثة: سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم وفي كل هؤلاء خير، وولد حام: السودان

---

[١]– انظر تفسير الطبري: ٨٠/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٢٢/٧، وغيرهما من التفاسير.

[٢]– قال ابن كثير: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، يقول: (لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

وقال ابن حجر: فلم يَبْقَ بعد الطّوفان إلا ذرية نوح وهو من نسل شِيث ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، وكان معه فِي السَّفينة ثمانون نفسًا وهو المشار إِليهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود: ٤٠، ومع ذلك فما بقي إلا نسل نوح فتوالدوا حتّى ملأوا الأَرْض. (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الديات، باب٢– قول الله تعالى (ومن أحياها...):٢٣٧/١٢/ح٦٨٦٧).

وقال صاحب "تحفة الأحوذي" الإمام محمد المباركفوري: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، أَي: وَحْدَهم دون غيرهم كما يشعِر به ضمِير الفصلِ، وذلك لأَنَّ اللَّهَ أَهلك الكفرة بدعائه ولم يَبْقَ منهم باقية، ومن كان معه في السَّفينةِ من الْمؤمنين ماتوا كما قيل، ولم يَبقَ إلا أَولادُهُ ("تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": كتاب تفسير القرآن، باب سورة الصافات: ٧٠/٩ تحت رقم الحديث٣٤٤٧).

[٣]– أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الصافات: ص٧٣٠ برقم٣٢٣٠. وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن بشير. ويحى بن معين يضعف سعيد بن بشير. وقال ابن عدي: لا أرى بما يرويه بأسا ولعله يهم في الشيء بعد الشيء ويغلط، والغالب على حديثه الاستقامة، والغالب عليه الصدق. انظر "تهذيب التهذيب" لابن حجر:٨/٤–١٠ برقم١١. وقال الألباني عن الحديث: ضعيف الإسناد. انظر "السلسلة الضعيفة" للألباني: ١٥٩/٨ برقم٣٦٨٣.

[٤]– هو: سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أبو محمد المدني سيد التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، قال أحمد: أفضل التابعين. وقال يحى بن سعيد: كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته. قال أبو حاتم: أثبت الناس في أبي هريرة. مات سنة أربع وتسعين. انظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان: ٣٦٨/١ برقم٢٦٢، "تهذيب التهذيب":٨٤/٤–٨٨، "طبقات الفقهاء" للشيرازي: ص٥١، "طبقات الحفاظ" للسيوطي: ص١٧ برقم ٣٧.

والبربر والقبط، وولد يافث: الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج).[١]

والذي يهمنا في هذا المقام هو أن الترك من وُلد يافث- لا خلاف فيه عند المحققين[٢].

قال ابن خلدون[٣]: وأما يافث فمن وُلده **الترك** والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج باتفاق النسابين...ثم قال: ...وشعوب الترك كلهم من بني كومر[٤] ابن يافث.[٥]

ولما كثرت أولاد الترك وأحفاده بمرور الزمن انشعبوا على شعوب كثيرة وقبائل شتى وانتشروا في أطراف أراضيهم المخصوصة بهم وجوانبها واشتهر من بينهم في كل عصر بل قرون متطاولة قبائل كثيرة[٦].

كما يثبت المؤرخون أنّ نشوء القبائل التركية كان يتم في منطقة شاسعة تشمل آسيا الوسطى وسيبيريا الجنوبية، ويحدد علماء التاريخ ظهور بعض القبائل التركية الأولى في أوروبا الشرقية بالقرن الرابع الميلادي في عصر المهاجرة العظمى ضمن قبائل الغون التي

---

[١]- أخرجه ابن وهب (ت:١٩٧هـ) في "الجامع في الحديث": ٦٤/١ برقم٢٥، وعن طريقه الحاكم بلفظه في "المستدرك على الصحيحين": ٥٠٩/٤ برقم٨٤٢٩، وابن سعد في "الطبقات الكبرى": ٣٦/١. وانظر ما قاله ابن كثير في تفسيره: ج٧/ص٢٢، وصاحب "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": كتاب تفسير القرآن، باب سورة الصافات: ٧٠/٩ برقم٣٤٤٧.

[٢]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٣٧/١.

[٣]- ابن خلدون، هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد(٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م): فيلسوف، مؤرخ، عالم اجتماعي بحاثة، أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى بلاد كثيرة. ولي قضاء المالكية بمصر ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. توفي فجأة في القاهرة. كان فصيحا جميل الصورة عاقلا صادق اللهجة عزوفا عن الضيم طامحا للمراتب العالية. اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" في سبعة مجلدات، أولها "المقدمة" وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وختم بفصل عنوانه "التعريف بابن خلدون" (٤٥١/٧)، وله شعر. انظر "شذرات الذهب": ٧٦/٧، "البدر الطالع": ٣٧٦/١ برقم٢٣٣، "الأعلام": ٣٣٠/٣.

[٤]- وقد ورد هذا الاسم بألفاظ أخرى: كومز و جومر و عامور وعابور وكماري، والحاصل أنها منحرفة من أصل واحد. وهناك خلاف بين المؤرخين هل قبائل الترك منشعبة من ولد يافث الصلبي واسمه الترك أو من ولد حفيده وهو توغرما بن كومر بن يافث. انظر "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٣٨/١ .

[٥]- تاريخ ابن خلدون: ١٣/٢.

[٦]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٤٤/١.

وصلت تحت قيادة آتيلا إلى أوروبا وهزمت جيوش روما وأسست الإمبراطورية الغونية المعروفة. ولكنها لم تستمر طويلا، ففي عام ٤٥٣م انهارت الإمبراطورية مع موت مؤسسها آتيلا وتفككت وتفرقت القبائل ثم اجتمعت في اتحادات أخرى تحت تسميات أخرى.

هل كانت الغون الغربية[١] من القبائل التركية أم أن الغون هم جنس آخر غير الترك؟ وهل كانت استمرارا للهون الشرقية؟ هذا محل النـــزاع بين المؤرخين[٢]، ولكن مما هو متفق عليه أنهم شرقيون منشئاً وأنهم يرجعون إلى العرقية المنغولية[٣]. وإن كانت الدلائل لا تبين كون الغون من المتكلمين بالتركية فإن كون القبائل التركية دخلت أوربا ضمن عساكر الغون لا شك فيه. فكما أشار إليه الباحثون، فإن الإغارة الغونية بالذات فتحت للشعوب التركية بوابة نحو الغرب وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت أغلبية سكان جنوب أوربا الشرقية متكلمة بالتركية[٤]. ومن بين هذه القبائل كانت قبيلة "أوغور" و"سارأغور" و"أون أوغور".

---

[١]– المؤرخون يفرقون بين الهون والغون؛ فقد اصطلحوا على أن الغون هم تسمية للهون بعد دمج القبائل الآسيوية إليهم والمهاجرة إلى أوربا، فصاروا يطلقون عليهم "الهون الشرقية" إذا قصدوا الفترة ما قبل المهاجرة إلى أوربا الشرقية و"الغون الغربية" ما بعدها.

[٢]– يرى ديغين الفرنسي (العصر الثامن عشر ميلاديا) و ك.أ. إينوسترانتسيف الروسي (١٩٢٦م) وغيرهما أن الغون الغربية هي الهون الشرقية نفسها وأن أصلهما تركي، في حين يرى الآخرون كـــ أ.ن. بيرنشتام و ل.ن.غوميلوف و م.ي.آرتامونوف أن الغون قد تغيروا واندمجوا بشعوب أخرى غير التركية فلا يمكن القول بأنهما شيء واحد، بل تحول الهون التي خرجت من سواحل منغوليا خلال مائتي سنة إلى شعب آخر وهم الغون الغربية. انظر "الغون في الغرب"لإيرينا زاسيتسكايا ضمن البحث العلمي لعديد من العلماء "تاريخ التتر من العصور القديمة" في ٧ مجلدات: ١/١٤٩،١٤٨.

[٣]– أتكلم هنا عن العِرق لا عن القبيلة؛ فإن الناس جميعا يرجعون إلى العروق الثلاثة: المنغولية والزنجية والأوربية. انظر "قاموس اللغة الروسية" أوجيغوف: ص٦٥٧. والعرق في علم الإنسان مجموعة بشرية لها خاصيات مميزة تجمع أفرادها عادة على أسس مشتركة من الجوانب الثقافية واللغوية والدينية، والسمات السلوكية أو البيولوجية. وقد وصف الغون الغربية المؤرخون الغربيون المشهورون كـــبريسك بنييسكي وإيوردان وأميان مارسيلين على أن أشكالهم أسياوية. انظر "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان" إ.ر.طاهيروف: ص٢٥.

[٤]– انظر "الغون في الغرب" لإيرينا زاسيتسكايا ضمن البحث العلمي لعديد من العلماء بعنوان "تاريخ التتر من العصور القديمة":١/١٥٢، "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان" إ.ر.طاهيروف:٣٢.

ذكرهم المؤرخ البيزانطي بريسك بانييسكي[1] المشهور بتقريره عن وفادته إلى مقر آتيلا حيث قال إن في عام ٤٦٣م اكتسحت سواحلَ البحر الأسود الشمالية القبائلُ غير المعروفة من قَبْلُ، وذكر منها "أوغور" و"سارأغور" و"أون أوغور" وهي قبائل تركية[2]. وهذه القبائل الأوغورية (الأوغوزية)[3] إثر انقراض دولة الغون كوَّنت في هذه المنطقة بريادة قبيلة "أون أوغور"[4] اتحاداً قبلياً سمي باتحاد البلغار. وما لبث أن تحول الاتحاد سنة ١٢هـ/٦٣٥م برئاسة كُبرات خان[5] إلى دولة سميت بـ"**بولغاريا العظمى**".

المسألة الثانية: دولة بولغاريا العظمى:

مصير هذه الدولة كان كمصير دولة آتيلا، أي: لما توفي كبرات خان عام ٣٩هـ/ ٦٦٠م تفككت بلغاريا ولكن شعبها البلغاري لم يضِع في التاريخ بل احتفظوا باسمهم "بلغار" حتى بعد تفكك الدولة وانقسام شعبها وانتقال قبائلها؛ و قد ظهروا بنفس الاسم في أماكن

[1]- بريسك بانييسكي، هو: مؤرخ فرنكي كان ضمن الوفد البيزانطي المرسل إلى آتيلا عام ٤٤٨م من إمبراطور روما الشرقيية فيودوسي الثاني، وقد سجل معلومات كثيرة مهمة عن القوم وعن آتيلا نفسه وبطانته في رسالته "تاريخ الغون" المطبوعة بالروسية ضمن "تاريخ التتر من العصور القديمة" في ٧ مجلدات. انظر هذا الكتاب: ٤٠١/١.

[2]- انظر "تاريخ التتر من العصور القديمة": ص١٨٢-١٨٣.

[3]- قد يقال بدل كلمة "أوغور" كلمة "أوغوز" فإن حسب روايات الأتراك القدماء هذا الاسم يرجع إلى أحد قادهم الأولين وهو أوغوز قاغان. انظر "البلغار الأوائل في ما وراء قوقاز وسواحل نهر فولغا" لسيرجي كلاشتورني ضمن "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١٨٣/١.

[4]- ويدل على ذلك رسالة نيكيفور المسماة "تاريخ مختصر" يقول فيها: (...وفي هذا الوقت كبرات خان (ابن أخت أورغان ملك البلغار الأول) وهو ملك أون أوغور (أون أوغوندور) ثار ضد الخاقان الآواري وأهانه وأخرجه ومن معه من الشعب من أرض البلغار). انظر "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١٧٨/١.

[5]- كبرات خان ابن عمه أورغان. أورغان أول رئيس للبلغار من قبيلة أشين، في عهده وقعت البلغار تحت "قاغانة أوار" ولكن مع مجيء كبرات خان استطاعوا أن يكسروا شوكة أوار، فأعلنوا بلغاريا دولة مستقلة وذلك عام ٦٣٥م. هذه الدولة ظهرت في مسرح الأحداث حليفة للدولة البزانطية حتى يذكر أن كبرات خان لما ترعرع في البزانطية منحه الإمبراطور إيراقلي لقب "البطريق". انظر "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان" إ.ر.طاهيروف:٦٥-٦٦.

أخرى، بل نشاهد في صفحات التاريخ قيام دولتين بهذه التسمية!

يروى أن كبرات خان أوصى أبناءه عند موته ألا يتفرقوا ولكن خالف أولاده وصيته الحكيمة وقسموا مملكتهم فيما بينهم[١].

فزحف أحد أولاده أسباروخ[٢] عام ٥٩هـ/٦٧٩م بما تحت ولايته من القبائل غرباً صوب نهر الدانوب، واستقر بشعبه هناك، وأسس دولة بلغاريا. وبعد فترة من الزمن وبتأثير من الجيران السولاف (أي السلافانية) والبيزانطيين تقبلت البلغارُ النصرانيةَ ديانةً لهم وكانوا آنذاك وثنيين ممن يعظمون "تينغري" إلهاً وهي الشمس، ثم مع الدمج بالشعوب المحلية تقبلوا عاداتهم ولغاتهم وذابوا بينهم. وهي اليوم دولة نصرانية، وشعبها يتكلم بإحدى اللغات السولافية، وتسمى دولتهم-إلى اليوم- بدولة "بالغاريا"[٣].

قال المؤرخ التتري مراد رمزي في هذا الصدد: (ولما تنصر بلغار طونه (الدانوب) تركوا ألسنتهم وعاداتهم الأصلية وأخذوا ألسنة سولاف وعاداتهم بسبب كثرة اختلاطهم معهم، فهم يعدون إلى الآن من سولاف بحسب العادات واللسان لا بحسب الجنس)[٤].

أما الفئة الثانية فهاجرت نحو الشمال الشرقي على ضفاف نهر فولغا (فولجا)[٥] وأقامت دولة "**بولغاريا الفولغا**" وهذه الفئة هي المعنية في بحثنا.

[١]- انظر "وقائع قازان وبلغار": ٢٨٨/١. وعلماء التاريخ عند بيان أسماء أولاد كبرات خان يذكرون مؤلفا لمؤرخ قديم نيكيفور باسم "تاريخ مختصر" الذي أورد فيه قصة موت كبرات خان وقصة تفرق أولاده. انظر: "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان" إ.ر.طاهيروف: ص٦٧، "تاريخ التتر من العصور القديمة":١/ ١٧٩.

[٢]- تروي المصادر التاريخية أسماء أولاد كبرات خان ومنهم أسباروخ وبتباي وقودراق وغيرهم، ولكن علم التاريخ يضع حقيقة هذه الأسماء محل الشك، إنما المعروف والثابت علميا هو اسم واحد من أولاد كبرات، وهو أسباروخ خان وهو الذي ذكرته هنا. انظر "البلغار القدماء على ضفاف فولغا الوسطى" باللغة الروسية ر.س. بهاء الدينوف وأ.ب. بوغاتشوف وس.إ. زوبوف: ص ١٣.

[٣]- انظر "التتر:رواية مشهورة عن تاريخ الشعب التتري" ضمير إسحاق:١٨. "تاتار تاريخي" لعزيز عبيد الله: ٣٥.

[٤]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٢٨٩/١، وقال أيضا في نفس الموضع عن تنصر بلغار الدانوب: (لما تحولوا من حالة المجوس إلى النصرانية صاروا بذلك كمن غسل البول بالخرى وانتقلوا بذلك من طبقة في جهنم إلى طبقة أخرى أقبح منها).

[٥]- نهر فولغا (فولجا) – Volga، يصب من الشمال في بحر القزوين، ويعرف في اللغات التركية بنهر إتيل.

أما الآخرون من البلغار فبقوا في موطنهم القديم تحت هيمنة دولة الخزر[١] فذابوا فيها لتقارب اللغات والعادات إذ كانت أكثرية الدولة الخزرية من القبائل التركية[٢].

والتي يعنينا أمرها في هذا البحث هي- كما قلت- الفئة التي هاجرت في نهاية القرن السابع الميلادي[٣] نحو الشمال الشرقي على ضفاف نهر فولغا وأقامت دولة "بولغاريا الفولغا"

---

[١]- كانت المملكة الخزرية تقع على المعبر الحيوي الواقع بين البحر الأسود وبحر قزوين، ولا يعرف أحد بالضبط مدى اتساع مملكة الخزر (خزاريا)، فيجعلها بعض المؤرخين مملكة صغيرة على الفولجا والدون، فى حين يرى البعض الآخر أنها كانت فى قمة اتساعها وتطورها، فى منتصف القرن الثامن حيث شكلت مملكة مترامية الأطراف تمتد حدودها بين سواحل البحر الأسود الشمالية، ونهر الدنيبر فى الغرب، وبحر قزوين ونهر الفولجا فى الشرق، حتى حدودها الجنوبية وجبال القوقاز فى الجنوب. ولم يكن للخزر، حتى القرن التاسع، أى منافس لسيادتهم فى المناطق الواقعة شمال البحر الأسود وما يلحقها من مناطق الإستبس والغابات على نهر الدنيبر. وقد ظلوا القوة العظمى فى النصف الجنوبى من أوروبا الشرقية مدة قرن ونصف قرن، وكانوا حاجز حماية منيعاً يسد ممر الأورال وقزوين فيما بين آسيا وأوروبا. وقد صدوا طوال هذه الفترة غارات القبائل البدوية الزاحفة من الشرق. وكان ملوكهم قد اتخذوا اليهودية ديانة لهم. في القرن العاشر عام ٩٦٥م قضى حاكم كييف على دولتهم. ومما يجدر ذكره أن كتب الرحالة والمؤرخين العرب القدامى (مثل: ابن فضلان، والأصطخرى، وابن حوقل، والمسعودى، وابن سعيد المغربى، والبلخى، واليعقوبى، وابن رسته، والمقدسى، وابن النديم، والطبرى، وابن مسكوبه، والبيرونى، وياقوت) لا تزال من أهم المصادر عن الخزر، سواء فيما يتعلق بتاريخهم أو عاداتهم. ومع أنه توجد مصادر أخرى بيزنطية وروسية، فإن كتب الرحالة العرب لا تزال المصدر الأساسى. انظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" لعبد الوهاب المسيري، مبحث/ يهود الخزر: ٩٠/١. وانظر "تلفيق الأخبار" مراد رمزي، مبحث/ أقوال المؤرخين المسلمين في الخزر: ١٩١/١.

[٢]- قال المؤرخون أن شعب دولة الخزر كان متكلماً بإحدى اللغات التركية وكان يشمل قبائل تركية ومن بينهم البلغار الذين مثلوا جزءا كبيرا من سكان دولة الخزر. انظر مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١٨٤/١. قال ابن إسحاق الإصطخري في "المسالك والممالك": (ولسان بلغار مثل لسان الخزر)، أي من اللغات التركية: ص١٣١. وقال إ.ر.طاهيروف في "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان": (يرى الباحثون أن أغلبية الشعب البلغاري والخزاري كانت من القبائل التركية التي تسربت إلى منطقة قوقاز قبيل العصر الرابع الميلادي): ص٦٥. وانظر "مستفاد الأخبار في أحوال قازان وبلغار" لشهاب الدين المرجاني: ٨٥/١، وانظر أيضا "نقود قديمة في بلاد ضفاف فولغا" أ.ع. محمدييف: ص٦٣.

[٣]- يذكر أصحاب الكتاب "البلغار القدماء على ضفاف فولغا الوسطى" باللغة الروسية نتائج الحفريات الأثرية المثبتة بأن البلغار القدماء هاجروا من سواحل ضفاف بحر الآزوف الغربية في الربع الثالث من القرن السابع الميلادي: ص٣٥. وقد ذكرت بعض المصادر المشيرة إلى ذلك في "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان": ص٦٧-٦٨.

إذ يعتبرها المؤرخون هم الأصل في تكوين الشعب المعروف اليوم بالتتر القاطنين في جمهورية تتارستان.

فمن المطلوب في هذه المباحث أن نرى أن هناك فرقا بين التتر القدماء وتتر اليوم، فكما تبين من خلال ما سبق فإن التتر القاطنين في جمهورية تتارستان اليوم هم من الأصل البولغاري التركي الذي على أساسه قامت دولة بولغاريا الفولغا في القرن السابع الميلادي والذي أسلم شعبه ومَلِكه في القرن العاشر الميلادي (وسيأتي الكلام عن ذلك في الصفحات المقبلة)، ثم مر البلغار بمراحل عديدة و عايشوا ظروفا وعوامل مختلفة حتى أطلق عليهم اسم "تتر" مع أن أصل التتر هم أقوام من برّية المنغوليا (سهول المنغوليا) التي تبعد عن تتارستان الحالية بآلاف الكيلوميترات. والمراحل التي مروا بها تتمثل في النقاط التالية:

١ - دولة بولغاريا في حوض نهر فولغا.
٢ - دولة بولغاريا الفولغا ضمن القبيلة الذهبية.
٣ - خانية قازان استمرارا لبولغاريا الفولغا.
٤ - سقوط قازان على أيدي الروس النصارى.
٥ - إطلاق اسم "التتر" على القازانيين وتأسيس جمهورية تتارستان ضمن الاتحاد السوفييتي.

وبيان هذه المراحل فيما يلي:

المسألة الثالثة: دولة بولغاريا في حوض نهر فولغا:

ذكرنا أن بعض البلغار هاجر في نهاية القرن السابع الميلادي نحو الشمال الشرقي على ضفاف نهر فولغا وأقاموا دولة بولغاريا الفولغا. ولم يكن الموطن الجديد خاليا من الأمم والشعوب قبل قدومهم، بل- حسب كتابات المؤرخين ومنهم المؤرخون العرب- يلاحظ وجود العناصر التالية ضمن بولغاريا الفولغا: آلان-خزرية، ترك-أوغورية، وسط-آسيوية،

ولكن هذه العناصر اتحدت حول الشعب البلغاري ومع مرور الزمن ذابت في جسمان الدولة البلغارية[1].

وعلى الرغم من أن البلغار يرجعون في أصلهم إلى الشعوب التركية، كما ذكر ذلك الإمام رضاء الدين فخر الدين قائلا: (إن البلغار من الأقوام التركية ولا شبهة في صحة الأخبار المروية في ذلك، إنه حقيقة وأمر قد قُضي)[2] وكما ذكر ذلك الإمام المرجاني التتري مؤيداً قوله بذكر أقوال المؤرخين العرب والفرس[3]، فإنه يجدر بالذكر أن نتائج دراسة الآثار التاريخية والتحليلات الأنثروبولوجية[4] تدل على حصول عملية دمج الدماء بشكل واسع الذي ابتدأ قبل هجرتهم إلى ضفاف فولغا واستمر أيضاً بعدها[5]. وهو أيضاً موجود في أخبار بعض القدماء:

أورد صاحب "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" وصاحب "الكامل في التاريخ" أن البلغار أنفسهم لما سئلوا في بغداد- وكانوا في سفرهم إلى مكة- عن أصلهم، أجابوا بأنهم: (قوم تولدوا بين الترك والصقالبة)[6]. ولعل هذا هو سبب قول البعض: (بلغار مدينة تركية يكثر فيها ذوو الجمال)[7].

منذ أن استوطن البلغار منطقة ضفاف نهر فولغا شمالَ بحر القزوين- وهي المنطقة التي تقع فيها اليوم **جمهورية تتارستان**- ظلت دولة بولغاريا الفولغا بعاصمتها بلغار[8] يكسوها

---

[1]- "التتر:رواية مشهورة عن تاريخ الشعب التتري" ضمير إسحاق: ١٩. وقد ذكر الإمام المرجاني في كتابه "مستفاد الاخبار" ص٥٣-٥٥ أن الشعب البلغاري يرجع إلى أصله التركي وأيد قوله بذكر أقوال مؤرخين العرب والفرس.

[2]- "أتراك البلغار وقازان" لرضاء الدين بن فخر الدين التتري: ص٢٥.

[3]- قد ذكر قول الاصطخري وابن حوقل والغرناطي. انظر "مستفاد الأخبار": ١/٥٤-٥٥.

[4]- أنثروبولوجيا: علم من وظائيه دراسة السلالات البشرية. انظر "الموسوعة العربية العالمية": ٣/٢٤٣-٢٤٧.

[5]- من الأدلة نتائج دراسة الآثار التاريخية والتحليلات الأنثروبولوجية حيث وجدت الجماجم مختلفة الأصول العرقية المنغولية والأوربية. "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان" :٦٨.

[6]- "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" لشمس الدين الدمشقي: ص٢٦٤، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير: ٨/٣٠، و"البداية والنهاية" لابن كثير (دار المعرفة): ١٢/٤٩٨.

[7]- وهو قول مولاوي عبد الغفور بن علي اللاري في شرح "نفحات الإنس".

[8]- ذكر الرمزي أقوال المؤرخين المسلمين عن بلغار في "تلفيق الأخبار":١/٢٧٩، وهي بلدة أيضا معروفة عند الفقهاء في مسألة طلوع الفجر من غير أن يغيب شفق الغروب وما ينبني عليه من أحكام الصلاة والصيام.

شيء من الغموض طيلة ثلاثة قرون- تقريبا- حتى نهاية القرن التاسع الميلادي. وأبرز ما يعرف عنهم في هذه الفترة يتمثل في نجاحهم في إخضاع بعض الطوائف المجاورة لنفوذهم، ومن بينها بعض العناصر التركية، إضافة إلى اتخاذهم مواطن لم تلبث فيما بعد أن تطورت حتى أضحت مدناً كبيرةً.[1]

أما مطلع القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) فقد تميز بحادث تاريخي مهم في مسيرة الدولة البلغارية وشعبها البلغاري حيث اعتنق ملكُ البلغار وشعبُه الدينَ الإسلاميَ الحنيف رسمياً، وذلك بعد تبادل السفارات بينهم وبين الخلافة العباسية أيام الخليفة المقتدر بالله[2]؛ فمن تلك الأيام إلى يومنا هذا صارت هذه المنطقة هي المخفر الشمالي للعالم الإسلامي.

ولعل إعلان بولغاريا إسلامها رسمياً يرجع لسببين:

الأول: رغبة الشعب البلغاري في اعتناق الإسلام؛ ولعل هذا العامل مهّد لقيام علاقات وثيقة بينهم وبين المسلمين من العالم الإسلامي في الفترات التالية وأدّى فيما بعد إلى اتخاذ السلطة علاقات مع الدول الإسلامية ذات طابع رسمي. فقبل أن يُعلن عن إسلام الدولة لا بد أن يكون هناك مقدمات تهيئ الدولة لمثل هذه الخطوة المغيرة لمسيرة تاريخها، فمن تلك المقدمات اقتناع أفراد الشعب البلغاري بالإسلام ديناً وكانوا قد تعرفوا عليه عن طريق التجار الوافدين إلى بلغاريا فأسلم كثير منهم.

في هذا الصدد يذكر أحد المؤرخين الأتراك أن الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية أخذا في الانتشار بين البلغار منذ أواخر القرن التاسع الميلادي على وجه التقريب عن طريق بعض التجار الذين كانوا يفدون من بلاد تركستان وبعض البلدان الإسلامية الأخرى، ولم يلبث عدد المسلمين في الأراضي البلغارية أن زاد في حدود عام ٢٨٨هـ/٩٠٠م[3].

---

[1]- **"دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا" لحسين الداقوقي: ص٢٣، (وانظر أيضا ص٢٠٦ من بحثه المنشور بنفس الاسم في مجلة "المؤرخ العربي" العدد ٢١، عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).**

[2]- **الخليفة العباسي المقتدر بالله أبو الفضل جعفر المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م وعمره ١٣ سنة وقتل سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م. كان جيد العقل صحيح الرأي، ولكنه كان موثرا للشهوات. انظر "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي: ٢٢٢/٧-٢٢٦ برقم٣٦٩٢، و"البداية والنهاية" لابن كثير:٢٠٠/١١-٢٠٣.**

[3]- **"أقوام الترك وممالكهم" لأقدس نعمت كورات: ص١١٥.** "Turk kavimleri ve devletleri" A.N.Kurat:

الثاني: رغبة السلطة في إيجاد علاقات تقوي الدولة لدفع العدوان الخارجي "من الملوك المخالفين له" -كما نقله السفير البغدادي ابن فضلان[١] على لسان ملك بلغار **ألمس بن يلطوار**[٢]. فكان إعلان الإسلام في واقع الأمر بمثابة حلف ديني سياسي بين بولغاريا والخلافة العباسية مما ساعد بولغاريا في مواجهة دولة الخزر الواقعة بين المملكتين بولغاريا في الشمال والخلافة الإسلامية في الجنوب. وهذا الأمر أتاح للدولة الجديدة إمكانية التخفيف من حدة التسلط والنفوذ الخزري والحصول على الاستقلالية عنهم.

وفي هذا الجانب يشير بعض الروايات إلى أن البلغار طلبوا من الخليفة أيضاً إرسال بعض المختصين في شؤون البناء والعمران[٣]، والمهندسين وأهل الخبرة في أمور الصناعة.[٤] فأجيبوا إلى ذلك. فبدت ملامح الإسلام على الشعب البلغاري في عاداتهم[٥] وملابسهم، وعلى مظهر مدنهم ببناء المساجد والجوامع والمدارس والحمامات. يقول أحد المؤرخين التتر: (أرسل الخليفة إلى بلغاريا علماء الدين وخبراء المعمار، فبنيت المساجد الكبيرة بالحجر ودخل أكثر الشعب في الإسلام. ولم يترك البلغار ديانتهم القديمة فحسب بل صاروا يضطهدون من بقي على الديانة الوثنية منهم. ثم بدأ البلغار يقصدون مكة لأداء الحج ويزورون المدينة. وأيضاً، لم يلبث الأمر أن أخذ البلغاريون ينشرون الدعوة الإسلامية بين الأقوام المجاورة)[٦]. وحقا؛ كما ثبت أن

---

[١]- انظر "رحلة ابن فضلان": ص٦٧.

[٢]- ألمس بن يلطوار هذا لم يعرف عنه إلا أنه كان في مقدمة القرن العاشر الميلادي ملكا في بلاد بلغار وقد أسلم وتحالف مع الخلافة الإسلامية، وهو أول من اعتنق الإسلام من ملوك البلغار وأول من تسمى باسم عربي وهو جعفر بن عبد الله. توفي سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م. وقد وقع في اسمه ألمس بن يلطوار نوع من الاضطراب حيث ذكر في مقدمة رسالة ابن فضلان المخطوطة بـ "الحسن بن بلطوار" ثم في الورقة ٢٠٢ ذكر بـ "المش بن شلكي صهر الأتراك"، وعند ياقوت الحموي: ٧٢٣/١ بـ "المس بن شلكي يلطوار" وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحف على الزمان، فرأى بعضهم أنه "ألمس بن يلطوار" – Almaz. وانظر "تلفيق الاخبار " الرمزي: ٢٩٩/١، و"مستفاد الأخبار" المرجاني: ٨٩-٩٠. وأيضاً "الموسوعة التركية" : ص٣٩٧.

[٣]- "أقوام الترك وممالكهم" لـ أ.ن. قورات: ص١١٥.

[٤]- "تلفيق الأخبار": ٢٩٢/١.

[٥]- كدفن الأموات، فحسب نتائج الحفريات الأثرية، فإن مقابر البلغار من القرن السابع إلى العاشر يغلب عليها الطابع الوثني، ومقابرهم من القرن العاشر فصاعدا تكون بالطابع الإسلامي. انظر "التتر:رواية مشهورة عن تاريخ الشعب التتري" ضمير إسحاق: ص٢٠.

[٦]- "تاتار تاريخي" عزيز عبيد الله التتري: ص٣٨. و"الشمانية" ديانة وثنية قديمة. انظر "القاموس الروسي"لأوجيغوف: ص٨٩١.

البلغار كانوا يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته[1]، فكذلك قد أسهموا في نشر الإسلام والدعوة إليه في المناطق المجاورة لهم وفي بعض أنحاء أوربا الشرقية بالوسائل والطرق السلمية. وقد أورد ياقوت الحموي ما يكشف عن جانب من تلك الجهود التي قاموا بها في هذا المضمار وحققوا نتائج إيجابية ملموسة، يقول مبيناً كيفية انتشار الإسلام بين قبائل البشغرد على أيدي بعض الدعاة البلغار: (...وجدت بمدينة حلب طائفة كبيرة يقال لهم البشغرد: شقر الشعور والوجوه جداً، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة- رضي الله عنه- فسألت رجلاً منهم عن سبب إسلامهم، فقال: سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار، وسكنوا بيننا، وتلطفوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال، وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام، فهدانا الله والحمد لله، فأسلمنا جميعاً وشرح الله صدورنا للإيمان)[2]. ويشير بعض الروايات إلى أن البلغار حاولوا إقناع جيرانهم الروس واجتذابهم إلى الإسلام في آخر القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي- حيث بعثوا وفداً إلى فلاديمير ملك الروس آنذاك، فشرح له هذا الوفد تعاليم الإسلام وبين محاسنه وما للمستجيبين من الأجر والمثوبة من نعيم الجنة، فقد استمع فلاديمير إلى هذا الكلام وأبدى اهتمامه لهذه المسألة حتى أرسل مجموعة من المستشارين إلى البلغار ليشاهدوا هذا الدين عيانا، ولكن بعد مشورة أعوانه ومستشاريه اختار هذا الملك ما يناسب هواه وهوى شعبه معترضا على تحريم الخنزير والخمر في الإسلام قائلاً: (الروس يشربون الخمر ولا نستطيع بدون ذلك). وكان ذلك عام ٣٧٦ هجرياً / ٩٨٦ ميلادياً.[3]

يلاحظ المؤرخون أن الإسلام ساعد بلغاريا في إثبات الكيان الدولي، وأيضاً، فإن الإسلام كان من العوامل التي أسهمت في تقدم الشعب في المجالات الثقافية والعلمية

[1]- يقول المؤرخ شرف الزمان المروزي: (هم أي: البلغار مسلمون يحاربون الكفار من الأتراك ويغزونهم لاكتناف الكفرة إياهم) "أبواب في الصين والترك والهند": ص٤٤. وانظر أيضا في هذا المعنى "تحفة الألباب ونخبة الأعجاب" لأبي حامد الغرناطي: ص١٢٩، و"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني: ص٦١٣. وانظر "العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوربا الشرقية" لمحمد الراجحي: ص١٠١.

[2]- "معجم البلدان" ياقوت الحموي: ٣٢٣/١، ونظر أيضاً: "العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوربا الشرقية": ص١٠٣، ١٠٤.

[3]- انظر "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري و تتارستان": ص٧٧.

والمعمارية.[1] وإن اعتناق البلغار الإسلامَ جعل منهم أكثر الشعوب في أوربا الشرقية حضارةً وتقدماً.. وكنتيجة تلقائية لهذا الحدث زادت الصلات بين البلغار والعالم الإسلامي، وصارت بلاد البلغار بمذهبها الحنفي[2] تمثل الإسلام في شرقي أوربا، فأنشأت فيها المساجد، وتأسس فيها القضاء، وأخذت الكلمات والألفاظ والأسماء[3] العربية تنتشر فيها انتشارا واسعاً.[4]

المسألة الرابعة: بلغاريا الفولغا ضمن القبلية الذهبية:

استمرت حال بلغاريا الفولغا عدة قرون في ازدهار وتطور، وكون المنطقة تكسوها غابات كثيفة ساعد في تأمين السلامة للشعب حيث لم يتعرض لهجمات مستمرة من قبل القبائل المتنقلة، مع أنه كان للعلاقات الثنائية بين البلغار والقبائل التركية المتنقلة وجود، بل كانت تصل أحياناً إلى التصادم العسكري. وأيضا كانت هجمات السولاف تخل بالسلام أحياناً ولكن في غالب الأمر علاقاتهم مع السولاف في هذه الفترة كانت هادئة.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر سقطت منطقة حوض الفولغا بأكملها وأصبحت بلغاريا الفولغا ضمن القبلية الذهبية، وذلك إثر الهجوم المنغولي الجرار[5] بقيادة باتو

---

[1]- انظر "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري و تتارستان":٧٣. وانظر تطور الحياة العلمية في بلاد البلغار في "العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوربا الشرقية":١٠٩-١١٢.

[2]- المذهب الحنفي كان هو السائد في البلاد البلغارية (انظر ابن الأثير في "الكامل": ٣٠/٨، و"تقويم البلدان" لأبي الفداء: ص٢١٧) وإلى اليوم مسلمو هذه المنطقة ينتمون إلى المذهب الحنفي. وانتشار هذا المذهب في مملكة البلغار إنما كان نتيجة طبيعية لقيام العلاقات بينها وبين الدولة العباسية، واعتناق شعبها وحكامها للإسلام على يد بعض الدعاة الذين بعثت بهم الخلافة إليهم، إذ كان هذا المذهب هو المعمول به في الأراضي العباسية آنذاك.

[3]- انظر "ماذا تقول الأسماء التترية" غ. ف. ستاروف، فصل ثالث "أسماء الرجال التركية التترية: ص٤٨٦.

[4]- "دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا" لحسين الداقوقي: ص٢٨ (وانظر أيضا ص٢٠٩ و٢٢٦ من بحثه المنشور بنفس الاسم في مجلة المؤرخ العربي، العدد٢١، عام١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). وقد أفرد صاحب الكتاب "العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوربا الشرقية" مبحثا كاملا في نتائج انتشار الإسلام في بلاد البلغار: ص٩٧.

[5]- ذكر ابن الأثير أن هجوم التتر كان سنة ٦١٧ حيث أسقطوا مملكة خواريزم شاه، وقال أن التتر وصلوا عند البلغار سنة ٦٢٠هـ /١٢٢٣م ولكنهم انهزموا أمامهم (انظر "الكامل في التاريخ": ٣٣٥/١٠، ٣٥٦) وفي سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م تقدم جيش التتر إلى حدود بلغاريا مرة أخرى بجيش عظيم فاستولى عليها. انظر "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٣٦٦/١.

خان أحد أحفاد جنكيز خان. وتطلق المصادر الروسية والأوربية والعربية والصينية عليهم كلمة **"منغول"** تارة، وكلمة **"تتر"** تارة أخرى، أو كلمة جامعة بينهما وهي "تتر- منغول"[1].

ولعل هذا الموضع من البحث مناسب لنذكر حقيقة قبيلة منغول وسر إطلاق كلمة "التتر" عليهم وعلى الشعوب الأخرى التي وقعت تحت سيطرة أولاد جنكيز خان.

يعترف المؤرخون بأن "جامع التواريخ" لرشيد الدين فضل الله الهمداني[2] يعتبر من المصادر الرئيسة التي تلقي الضوء على تاريخ شعوب آسيا وبالأخص تاريخ التتر والمنغول.[3]

فيقول رشيد الدين إن اسم التتر كان معروفاً في العالم من قديم الزمن؛ تشعبت منهم فروع كثيرة وكان موقعهم الأساسي هو منغوليا الشرقية. ويقول -أيضا- إن التتر كانوا يسيطرون على المنغول في الفترة ما قبل مجيء جنكيز خان المنغولي. وقال إن هذه القبائل مع كثرتها لو كانت متفقة لا يعادي بعضها بعضا لما استطاع أحد من الشعوب لا الصينيون ولا غيرهم من العالمين أن يقف في وجههم. ورغم الشقاق والعداء السائدين في قبائلهم فإنهم كانوا في أغلب أوقات تاريخ شعبهم غزاة مسيطرين على أكثر قبائل تلك المنطقة وكانوا يتميزون بقوتهم وشرفهم.

وبسبب شرفهم هذا ومكانتهم العالية صارت القبائل التركية الأخرى المجاورة على اختلافها في الأسماء والمكانة مشهورة باسم **"تتر"**.[4]

---

[1]- مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١/٣٥٢.

[2]- رشيد الدين، هو: فضل الدين (أو رشيد الدولة) ابن أبي الخير بن علي الهمذاني الوزير، أبو الفضل، كان أبوه عطاراً يهودياً، فأسلم هو، واتصل بملك التتار محمود غازان، وخدمه بطبه إلى أن ولي الوزارة له، اشتغل بالفلسفة والطب والتاريخ، قالوا أنه كان سبباً في موت الخليفة حيث أخطأ في علاجه، فقتلوه سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م وأحرقوا كتبه، ومما بقي من كتبه "جامع التواريخ" في أربع مجلدات بالعربية والفارسية. انظر "البداية والنهاية": ١٤/٥٠٠ (دار المعرفة)، و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر: ٣/٢٣٢، و"الأعلام": ٥/١٥٢.

[3]- انظر سيرجي كلاستورني في "التتر في الآسيا الوسطى" ضمن مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١/٣٤٧. وانظر مقدمة فؤاد الصياد لكتاب "جامع التواريخ- تاريخ غازان خان": ص٧.

[4]- وانظر المؤلفات الحديثة مثل: مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة": ١/٣٤٧-٣٤٨، نقلا عن "جامع التواريخ" لرشيد الدين.

ويقول رشيد الدين إن المنغول لم يكن لهم آن ذاك أي ذكر؛ إذ عرفوا في القرن التاسع / العاشر فقط، أما في القدم –كما يذكر رشيد الدين– كانت المنغول إحدى القبائل التركية البرية.[١]

فهذه القبائل التركية في بدايات القرن الرابع عشر للأسباب نفسها صاروا يطلقون على أنفسهم اسم "المنغول" رغم أنهم في قديم الزمن لم يفعلوا ذلك.[٢]

هكذا نرى من كلام رشيد الدين أنه يقسم تاريخ برية آسيا الوسطى إلى ثلاث مراحل زمنية:

الأولى: مرحلة سيطرة القبائل التركية البرية. كانت هذه القبائل التي من بينها قبائل التتر[٣] ترعى قطعانها بعيدا عن حدود الصين الغربية في تلال سفحية[٤] جنوبية من جبال آلتاي. وفي عام ٥٣٤م أصبح "**بومين**" ملكا على هذه القبائل. وسع بومين أراضي الأتراك نحو الشرق وفي عام ٥٤٢م شملت أراضيهم ما بين جبال آلتاي إلى ضفاف نهر "هُوانجهي"[٥]. ثم دخل بومين خان في الحِلف مع إحدى الدول الصينية الشمالية، ثم استطاع بومين خان أن يضم تحت رايته قبائل أوغوز وضرب بجيوشه الجرارة قبائل جوجان المنغولية فسيطر على

---

[١]– "جامع التواريخ" لرشيد الدين في ملحقات مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة" مترجما من الفارسية إلى الروسية: ٥٠٠/١، وانظر "التتر في آسيا الوسطى" لسيرجي كلاشتورني ضمن "تاريخ التتر من العصور القديمة": ٣٤٨/١. من الملاحظ أن كون سكان دولة منغوليا العظمى من أصول قبائل تركية يتأكد من كلام محمود القشغري وابن الأثير والمؤرخ الروسي الشهير ن.م.كرامزين والآخر ف.ب. فاسيلييف والمؤرخ التتري أحمد زكي وليدي طوغان والآخرين. انظر "جنكيز خان والتتر: خرافة وحقيقة" غ. ر. إينيكييف: ص٣٨–٤٠.

[٢]– "جامع التواريخ" لرشيد الدين في ملحقات مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة": ٥٠٠/١.

[٣]– وهي اتحاد القبائل التترية: أوتوز– تتر ثم طوغوز– تتر. انظر"تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري وتتارستان": ص٣٩، مونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة":٦٥٢/٢.

[٤]– تلال سفحية: أقصد بها السهول ما قبل الجبال (предгорья).

[٥]– هوانجهي: هو النهر المعروف بالنهر الأصفر في منتصف الصين الحالية ممتداً إلى الشمال. انظر "الموسوعة العربية العالمية": ٢٦٦/١٥، ٢٦٨.

هذه المنطقة المذكورة الشاسعة وأُعلن سنة ٥٥١م قاغاناً للدولة التركية التي بدأت بعد هذا التاريخ في تطور وازدهار وتوسع نحو الغرب حتى وصلت حدود دولتهم جبال قوقاز.[١]

الثانية: مرحلةُ إخضاع القبائل التركية على يد التتر وتحوُّلِ اسمِ قبيلةِ التتر إلى اسم مشترك بين قبائل برية آسيا الوسطى إلى زمن بداية الحروب المنغولية من القرن الثاني عشر.

في القرن الثامن الميلادي انهارت الدولة التركية (القاغانة التركية) مما أتاح لقبائل التتر فرصة الانفصال وإنشاء دولة في منطقة التركستان الشرقية. ثم بالتحالف مع قبائل أوغوز خاضوا حربا ضد القاغانة الأويغورية. لكنهم انهزموا فدخل جزء من التتر في طيات القاغانة الأويغورية، وجزء آخر منهم انتقل إلى سيبيريا الجنوبية وأسس مع قبائل كيماك وقفجق قاغانةً كيماكيةً التي كانت تحكمها ملوك من أصول تترية[٢]. ثم في عام ٢٢٧هـ/٨٤٢م انهارت القاغانة الأويغورية على يد قبائل قرغيزية ودخل التتر ضمن دولتهم. وفي النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي دخل التتر مرة أخرى ضمن الإمارات الأويغورية التي طردت القرغيزيين من أملاكها. ثم تجمع التتر في اتحادات مستقلة على الحدود بين التركستان الشرقية وولاية "جانسو" الصينية[٣].

وفي الفترة من القرن العاشر إلى الثاني عشر الميلادي ضمت الدوليات التترية واتحادات التتر القبلية مساحات شاسعة من جنوب وشرق منغوليا والصين الشمالية. كل هذه الأراضي من التركستان الشرقية باتجاه الشرق عرفت في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين المسلمين الشرقيين بتسمية "**دشت– ي– تتر**" أي "**برية تتر**"[٤].

---

[١]- انظر المونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة":١/٢٢٠-٢٢٢، "تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتري و تتارستان": ص٣٩.

[٢]- انظر "زين الأخبار" للغرديزي (الكرديزي أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود المتوفى سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م): ٤٣٧/٢، ونقل عنه في المونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة":٦٥٢/٢.

[٣]- انظر المونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة":٣٥٠/١، ٦٥٢/٢.

[٤]- انظر "تاريخ التتر من العصور القديمة ":٣٥١/١، ٦٥٢/٢. وانظر خارطة محمود الكاشغري في "ديوان لغات الترك".

أما لغتهم وديانتهم فقد أثبت المؤرخ محمود الكاشغري[1] أن التتر في منطقة التركستان الشرقية في القرنين العاشر والحادي عشر كانوا يحسنون اللغة التركية[2] وكانت ديانتهم الرسمية البوذية[3].

الثالثة: مرحلة تغلب القبائل المنغولية على التترية وتحول اسم "المنغول" إلى اسم مشترك عام بين قبائل إمبراطورية منغولية وذلك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

لكن –كما يلاحظ رشيد الدين– شهرة التتر في وقتها كانت قوية إلى درجة أن القبائل التركية ما زالت تسمى لدى شعوب الصين وبرية قفجق والمغرب العربي حتى بعد ظهور جنكيز خان بـــاسم "**التتر**".[4]

قال مراد رمزي: (إنما اشتهروا بالتتر مع أن الملوك حين اشتهارهم وغلبتهم من المغول لكثرتهم واشتهارهم أولاً قبل غلبة المغول)[5].

قال المؤرخ التتري مراد رمزي: "انشعبت الأتراك على شعوب كثيرة وقبائل شتى وانتشروا في أطراف أراضيهم المخصوصة بهم وجوانبها واشتهر من بينهم في كل عصر بل قرون متطاولة قبائل مثل: التتر والمغول والقبجق والخزر وبجناك وغيرهم بحيث عد كل واحد منهم قوما مستقلا حتى وقعت الشبهة لذلك في كونهم من الترك، واحتيج في إثبات ذلك إلى النقل والتأييد وامتازت قبيلة التتر من بين تلك القبائل قديما وحديثا بمزيد الاشتهار حتى استعمل لفظ التتر مرادفا للفظ الترك خصوصًا عند أهل أوروبا حيث إنهم يطلقون لفظ التتر (أو مرادفه عند قدمائهم وهو لفظ "سيتيا" أو "اسكوتيا" أو ما يتشعّب منها) على كافة

---

[1]– الكاشغري، هو: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري (... – ٤٦٦هـ/ ...– ١٠٧٣م) اختلف في تاريخ وفاته، لغوي، فاضل، من أهل مدينة كاشغر على حدود الصين. له كتاب "ديوان لغات الترك" أهداه إلى الخليفة أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله. انظر: "الأعلام": ١٦٨/٧، "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة: ١٦٠/١٢، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة: ٣٠٥/٣.

[2]– انظر "ديوان لغات الترك" لمحمود الكاشغري: ص٣٠.

[3]– انظر "تاريخ التتر من العصور القديمة": ٦٥٢/٢.

[4]– انظر المونوغرافيا "تاريخ التتر من العصور القديمة":٣٤٨/١.

[5]– "وقائع قازان": ٣٥٤/١. تذكر كلمة "منغول" في بعض الكتابات بدون إثبات حرف النون هكذا "مغول".

قبائل الترك حتى في جغرافيا رفاعه بك[1] المعرب من جغرافيا ملطبرن الفرنساوي عد سائر قبائل الترك من التتر في جدول مخصوص، وقال إن هؤلاء الأمم يسمون جميعا باسم التتر؛ ولهذا اشتهر الإقليم الذي هو مهد ظهور تلك القبائل كافة بـــ"تركستان" و"تتارستان" على معنى إقليم الترك والتتر[2]. ويلاحظ في خرائط الأوربيين أن هذه الأراضي إلى القرن الثامن عشر كانت يشار إليها بتسمية "تتر"-"Tartar"[3].

ويعلق المؤرخ الروسي كلاشتورني على ما ورد عند محمود الكاشغري من تسمية الأراضي الشاسعة من التركستان الشرقية إلى الصين الشمالية بـــ"**برية التتر**" بأنها تتوافق تماما مع مصادر أخرى التي تخبر عن موقع التتر في الفترة ما بين القرنين التاسع والثاني عشر، وأيضا فإنها تبين لماذا بعد قرن واحد من استيلاء المنغول على هذه الأراضي أطلق المجتمع التركي والعالم الإسلامي والصينيون عليهم اسم "التتر".

لقد تأصل إطلاق هذه التسمية التركية على المنغول في آسيا الوسطى والمشرق الأدنى، بل وفي بلاد روسيا وأوربا الغربية وفي العالم الإسلامي رغم أن المنغول ما كانوا يسمون أنفسهم بالتتر.[4]

فمن جهة: بعد ظهور جنكيز خان وإخضاع جميع قبائل المنغول والقبائل المجاورة من الأراضي البرية مثل التتر وجلاير وأويرات، وأونغوت، وكيرات، ونيمان، وغيرهم من القبائل التركية[5]، وجيمع من وقع تحت سيطرته كان كثيرا ما يلقّب باسم "المنغول" وإن لم يكونوا يتلقبون به من قبل.

---

[1]- **رفاعه بك، هو: رفاعة بن بدوي بن علي الطهطاوي (١٢١٦- ١٢٩٠هـــ / ١٨٠١- ١٨٧٣م)، عالم مصري، تعلم في الأزهر، وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافيا والتاريخ. ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة "الوقائع المصرية" وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة، منها: "جغرافيا ملطبرون"** Malte-Brun . **أحد أركان النهضة العلمية العربية في مصر وأيضاً سبب من الأسباب في ارتكاستها الدينية. توفي بالقاهرة. انظر "الأعلام":٢٩/٣، و "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحاله:١٦٨/٤.**

[2]- **"وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٤٤/١.**

[3]- **انظر الخرائط المنشورة في الموسوعة البريطانية من عام ١٧٧١م.**

[4]- **"التتر في آسيا الوسطى" سيرجي كلاشتورني ضمن كتاب "تاريخ التتر من العصور القديمة": ٣٥١/١.**

[5]- **وذلك عام ١٢٠٦م. انظر "تاتار تاريخي" لعزيز عبيد الله: ص٤٦.**

ومن جهة أخرى: فإن شهرة التتر وعظمتهم وقوتهم في الأيام الماضية كانت سببا في إطلاق اسم "التتر" على المغول وجميع القبائل التركية.

وكما رأينا فإن اسم التتر كان في أول الأمر اسما للقبيلة أو لاتحاد القبائل المعينة، ثم توسع مفهوم هذه التسمية وصار يشمل قبائل برية آسيا الوسطى، ثم في القرن الثالث عشر أطلق هذا الاسم على الزحف المنغولي كله الذي شمل جميع قبائل التتر بمفهومه الأول والمنغول و القبائل التركية، وجميع من وقع تحت سيطرتهم. ثم في القرن الرابع عشر والخامس عشر صار هذا الاسم أكثر ما يطلق على الشعوب التركية المسلمة من القبيلة الذهبية التي أصبحت مملكة بولغاريا الفولغا من ضمنها.

وكما ذكرت في الصفحات السابقة، فإن منطقة حوض الفولغا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر سقطت بأكملها إثر الهجوم المنغولي الجرار بقيادة باتو خان أحد أحفاد جنكيز خان. ففي عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٦م فقدت مملكة البولغار استقلاليتها وصارت ضمن إمبراطورية القبيلة الذهبية[1] على ضفاف الفولغا بعاصمتها ساراي شمال بحر قزوين. كان ملك المنغول جنكيز خان قد قسّم أملاك المنغول بين أكبر أولاده الأربعة جوجي و أوغداي و تولوي و جغطاي، وكان جوجي أكبرهم وكان من نصيبه: بلاد الروس، و**البلغار**، والقوقاز، وما يؤمل ضمه من غرب المعمورة شرقي أوروبا وغربي سيبيريا، وسميت هذه الأراضي بـ"**القبيلة الذهبية**" (آلطين أوردا).[2] ولكن جوجي مات في حياة جنكيز خان فورث ملكه ولده الأكبر **باتو خان بن جوجي** الذي وسّع أراضي مملكته وسقطت بولغاريا المسلمة على يده -كما تقدم- في عام ٦٣٥هـ ، فأصبحت إحدى ولايات القبيلة الذهبية.

ومن المهم أن نذكر هنا أنه كان للإسلام بالغ الأثر في نفوس أبناء جوجي، وسبب ذلك أن أباهم جوجي قد تزوج الأميرة رسالة بنت خوارزم شاه التي وقعت في الأسر وهي أخت السلطان جلال الدين آخر سلاطين خوارزم، فكان لتلك الأميرة فضل على أبناء

---

[1]- كان الأوربيون يطلقون على مملكة القبيلة الذهبية المعروفة لدى الشعوب التركية بكلمة "آلطين أوردا" كلمة "إمبراطورية" ويسمون ملوك هذه المملكة بـ"إمبراطور"، وذلك لقوة هذه الدولة في نظر أوروبا. ولقد وصلت الأوردا هذه إلى عزِّ قوتها وعظمتها وأوج شوكتها وسعة انتشار الإسلام فيها وقتَ أزبك خان (٧١٣-٧٤٣هـ ١٣١٣-١٣٤٢م) انظر "تاريخ التتر" باللغة التترية لعزيز عبيد الله: ص٦٦، ٦٧،٧٣.

[2]- انظر "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار ":١/٣٥٩.

جوجي وإن لم يُسلِم منهم سوى **بركة خان** إلا أن باتو خان وإخوته كانوا عطوفين على المسلمين. أما بركة خان فقد اعتنق الإسلام على يد أحد العلماء من مدينة بخارى سنة ٦٥٠هـ، ومن يومها تحول هذا التتري الوثني إلى جندي من جنود الإسلام شديد الحب للإسلام وأهله، وبايع الخليفة المستعصم في بغداد، وقام بإنشاء مدينة ساراي (وهي الآن مدينة سراتوف في روسيا) لتكون عاصمة لتتر الشمال، فبنى فيها المساجد والجوامع وجعلها أكبر مدن العالم وقتها.[1]

قال ابن عربشاه[2]: (كانت من أعظم المدن وضعاً وأكثرها للخلق جمعاً)[3].

ثم إن التتر دخلوا في الإسلام دخولاً عاماً في آخر عصر بركة خان ثم قويت شوكة الإسلام في عصر أوزبك خان (٧١٣-٧٤٣هـ/١٣١٣-١٣٤٢م)[4].

قال كارامزين[5]: التتر لما قبلوا الإسلام أقبلوا إليه بالكلية ولا سيما بركة خان؛ فإنه أعلن نفسه حامي القرآن والشريعة والدين وخادمها، فأسلم قوم التتر كلهم تبعاً لسلطانهم اهـ. ثم إن بركة خان لما أسلم ودخل معه أكثر قومه في الإسلام صار يجلب العلماء والفضلاء من أطراف العالم وكاتب الخليفة المستعصم بالله مرات عديدة وبايعه وهاداه وأتم

---

[1]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار ": ٣٦٣/١.

[2]- ابن عربشاه، هو: أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، الحنفي، (٧٩١- ٨٥٤ هـ/ ١٣٨٩- ١٤٥٠م)، مؤرخ رحّالة، له اشتغال بالأدب، وُلِد ونشأ في دمشق. ولما غزا تيمورلنك ديار الشام تحول بعائلته إلى سمرقند، ثم انتقل إلى ما وراء النهرين. وهبط أدرنة حيث اتصل بالسلطان العثماني محمد بن عثمان، فعهد إليه بترجمة بعض الكتب من العربية إلى الفارسية والتركية – وكان قد أحكمها في أسفاره – وعاد إلى دمشق، ثم في أواخر أيامه رحل إلى مصر وتوفي هناك. له تصانيف حسنة، أشهرها: "فاكهة الخلفاء، ومفاكهة الظرفاء"، و"عجائب المقدور في نوائب تيمور"، و"منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب"، وله في العربية "العقد الفريد في التوحيد" منظومة، وغير ذلك من مؤلفاته. انظر "المنهل الصافي" لابن تغري بردي: ١٣١/٢، و"شذرات الذهب": ٢٨٠/٧، و"البدر الطالع": ١٤١/١ برقم٦٨، و"الأعلام": ٢٢٨/١.

[3]- "عجائب المقدور" ابن عربشاه: ص١٤٠، وعنه ملا مراد رمزي في "وقائع قازان وبلغار": ٤٠٤/١.

[4]- انظر "تاتار تاريخي" لعزيز عبيد الله التتري: ص ٧٢-٧٣.

[5]- كارامزين، هو: نيكولاي ميخائيلوفيتش مؤرخ، أديب روسي. ولد في ١٢ دسمبر عام ١٧٦٦ في قرية من قرى مدينة أورينبورغ.مات في سانكت بتربورغ عام ١٨٢٦ م. من مؤلفاته "تاريخ الدولة الروسية"، و"الرحلة حول موسكو"، وغيرهما. راجع الرابط على شبكة الإنترنت: http://ru.wikipedia.org/wiki/Карамзин

بناء بلدة ساراي التي بدأ أخوه باتو بناءها، فصارت من أعظم البلدان وأحسن المدن وأنزهها[1].

ولقد حرص سلطان مصر الظاهر بيبرس على محالفة هذه الدولة الإسلامية التترية، فتبادل مع عاهلها بركة خان البعوث والهدايا (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، كما تزوج ابنته، وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس ومكة والمدينة. ولا شك أن هذا الحلف كان موجهاً بطبيعة الحال ضد عدوهما المشترك المتمثل بدولة إيلخانات فارس المنغولية التي كان يحكمها **هولاكو** الوثني بن تولوي بن جنكيز خان وأولاده.[2]

وبعد ما خرّب جيش باتو خان بلاد البلغار سرعان ما انتعشت المنطقة واستعادت أنفاسها واسترجعت مكانتها كمركز ثقافي وتجاري إلا أن دور مدينة بلغار ضعف شيئا فشيئا، فانتقل مركز إدارة المنطقة إلى مدينة جديدة – مدينة قازان، حتى قيل لها "بلغار الجديدة". وهذه المدينة صارت فيما بعد (أي بعد تفكك القبيلة الذهبية إلى دويلات) عاصمةً لمملكة بلغاريا الفولغا التي سميت بـــ"**خانية قازان**".

يعتبر المؤرخون وعلماء الإتـــنولوجيا (علم نشأة الشعوب)[3] فترة كيان القبيلة الذهبية من العوامل المهمة في تكوين الشعب المسمى اليوم بالتتر.

وكما ذكرنا، فإن الشعب البلغاري يرجع في أصوله إلى القبائل التركية أو بالأصح تغلب عليه السمة التركية؛ لأن البلغار ليسوا نتيجة توسع قبيلة واحدة بل شارك في تكوين القوم البلغاري قبائل واتحادات قبلية عديدة وكان من أهم عناصر تكوين البلغار: **الهون** (نتيجة دمج قومية "الترك" القديمة وقومية "الإيمين" المنجورية القديمة) و**سابان** (نتيجة دمج قومية "سِنْد" الهندوإيرانية مع قومية "أوغوز" و "قانغلي" التركية)[4]، ثم مع مجيء جيش جنكيز خان وجعلِ بلغاريا ولايةً من ولايات القبيلة الذهبية أضيفت إلى الشعب البلغاري —كنتيجة

[1]– هذا وكلام كرامزين في "وقائع قزان وبلغار": ٤٠٤/١.

[2]– صور مراد رمزي أحداث محاربة خان بركة لابن عمه هولاكو في كتابه القيم "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٤٠٧/١.

[3]– انظر القاموس الروسي لأوجيغوف: كلمة "أتنوجينيز"، "أتنوغرافية".

[4]– انظر تفصيلا تاما في أصول البلغار والتتر والمنغول في "محاضرات في تاريخ الشعب التتري" لــ ز.ز. مفتاحوف، عن تاريخ تكون البلغار: ص١٨، ٥٠، ٧٦، ١٤٨.

طبيعية لاستيلاء قوم على أراضي قوم آخر- عناصر أخرى وهي عناصر الجيش المنغولي التتري، ولا ننسى كون هذا الجيش مكونا من قبائل الترك المختلفة (انظر قول ابن الأثير[1] عن ظهور التتر إلى بلاد الإسلام حيث قال: وهم نوع كثير من الترك)[2]، فقد انضافت إلى البلغار عناصر جديدة؛ وهي جديدة على مستوى القبائل، ولكنها قريبة على مستوى العرق والأصل، وهم قبائل التتر والمنغول.[3] وبيان ذلك فيما يلي:

كان أساس البلغار القدماء مكوناً من عدة قوميات، والتتر القدماء كذلك تكونوا نتيجة اتصال قوميات عدة: "**الهون**" و"**دينلين**" و"**المنجور**"(أحفاد قومية إيمين)، فنجد بين البلغار القدماء والتتر القدماء بعض عناصر مشتركة، وهي: قبائل "إيمين" و"الهون"، فإنهما لعبا دورا مهماً في تكوين قدماء البلغار والتتر؛ فنقول: إن التتر اليوم (الذين هم من أصل البلغار) والتتر القدماء أصولهما القديمة متقاربة إذ شارك في تكوينهما القبائل الهونية وإيمين المنجورية، ولكن الفرق الموجود بينهم يكمن في كون البلغار تأثروا كثيرا بقبائل "سابان" الذين جاؤوا نتيجة دمج قبائل "سِنْد" الهندوإيرانية وقبائل "أوغوز" و"كانغلي" التركية، بينما

---

[1]- ابن الأثير، هو: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الموصلي، الشافعي (٥٥٥-٦٣٠هـ/ ١١٦٠- ١٢٣٣م) المعروف بابن الأثير الجزري عز الدين، أبو الحسن وأخو العلامة مجد الدين صاحب "جامع الأصول" و"النهاية". مؤرخ، محدث، حافظ، أديب، لغوي، نسابة. ولد ونشأ بجزيرة ابن عمر، ثم سكن الموصل، وسمع بها، وقدم الشام فحدث بدمشق، وتوفي بالموصل. من تصانيفه: "الكامل في التاريخ"، "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وغير ذلك. انظر: "وفيات الاعيان": ١٦٥/٢، "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي: ٤١١/٤، "سير أعلام النبلاء": ٢٢/ ٣٥٣، "البداية والنهاية": ١٦٣/١٣، "شذرات الذهب": ٥/ ١٣٧.

[2]- "الكامل في التاريخ": ٣٣٥/١٠ فصل (ذكر خروج التتر إلى تركستان)، وأيضا مما يدل على ذلك في نفس المؤلف أن التتر لما جاؤوا يحاربون قبائل القفجق والآلان، أرسلوا إلى القفجق (والقفجق من القبائل التركية): "نحن وأنتم جنس واحد، وهؤلاء الآلان ليسوا منكم حتى تنصروهم، ولا دينكم مثل دينهم، ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض لكم، ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم": ٣٥٤/١٠.

[3]- ومن الملاحظ أن هذه العناصر لم تنفرد بولغاريا فولغا بـ"استضافتها" بل كل الشعوب التي وقعت تحت سيطرة المنغول "تَغَذَّوا بدم" جيش جنكيز خان، ولكننا ذكرنا بلغاريا بالذات على أساس أنها هي التي ورثت-سواءً بالخطأ أم لا- اسم "التتر" رسميا وعرف الشعب البلغاري اليوم باسم التتر ومنطقتهم باسم "تتاريا" أو تتارستان.

تأثر التتر بقبائل "دينلين" الفينوأوغارية والقبائل المنجورية.[1]

وإذا سئلنا عن العلاقة بين كل من: البلغار القدماء والتتر القدماء والمنغول، فسنقول: إن قدماء البلغار والتتر من القبائل قريبة الأصول، أما علاقة التتر القدماء بالمنغول فإن التتر القدماء إحد العناصر التي شاركت في تكوين قبائل المنغول.[2]

وبعد هذا التفصيل لا بد أن نجيب عن سؤال آخر: ما علاقة تتر اليوم بالتتر الذين هاجموا بغداد وقتّلوا المسلمين؟!

نقول – وبالله التوفيق: الجواب جوابان:

أولا: هل التتر اليوم هم التتر القدماء؟ الجواب: لا؛ لأن تتر اليوم قاموا على أساس الشعب البلغاري التركي الذي –كما أسلفنا- يُعتَبر متقاربَ الأصول مع التتر القدماء لا هم نفسهم! ولكن كون التتر استولوا على البلغار وكون بلغاريا عاشت نحو قرنين اثنين تحت ولاية القبيلة الذهبية يجعل القول باختلاط الدماء بعضها ببعض ممكناً، بل كون البلغار والتتر -بمفهومه الواسع- من الأصول المشتركة و من المتكلمين بلغة مشتركة يجعل القول بمشاركة الجيش التتري المشتمل على قومية التتر والمنغول والقوميات التركية مثل قفجق وغيرهم في تكوين الشعب المسمى اليوم بـ"**التتر**" صحيحاً.

ثم من المهم ألا ننسى أن البلغار بعد سقوط القبيلة الذهبية قد حكمهم ملوك من سلالة جنكيز خان مدة قرنين مما كان من الأسباب المباشرة في استمرار إطلاق الروس المجاورة اسم التتر عليهم، وقد ساعد في ذلك أيضا تقارب الأصول وتشابه اللغات بين البلغاريين وتتر القبيلة الذهبية.

وثانيا: نقول إن الشعب المسمى اليوم بالتتر وإن كان قريبا في الأصول مع التتر القدماء وإن عاش معهم واختلط بهم فترة من الزمن وإن حكمهم ملوك من سلالة جنكيز خان؛ فإنهم مع ذلك كله ليسوا من الذين دمّروا بغداد بل ليس تتر الشمال (وهم تتر القبيلة الذهبية) ممن حارب الخلافة العباسية. والعكس هو الصحيح: إن التتر البلغاريين والتتر الذين

[1]- انظر تفصيلا تاما في أصول البلغار والتتر والمنغول في كتاب "محاضرات في تاريخ الشعب التتري" باللغة الروسية لـ ز.ز. مفتاحوف: ص٣٨٠- ٣٩٩.

[2]- "محاضرات في تاريخ الشعب التتري": ص٣٨٩.

جاؤوا مع باتو خان بل وكل الجيوش التابعة للقبيلة الذهبية برئاسة الملك البطل المؤمن بركة خان ثم أوزبك خان كانوا ممن ناصر المسلمين وحارب هولاكو وجيوشه مع سلطان مصر الظاهر بيبرس حتى هزموا أعداء الله وأظهروا دينه الحق على العالمين.

قال ابن فضل الله العمري[1] عند بيان دولة التتر الشمالية (القبيلة الذهبية) وطوائف الأتراك فيها: (وأتراك هذه البلاد من خيار الترك أجناساً لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم الغدر مع تمام قاماتهم، وحسن صورهم، وظرافة شمائلهم، ومنهم معظم جيش مصر؛ لأن سلاطينها وأمراءها منهم منذ رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل[2] في مشتري مماليك القفجق، ومال إلى جنسيتهم، ورغب في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم آهلة المعالم، محمية الجوانب، منهم: أقمار مواكبها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعظماء أرضها، وحمد الإسلام مواقفهم في حماية الدين وجهادهم أقاربهم وأهل جنسهم في الله لا تميل لهم حنة ولا يأخذهم في الله لومة لائم، وكفى بالنصرة الأولى نوبة "عين جالوت"[3])[4].

وقال الإمام الذهبي عن الملك الصالح نجم الدين: (اقتنى من الترك ما لم يشتره ملك، حتى صاروا معظم عسكره)[5].

---

[1]- ابن فضل الله العمري (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ / ١٣٠١ - ١٣٤٩م)، هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري الشافعي،: مؤرخ، حجة في معرفة الممالك، والمسالك، وخطوط الأقاليم، والبلدان، إمام في الترسل والانشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته في دمشق. أجل آثاره (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) ما صنف مثله! ينظر في "شذرات الذهب": ٦/١٦٠، و"الأعلام": ١/ ٢٦٨.

[2]- الملك الصالح أبو الفتوح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل السلطان الكبير أبي بكر محمد بن أيوب، وأمه جارية سوداء اسمها: ورد المنى. مولده: سنة ٦٠٣ بالقاهرة. توفي مرابطاً سنة ٦٤٧هـ. انظر "سير أعلام النبلاء": ٢٣/١٩٣، "الوافي بالوفيات" للصفدي: ١٠/٣٥ برقم٢١٥٧. و"الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين" لابن دقماق: ص٢٦٥.

[3]- وقعة "عين جالوت" هي المعركة التي وقعت في منطقة تسمى "عين جالوت" عند مدينة بيسان ونابلس بفلسطين في العشر الأخير من رمضان سنة ٦٥٨هـ الموافق لبداية سبتمبر من عام١٢٦٠م، وفيها انتصر الملك المظفر قطز صاحب مصر على التتر وكسر عساكر هولاكو. انظر "البداية والنهاية": ١٣/٢٥٨- ٢٦٠.

[4]- "مسالك الأبصار" لابن فضل الله لعمري: ٣/١٢٠، نقله أيضاً الرمزي في "وقائع قزان": ١/٢٣٢.

[5]- "سير أعلام النبلاء": ٢٣/١٩١، ١٩٢.

وقال مراد رمزي: (وهم الذين انتصروا على جيش هلاكو مع عجز كافة الملوك عنها)[1].

المسألة الخامسة: خانية قازان استمرارا لبولغاريا الفولغا:

وبقيت مملكة تتر الشمال (القبيلة الذهبية) قائمة لأكثر من قرن حتى دب الخلاف بين أحفاد جوجي وأبنائهم و بدأ الصراع الداخلي على كرسي الحكم، وبدأ بعض أمراء المناطق يتطلعون إلى الاستقلال بمناطقهم، وهذا أدى إلى ضعف نفوذ الحكومة المركزية وقلة الاهتمام بالسياسات الخارجية. ثم هاجمهم تيمورلنك[2] وهزمهم وأسقط دولتهم عام ٧٩٧هـ/١٣٩٥م[3].

وبقي للتتر من القبيلة الذهبية عدة ممالك متناثرة، وهي: **خانية قازان** على ضفاف نهري فولغا وكاما، **خانية استراخان** في مصب الفولغا إلى بحر القزوين، **خانية نوغاي** ما بين نهري فولغا وجايك، **خانية سيبيريا** في آسيا وراء جبال أورال، و**خانية القرم** في جنوب أوربا الشرقية.

أما خانية قازان فتعتبر امتدادا حقيقيا لدولة بولغاريا الفولغا؛ حتى قيل — لما ضعف دور مدينة بلغار وانتقل مركز إدارة المنطقة إلى قازان- بأن قازان هي بلغار الجديدة[4]. وهذا

---

[1]- "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار":١/٢٣٢.

[2]- تيمورلنك وهو تيمور الأعرج ابن طَرَغاي (٧٣٦هـ/١٣٣٦م-٨٠٧هـ/١٤٠٥م) السلطان الطاغية، كان ابتداء ملكه عند انقراض دولة بني جنكزخان بتركستان وسمرقند، ثم ملكَ بخارى، فخوارزم، فخراسان، فأصبهان وزحف على القبيلة الذهبية وخربها وأوهن أمرها(٧٩٩هـ)، فأصبحت أمم المغل والتتر كلها في جملته وصاروا تحت لوائه. والحاصل أنه دوّخ الممالك واستولى على غالب البلاد الإسلامية، بل العجم وجميع ما وراء النهر، والشام، والعراق، والروم، والهند، وما بين هذه الممالك، فكان بطلاً شجاعاً يقهر الملوك ويستولي على الأقاليم إلى أن مات. كان داهية، وله فراسة قل أن تخطئ، وفكرٌ صائب، ومكائد في الحرب عجيبة. كان جباراً ظلوماً، أفنى العالم مع تظاهره بالإسلام وشعائره. انظر: "الضوء اللامع": ٤٦/٣ برقم١٩٢، "البدر الطالع": ٢٠٧/١ برقم١١٣، ولمن يريد الاستزادة في الاطلاع على ما وقع له من الأمور العجيبة فعليه بالمؤلف في سيرته "عجائب المقدور في أخبار تيمور" لابن عربشـاه، و"تيمورلنك" للعقيد محمد أسد الله صفا.

[3]- انظر تفصيلا لحادثة سقوط القبيلة الذهبية في"الأوردا الذهبية قبيل انهيارها" لسلطان الشمسي: ص١٨٢.

[4]- انظر"رسائل في تاريخ خانية قازان" لميخايل خودياكوف:١٥.

مما يؤكد أن الشعب الساكن في خانية قازان وإلى أيامنا هذه والذي أطلق عليه اسم التتر هم في الحقيقة امتداد للشعب البلغاري!

ومن المعلوم أن إطلاق اسم "التتر" على الشعب البلغاري لم يلتصق بالبلغاريين في عصر القبيلة الذهبية إذ كان اسم التتر يطلق آنذاك على جميع الأوردا، وحتى بعد ما سقطت القبيلة الذهبية لم تزل البلاد من حوض نهر فولغا إلى غاية حدود الصين الجنوبية تُكتب في الخرائط الأوربية باسم "**بلاد التتر**"- "Grande Tartarie" إلى القرن الثامن عشر.[1]

ثم صارت هذه التسمية اسما خاصاً بالشعب البلغاري الواقع في منطقة مملكة بولغاريا سابقا. وهذه المنطقة أطلق عليها فيما بعد اسم "تتارستان"، وذلك في أيام الاتحاد السوفييتي، أما قبل هذا بقرون عديدة فقد قامت روسيا النصرانية بمحاولات عديدة لغزو قازان والسيطرة عليها.

ففي عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م سقطت قازان بأيدي الروس النصارى، ثم توالت هجماتهم على الممالك الأخرى فأخضعوا استراخان عام ٩٦٣هـ/١٥٥٦م وسيبريا عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٨م ثم مملكة قرم عام ١١٩٧هـ/١٧٨٣م.

المسألة السادسة: سقوط قازان واستيلاء الروس على بلاد المسلمين:

وكان سقوط قازان عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م في عهد القيصر الروسي **إيفان الرهيب** الذي استعمل أبشع الأساليب في إجبار المسلمين على تغيير دينهم، فأجلى أهلها منها واستبدل بهم الروس. وقد حاول الروس جذب التتر إلى المسيحية بالقوة والقهر ولكنهم فشلوا، وقد بذلت الإمبراطورة **كاترين الثانية** جهودا جبارة في هذا المجال ففي سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م أمرت بأن يوقع كل من الذين اعتنقوا المسيحية (الجدد) على إقرار كتابي يتعهد فية بترك "خطاياه" ويتجنب الاتصال بـ"الكفار" (المسلمين)، ويظل على الدين

[1]- كان الأوربيون يعرفون منطقة ما بعد موسكو إلى حدود الدولة الصينية في خرائطهم بكلمة تتريا العظمى – "Grande Tartarie" حتى القرن الثامن عشر: انظر الخرائط المنشورة في الموسوعة البريطانية من عام ١٧٧١م.

المسيحي، وطبق هذا الأمر بالقوة على التتر المسلمين ولكن من وقع منهم ظلّوا على إسلامهم، وكثير منهم دونت أسماؤهم في السجلات المسيحية زوراً، ثم شهد القرن التاسع عشر الميلادي عدة قوانين تحد من انتشار الدعوة الإسلامية؛ لدرجة أن القانون الجنائي الروسي كان يعاقب كل شخص يتسبب في تحويل إنسان روسي إلى الإسلام بالإجلاء والأشغال الشاقة، ورغم هذا كله انتشرت الدعوة الإسلامية بصورة سرية وتمسك المسلمون بعقيدتهم وصمدوا أمام عدوان قياصرة الروس طيلة أربعة قرون، فضربوا مثلا رائعا في الصمود للتحديات والاعتزاز بالإسلام.

وقبل الثورة البولشيفية بقليل تحسنت الـــمعاملة بين الحكومة القيصرية وبين المسلمين فتمكن المسلمون في هذه الفترة القصيرة من إنشاء مدارس ومعاهد دينية بل وأكثر من ذلك؛ قد أقيمت في قازان الجامعة الإسلامية، وأنشئت فيها أيضاً مطابع لطباعة القرآن الكريم والكتب الدينية، وكان دورها الإسلامي جليا حيث ساعدت على نشر الدعوة الإسلامية في مختلف البلاد الخاضعة لروسيا. وتلك الفترة نسميها نحن بـــ"**العصر الذهبي**" حيث دخل التعليم الإسلامي في كثير من القرى.

المسألة السابعة: تأسيس جمهورية تتارستان ضمن الاتحاد السوفييتي:

عندما قامت الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـــ/١٩١٧م اشترك التتر المسلمون في إسقاط الحكم القيصري؛ لأن الشيوعيين وَعَدُوهم بالأمن والاستقرار، وهناك مراجعات خاصة من زعيم الثورة **لينين** يقر فيها بحرية الأديان كلها. فصدقه المسلمون التتر وأرادوا إنشاء جمهورية توحد مسلمي منطقة نهر فولغا وجبال أورال وهم مسلمو التتر والبشقرد. ولكن الشيوعيين خدعوا المسلمين لما قويت شوكتهم، ورفض السوفييتُ وحدة الأراضي الإسلامية وسجنوا وقتلوا عددا من العلماء و المفكرين الذين قاموا بفكرة إنشاء الجمهورية بزعمهم بأنها تعادي المبادئ الشيوعية. فأعدم حتى من تعاونوا مع السوفييت!

وفي سنة ١٣٣٨هـــ/١٩٢٠م صدر قرار مجلس نواب الحزب الشيوعي بتسمية

منطقة قازان بــ"**الجمهورية السوفييتية الاشتراكية التترية**"[١]. وبالتالي سمي البلغاريون القازانيون باسم التتر، وسميت أراضيهم ببلاد التتر- تتارستان رسميا وعلناً.

بذلت السلطات الشيوعية كل ما بوسعها لقمع الدين في بلاد يسكنها المسلمون من التتر وغيرهم؛ فأدخلوا بالتدريج أفكارهم المسمومة في جميع مراحل التعليم. وألّفوا كتباً تحمل عقائدهم الإلحادية وطبعوها ونشروها وكانت تباع في جميع المكتبات بأسعار رخيصة. كذلك غيروا الحروف العربية إلى اللاتينية، فكان في ذلك خطر عظيم على المسلمين الذين كان تعليمهم مبنيا على الكتابة بالأحرف العربية.

و في سنة ١٣٤٢هــ/١٩٢٤م مات لينين زعيم الإلحاد فتولى الحكم **يوسف ستالين** وكان أشد عداوة من لينين على الإسلام والمسلمين، فأصدر أوامره بالقبض على من له أفكار تخالف الأفكار الشيوعية (وخصوصا الأفكار الإسلامية)، فقضى في مدة قصيرة على العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين في مختلف المجالات.

و في عام ١٣٤٥هــ/ ١٩٢٧م تم منع التدريس الديني وطباعة الكتب الدينية. ومنذ هذا التاريخ بدأ الضغط الشيوعي على جميع الأديان: علمائهم وعامتهم، وكان ذلك في جميع المناطق التي دخلها السوفييت؛ حيث أغلقت مدارسهم، و أحرقت مكتباهم، ودمرت أو أخذت للمصالح الشيوعية مطابعهم و مساجدهم، وتعرض الأئمة وعلماء الدين للقتل والتشريد من أوطاهم والإجلاء إلى سيبيريا، و قل من رجع منها معافىً إلى وطنه.[٢]

وبعد موت ستالين عام ١٣٧٢هــ/١٩٥٣م تحسنت أحوال المسلمين في الاتحاد السوفييتي شيئا فشيئا وكانت المخابرات الروسية لا تزال تراقب المسلمين. كان المسلمون في تلك الفترة يعانون قلة المساجد وعدم توفر الكتب وقلة العلماء وانعدام الدعوة والتعليم

---

[١]- **"كيف اضمحلت دولة بولغاريا في حوض نهر فولغا" باللغة الروسية/خليلوف- رئيس المؤتمر الشعبي البلغاري: ص٢٦.**

[٢]- **انظر "الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا" لسيد عبد المجيد بكر، مبحث/ سياسة السوفيات في إدارة المناطق الإسلامية: ص٢٧١.**

الديني، و قد لجأ البعض إلى التعليم السري. أما العامة فقد حرموا هذا كله، فنشأوا ونشأ أولادهم لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه![1]

المسألة الثامنة: جمهورية تتارستان الحاضرة:

ثم في عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م انهار الحكم الشيوعي وانحل الاتحاد السوفييتي؛ فتحررت الشعوب المسلمة فاستقلت الجمهوريات الواقعة على الحدود الروسية، مثل: طاجكستان وأوزبكستان وقرغيزستان وكازاخستان وتركمانستان وبقية الجمهوريات. ولكن تتر قازان بقوا داخل روسيا بل في وسطها بعيدا عن الحدود مما يجعل أمر استقلالها شبه مستحيل.

ولكن في عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م أعلنت الجمهورية جمهوريةً ديمقراطيةً ذات استقلال ذاتي لها دستورها وقوانينها وبرلمانها يرأسها رئيس مختار من قبل شعبها، تابعةً لروسيا الفدرالية.

يمنح قانون الدولة لسكان الجمهورية – بغض النظر عن جنسيتهم – المساواة في كل المجالات: السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية.

[1]– انظر "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس" عبد الرحمن المحمود: ص٢٧–٣٠.

ثالثاً: نبذة عن الوضع الديني العام لدى مسلمي تتارستان:

لما انهارت الشيوعية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، وأعلنت تتارستان عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م جمهوريةً ديمقراطيةً ذات استقلال ذاتي، بدأ التوحيد يرجع إلى البلاد وأخذ المسلمون يعودون إلى أصلهم الديني ببناء المساجد وإنشاء المدارس الإسلامية. وفتحت عدة مراكز إسلامية لتوجيه الناس وإرشادهم، ودخل إخواننا من العرب لإنشاء المعاهد الإسلامية وتشغيلها، وأحضروا لذلك المعلمين من مصر والأردن والسودان تحت إشراف المؤسسات الخيرية بدعم من المملكة العربية السعودية بحكومتها وشعبها.

و هكذا بدأ التعليم في المدارس الإسلامية وحلقات العلم في المساجد تسترجع أنفاسها في بلادنا و نشط التعليم الديني من جديد، وأقيمت دورات ومخيمات علمية شرعية في جميع مناطق روسيا وكان لجمهورية تتارستان وضع مميز عن بقية جمهوريات روسيا؛ حيث استطاعت الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان بسياستها الحكيمة أن تنجز مشاريع إسلامية كثيرة عظيمة النفع ويتمثل ذلك في بناء عدد كبير من المساجد (تجاوز العدد ١٣٠٠ مسجد)، وفي تشغيل عدد من المدارس الإسلامية التي تهتم بتخريج الأئمة والمدرسين الشرعيين، وكذلك من أكبر إنجازاتها افتتاح **الجامعة الإسلامية الروسية**[١] التي تم تسجيلها عام١٤١٩هـ/١٩٩٨م رسميا و عدت ضمن دوائر الدراسات العليا و اعتبرت جامعةً إسلاميةً وحيدةً – على نطاق روسيا كلها- التي يتم فيها التعليم الشرعي بشكل رسمي، ولله الحمد والمنة!

وكان للإدارة الدينية غير ذلك من المشاريع و النشاطات، مثل: إفطار الصائم، وإقامة مسابقات القرآن حفظا وتلاوةً، وطباعة الكتب الدينية، وكفالة الأسر اللاجئة وغير ذلك – و الحمد لله – مما يساعد في نشر الدين الحنيف و تثبيته في نفوس العامة!

[١]- انظر "النشرة التعريفية للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان": ص١٧، ومجلة "إحياء الدين" عام٢٠٠٨م: ص١٤.

الفصل الأول
توحيد الألوهية في أعمال القلوب وما يخالفه

يحتوي على مدخل وخمسة مباحث:

المبحث الأول:الإخلاص:

المطلب الأول : حقيقة الإخلاص و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المبحث الثاني: المحبة:

المطلب الأول : حقيقة المحبة الشرعية و تقريرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المبحث الثالث: الرجاء:

المطلب الأول : حقيقة الرجاء الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المبحث الرابع: الخوف:

المطلب الأول : حقيقة الخوف الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المبحث الخامس: التوكل:

المطلب الأول : حقيقة التوكل الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

مدخل

تقدم في تعريف توحيد الألوهية أنه: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، أو هو: إفراد الله بأفعال العباد، فالعبادة هي أفعال المكلفين المشروعة أقوالاً وأعمالاً، باطنةً أو ظاهرةً، فتدخل فيها أعمال قلبية، وأعمال قولية وأعمال الجوارح.

فإذا كانت حقيقة العبادة كذلك، فتوحيد الألوهية إذاً، هو: إفراد الله تعالى بكل ما شرع أن يُعبد به من أعمال القلوب والألسن والجوارح.

ولبيان ما يتضمنه هذا النوع من التوحيد أفردت ثلاثة فصول مبينًا في كل فصل منها المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية، ثم مظاهر الانحراف والمخالفات، مبتدئاً بالعبادات القلبية، ومنتهيًا بالعبادات العملية.

وقبل دخولي في مباحث الفصل الأول "توحيد الألوهية في أعمال القلوب وما يخالفه" أود أن أعرّف بـــ" أعمال القلوب".

أولاً: تعريف القلب في اللغة:

القلب: تحويل الشيء عن وجهه. قلَبه يقلِبه قلبًا، وقلَب الشيء وقلّبه: حوّله ظهرا لبطن، وتقلّبَ الشيءُ ظهرًا لبطن، وجنباً لجنب: تحوّلَ.

والقلب: مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط[1].

قال الفيروزآبادي: (القلب الفؤاد، أو أخص منه). ويؤكد هذا المعنى ما جاء عند ابن منظور[2] في "لسان العرب": (وكأن القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال).

---

[1]- النياط: عرق غليظ علق به القلب من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه. انظر "لسان العرب":٦/٢٧٧.

[2]- ابن منظور، هو: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (٦٣٠ -٧١١هـ /١٢٣٢- ١٣١١م)، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، ثم عاد إلى مصر، فتوفي فيها. وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة. أشهر كتبه "لسان العرب" عشرون مجلدا، جمع فيه أمهات كتب اللغة فكاد يغني عنها جميعا. ومن كتبه: "مختصر تاريخ بغداد للسمعاني"، و"اختصار كتاب الحيوان للجاحظ"،=

وقد يعبّر بالقلب عن العقل، قال الفرّاء[1] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ ق: ٣٧، أي عقل.[2]

وقال بعضهم: سمّي القلب قلباً لتقلبه. وروي عن النبي ﷺ أنه كان يكثر من الدعاء: ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)).[3]

وقلب كل شيء لبّه، وخالصه، ومحضه. وبهذا المعنى جاء ذكره في الحديث الضعيف: ((**إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس**))[4]. قال الفيروزآبادي: (القلب محض كل شيء)[5].

=و"المنتخب والمختار في النوادر والاشعار" وغير ذلك. وله شعر رقيق. قال السيوطي: (وعنده تشيع بلا رفض). انظر "الدرر الكامنة": ٢٦٤/٤، و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة": ٢٠٥/١، و"الأعلام": ١٠٨/٧.

[1]- الفراء، هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (١٤٤-٢٠٧هـ/٧٦١-٨٢٢ م)، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لو لا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه. كان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلمًا، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه: "المقصور والممدود" و"معاني القرآن"، و"المذكر والمؤنث" وكتاب "اللغات"، و"ما تلحن فيه العامة"، و"الأيام والليالي"، و"اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف"، و"الحدود" ألفه بأمر المأمون، وغير ذلك. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. ولما مات وجد "كتاب سيبويه" تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. انظر "بغية الوعاة": ٣٢٩/٢، و"الأعلام": ١٤٥/٨.

[2]- انظر "معجم مقاييس اللغة":١٧/٥، و"لسان العرب": ٣٠٥/٥-٣٠٦، و"القاموس المحيط": ص١٢٧، و"مختار الصحاح":٢٤٠.

[3]- أخرجه الترمذي في سننه عن أم سلمة، كتاب الدعوات، باب (٩٠): ص٧٩٩ برقم٣٥٢٢، وقال: هذا حديث صحيح، ورواه أحمد عن أنس: ١٦٠/١٩ برقم١٢١٠٧، ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث النواس بن سمعان: ٢٢٢/٣، برقم ٩٤٣، وغيرهم. وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، وحكم الألباني على الحديث بالصحة في الموضع المذكور من سنن الترمذي- طبعة مكتبة المعارف المزوّدة بحكمه.

[4]- عن أنس قال : قال النبي ﷺ: (إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات)، أخرجه الترمذي في سننه، كتاب ثواب القرآن عند رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل يس: ص٦٤٥ برقم٢٨٨٧. ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس: ٣٢٨/٢ برقم٣٤١٩، وقال العجلوني: (وغاية الحديث أنه ضعيف يعمل به في الفضائل) "كشف الخفاء": ٢٦٩/١ (٧٠٩). ولكن حكم الألباني على الحديث بالوضع مما يجعل قول العجلوني غير مسلّم به. انظر: "السلسلة الضعيفة" له: ٣١٢/١ برقم١٦٩، والاستشهاد هنا بهذا الحديث ليس على مضمونه وإنما اتخذته شاهدا لغويا.

[5]- "القاموس المحيط": ص١٢٧.

والقلب المقصود في بحثنا هو القلب بمعنى قلب الإنسان لا التقلب. ويطلق على هذا القلب أيضاً: الروع.

قال الجوهري: (الرَوع بالفتح: الفزع، والرُوع بالضم: القلب و العقل. يقال: وقع ذلك في رُوعي، أي في خلدي وبالي)[1].

وقال الفيروزآبادي: (والرُّوع بالضم: القلب، أو موضع الفزع منه، أو سواده، والذهن، والعقل)[2].

ويطلق على القلب أيضاً: الجنان لاستتاره في الصدر أو لحفظه الأشياء. قال الجوهري: (الجَنان بالفتح: القلب)[3]. ومنه قول بعض السلف في تعريف الإيمان: إنه إقرار بالجنان (أي القلب) ...إلخ.

ثانياً: حقيقة القلب شرعاً:

قال أبو حامد الغزالي[4]: (لفظ القلب يطلق على معنيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه. ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته؛ إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا تتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت. ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا

---

[1]- "الصحاح": ص٤٣٧.

[2]- "القاموس المحيط": ص٧٢٤.

[3]- "الصحاح": ص١٩٣ ، وانظر "القاموس المحيط": ص ١١٨٧.

[4]- أبو حامد الغزالي، هو: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م): فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران بخراسان. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه: "إحياء علوم الدين"، و"تهافت الفلاسفة"، و"مقاصد الفلاسفة"، و"الوقف والابتداء" في التفسير، و"البسيط" في الفقه، و"شفاء العليل" في أصول الفقه، و"المستصفى من علم الاصول"، و"المنخول من علم الاصول"، و"الوجيز" في فروع الشافعية، و"الإملاء عن إشكالات الإحياء"، و"عقيدة أهل السنة"، و"منهاج العابدين"، قيل : هو آخر تآليفه. انظر "سير أعلام النبلاء": ١٩/٣٢٢-٣٤٦، و"طبقات الفقهاء الشافعية": ١/٢٧٨، "الأعلام": ٧/٢٢.

الكتاب (يقصد كتابه " إحياء علوم الدين") لم نعن به ذلك، فإنه قطعة لحم لا قدر له، وهو من عالم الشهادة؛ إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب، والمعاقب، والمعاتب، والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات)[١].

ثم تبعه بعد ذلك علماء الدين في تعريف القلب[٢]، فعرّفوه بتعريفات مشابهة لتعريفه، فقال ابن القيم- رحمه الله: (و يطلق القلب على معنيين :

أحدهما: أمر حسي وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه تجويف، وفي التجويف دم أسود، وهو منبع الروح.

والثاني: أمر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان)[٣].

يتّضح مما تقدم أن القلب يطلق على معنيين:

الأول: القلب الحسي، وهو القلب العضلي الذي هو مجرد مضخة تضخ الدم في الجسم، وهو الذي يعتني به الأطباء. وله تعلق وارتباط بالعواطف.

والثاني: القلب المعنوي، وهو المرتبط بالعواطف والمحبة والإدراك والفهم.

وكلا المعنيين للقلب مراد في نصوص الكتاب والسنة. لكن المعنوي هو المراد الأول، والحسي يأتي بالتبع، وفي الحقيقة فإن كلا المعنيين لا يتجاوز ذلك العضو في الصدر[٤]، ولذلك

---

[١]- "إحياء علوم الدين" :١/٨٤٢-٨٤٣.

[٢]- كانوا يعرفونه ولكن ليس بمثل هذا التعريف المفصل وإنما كان يقال: هو الروع، أو الجنان، أو القلب في الصدر، وهو محل التقوى إلخ.

[٣]- "التبيان في أيمان القرآن" لابن القيم: ص٦٢٦. وكذلك انظر كلام شيخه ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ٣٠٣/٩.

[٤]- "القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان" لسيد محمد سادات الشنقيطي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات سيد الشنقيطي: ٥٢١/٦.

نجد في الكلام المذكور آنفاً للغزالي وابن القيم ما يشير إلى ذلك؛ حيث نصوا على أن القلب المعنوي له تعلق بالقلب الجسماني الحسي. وهذه العلاقة سر رباني يدرك الناس آثارها ولا يعرفون كنهها، لأنها مما لا يُدرك بالعقول. والله أعلم[1].

ثم إنّ ما في القلوب أمران: قول القلب وعمل القلب.

قال ابن تيمية- رحمه الله: (كل قول وعمل فلا بد له من ظاهر وباطن، فظاهر القول لفظ اللسان، وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان، وظاهر العمل حركات الأبدان، وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان)[2]. وكذلك يبين السلف هذا الأمر من خلال تعريفاتهم للإيمان:

قال الإمام البخاري- رحمه الله: (كتبتُ عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- موضحاً هذا التعريف: (أجمع السلف[4] أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. ومعنى ذلك: أنه **قول القلب وعمل القلب،** ثم قول اللسان وعمل الجوارح)[5].

قال ابن القيم- رحمه الله: (الإيمان قول وعمل، والقول **قول القلب** واللسان، والعمل **عمل القلب** والجوارح)[6].

---

[1]- انظر "أعمال القلوب" لسهل العتيبي: ١/ ٩٠-٩٣، و"القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان" لسيد الشنقيطي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات سيد الشنقيطي: ٥٢١/٦.وقد ذكرا خلاف العلماء المعاصرين حول مراد النصوص بالقلب.

[2]- "رسالة في عمل الظاهر والباطن"، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية:٢٦٢/١٣.

[3]- أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ٨٨٩/٥، برقم١٥٩٧، والذهبي في "سير أعلام النبلاء":٣٩٥/١٢ في ترجمة البخاري، وانظر "فتح الباري": ٤٤/١.

[4]- قد ذكر ابن تيمية في "الإيمان": ص١٦٢-١٦٣ أقوال السلف في تعريف الإيمان، وبين أنها رغم اختلاف العبارات تؤدي معنىً واحداً. وانظر أيضًا "الإيمان الأوسط" لابن تيمية المطبوع ضمن مجموع الفتاوى: ٥٠٦/٧، و٦٧٢/٧. وانظر "أعمال القلوب" مبحث عبارات السلف في تعريف الإيمان والجمع بينها: ١٢٥/١-١٣٩.

[5]- "مجموع الفتاوى": ٦٧٢/٧.

[6]- "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" لابن القيم: ص١٤١.

فقول القلب: هو التصديق الجازم بالله سبحانه وبكل ما أخبر به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، و يدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ[1].

وعمل القلب: هو انقياده لما آمن وصدّق به ونيته وإخلاصه ولوازم ذلك وتوابعه من أعمال القلوب، كالتوكل، والرجاء، والخوف، والمحبة، والصبر ونحو ذلك.

وقال ابن القيم- رحمه الله: (وعمل القلب: كالمحبة لله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضُها آكد[2] من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة)[3].

إذاً، الفرق بين أقوال القلب وبين أعماله؛ أنّ أقواله هي: العقائد التي يَعترف بها القلب ويعتقدها، وأما أعمال القلوب، فهي حركته التي يحبها الله ورسوله ﷺ.[4]

هذا هو مفهوم أعمال القلوب، ونتطرق في المباحث اللاحقة إلى أهمها بالتفصيل.

[1]- انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية:٦٧٢/٧، و"مدارج السالكين" لابن القيم:١٢٠/١.

[2]- في الأصل: التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح.

[3]- مدارج السالكين: ١٢١/١.

[4]- "التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة" لعبد الرحمن السعدي: ص٩١.

المبحث الأول:الإخلاص

المطلب الأول : حقيقة الإخلاص و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المطلب الأول

حقيقة الإخلاص و تقريره عند التتر

المسألة الأولى: الإخلاص لغةً.

الإخلاص مصدر أخلص يخلص، وهو مأخوذ من مادة (خ- ل- ص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه[1].

قال ابن فارس[2]: (الخاء واللام والصاد أصل واحد مطّرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خلّصته من كذا وخلص هو)[3].

وقال الجوهري: (خَلَصَ الشيءُ بالفتح يَخلُص خلوصاً، أي صار خالصاً. وخلَص إليه الشيء وصل).

وخلّصتُه من كذا تخليصاً، أي نجَّيتُه فتَخلَّص[4].

المسألة الثانية: الإخلاص شرعاً.

تنوعت تعريفات العلماء له، ولكن مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه. وضد الإخلاص الشرك والرياء.

[1]- انظر "المفردات في غريب ألفاظ القرآن": ص١٥٤.

[2]- ابن فارس، هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٢٩-٣٩٥هـ/٩٤١-١٠٠٤م): من أئمة اللغة والادب. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه: "مقاييس اللغة" في ستة أجزاء، و"المجمل" طبع منه جزء صغير، و"جامع التأويل" في تفسير القرآن أربعة مجلدات، و"النيروز" في نوادر المخطوطات، و"متخير الالفاظ"، و"ذم الخطأ في الشعر"، و"اللامات"، وغير ذلك من التصانيف، وله شعر حسن. انظر "معجم الأدباء" لياقوت الحموي: ٥٦/٢، و"وفيات الأعيان": ٦٦/١، و و"بغية الوعاة": ٢٨٩/١، و"الأعلام": ١٩٣/١.

[3]- "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس: ٢/ ٢٠٨.

[4]- "الصحاح" لإسماعيل بن حماد الجوهري: ص٣١١، وانظر تفصيلا جيداً في "لسان العرب": ٢٩٤/٢-٢٩٥.

فقد عرفه أبو القاسم القشيري[1] بأنه: (إفراد الحق- سبحانه وتعالى- في الطاعات بالقصد)، ثم شرح هذا التعريف قائلاً: (...وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله- سبحانه وتعالى)[2]. وقال في موضع آخر: (يصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين)[3].

وقال السمعاني[4]: (الإخلاص هو تصفية النية في طاعة الله تعالى) [5]، فلا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

وقد ذكر الإمام ابن القيم تعريف أبي إسماعيل الهروي[6]: (الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب)[7]، وشرحه قائلاً: (أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس:

---

[1]- أبو القاسم القشيري، هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري من بني قشير بن كعب (٣٧٦-٤٦٥هـ/٩٨٦-١٠٧٢م)، شيخ خراسان في عصره، كان ثقة، حسن الموعظة، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. انظر ترجمته في "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي: ١٥٠/٣، و"وفيات الأعيان": ٢٩٩/١، و"تاريخ بغداد": ٨٣/١١، و"الأعلام": ٥٧/٤.

[2]- "الرسالة القشيرية": ص ٢٠٧.

[3]- المصدر السابق.

[4]- الإمام السمعاني، هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي، ولد بالمرو سنة٤٢٦هـ/١٠٣٥م وتوفي بها سنة٤٩٠هـ/١٠٩٦م، وكان إمام عصره مفسرا من علماء الحديث، وكان حنفي المذهب، متعيناً عند أئمتهم، فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الإمام الشافعي، وقد لقي بسبب انتقاله محناً وتعصباً عظيماً بمرو. وصنّف في مذهب الشافعي وغيره من العلوم تصانيف كثيرة، منها: "منهاج أهل السنة"، و"الانتصار"، و"الرد على القدرية"، وله "تفسير السمعاني" كتاب نفيس وغير ذلك. انظر "الطبقات" للسبكي": ٢٧٨/٣ برقم٥٤٦، "شذرات الذهب": ٣٩٣/٣، "الأعلام": ٣٠٣/٧.

[5]- "تفسير السمعاني" للإمام السمعاني: ٤٥٧/٤.

[6]- الهروي، هو: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، كان أصولياً، متكلماً، محدثاً حافظاً، مفسراً، مؤرخاً، مظهراً للسنة، داعياً إليها، شديداً على أهل البدع. من تصانيفه: "الاربعين" في التوحيد، و"الاربعين" في السنة، و"منازل السائرين إلى الحق المبين" و"سيرة الامام أحمد بن حنبل" في مجلد (٣٩٦- ٤٨١هـ). انظر ترجمته في "الذيل على طبقات الحنابلة": ١١٣/١، "سير أعلام النبلاء": ٥٠٣/١٨، و"الأعلام": ١٢٢/٤، و"معجم المؤلفين" عمر رضا كحالة: ١٣٣/٦.

[7]- تعريف الهروي في كتابه "منازل السائرين إلى الحق المبين": ص١٦.

إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقدُ متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائناً من كان)[1].

ولعلي أَخلُص بما تقدم من التعريفات إلى أن:

- الإخلاص في العبادة هو إفراد الله وحده بالطاعات، وهو -كما عبر عنه ابن القيم- توحيد المطلوب، ولا بد أن يلاحظ معه:

- توحيد الطلبِ وهو صدق النيةِ[2] والإرادةِ في التقرب إلى الله بهذه الطاعات.

- ثم لا بد من مشروعية تلك العبادات والطاعات التي يخلصها لوجه الله.

يقول ابن القيم: (فحقيقة الإخلاص توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق توحيد الطلب والإرادة، ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة. فهذه الأركان الثلاثة هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يبن عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع، وإن ظن أنه سائر فسيره إما إلى عكس جهة مقصوده، وإما سير المقعد والمقيد، وإما سير صاحب الدابة الجموح؛ كلما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى خلف، فإن عدم الإخلاص والمتابعة انعكس سيره إلى خلف، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد، وإن اجتمعت له الثلاثة؛ فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم)[3].

هذا هو الإخلاص الذي لا بد منه في كل أعمالنا التعبدية، وكما هو معلوم، فإن الأعمال تختلف في نفسها من حيث الأصول و الفروع[4]، فكذلك الإخلاص يكون على مراتب، كما سيأتي بيانه.

---

[1]- ذكر ابن القيم هذا التعريف وغيره في كتابه "مدارج السالكين": ٢/٩١- ٩٣، وهو شرح لـ"منازل السائرين إلى الحق المبين" لأبي إسماعيل الهروي.

[2]- النية في كلام العلماء تقع بمعنيين: أحدهما: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلاً، أو كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظف، ونحو ذلك، وهذه النية بهذا المفهوم توجد كثيراً في كلام الفقهاء. والمعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل؛ هل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره. وهذه النية هي التي تكلم فيها العارفون في كلامهم على الإخلاص وتوابعه.

[3]- "مدارج السالكين" فصل الإخلاص عدم انقسام المطلوب: ٢/٩٧.

[4]- قال ابن منده في "الإيمان": ١/٣٣١ : (وقال أهل الجماعة: الإيمان هي الطاعات كلها: بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أن له أصلا وفرعا...).

المسألة الثالثة: مراتب الإخلاص.

المرتبة الأولى:

الإخلاص في أصل الدين[1]؛ فهذا لا بد منه في أصل الإقرار والشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإلا كان قائلها مشركاً أو منافقًا.

المرتبة الثانية:

الإخلاص في الفروع؛ فإن قال كلمة الشهادة وشهدها بحق وإخلاص، ولكنه فرّط في عمل من أعمالها التي هي من توابعها ولوازمها من الطاعات التي جعلها الله فروعاً وتحقيقا للشهادة؛ فلم يخلص لله عزّ وجلّ، فإنه يكون من أهل الكبائر[2] مرائياً الذي أقل ريائه يعتبر كبيرةً وشركاً أصغر، فهو داخل في الوعيد: إن شاء الله عذّبه وإن شاء غفر له.

فإذا فقد الإخلاص في أصل الدين وأصل الشهادة؛ فصاحِبُه كافر يخرج من الملة، وإن فقد الإخلاص في عمل من أعمال الإيمان؛ فإنه قد خسر العمل وحبط، ولكنه لا يخسر دينه كله. فرب رجل لا يخلص لله في نفقة مثلاً، ولكنه في صلاته مخلص لله؛ فهذا ينال أجر

---

[1]– قال ابن تيمية في تعريف أصل الدين: (والدين القائم بالقلب من الإيمان علما أو حالاً هو الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان؛ فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد، والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص، والوعد والوعيد، ثم نزّل بالمدينة– لما صارت للدين قوة– فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته) انظر "مجموع الفتاوى": ١٠/٣٥٥ و١١/٣٣٥. وقال ابن تيمية– أيضاً: (بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين (أي المسائل العلمية والعملية) مسائل أصول، والدقيق منها مسائل فروع). "مجموع الفتاوى: ٦/٥٦. وقال الشاطبي: (فما عظّمه الشرع من المأمورات؛ فهو من أصول الدين، وما جعله دون ذلك؛ فمن فروعه وتكميلاته، وما عظّم أمره من المنهيات؛ فهو من الكبائر، وما كان دون ذلك؛ فهو من الصغائر، وذلك على مقدار المصلحة أو المقسدة). انظر "الموافقات": ١/٣٣٨.

[2]– والدليل على هذا ما ورد في صحيح مسلم عن النبي ﷺ عن أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار: المجاهد، وقارئ القرآن، والمتصدق بماله الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان شجاع، وفلان قارئ، وفلان متصدق، ولم تكن أعمالهم خالصة لله؛ فسحب على وجوههم حتى ألقوا في النار. انظر الحديث بطوله وتخريجه في ص٩٧ من الرسالة.

الصلاة مع أجر التوحيد، ولكنه لا يأخذ أجر هذا المال الذي تصدق به رياءً، ولكنه مع هذا على خطر، فهو من أهل الوعيد[1].

المرتبة الثالثة:

الإخلاص في المباحات؛ فإن الإخلاص ليس مختصًا بالأصول والفروع التي أُريدَ بها وجهُ الله، بل لو عمل الإنسان عملاً من الأعمال المباحة يريد به الأجر عند الله، فلا بد أن يتحقق فيه الإخلاص لله عز وجل. ولهذا قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: ((**ولستَ تُنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى اللقمةُ تجعلها في فيّ امرأتك**))[2]. وهذه المسألة مبنية على شمول مفهوم العبادة ودخول المباحات فيها[3]. قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (...المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة؛ وقد نبه على ذلك بأقل الحظوظ الدنيوية العادية، وهو: وضع اللقمة في فم الزوجة؛ إذ لا يكون ذلك غالبًا إلا عند الملاعبة والممازحة ومع ذلك يؤجر فاعله إذا قصد به قصدًا صحيحًا...)[4]، مثلما ورد في الحديث: ((**وفي بضع أحدكم صدقة**))[5]، لأنه قضى رغبته وشهوته في حلال طبقا لما تأمره الشريعة، مريدا بذلك اجتناب المحرم وحصول الولد ليوحد الله تعالى ويعبده؛ فهكذا تتحول المباحات إلى القربات إذا أريد بها تعظيم الله تعالى وتعظيم أمره مع إرادة ما وضع له الفعل من الغرض.

---

[1] – انظر "أعمال القلوب" لسهل العتيبي: ١/ص٢٩٢-٢٩٣.

[2]– جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري بطوله، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس: ص٤٥٢ برقم٢٧٤٢، ومسلم وهذا اللفظ له، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث: ص٧١٤ برقم٤٢٠٩ (١٦٢٨).

[3]– يفرق بعض علماء الأصول بين العبادة والطاعة والتقرب. انظر "ميزان الأصول في نتائج العقول" لعلاء الدين أبي بكر محمد السمرقندي الحنفي (ت:٥٣٩): ص٥٢-٥٤.

[4]– انظر"فتح الباري شرح صحيح البخاري": ٤٥١/٥.

[5] – رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف: ص٤٠٧ برقم٢٣٢٩ (١٠٠٦).

وقال القاضي عياض[1]: (وقوله ﷺ يقتضي أن الأجور في المباحات والإنفاق إنما هي على النيات وابتغاء وجه الله، وما كان يقصد به الستر وأداء الحقوق وصلة الأرحام، وكذلك ما ينفقه الإنسان على نفسه، أو يقصد به إحياء نفسه والتقوي على عبادة ربه)[2].

وقال **العالم التتري رضاء الدين بن فخر الدين**: (وبالنية يتحول عمل الواحد إما إلى حسنة يؤجر عليها صاحبها، وإما إلى معصية يأثم بها صاحبها. وكذلك المباحات يمكن أن تصبح بسبب النية عبادةً أو معصيةً)[3].

والجدير بالذكر هنا أنه ليس كل ما أريد به وجه الله من المباحات يكون فيه الأجر، بل لا بد أن يكون المباح مما يستعان به على طاعة الله دون معارضة ما هو أولى أو تفويت ما هو أهم.[4]

المسألة الرابعة: وجوب الإخلاص في الدين.

إذا كانت أعمال القلوب في الجملة آكدَ وأهمَّ من أعمال الجوارح، وإذا كانت هي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والصبر على حكمه، والشكر له، والخوف منه، والرجاء له...فهي جميعها واجبة -في أصلها- على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين.[5] والمتأمل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ سيجد أن أهم أعمال القلوب المندرجة تحت الإيمان، وأعظمها قدراً وشأناً: هو الإخلاص. وهو حقيقة الإيمان والاستسلام لله وحده لا شريك له، وهو الفارق بين التوحيد والشرك. فلا تقبل الأعمال

---

[1]- **القاضي عياض، هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (٤٧٦-٥٤٤هـ/١٠٨٣-١١٤٩م): عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، حافظاً لمذهب الإمام مالك. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، و"شرح صحيح مسلم"، و"مشارق الانوار" في الحديث، و"التاريخ" وغير ذلك. وجمع المقري سيرته في كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض". انظر "وفيات الأعيان": ٢٣٠/٢برقم٥١١، "الديباج المذهب" لابن فرحون:٤٦/٢، "طبقات الحفاظ" للسيوطي: ص٤٦٨ برقم١٠٥٠.**

[2]- **انظر " إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض: ٣٦٥/٥.**

[3]- **"شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين بن فخر الدين باللغة التترية: ص١٦.**

[4]- **انظر كلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ٤٦٠/١٠، والشاطبي في "الموافقات": ٥٢١/٣-٥٢٤.**

[5]- **انظر "التحفة العراقية" لابن تيمية: ص٢٩٠. وقد بين في موضع آخر أن أعمال القلوب فيها ما هو قدر واجب وقدر مستحب. انظر "قاعدة في المحبة": ص٩١-٩٢، و"فتح الباري" لابن رجب: ٥٢/١.**

الصالحة عارية منه، إذ هو شرط قبول العمل أوجبه الله تعالى، وأمر به في آيات كثيرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥.

وقال الله تعالى لنبيه: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ الزمر: ١١ – ١٤.

وقال له: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ الزمر: ٢ – ٣، أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له [1].

وقال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢، قال الفضيل بن عياض [2] في شرح هذه الآية : (هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا: لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة) [3].

---

[1] – تفسير قوله تعالى ((ألا لله الدين الخالص)) لابن كثير في تفسيره: المجلد الرابع، الجزء٧، ص٨٤.

[2] – الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي (١٠٥– ١٨٧هـ /٧٢٣–٨٠٣م) شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. كان شجاعاً قوي البنية، فكان في بداية أمره يسرق ويعطل القوافل في الليل، يأخذ فأساً وسكيناً ويتعرض للقافلة فيعطلها، وكان الناس يتواصون في الطريق: إياكم والفضيل، إياكم والفضيل! والمرأة تأتي بطفلها في الليل تسكته وتقول له: اسكت وإلا أعطيتك للفضيل. لكنه تاب وقصة توبته معروفة مشهورة، فتاب الله عليه، فجعله إمام الحرمين في العبادة، وكان ثقة في الحديث، وقد أخذ عنه خلق، منهم الإمام الشافعي. انظر "سير أعلام النبلاء" للذهبي: ٤٢١/٨ برقم١١٤، و"طبقات الأولياء" لابن الملقن: ص٢٢٩، و"تهذيب التهذيب": ٢٩٤/٨، و"الأعلام":١٥٣/٥.

[3] – أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء": ٩٥/٨.

وقال الحافظ ابن رجب[1]: (وقد دلَّ على هذا الذي قاله الفضيلُ قولُ الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠)[2].

وقال تعالى :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ النساء: ١٢٥، فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه : متابعة رسوله ﷺ وسنته.

وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣، وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله. فكل عمل لم يكن خالصاً و لم يكن على الشريعة المرضية، فهو باطل[3].

فهذه الآيات الكريمة المذكورة[4] — وغيرها في القرآن كثير- كلها تدل على أهمية الإخلاص، وتدل على أنه يجب على كل إنسان أن يحققه في عبادته لربه، لتكون عبادته مقبولة عند الله تعالى. والقرآن الكريم عند ما يطلق اسم الإخلاص لا يريد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله وحده دون سواه، فلا يقصد بعبادته مَلَكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا يعبد شجراً ولا حجراً، ولا شمساً ولا قمراً. فالإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة، والإخلاص هو الدين الذي بعث الله به الرسل جميعاً، فكان محور دعوتهم ولبها، وهو الدين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها.

وهذه الأهمية للإخلاص التي نراها في آيات القرآن الكريم قد أكدتها السنة النبوية- أيضاً- في أحاديث كثيرة، منها:

---

[1]- ابن رجب، هو: أبو الفرج، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي (٧٣٦-٧٩٥هـ/١٣٣٥-١٣٩٣م)، المحدث الحافظ، من العلماء الحنابلة. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه: "شرح جامع الترمذي"، و"جامع العلوم والحكم"، و"القواعد الفقهية"، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري" بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، و"ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى". انظر "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة": ٣٢١/٢ برقم٢٢٧٦، "شذرات الذهب": ٣٣٩/٦، "البدر الطالع": ٣٦٧/١ برقم ٢٢٨، و"الأعلام": ٢٩٥/٣.

[2]- "جامع العلوم والحكم": ٧٢/١.

[3]- انظر تفسير ابن كثير: ١٠٣/٦.

[4]- انظر: "مدارج السالكين" له: ٨٨/٢، لقد ساق ابن القيم فيه هذه الآيات لبيان منزلة الإخلاص.

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه: ((**إنك لن تُخَلَّف**[1]**، فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى، إلا ازددت به درجةً ورفعةً**))[2].

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: ((**ثلاث لا يَغِلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم**))[3]، أي لا يبقى فيه غِلّ، ولا يحمله مع هذه الثلاثة، بل إنها تنفي عنه غِلَّه، وتنقِّيه منه. فالمخلص لله يمنع إخلاصه غل قلبه، ويخرجه ويزيله جملة؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإراداته إلى مرضاة ربه، فلم يبقَ فيه موضع للغل والغش، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف: ٢٤،[4] فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء. ولهذا، لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص استثناهم من القَسم الذي أقسم به للغواية والإهلاك، فقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٨٢ – ٨٣.

---

[1]- (إنك لن تُخلَّف) مِنْ تَخَلّفَ يتخلّف، أي تَأَخرَ. انظر "القاموس المحيط": ٨٠٨٠. قال القاضي عياض شارحاً لهذه العبارة: (...يحتمل أن يكون تخلفه هنا كناية عن طول عمره وهو أظهر في الحديث، ويحتمل التخلف بمكة للضرورة وأن ذلك لا يقدح في هجرته وعمله). انظر شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى "إكمال المعلم بفوائد مسلم": ٥/ ٣٦٦.

[2]- هو جزء من حديث طويل في مقدار الوصية رواه البخاري بطوله في كتاب الجنائز باب رثاء النبي ﷺ لسعد ابن خولة: ص٢٠٧/ح١٢٩٥. ورواه مسلم في كتاب الوصية باب الوصية بالثلث: ص٧١٤/ ح ١٦٢٨. وهذا اللفظ لمسلم.

[3]- جزء من الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ص٥٩٩ برقم٢٦٥٨، وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت نحوه، باب من بلغ علماً: ص٥٨ برقم٢٣٠، وأحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك نحوه: ٦٠/٢١ برقم١٣٣٥٠، والبزار في "البحر الزخار" من حديث جبير بن مطعم: ٣٤٣/٨ برقم٣٤١٧، وقال الحافظ المنذري: رواه البزار بإسناد حسن. انظر "الترغيب والترهيب": ٥٤/١. وقال محقق مسند الإمام أحمد عن الحديث: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن. وقال الألباني في الحكم على الحديث: صحيح. انظر "السلسلة الصحيحة" له: م١/ القسم٢ ص٧٦٠ برقم٤٠٤.

[4]- قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله تعالى "المخلصين" بأنها تقرأ بكسر اللام و بفتحها، فإذا كان بفتح اللام، فمعناه: الذين أخلصهم الله لطاعته، وتوحيده. وإذا كان بكسرها، فمعناه: الذين أخلصوا لله العبادة، والتوحيد ولم يقصدوا بها غير الله. (انظر "فتح القدير" للشوكاني: سورة الحجر،الآية: ٤٠ (١٦٥/٣)، وسورة يوسف، الآية: ٢٤ (٢٤/٣)، سورة ص، الآية: ٨٣ (٥٥٩/٤)، وغير ذلك من الآيات التي فيها كلمة "المخلصين").

و سئل رسول الله ﷺ عن الرجل: يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء: أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**))(١).

وأخبر ﷺ عن أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان متصدق، و لم تكن أعمالهم خالصة لله(٢).

وفي الحديث الصحيح القدسي، يقول الله تعالى :((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**))(٣).

وفي حديث آخر: يقول تعالى لهم يوم يُجازى العبادُ بأعمالهم: ((**اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا: هل تجدون عندهم جزاء**))(٤)، أو يقال لهم: ((**فليطلب ثوابه من عند غير الله**))٥.

١- أخرجه البخاري عن أبي موسى، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ص٤٦٦ برقم٢٨١٠، ومسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ص٨٥٢ برقم٤٩٢٠ (١٩٠٤)، وألفاظ السؤال لمسلم.

٢- ورد ذلك في حديث طويل في صحيح مسلم، وقد سبقت الإشارة إليه في هامش صفحة رقم٧٥، وسيأتي ذكر الحديث بطوله وتخريجه في ص٩٧. الملاحظة: لم ترد عبارة "أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار" عند مسلم، وإنما وردت عند الترمذي الذي أخرج نحو هذا الحديث ولفظه فيه: ((يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)). سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة: ص٥٣٦ ح٢٣٨٢.

٣- رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب الزهد، باب تحريم الرياء: ص١٢٩٢ برقم٧٤٧٥ (٢٩٨٥). ورواه أيضا ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة بلفظ: ((...فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك)): ص٦١٢ برقم٤٢٠٢. وقال المنذري: رواة ابن ماجه ثقات ("الترغيب و الترهيب":٦٩/١).

٤- وروى أحمد في مسنده: ٤٣/٣٩ رقم ٢٣٦٣٦، وهو بتمامه: عن محمود بن لبيد قال، قال رسول الله ﷺ: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)). قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: ((الرياء، إن الله– تبارك وتعالى– يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا: هل تجدون عندهم جزاء)). قال محقق المسند: حديث حسن.

٥- جزء من حديث رواه الترمذي عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري– رضي الله عنه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الكهف: ص٧٠٩ برقم٣١٥٤، وهو بتمامه: قال رسول الله ﷺ: ((إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك))، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث=

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: ((**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**))[١].

وهذا المعنى نجد أصله في قول الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ الحج: ٣٧.

كما أن النبي ﷺ أخبر في حديث آخر أن من لم يخلص لله في عمله لا يقبل منه، فقد روى النسائي أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر؛ ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**لا شيء له**))، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: ((**لا شيء له**))، ثم قال: ((**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهُه**))[٢].

فهذه بعض الأحاديث النبوية[٣] التي تدل على أهمية الإخلاص ووجوبه في أقوال العباد وأعمالهم، كبيرها وصغيرها بل وحتى في المباحات التي يراد بها الأجر عند الله[٤].

فعلى الإنسان أن يجتهد في تحقيق الإخلاص، وأن يحاول جاهداً تربية نفسه وتعويدها الأخذَ بالإخلاص في جميع أعماله. فالسلف كانوا يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعز الأشياء، وأشقها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله، وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاتها، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوه من الشوائب المبطلة لثوابه أو المنقصة له.[٥]

=محمد بن بكر. وروى ابن ماجه عنه نحوه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة: ص٦٩٨ برقم٤٢٠٣. وقد حسن الحديث الألباني؛ انظر الموضعين المذكورين من السنن- طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

[١]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله: ص١١٢٤ برقم٦٥٤٣.

[٢]- أخرجه النسائي في سننه عن عن أبي أمامة الباهلي: كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر: ص٤٨٤ برقم٣١٤٠، قال الألباني: إسناده حسن. انظر "السلسلة الصحيحة" له: م١/١ ص١١٨ برقم٥٢.

[٣]- ساق الإمام ابن القيم أغلبها في بيان منزلة الإخلاص في "مدارج السالكين":٢/٨٩-٩٠.

[٤]- وقد تقدم ذكر حديث (..حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك) تخريجاً وشرحاً ص٧٧.

[٥]- انظر"الشرك في القديم والحديث": ١٢٩٣/٣.

فلذا نجد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يقول في دعائه : (اللهم اجعل عملي صالحًا، واجعله لك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)[١].

وقال سفيان الثوري[٢]: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، لأنها تنقلب عليّ)[٣].

وقيل لسهل بن عبد الله التستري[٤] :أى شىء أشد على النفس، فقال: (الإخلاص؛ إذ ليس لها فيه نصيب)[٥].

وهذا الذي دعت إليه رسل الله- عليهم السلام- وقرره سلف هذه الأمة- رحمهم الله تعالى- نجده كذلك لدى علماء التتر.

والآن سأورد ما يتيسر من كتابات بعض علماء التتر حول حقيقة الإخلاص:

قال العالم التتري رضاء الدين بن فخر الدين[٦] مفتي ديار التتر من القرن الماضي في تقريره لهذه المسألة في كتابه "شرح جوامع الكلم": (كان كل اجتهاد رسول الله ﷺ في جعل

---

[١]- رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد: ١٤٧/١.

[٢]- سفيان الثوري، هو: سفيان بن سعيد الثوري الكوفي، أحد الأئمة الأعلام من التابعين. قال شعبة وابن عيينة عنه: أمير المؤمنين في الحديث. قال ابن المبارك: ما كتبت عن أفضل من سفيان الثوري. وقال: ما أحد عندي من الفقهاء أفضل من سفيان بن سعيد. توفي بالبصرة سنة: ١٦١هـ. انظر "تاريخ بغداد": ١٥٣/٩-١٨٣ برقم٤٧٦٣، و"تهذيب التهذيب": ١١١/٤ برقم١٩٩.

[٣]- ذكره ابن رجب هكذا في "جامع العلوم والحكم": ٧/١، وهو مخرج عند أبي نعيم في "حلية الأولياء": ٥/٧، ٦٢، وفيه: "نفسي" بدل "نيتي".

[٤]- سهل بن عبد الله التستري، أبو محمد، وهو: أحد مشايخ الصوفية، والمتكلمين في علوم الرياضياتِ، والإخلاص، وعيوب الأفعال، الزاهد. ذكر عنه: أنه أتى إلى أبي داود السجستاني مصنف السنن، فقال : (أريد أن تخرج لي لسانك هذا الذي حدثت به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبّله)، فأخرجه له، فقبّله. تُوُفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: "طبقات الصوفية": ص٢٠٦ ، و"تاريخ الإسلام": ٦٥١/٦، و"طبقات الأولياء": ص٢٠١.

[٥]- ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين":١٦٨٦/٢، والإمام ابن القيم في "مدارج السالكين":٩٢/٢.

[٦]- رضاء الدين بن فخر الدين (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م - ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م): عالم ديني تتري مشهور، مفتي بلاد التتر في زمانه، حنفي المذهب، أديب، معلم، رئيس مجلة "الترجمان" الدينية. له مؤلفات، المطبوع منها: "العقائد"، "محمد"-١٩٠٩م، "مسائل دينية واجتماعية"-١٩١٤م، "شرح جوامع الكلم"-١٩١٦م، وغير المطبوع منها: "دين الإسلام"-١٩٢٤م، و"البلاغ المبين"-١٩٢٤م. انظر مقدمة الكتاب "شرح جوامع الكلم" للأستاذ/ راوي أوتاباي كريمي عالم العلوم الشرقية والإسلاميات، ص٣-٦.

التوحيد خالصاً ومجرداً من شوائب الشرك، بل ومن كل ذريعة مؤدية إلى الشرك. فقد مُنع أهل الإسلام من أداء صلواتهم في الأوقات التي تعبد الشمس فيها[1] لمنع ذريعة الشرك، وقطعها من جذورها)[2].

وذكر البركلي في كتابه "الطريقة المحمدية"[3] المشهور لدى التتر: (الإخلاص يولد الإحسان. والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه، وذلك لأن الله يراك)[4].

وقال رضاء الدين بن فخر الدين عند شرحه للإحسان من حديث جبريل[5]: (إن الناس لو رأوا اللهَ أثناء عبادتهم: كم كانوا مهتمين و مجتهدين في إخلاصهم له! فكذلك يلزمنا هذا القدر من إخلاص العبادة لله في حالة عدم رؤيتنا إياه، لأن الله تعالى يرى عبادتنا ويعلم عنها. وإذا كان هذا مفهوم الحديث، فالمطلوب إذًا تحذير الناس من الوقوع في الرياء والنفاق)[6].

---

[1]- أي: من قبل المشركين عبدة الأجرام الفلكية.

[2]- "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين بن فخر الدين- ص٢٠.

[3]- البركلي، هو: محمد بن بيرعلي بن اسكندر البركلي (ويقال: بركاوي) الرومي، محيي الدين (٩٢٩-٩٨١هـ/١٥٢٣-١٥٧٣م): عالم بالعربية نحوا وصرفا، له اشتغال بالفرائض ومعرفة بالتجويد. تركي الأصل والمنشأ. من أهل قصبة (بالي كسرى) كان مدرسا في قصبة (بركي) فنسب إليها. من كتبه: " إظهار الأسرار" في النحو، و"إمعان الأنظار" وهو شرح "المقصود" في الصرف، و"دامغة المبتدعين" في الرد على الملحدين، و"الطريقة المحمدية" مؤلفاته مشهورة بين الشعوب التركية. انظر "الأعلام": ٦١/٦، "معجم المؤلفين": ١٢٣/٩.

ورغم أن هذا العالم تركي الأصل، فإنه اشتهر بين علماء التتر، فكثير منهم كان يعزو إلى كتابه "الطريقة المحمدية" الموجود والمتداول باللغة التترية في تتارستان إلى اليوم. انظر أثر العلماء العثمانيين في تأسيس التيارات الفكرية لدى المجتمع التتري في "سيرة عبد الرحيم أوتوز إيماني" راميل أديغاموف بالروسية: ص٢١.

[4]- "الطريقة المحمدية" للبركلي المترجَم/ ترجمه من العربية إلى التترية شيخ الإسلام الحامدي التتري سنة ١٣٢٤هـ: ص٦٠.

[5]- هو ما رواه الشيخان في صحيحيهما من قول الرسول ﷺ: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)). البخاري، كتاب الإيمان، باب٣٧: ص١٢ برقم٥٠، وفي كتاب التفسير، سورة لقمان، باب٢: ص٨٣٩ برقم٤٧٧٧، ومسلم، كتاب الإيمان: ص٢٤ برقم٩٣ (٨)، وكتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله: ص٢٥ برقم٩٧ (٩).

[6]- " شرح جوامع الكلم": ص٣٦.

وقال في موضع آخر: (قد ذكَرَتْ كتب الأخلاق في حق الدعاء آداباً وأوقاتٍ خاصةً به، لكن الأهمَّ في حقه هو الإخلاص و غاية التذلل أمام الله تعالى)[1].

وأيضاً، فإن عالماً تترياً آخر قال في كتابه "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل"[2] المكتوب باللغة التترية كلاماً واضحاً في وجوب إخلاص العبادة إلى الله والتوجه بها إليه وحده سبحانه، حيث قال: (لا يحصل لأحد كمال التوحيد حتى يتخلص من أنواع الشرك. فأوّل ما يلزمه عدم الإشراك في الألوهية، وهذا يعني ألا تدعو- على عكس المجوس- إلا اللهَ تعالى، فلا يجوز تعظيم الأصنام والأوثان وعبادتها؛ لأنها كلها من مخلوقات الله، فرجاء المنفعة منها قائلين بأنهم سيشفعون لنا وسيقضون حاجاتنا، وبالتالي دعاؤهم متوسلين بعبادتهم كُفْرٌ. وهذا مثل كفر الصابئة الذين كانوا يناجون القمر والشمس والنجوم زاعمين أنها من عباد الله المقبولين. إنهم قالوا: دعاؤنا غير مقبول عند الله، لأننا تغرقنا في المعاصي؛ فلذا ندعوهم وهم بدورهم سيقربوننا إلى الله وسيشفعون لنا عنده. فهؤلاء بهذا السبب كفار. فلذا فإن كل مؤمن إذا طلب العون، أو الغنى، أو الشفاء، أو أن يُرزق مالاً، أو ولداً، فإنه يجب عليه أن يتوجه في طلبِ ذلك كله وسؤاله إلى الله وحده سبحانه. أما التوجه بالسؤال إلى الأحجار، أو الأشجار، أو الأنبياء، أو الأولياء، فيعتبر شركاً في الألوهية وكفراً. فمثلاً: لو كانت عند زيد حاجة وكان مضطراً فطلب العون من أرواح المشايخ معتقداً أنهم يعرفون الغيب، فهذا يلزمه تجديدُ إسلامِه ونكاحِه)[3].

نخلص مما تقدم إلى أن الإنسان مأمور بأن يصفي عمله وينقّيه من جميع شوائب الشرك، وأن يفعل كل الطاعات على وجه الإخلاص.

---

[1]- "شرح جوامع الكلم"، شرح الحديث: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ)): ص٣٩. والحديث رواه الترمذي في الجامع، كتاب الدعوات، باب٦٦: ص٧٩٠ برقم٣٤٧٩. وقال الألباني معلقا على الحديث: حسن. انظر "السلسلة الصحيحة" له: ١٤١/٢ برقم٥٩٤.

[2]- وهذا الكتاب نال شهرة وقبولاً عند العامة وقد طبع عدة مرات. طبع أربع مرات في مطابع قازان وفي المرة الخامسة سنة ١٣٢٧هـ طبع مع زيادات مهمة. انظر مقدمة هذا الكتاب في طبعة سنة ٢٠٠٢/١٤٢٣هـ مطبعة "الإيمان".

[3]- "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل" لطيِّب بن ملا علمان التتري: ص٥١.

المطلب الثاني
مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها

سبق بيان أنّ شرطي قبول الأعمال كلها هما: الإخلاص والمتابعة. وقد قسم أهل العلم الأعمال إلى أربعة أقسام[1]: المقبول منها قسم واحد وهو الذي كان على الشرطين المذكورين، وثلاثة مردودة، وهي: ما فُقد منه الوصفان أو أحدهما، وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه، وهو سبحانه إنما يحِبُّ ما عُمِل بما أمر به وما عُمل لوجهه، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها بل يمقتها ويمقت أهلها.

أما ما فقد الشرطين فهو ليس من الدين في شيء كالإشراك مع الله أحداً من خلقه بعبادته ودعائه؛ فإن مثل ذلك لا يتصور فيه المتابعة أبداً ولا الإخلاص، وأما ما خالف شرط المتابعة فهو بدعة[2]، وأما ما خالف شرط الإخلاص مع وجود المتابعة فهذا هو المعني هنا ببحثنا، وهو على أنواع: النفاق، والرياء، وحظوظ النفس أو الشهوة.

أولاً: النفاق.

تكرر في الأحاديث ذكر النِّفاق وما تصرَّف منه اسْمًا وفعْلاً، وهو اسمٌ إسلامي لم تَعْرِفْه العرب بالمعنى المخصوص به- وهو ستر الكفر وإظهار الإيمان- وإن كان أصلُه في اللُّغة معروفًا؛ يقال: نافقَ يُنَافق مُنافَقةً ونِفاقاً، وهو مأخوذ من النَّافِقاء: أحَد جحَرة اليَرْبوع، إذا طُلِب من واحِدٍ هرَب إلى الآخَر وخرَج منه. وقيل: هو من النَّفَق؛ وهو السَّرَب الذي يُسْتَتَر فيهِ لِسَتْرِه كُفْرَه[3].

قال رضاء الدين بن فخر الدين التتري: (النفاق في اصطلاح القرآن الكريم وفي الأحاديث، هو مخالفة الباطنِ الظاهرَ. فالمنافق هو الذي يظهر خلاف ما في نفسه. فلو أظهر

---

[1]- انظر "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم: ٤٣٥/٣.

[2]- سوف أتحدث عن البدعة في الفصل الثالث إن شاء الله.

[3]- انظر مادة نفق: "لسان العرب"١٠:/٣٥٨، "تاج العروس": ٤٣٠/٢٦، "المعجم الوسيط": ٩٤٢/٢.

الإسلام وهو بالباطن لا يؤمن، يكون من جملة المنافقين الذين وصفت أحوالهم في القرآن الكريم)[1].

وقال صاحب "الطريقة المحمدية": (ومن الأخلاق المذمومة النفاق وهو عدمُ موافقةِ الظاهرِ الباطنَ، والقولِ العملَ)[2].

وقد يطلق النفاق على الرياء كما ورد في الحديث: ((**إن أكثَر مُنافِقِي أمتي قُرَّاؤُها**))[3]؛ أراد بالنِّفاقِ ها هنا الرِّياء، لأن كِلَيهما إظهارُ غير ما في الباطن.[4]

وقد يطلق الرياء في كتاب الله ويراد به النفاق المخرج من الملة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النساء: ٣٨.[5]

والنفاق على نوعين :

النوع الأول: **النفاق الاعتقادي**[6]، وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الملة مخلّد في الدرك الأسفل من النار. قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢، وقال أيضاً: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

[1]- "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين التتري: ص١٨.

[2]- "الطريقة المحمدية": ص١٠٢.

[3]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ٢٠٩/١١ برقم٦٦٣٣ وفي مواضع أخرى من مسنده. وقال شعيب الأرنؤوط في الحكم على الحديث: صحيح وهذا إسناد حسن.

[4]- انظر "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير: ص٩٣٤، ولسان العرب: ٢٣٦/٦ .

[5]- انظر "تفسير البغوي": ٥٢٦/٢، "جامع العلوم والحكم":٧٩/١، و"معارج القبول" للحكمي: ٤٥٣/١.

[6]- و قد سمي هذا النوع من النفاق اعتقادياً لاقتران الأمور الصادرة من المنافقين بفساد اعتقادي. ولكن البعض يفضل وصف هذا النوع من النفاق بـــ"الأكبر" بدل "الاعتقادي" لأنه ليس كل نفاق اعتقادي يخرج من الملة، فقد يكون من جنس يسير الرياء. انظر "نواقض الإيمان الاعتقادية" للوهيبي: ١٥٢/٢، و"أعمال القلوب": ٤٧٥/١.

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ٨ – ١٠.

وهؤلاء شر الناس وقد وصفهم اللهُ في كتابه الكريم ورسولُه ﷺ في سننه المطهرة بصفات الشر كلها، وهم موجودون في كل زمان وفي كل قوم- والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله: (نبّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خيراً)[١].

وقال رضاء الدين بن فخر الدين التتري: (فلو أظهر الإسلام وهو لا يؤمن بالباطن، يكون من جملة المنافقين الذين وصفت أحوالهم في القرآن الكريم)[٢].

ومن المعلوم أن ظهورَهم يكون عند ظهور قوة الإسلام عندما يعجزون عن مقاومته في الظاهر، فحينئذٍ يُظهرون الإسلامَ لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، وكذلك يُظهر بعضهم إسلامه تماشياً مع ثقافة قومه؛ فمثلاً، بعد أن انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وفتح المجال لكل واحد أن يمارس شعائر دينه، حينئذ اتجه الشعب التتري المسلم إلى دينه الذي كان يُمنع منه خلال سبعين عاماً في ظل السلطان الشيوعي الملحد، فلما فتح المجال صار التتر يرجعون إلى أصولهم الدينية وكثير منهم التزم بالدين وصار يمارس شعائر دينه. وفي هذا الحين نهضت حركة قومية تترية ليبرز كيان قومية تترية بعد أن كادت أن تضمحل تحت محاولات لمحوه من قبل السلطات الروسية منذ استيلاء قياصرة الروس على دولة قازان التترية ثم الشيوعية إلى وقت انحلال الاتحاد السوفييتي. وفي هذه الظروف رأى الشعب التتري أنه لا بد من التمسك بالدين الحنيف، وأنه لا استمرار لهم إلا بالرجوع إليه والالتزام به، إذ إن كيانهم وكيان آبائهم وأجدادهم وثقافتهم وعاداتهم مبنية على مبادئ الإسلام! وقد أدرك مفكرون شعبيون تمام الإدراك أنه لا يمكن فصل الإسلام عن الشعب التتري. وفي هذه الظروف أيضاً رأى بعض من بقي في قلوبهم شيء من أدران الشيوعية من الإلحاد والكفر

---

[١]- تفسير ابن كثير: ١٧٩/١.

[٢]- "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين التتري: ص١٨.

أنهم لا دوام ولا شعبية لهم إذا لم يَظهَروا بصورة إسلامية. فمنهم من يتظاهر بالإسلام، وهم بعيدون عنه تمام البعد؛ فجعلوا يدعون إلى ما سموه بـــ"يوروإسلام" أو "الإسلام الحديث"، وزعموا أنهم من دعاة حركة تجديدية التي لا تنضبط- في الحقيقة- بضوابط الشرع. وكل هؤلاء أو أغلبهم يرمون من خلال هذه المصطلحات إلى نزع ماهية العبودية عن الإسلام ويحاولون إبرازه كآلة لتنظيم حالات اجتماعية فقط، لا غير! وهذا من أعظم الكفر!

هذا مثال للنفاق الاعتقادي وهو أشبه ما يكون بما وصفه شيخ الإسلام من الشرك الأكبر، حيث قال – رحمه الله: (فمن النفاق ما هو أكبر؛ يكون صاحبه فى الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أُبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله. وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله وما زال بعده؛ بل هو بعده أكثر منه على عهده؛ لكون موجبات الايمان على عهده أقوى. فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجودًا فوجوده فيما دون ذلك أولى. ...وفى المنتسبين إلى الاسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون فى الخاصة والعامة ويسمون "الزنادقة"[1])[2].

---

[1]- الزنديق- قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: (الزنديق، بالكسر: من الثانوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان...): ص٨٩١، وقال ابن تيمية: (فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ﷺ كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي معرَّب أُخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرِّب. وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك. فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا، وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط، أو لنبوة نبينا فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين، ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالإسلام قد يكونون أسوأ حالا من الكافر المظهر كفره من اليهود والنصارى). "بغية المرتاد" لابن تيمية: ص٣٣٨، وانظر أيضا "الإيمان الأوسط" له: ص١٣، و"مجموع الفتاوى" له: ٤٧١/٧، وقال ابن حجر: (كل زنديق منافق من غير عكس) انظر "فتح الباري" كتاب استتابة المرتدين..، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم: ٣٣٩/١٢، ح٦٩٢٢.

[2]- مجموع الفتاوى: ٤٣٤/٢٨.

وقال في موضع آخر: (فأما النفاق المحض الذي لا ريب فى كفر صاحبه فألاّ يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علمًا وعملاً، وأنه يجوز تصديقه وطاعته، لكنه يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته، إما بطريق الفلسفة والصبو أو بطريق التهود والتنصر، كما هو قول الصابئة الفلاسفة في هذه المسألة وفى غيرها، فإنهم وإن صدَّقوه وأطاعوه، فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع أهل الأرض؛ بحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذبًا، بل يرون ذلك مثل التمسك بمذهب إمام، أو طريقة شيخ، أو طاعة ملك، وهذا دين التتر[1] ومن دخل معهم)[2].

فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بهذه المكفرات؟

قيل: إن النفاق كالإيمان أصله في القلب، والذي يظهر من الأقوال والأفعال فرع له ودليل عليه. فإذا وُجدت وظَهرتْ مثلُ هذه الصفات كان ذلك دليلاً على نفاق صاحبها، أو كفره الظاهر؛ والغالب في المنافقين أنهم لا يُظهرون للمؤمنين ما يدل على نفاقهم، إلا حينما يحصل للمسلمين مصيبة وضعف، أو ابتلاء وشدة.

وقيل: ما يستقر في القلب من إيمان ونفاق لا بد أن يظهر موجبه في القول والعمل، كما قال بعض السلف: ما أسر أحد سريرةً إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وقد قال تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ محمد: ٣٠،

فلذلك لا يشترط عندما نقول: "منافق نفاقاً أكبر" أن يكون مستوراً لا يظهر منه شيء البتة، بل مع شهادته وصلاته وادعائه الإسلام يظهر منه في أعماله وأقواله أشياء كفرية واضحة مخرجة من الملة! فهذا عبد الله بن أبي — رأس المنافقين– في عهد رسول الله ﷺ كان يفعل كل ما يفعله مسلم، لكن ظهر منه أشياء في تخذيل المسلمين ونصرة الكفار عليهم، وتكذيب الرسول ﷺ والطعن فيه وفي رسالته، والكيد له وللمسلمين. ولكن الفرق بين الكافر المظهر للكفر والمنافق المبطن للكفر أن الكافر لا ينطق بالشهادتين ولا يقول أنا مسلم ولا يدعي

---

[1]– **هذا دين التتر القدماء الذين غزوا بغداد بقيادة خان هولاكو، ولكن هذا الوصف ما زال ينطبق على بعض التتر اليوم.**

[2]– **"مجموع الفتاوى": ٦٣٩/٧.**

الإسلام، ولا يصلي مع المسلمين، والمنافق يقول أنا مسلم وينطق بالشهادتين ويصلي مع المسلمين....

وقد يجاهر بها من يدعي الإسلام، وهو صاحب اعتقادات فاسدة كفرية؛ فيوالي الكفار ولاءً ظاهراً، أو يَعِيبُ الرسول ﷺ وينتقصه عَلَناً، أو ربما شكك في نبوة بعض الأنبياء المعروف نبوتهم، وغير ذلك من الكفريات، فيكون كافراً بذلك. فذاك يكون كافراً كفر نفاق وهذا كفراً ظاهراً، وكلها كفر، ظاهرًا كان أو باطناً، فأوصافها أوصاف كفر.[1]

يواصل ابن تيمية كلامه المتقدم آنفاً، فيقول: (أما النفاق الذي هو دون هذا، فأن يطلب العلم بالله من غير خبره، أو العمل لله من غير أمره، كما يبتلى بالأول كثير من المتكلمة، وبالثانى كثير من المتصوفة؛ فهم يعتقدون أنه يجب تصديقه أو تجب طاعته، لكنهم فى سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين هذا المسلك، بل يسلكون مسلكاً آخر: إما من جهة القياس والنظر، وإما من جهة الذوق والوجد، وإمّا من جهة التقليد، وما جاء عن الرسول إمّا أن يعرضوا عنه، وإمّا أن يردّوه الى ما سلكوه. فانظر نفاق هذين الصنفين مع إعترافهم باطنًا وظاهرًا بأن محمدًا أكمل الخلق وأفضل الخلق، وأنه رسول وأنه أعلم الناس، لكن إذا لم يوجبوا متابعته وسوَّغوا ترك متابعته كفروا، وهذا كثير جدًا)[2].

ومن صور ما يخل بإخلاص العبادة لله- وهو أيضاً مما وصف الله به المنافقين في كتابه- اتخاذ أهل الكفر والإلحاد أولياء من دون المؤمنين، فيخضع لهم بعضهم خوفاً منهم أو ابتغاء العزة منهم والتأييد والتيسير في أمورهم الدنيوية، والخطير في المسألة أن يتم ذلك على حساب بعض القيم الإسلامية فيتنازل البعض عنها مداهنة لكبار القوم من أهل الكفر.

في بيان هذه الصورة يقول الإمام الطبري- رحمه الله- مُفسِّراً قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩، قال: (أما قوله جل ثناؤه: ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ فمن صفة المنافقين، يقول الله

[1]- انظر "الصارم المسلول": ٧٦/٢ و "الإيمان الأوسط" ضمن "مجموع الفتاوى" لابن تيمية:٦٢١/٧، وانظر "نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف": ١٧٢/٢-١٧٣، حيث جاوب على هذا التساؤل.

[2]- مجموع الفتاوى: ٦٣٩/٧-٦٤٠.

لنبيه : يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني ﴿أولياء﴾، أي: أنصارًا وأخلاء ﴿من دون المؤمنين﴾، أي: من غير المؤمنين. ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾، أي: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟﴿فإن العزة لله جميعا﴾، يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء)[1].

عالج العالم التتري الشاعر صوفي إلاهيار[2] مشكلة النفاق ومراءات الناس والتظاهر بالإسلام- وفي محلّه- لأن ذلك قد يصدر عمن تربَّى على العقائد الكفرية وصار باطنه لا يتوافق مع ما عليه شعبه وقومه من العقيدة والثقافة الإسلامية، فيتظاهر بالإستقامة والصلاح. فيبين العالم في أبيات شعرية أن التظاهر بالصلاح لا فائدة فيه بدون الإيمان، فيقول:

Гамальнен файдасы иманын белян, кайчан ялгыз гамал кылсан бу баля.

– العمل يفيد مع الإيمان، أما لو كان وحده فهو بلاء

Аллах сакласын имансыз кешедян, кабул итмяс Ходаем хич эшеннян

– نعوذ بالله ممن لا يؤمن؛ فإن الله تعالى لن يقبل منه أي عملٍ، مهما أحسن.

Гярчя дя яхшылар гамален ится, садакасын жирдя хям малы ится!

– حتى لو عمل عمل المحسنين: فتصدق، وصام ليل نهار، لن يفيده ذلك العمل أبداً.

Ураза белян булса иртя вя кич, амма файдасы юк кылганынын хич!

– سيكون عاقبة أمره النار، ولن ينجو من العذاب: لا بروحه ولا ببدنه.

Булыр тямуг анын ахыр урыны, котылмас хич анын жиседе-жаны!

– أما من مُنح الإيمانَ فسيُمنح الخير في أعماله كثيراً

Агяр иман буляк булса кешегя, бирер хаер анын бик кюп эшеня!

– وكذلك: لا شك بأن المؤمن حتى ولو اقترف الكبائر بلا عدد،

Агяр олы гонахлар кылса чиксез, тамугта калмас иманлы кем, шиксез!

فلن يبقى في النار ليتعذب إلى الأبد.[3]

---

[1]– "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" أبو جعفر محمد الطبري: سورة النساء، الآية ١٣٩، ٥/ ٣٨٢.

[2]– صوفي إلاهيار: ولد عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م، صاحب مؤلفات في الشعر والأدب باللغة التترية القديمة، منها: "مسلك المتقين"، و"مراد العارفين"، و"مخزن المطيعين"، و"ثبات العاجزين"، وغيرها، وبعضها بالفارسية، عاش في آسيا الوسطى. اعتنى بمؤلفاته علماء التتر ترجمةً وشرحاً. توفي في بخارى سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م. انظر: مقدمة كتاب "ثبات العاجزين": ص٣-٤.

[3]– انظر "ثبات العاجزين" لصوفي إلاهيار: ص٢٣/ب١٤٧-١٥٢.

النوع الثاني: **النفاق العملي**، وهو ما ورد من الأعمال تسميته نفاقاً في النصوص الشرعية مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا ليس نفاقاً مخرجاً من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون عنده إيمان وشيء من النفاق، وإذا كثر وغلب على الإيمان صار بسببه منافقاً خالصاً، كما ورد في الحديث: ((**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**))[1].

قال رضاء الدين بن فخر الدين التتري في شرح رواية أخرى من هذا الحديث: (..لكن إذا وجدت هذه العلامات الثلاث[2] عند شخص، فلا يجوز أن نقطع بالحكم عليه بأنه منافق؛ لأن وجود علامة الشيء لا يلزم منه بالضرورة وجود هذا الشيء. بل المقصود من الحديث نصيحة المؤمنين وتحذيرهم من هذه الثلاث)[3].

وهذا النوع من النفاق قد عمّت به البلوى سواء في المجتمع التتري أو غيره من المجتمعات.

قال رضاء الدين التتري أيضاً: (في المسلمين من يكذب إذا حدّث، ويُخلف إذا وعد، ومنهم من يخون الأمانات؛ ولا شبهة في وجود هؤلاء. وليكونوا كما يشاؤون ولكن هذه الأعمال هي علامات النفاق. فلذا، إذا كان الشخص مؤمناً واتصف بشيء من هذه العلامات فواجبه أن يقتلعها واحدة واحدة)[4].

---

[1]- متفق عليه: رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- في كتاب الإيمان، باب علامات المنافق: ص٩ برقم٣٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب خصال المنافق: ص٤٦ برقم١٠٦ (٥٨)، واللفظ للبخاري. وقال الإمام النووي- رحمه الله- في شرح قوله ﷺ: ((كان منافقاً خالصاً))، قال: (قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث...) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، الحديث رقم٥٨: ٣٠١/١، ٣٠٢.

[2]- أو الأربع أو الخمس- حسب الروايات الواردة. والمؤلف يقصد هذه الرواية: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامات المنافق: ص٩ برقم٣٣، و مسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق: ص٤٦ برقم٢١١(٥٩).

[3]- "شرح جوامع الكلم": ص١٨ ح٢.

[4]- نفس المرجع: ص١٩.

وهذا النوع من النفاق يسمونه أيضاً بالنفاق الأصغر، وقد يعرِّفونه بما يشبه أحد تعريفات الرياء، كـــ: (إظهار الطاعة وإبطان المعصية)[1].

أو كما قال الإمام البغوي[2]: (هو ترك المحافظة على حدود أمور الدين سراً، ومراعاتها علناً، فهذا يسمى منافقاً، لكنه نفاق دون نفاق)[3].

أو كما قال ابن رجب: (النفاق الأصغر هو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً ويبطن ما يخالف ذلك)[4].

فالنفاق بأنواعه شر وخطير جداً، وكان الصحابة- رضوان الله عليهم- يتخوفون من الوقوع فيه:

فهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين - رضي الله عنه- كان يقول لحذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- الذي أسرّ إليه النبي ﷺ أسماء المنافقين: (نشدتك بالله؛ هل أنا منهم؟)، فيرد عليه: (لا، ولا أبرئ أحدا بعدك).[5]

قال ابن رجب: (ولما تقرر عند الصحابة- رضي الله عنهم- أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه

---

[1]- ذكر تعريف النفاقِ الأصغرِ بذلك صاحبُ كتاب "التعريفات الاعتقادية" سعد آل عبد اللطيف: ص٣٢٠، وهذا المعنى نجده عند ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ١١/ ١٤١و١٤٣ وعبارته فيه فيه: (فأطلق لفظ النفاق على إبطان الكفر، وإبطان المعصية)، وعبارة "إظهار الطاعة مع إبطان المعصية" هي عينها تُذكر في تعريف الرياء. انظر "تفسير الخازن": ٥٠/٣، و"تفسير اللباب" لابن عادل: ٥٣٦/٩ في قوله تعالى ﴿رئاء الناس﴾ الأنفال: ٤٧.

[2]- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، الملقّب بمحيي السنة. محدِّث فقيه مفسر، كان سيدًا إمامًا عالمًا علامة، زاهدًا قانعًا باليسير. ولد سنة ٤٣٦/١٠٤٥م كان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. من مصنفاته المفيدة: "شرح السنّة" وهو كتاب عظيم في بابه لا يستغني عنه طالب علم، والتفسير المسمى "معالم التنزيل"، و"التهذيب" في فقه الشافعية، و"الجمع بين الصحيحين"، وغيرها. توفي بخراسان سنة٥١٠هـ/١١١٧م. انظر "وفيات الأعيان": ٢٥٨/١ برقم١٨٥، "طبقات الفقهاء الشافعية": ٢٦٧/١ برقم٢٤٨، "طبقات الشافعية الكبرى": ٤٦/٤ برقم ٧٦٧، "طبقات المفسرين" للسيوطي: ص٣٨ برقم٣٥، "سير أعلام النبلاء": ٤٣٩/١٩.

[3]- "شرح السنة" للبغوي: ٧٦/١.

[4]- جامع العلوم والحكم: ٤٨١/٢.

[5]- أخرجه البزار في مسنده بهذا اللفظ: ٢٩٢/٧ برقم٢٨٨٥، وقال الهيثمي: رواه البزار ورواته ثقات ("مجمع الزوائد" باب النهي عن الصلاة على المنافقين: ٤٢/٣)، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، باب١: ١٦٢/٢١ برقم٣٨٥٤٥.

عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقاً، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي، أنه مر به أبو بكر- رضي الله عنه- وهو يبكي، فقال: مالك؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنهما رأي العين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والصبية فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر: فوالله إنا لكذلك. فانطلقا إلى رسول الله ﷺ ، فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة[1] يا رسول الله. وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: ((**لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**))[2].

وعن أنس، قال: قالوا: يا رسول الله، إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقناك كنا على غيره؟ قال: ((**كيف أنتم وربكم؟**)) قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: ((**ليس ذاك النفاق**))[3].)[4].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن ناساً قالوا له: إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم به إذا خرجنا من عندهم. قال ابن عمر: (كنا نعدها نفاقاً)[5].

وقال ابن أبي مليكه[6]: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يـــخاف

---

[1]- قال ابن منظور: (وفي حديث حنظلة:((...نافَقَ حَنْظَلَةُ)) ، أراد أنه إذا كان عِند النبي ﷺ أخْلَصَ وزَهِدَ في الدنيا، وإذا خرج عنه تَرك ما كان عليه ورَغِب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن؛ ما كان يَرْضَى أن يُسامِحَ به نفسَه). لسان العرب:٦/٢٣٦.

[2]- الحديث أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا: ص١١٩١ برقم ٦٩٦٦ (٢٧٥٠).

[3]- رواه أبو نعيم في "الحلية": ٣٣٢/٢، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" باب في الوسوسة: ٣٤/١، وزاد نسبته إلى أبي يعلى والبزار، وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح.

[4]- "جامع العلوم والحكم": ص٤٩٤.

[5]- رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان: ص١٢٣٦ برقم٧١٧٨.

[6]- ابن أبي مليكه، هو: عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة، الإمام الحجة الحافظ، تابعي، ثقة. ولد في خلافة علي أو قبلها، وكان عالما مفتيا صاحب حديث، معدود في طبقة عطاء، ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضا. مات سنة ١١٧هـ. انظر: "طبقات الفقهاء" للشيرازي: ص٦٥، "السير": ٨٨/٥، "تهذيب التهذيب": ٣٠٦/٥ (٥٢٣).

النفاق على نفسه)[1].

ثانياً: الرياء.

مما يشوب صفاء الإخلاص الرياء، وهو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس ليحمدوا صاحبها، أو ليعتقدوا فيه الصلاح، أو ليقصدوه بالعطاء؛ فهذا هو العمل لغير الله[2].

فقد أورد الله هذا الوصف الذميم في كتابه الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الماعون: ٤ — ٦.

قال الإمام الشوكاني[3] في معنى قوله تعالى "يراءون": (أي يراؤون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراؤون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم).[4]

---

[1]- أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب ٣٦ خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر: ص١١. وقال ابن حجر: (هذا التعليق وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه، لكن أبهم العدد. وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولا في كتاب الإيمان له، وعينه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه من وجه آخر مختصرا كما هنا، والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعقبة ابن الحارث، والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص. ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى- رضي الله عنهم). "فتح الباري"، كتاب الإيمان، باب (٣٦) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ولا يشعر: ١٤٨/١.

[2]- ولذا سمي الرياء شركاً أصغر. انظر التعريف في "فتح الباري": ٣٤٤/١١، و انظر أيضاً "كتاب التعريفات الاعتقادية": ص١٩٠.

[3]- الإمام الشوكاني، هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن. ولد سنة ١١٧٣هـ/١٧٦٠م بهجرة شوكان (باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها، ومات حاكما بها سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م . كان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها: "نيل الاوطار من أسرار منتقى الاخبار"، و"فتح القدير"، و"إرشاد الفحول" وغير ذلك. انظر: "البدر الطالع": ٧٦٨/٢ برقم٤٨٤، "الأعلام": ٢٩٨/٦.

[4]- "فتح القدير" للشوكاني، تفسير سورة الماعون: الآية ٦ (٦١٩/٥).

وقال عبد الرحمن الثعالبي[1]: (وقوله تعالى "الذين هم يراءون" بيان أن صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بإيمان، وإنما هي رياء للبشر فلا قبول لها)[2].

وكذلك ورد هذا الوصف في السنة النبوية المطهرة وفي آثار السلف الصالح.

من ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه ثم ألقي في النار**))[3].

وقد روي أن معاوية- رضي الله عنه- لما بلغه هذا الحديث، قال: (قد فُعل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من الناس؟)، ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا، ثم مسح عن وجهه وقال:

---

[1]- الثعالبي، هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي (٧٨٦هـ- ٨٧٥هـ/ ١٣٨٤م-١٤٧٠م)، مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق، من كتبه: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في أربعة مجلدات، "الأنوار في معجزات النبوية" وغير ذلك. وهو غير الثعالبي صاحب التفسير "الكشف والبيان في تفسير القرآن، فإن ذاك أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعالبي (قال ابن السمعاني: يقال له الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب) المتوفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م. انظر: "الضوء اللامع" للسخاوي: ١٥٢/٣ برقم٣٩٣ (طبعة دار الجيل)، والأعلام: ٣٣١/٣، وانظر عن النيسابوري في: "معجم الأدباء" لياقوت الحموي: ١٩٨/٢، "وفيات الأعيان": ٤٨/١، "السير": ٤٣٥/١٧، "طبقات الشافعية الكبرى": ٣٨٠/٢، "طبقات المفسرين" للداوودي: ص٥٠ برقم٥٩.

[2]- تفسير الثعالبي المسمى بـ"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، سورة الماعون، الآية ٦: ٦٣١/٥.

[3]- رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء: ص٨٥٢ برقم٤٩٢٣ (١٩٠٥).

(صدق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ – ١٦.[١]

قال الإمام النووي[٢]: (قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد، وعقاهم على فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ودليل على الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد اللهَ تعالى بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا).[٣]

فقد بانَ بهذا أن العمل لغير الله مردود غير مقبول، والعمل لله وحده مقبول، فبقي قسم آخر وهو أن يعمل العمل لله ولغيره؛ فلا يكون لله محضًا ولا للناس محضًا، فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله أم يبطل ما كان لغير الله ويصح ما كان لله؟ قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاثة:

---

[١]– أخرجه الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرياء والسمعة: ص٥٣٧ برقم٢٣٨٢ وحسنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٣٨/٢ برقم٤٠٨.

[٢]– النووي، هو: أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، علامة بالفقه والحديث، صاحب الأربعين النووية. ولد سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م في نوا (من قرى حوران في الشام)، تعلم في دمشق، صنف التصانيف النافعة كشرح مسلم، و"شرح المهذب"، و"المنهاج"، و"الأذكار"، و"ريالض الصالحين" وغير ذلك، بارك الله في علمه وتصانيفه، وقد كان شديد الورع والزهد، أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، هابه الملوك، تاركاً لجميع ملاذ الدنيا، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد أبي شامة، فلم يتناول منها درهما. مات في نوا سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. انظر: "طبقات الشافعية الكبرى": ٤٧١/٤، "البداية والنهاية" تحقيق التركي: ٣٢٢/١٣، "طبقات الحفاظ": ص٥١٣ برقم١١٢٨ (دار الكتب العلمية)، "الأعلام": ١٤٩/٨.

[٣]– شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار: ٥٣/٧ ح/١٩٠٥.

أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص، ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهذا المعول فيه على الباعث الأول[1] ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله، فيكون حكمه حكم قطع النية أثناء العبادة وفسخها.

الثاني: عكس هذا وهو أن يكون الباعث الأول لغير الله، ثم يعرض له قلب النية لله، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته[2]، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله، ثم قلب نيته لله عند الوقوف أوالطواف.

الثالث: أن يبتدئها مريدًا بها الله والناس، فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس؛ فهذا كمن يحج ليسقط الفرض عنه ويقال: فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك، فهذا لا يقبل منه العمل. وإن كانت النية شرطاً في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة[3]؛ فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه. فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعةً للمعبود ولم يؤمر إلا بهذا. وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر، وقد دلت السنة الصريحة على ذلك كما في قوله ﷺ: ((**يقول الله عز و جل يوم القيامه: أنا أغنى الشركاء عن الشرك،**

---

[1]- قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": (في المسألة خلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لايبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره، ويستدل لهذا القول بما خرّجه أبو داود في "المراسيل" عن عطاء الخراساني (برقم٣٢١ ص٢٤٢)، وهو على إرساله ضعيف من جهة الإسناد، والله أعلم) أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن بني سلمة كلهم يقاتل: فمنهم من يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأيهم الشهيد؟ قال: ((كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا)).) "جامع العلوم والحكم": ٨٣/١.

[2]- هذا فيما لا ارتباط فيه لأول العمل بآخره كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد النية. انظر المرجع السابق.

[3]- بخلاف الكفارات وقضاء الديون فإنه لا تشترط فيها النية، كما لو كُفّر عنه أو قُضي دينه عنه دون علمه.

فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، فهو كله للذي أشرك به))[1].

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠[2].[3]

وهناك شبهة تطرأ على بعض الناس: أنه إذا نوى العمل لله ثم لا يعمله خوفاً أن يقع في الرياء، فما حكمه؟ والجواب نجده في كلام السلف، فقد قال الفضيل بن عياض: (ترك العمل من أجل الناس رياء)[4].

قال الإمام النووي- رحمه الله- موضّحاً قول الفضيل: (ومعنى كلامه- رحمه الله- أن من عزم على عبادة وتركَها مخافة أن يراه الناس فهو مراءٍ، لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة، أو يكون عالماً يقتدى به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل)[5].

هذا، وقد تكلم علماء التتر في مسألة الرياء، ونبهوا على خطورة أمره، وذكروا بعض مظاهره، فمن كلامهم ما يلي:

قال داملا عطاء الله القورصاوي صاحب "كتاب الرقاق"[6]: (من اتصف في الظاهر

---

[1]- رواه مسلم، وقد سبق تخريج الحديث في ص ٨٢.

[2]- وسبب نزول الآية ما خرّجه الحاكم (١٢٢/٢ برقم٢٥٢٧) والبيهقي في الشعب (٢٢٤/١٢ برقم٦٤٣٨) من حديث ابن عباس، قال رجل: يا رسول الله، إني أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطني؟ فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾. وانظر "الدر المنثور" للسيوطي: ٦٩٦/٩.

[3]- انظر "إعلام الموقعين" لابن القيم: ٤٣٦/٣، وانظر "جامع العلوم والحكم" لابن رجب: ٧٩/١-٨٤.

[4]- أخرج هذا الأثر البيهقي في "شعب الإيمان": ٢٤٠/١٢ برقم٦٤٦٩، وأبو نعيم في "الحلية": ٩٥/٨.

[5]- "شرح الأربعين النووية": ص١١، المطبوع ضمن "جامع العلوم والحكم"، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤١٢هـ، وانظر أيضاً الرسالة العلمية "أعمال القلوب": ٢٩١/١. وقد جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (٧٦٨/١) أن قول الفضيل- رحمه الله: (إن ترك العمل من أجل الناس رياء)، ليس على إطلاقه بل فيه تفصيل، والمعول في ذلك على النية...فإذا وقع للإنسان حالةٌ تَرَكَ فيها العملَ الذي لا يجب عليه لئلا يظن به ما يضره، فليس هذا من الرياء، بل هو من السياسة الشرعية. وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به. أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي. أ.هـ. باختصار.

[6]- عطاء الله القورصاوي، وهو: أبو الحسن داملا عطاء الله بن محمدي القورصاوي الحنفي، والقورصاوي نسبة إلى بلدة قورصا في تتارستان، المتوفى سنة ١٣١٢هـ، لقد شرح "الأحاديث الشريفة المنتخبة من الكتب المعتبرة"=

بأمر لا يكون في السر، فهو مراءٍ، ومثاله: رجل يقف في الصلاة على هيئة الخشوع عند العلانية دون السر)[1].

وقال المفتي رضاء الدين التتري في بيان الرياء: (لكي تكون الأعمال مقبولة عند الله لا بد أن تكون سليمة من الرياء)[2]، وقال أيضاً: (إن العمل إذا لم يدخله الرياء، فإن أجره سيكون كبيراً، ولكن التحفظ من الرياء ليس أمراً يسيراً)[3].

وكذلك ذكر مسألة الرياء ومظاهرها بعض أهل العلم من المعاصرين، فقال صاحب كتاب "التوحيد": (ومن الشرك الأصغر الأعمال التي عُملت رياءً، أي: ليراها الناس، ومن ذلك أن يقوم شخص للصلاة ليراه الناس مصلياً، أو ليقال: رجل صالح. وكذلك في نفس الحكم تصدُّقُ الشخص إظهاراً لكرمه. فليعلم هؤلاء أن هذا العمل ليس له إلا إثم)[4].

وقال صاحب كتاب "قل هو الله أحد": (ومن أمثلة ما يُعمل من العبادات رياءَ الناس أنّ بعض الناس لا يصلون إلا إذا جاء في المسجد أو إذا جاء في بيته أحدٌ ممن يلتزم بالصلوات، فيصلي معهم ليروه مصلياً. ومن ذلك ما يعملونه للسمعة: كأنْ يؤلّف شخص كتاباً ليسمع عنه الناس، أو يبنيَ مسجداً، أو يجوّدَ القرآن في المجالس، أو يُكثرَ من الذكر وغير ذلك من الطاعات التي يعملها شُهرةً ليسمعَ عنه الناسُ)[5].

ثم ذكر هذا المؤلف بعد ما ساق أدلة تحريم الرياء أن الرياء مما يشوب التوحيد؛ ولذا سمي شركاً أصغر، وهو لا يعود على المسلم إلا بالضرر؛ فالله تعالى لا يحبه، ولا يقبل عمله، وهو يجلب على نفسه غضب الله، ويعرض نفسه لعذاب القبر وعذاب الآخرة. والله المستعان.[6]

=للعالم التتري الآخر وهو أبو عبد الرحمن عبد الخالق بن إبراهيم القورصاوي المتوفى سنة ١٢٥٩. انظر مقدمة "كتاب الرقاق": ص١-٢، ولم يذكره مراد رمزي في "وقائع قازان" وذكر شيخه عبد الخالق القورصاوي.

[1]- "كتاب الرقاق" لأبي الحسن القورصاوي: ص١٤٦ عند حديث رقم٢٣٣.

[2]- "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين: ص٣٣.

[3]- المرجع السابق: ص١٧.

[4]- "التوحيد" لعبد الملك إبراهيم: ص١٢.

[5]- "قل هو الله أحد" لإدريس علاء الدين: ١٨٣.

[6]- انظر المصدر السابق: ص١٨٦.

ثالثاً: حظوظ النفس.

أريد أن أستهل هذا النوع بما استهل به الإمام البخاري صحيحه، حيث قال: عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**))[1].

فهذا الحديث يبين لنا أن هناك ما يشوب الإخلاصَ في العبادةِ والتقرّب إليه غيرَ النفاقِ والرياء، وهو إرادةُ عرضٍ من أعراض الدنيا. ويكون حكم هذه الأعمال مختلفاً باختلاف النيات والمقاصد بها.

فمن هاجر إلى دار الإسلام حبا لله ورسوله ورغبةً في تعلمِ دين الإسلام وإظهارِ دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك، فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقاً، ومن كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام ليطلب دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه، فالأول تاجر، والثاني خاطب، وليس واحدٌ منهما بمهاجر يؤجر على هجرته.

والهجرة لأمور الدنيا لا تنحصر، فقد يهاجر الإنسان لطلب دنيا مباحةٍ تارةً ومحرمةٍ تارة أخرى، وأفراد ما يقصد بالهجرة من أمور الدنيا لا تنحصر أيضاً، فلذلك قال: ((**فهجرته إلى ما هاجر إليه**)) يعني: كائناً ما كان.[2]

قال الحفظ ابن رجب إن سائر الأعمال تكون كالهجرة في هذا المعنى، فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد، والحج، وقراءة القرآن، والإمامة، والتعلم، وغيرها. ...وإن خالط النيةَ الصالحةَ نيةٌ غيرُ الرياء، مثلُ أخذِ الأجرةِ على الجهاد، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو إرادة التجارة، نقص بذلك أجرُ الجهاد، ولم يبطل بالكلية[3]، لما ورد في

[1]- **رواه البخاري واللفظ له في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي: ص١ برقم١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنية)): ص٨٥٣ برقم ٤٩٢٧ (١٩٠٧).**

[2]- **انظر "جامع العلوم والحكم":١/٧٣.**

[3]- **"جامع العلوم والحكم" بتصرف بسيط: ص٧٥، ص٨١-٨٢.**

صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: ((**ما من غازية تغزو فى سبيل الله، فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثى أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**))[1].

وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره[2].

وقال أيضا فيمن يأخذ جعلا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئا أخذه[3]. وهذا المعنى مروي عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنه- حيث قال: (إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقا فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم إن أعطي درهماً غزا، وإن مُنع درهماً مكث، فلا خير في ذلك)[4].

وكذا قال الأوزاعي[5]: إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسا[6].

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج ليحج به: إما عن نفسه أو عن غيره؛ وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الجمّال، وحج الأجير، وحج التاجر: هو تام لا ينقص من أجورهم شيء، وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.[7]

---

[1]- رواه مسلم في الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم: ص٨٥٣ برقم٤٩٢٥ (١٩٠٦).

[2] - انظر "جامع العلوم والحكم": ص٨٢.

[3]- "جامع العلوم والحكم": ص٨٢.

[4]- المصدر السابق.

[5]- الأوزاعي، هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي الثقة المأمون من كبار تابعي التابعين وأئمتهم البارعين، ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ، وهو منسوب إلى الأوزاع وليس منهم وإنما كان نازلا فيهم، وهي قرية كانت من دمشق، وقيل: قبيلة من اليمن، وقيل غير ذلك.كان إمام أهل الشام في زمنه، أفتي في سبعين ألف مسألة، قيل: الأئمة في الحديث أربعة: الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد. روى عن عطاء والزهري، روى عنه مالك والثوري وأهل الشام، مات سنة ١٥٧هـ، ويذكر في سبب موته أنه كان مرابطا ببيروت ودخل الحمام، فزلق، فسقط وغشي عليه ولم يعلم به حتى مات فيه. انظر: "وفيات الأعيان": ٦١/٢، "السير": ١٠٧/٧، "رجال صحيح البخاري": ٤٥٠/١، "شذرات الذهب": ٢٤١/١، "المنتظم": ١٩٦/٨، "الأعلام": ٣٢١/٣.

[6]- "جامع العلوم والحكم": ص٨٢.

[7]- المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾الحج: ٢٧ – ٢٨، قال ابن عباس: أي منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات. وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة، كقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ البقرة: ١٩٨.[1] قال أبو الليث السمرقندي[2]: أي لا مأثم عليكم أن تطلبوا رزقاً من ربكم من التجارة في أيام الحج[3].

وقال القرطبي[4]: ولا خلاف في أن المراد بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ البقرة: ١٩٨، التجارة.[5]

لكن لو لم يكن له غرض في هذه الأعمال إلا الدنيا، فلا أجر له[6]، كما ورد ذلك في الأحاديث، و منها ما خرّج أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله،

---

[1]- "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير: ٤١٤/٥. وانظر تفسير هذه الآية من تفاسير أخرى، فكلها في هذا المعنى.

[2]- أبو الليث السمرقندي، هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، علامة من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف، منها: "بحر العلوم" في تفسير القرآن، وكتاب "النوازل" في الفقه، و"خزانة الفقه"، و"تنبيه الغافلين"، وكتاب "بستان العارفين"، و"مختلف الرواية". توفي سنة ٣٧٥هـ. انظر: "سير أعلام النبلاء": ٣٢٢/١٦، "الجواهر المضية في الطبقات الحنفية": ٥٤٤/٣، "الوافي بالوفيات": ٥٤/٢٧ برقم٥٦، "تاج التراجم": ص٢٧٥، "الأعلام": ٢٧/٨.

[3]- "بحر العلوم" لأبي الليث السمرقندي: سورة البقرة، الآية ١٩٨: ١٥٩/١.

[4]- القرطبي، هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، الإمام، المفسر، صاحب التفسير المشهور "جامع أحكام القرآن"، وله "الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى"، وكتاب "التذكار في أفضل الأذكار"، "التذكرة في أمور الآخرة" وغير ذلك. مات بمنية بني حصيب سنة ٦٧١هـ. انظر: "الديباج المذهب": ٢٤٣/٢ برقم١١٥، و"طبقات المفسرين" للسيوطي: ص٧٩ برقم٨٨، و"شذرات الذهب": ٣٣٥/٥.

[5]- "الجامع لاحكام القرآن": عند تفسير قوله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم)، الحج: ٢٧ – ٢٨: ٤٠/١٢.

[6]- انظر "جامع العلوم والحكم":٨٢/١.

رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**لا أجر له**))، فأعاد عليه ثلاثاً، والنبي ﷺ يقول: ((**لا أجر له**))[1].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وفي روايات أخرى: ...يقاتل شجاعة، ...ويقاتل حمية، ..وغضباً، فمن في سبيل الله؟ فكان جواب النبي ﷺ: ((**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**))[2]. فخرج بهذا كلُّ ما سألوه عنه من المقاصد الدنيوية.

وكما ورد الوعيد على تعلم العلم لعرض من الدنيا، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ النبي ﷺ قال: ((**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**))[3].

يقول العالم التتري رضاء الدين بن فخر الدين- رحمه الله- مبيناً خطورة إرادة عرض من الدنيا بأمر من أمور الدين:

(اتخاذ العلوم الدنيوية والتخصصات الفنية المختلفة وسيلةً لتحسين المعيشة لا يضر في الدين. أما لو أراد الإنسان أن يحصل على منفعة دنيوية كجمع صدقات الناس واستقبال هداياهم وحضور عزائمهم متخذا القرآن الكريم وسيلة لذلك؛ فهذا عمل قبيح وضلال مبين. إن من يفعل ذلك فإنه بدلا من أن ينال بشارة قوله ﷺ: ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**))[4] يقع في الوعيد المخصص لمن أكل أموال الناس بالباطل!)[5].

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في من يغزو و يلتمس الدنيا: ص٤٤٢ برقم ٢٥١٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي؛ انظر "مستدرك الحاكم": ٩٤/٢ برقم٢٤٣٦. وحسنه الألباني. انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود في طبعة مكتبة المعارف المزوّدة بأحكام الألباني.

[2] – أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ص٤٦٦ برقم٢٨١٠، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ص٨٥٢ برقم٤٩١٩ (١٩٠٤).

[3]- رواه أبو داود في كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله: ص٦٥٩ برقم ٣٦٦٤، وابن ماجه في كتاب السنة، باب الانتفاع بالعلم و العمل به: ص٦١ برقم٢٥٢، وصححه الألباني في الموضعين المذكورين من السنن في الطبعة المزوّدة بأحكامه. و عَرْف الجنة أي ريحها. انظر"النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير: ص٦٠٧.

[4]- أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم الكتاب وعلمه: ص٩٠١ برقم ٥٠٢٧.

[5]- "شرح جوامع الكلم": ص٢٢٩ (ح١٣٥).

ومما يخل بالإخلاص مما هو من حظوظ النفس العجبُ بالنفس؛ فإنه مزيل لثواب العمل لأن العامل يريد من وراء عمله شيئاً هو معجب به بنفسه، لا مجردَ تعبدٍ لله!

قال أحد دعاة التتر صاحب الكتاب "عماد الإسلام" بعد أن ذكر أنواعاً من الصلوات والأذكار النافلة، قال: (وإياك والعجب بعملك؛ فلا تغفل عن ذلك، فإنه قد يمسح ثواب عملك كله!)[1].

وفي الجملة كل حظ من حظوظ الدنيا أو عرض من أعراضها تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكدرت به صفوته، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، كثير النسيان، عظيم الميل إلى الدنيا، شديد الاغترار بها، قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأعراض عاجلة من هذه الأجناس. فلذلك يصح أن نقول إن الإخلاص الكامل لا يتصوّر إلا لمستغرق في حب الله ورعاية الدار الآخرة، ولا يتصور ذلك إلا ممن وفّقه الله تعالى، إذ مَنْ منا لا يشتهي الطعام؛ لأنه طعام، بل لأنه يقويه على عبادة الله، ومن الذي ينام ليتقوى على عبادة الله، ومن الذي يقضي حاجاته الضرورية ليستعين بذلك على عبادة الله تعالى!؟

إذاً، ينبغي للعبد أن يجعل الإخلاص التام هو الهدف في النيات، ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان، ولا يغتر بالدنيا، فليكن شغله الشاغل هو إفراغ القلب من التعلق بها والاستغراق في محبة الله.

مَنْ صدق في قول: لا إله إلا الله، لم يحب سواه، ولم يرجُ إلا إياه، ولم يخشَ أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، فلم يبقَ له بقية من آثار نفسه وهواه.[2]

وفي المباحث التالية سأتحدث- إن شاء الله- عن هذه الأمور الأربعة وهي: المحبة، والرجاء، والخوف، والتوكل.

---

[1]- "عماد الإسلام" لأبي عبد الرحمن شاكر جان التتري: ص٦٨ (ترجمته عن اللغة التترية).

[2]- انظر "الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب"- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها: ص٢٣١.

المبحث الثاني: المحبة:

المطلب الأول : حقيقة المحبة الشرعية و تقريرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المطلب الأول
حقيقة المحبة الشرعية و تقريرها عند التتر

سأتحدث في هذا المطلب عن مقام عظيم وعمل كبير من أعمال القلوب، بل عن أساس أعمال القلوب جميعها، ألا وهو محبة الله سبحانه وتعالى.

وما أحسن ما قال عنها الإمام الرباني ابن القيم- رحمه الله: (هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروّح العابدون.

فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها...

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدّر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب[1]، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة).[2]

ولبيان حقيقة هذا العمل القلبي سوف أتحدث عنه من خلال المسائل التالية:

---

[1]- كما في الصحيحين عن أنس، أن رجلا سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال: ((ما أعددت لها؟))، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: ((أنت مع من أحببت)). أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز و جل: ص١٠٧٥ برقم٦١٧١، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب: ص١١٤٩، برقم٦٧١٠ (٢٦٣٩).

[2]- "مدارج السالكين": ٨/٣.

المسألة الأولى: تعريف المحبة لغة:

المحبة اسم للحب وهو الوداد، مأخوذ من أحبّه يحبّه، والفاعل: محِبٌّ، والمفعول به: محبوب (على غير قياس) ومُحَبٌّ (وهو قليل الاستعمال).[1]

المسألة الثانية: تعريف المحبة شرعاً:

قال ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله: (وقد اختُلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً، ولا تُحدّ المحبةُ بحدّ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك)[2].

وقد ذكر ابن القيم- رحمه الله- ثلاثين تعريفاً في المحبة ورد عليها بأن أكثرها في حكم المحبة وآثارها وموجباتها ومقتضاها وشواهدها وحقوقها وثمراتها.

وسبب هذا الاختلاف في تعريف المحبة يرجع إلى أن الشيء- كما قال ابن القيم- إذا كان من الأمور الوجدانية الذوقية التي إنما تعلم بآثارها وعلاماتها، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف، وكان له لوازم وآثار وعلامات متعددة، اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف هذه الأشياء. وهذا شأن المحبة؛ فإنها ليست- بحقيقة معانيها- تُرى بالأبصار، فيشترك الواصفون لها في الصفة. وهي في نفسها متفاوتة أعظم تفاوت، كما بين العلاقة التي هي تعلق القلب بالمحبوب، والخلة التي هي أعلى مراتب الحب، وبينها درجات متفاوتة تفاوتاً لا ينحصر، ولها آثار توجبها وعلامات تدل عليها، فكلٌّ أدرك بعضَ علاماتِها فعبّر بحسب ما أدركه، وهي وراء ذلك كله: ليس اسمها كمسمّاها، ولا لفظها مبين لمعناها، وكذلك اسم المصيبة والبلية والشدة والألم إنما تدلّ أسماؤها عليها نوع دلالة لا تكشف حقيقتها، ولا نعلم حقيقتها إلا بذوقها ووجودها، فالحدود والرسوم التي قيلت في المحبة صحيحة غير وافية بحقيقتها بل هي إشارات وعلامات وتنبيهات.[3]

---

[1]- انظر "لسان العرب": ٦/٢، و"القاموس المحيط": ص٧٠، و"مختار الصحاح": ص٥٩.

[2]- "شرح العقيدة الطحاوية": ١/ ١٣٢ (ص٨٩- طبعة المكتب الإسلامي).

[3]- انظر "طريق الهجرتين" لابن القيم: ص٦٣٩، ٦٧٠.

المسألة الثالثة: منزلة المحبة:

إذا كان الإخلاص أصل الأعمال من حيث القبول، فالمحبة أصل الأعمال من حيث المبدأ.

قال ابن القيم– رحمه الله: (فالحب والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه، والبغض والكراهة أصل كل ترك ومبدؤه، وهاتان القوتان في القلب أصل سعادة العبد وشقاوته ووجود العقل الاختياري لا يكون إلا بوجود سببه من الحب والإرادة، وأما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضاه وسببه، وتارة يكون بوجود البغض والكراهة المانع منه)[1]. فالإنسان لا يعمل إلا لـــما يحبّ: إما لجلب منفعة أو دفع مضرة، فإذا عمل شيئاً فلأنه يحبه؛ إما لذاته كالطعام، أو لغيره كالدواء.

قال ابن تيمية– رحمه الله: (فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن المحبة: إما محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة. فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى،... فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه.

...فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده، فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة)[2].

أما العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله فلا يكون عملاً صالحاً[3]، ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم أوصلتهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله.

والمحبة على المراتب: منها ما هي مجرد تعلق القلب بالمحبوب، ومنها ما يوصل إلى عبادة المحبوب– وهي من أعلى مراتب المحبة.

المسألة الرابعة: مراتب المحبة:

قسم أهل العلم المحبة إلى مراتب أوصلها بعضهم إلى نحو عشر مراتب، كما يلي:

---

[1]– "الجواب الكافي": ١٣٦/١.

[2]– "مجموع الفتاوى": ٤٩/١٠ ، ٥٦/١٠.

[3]– مجموع الفتاوى: ٤٩/١٠.

أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهو الحب الملازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته لغريمه، ومنه سمي عذاب النار غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الفرقان: ٦٥ .

الخامسة: المودة: من الود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم: ٩٦ .

السادسة: الشغف، وهو وصول المحبة إلى شغاف القلب. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ يوسف: ٣٠. والشغف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب[١].

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه. ولا يُوصَف به الرب سبحانه وتعالى، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم. واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك. ولعل امتناع إطلاقه: أن العشقَ محبةٌ مع شهوة.[٢]

الثامنة: التتيُّم، وهو بمعنى التعبد. يقال: تَيْمُ اللهِ، أي: عبد الله.

التاسعة: التعبد، وهو فوق التتيُّم، فهو عندما يصبح المُحِبُّ كله عبداً لمحبوبه ظاهراً وباطناً، في غاية التذلل وغاية الخضوع للمحبوب. وهذه هي حقيقة العبودية، ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله عزّ وجلّ.[٣]

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحِب وقلبَه حتى لم يبقَ فيه موضع لغير المحبوب. وهي أعلى مراتب الحب، حيث تتضمن كمال المحبة ونهايتها.

---

[١]- الشغف هو: غشاء القلب. انظر "لسان العرب": ٣/٤٤٩.

[٢]- ذكر هذا التعليل ابن أبي العز في شرحه للطحاوية (ص٨٨) في سياق بيان مراتب المحبة، وهناك تعليل آخر ذكره ابن القيم- رحمه الله- حيث قال: (لا تسمى محبة العبد لربه عشقا؛ لأنه إفراط المحبة، والعبد لا يصل في محبة الله إلى حد الإفراط البتة والله أعلم). "مدارج السالكين": ٣/١٧.

[٣]- انظر "مدارج السالكين": ٣/٢٩-٣١ بتصرف.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريبي قابل للتغيير: التقديم والتأخير والزيادة والنقصان، ولا يلزم في الوصول إلى مرتبة من مراتب المحبة المرور بمراتب قبلها!

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص.[1]

ثم إن هذه المحبة تنقسم -كما سبق ذكره- إلى محمودة ومذمومة. أما المذمومة فأؤجِّل الحديث عنها إلى المطلب الثاني، وأما المحمودة وهي المشروعة، فقسمتها ثلاثة أنواع:

المسألة الخامسة: أنواع المحبة المشروعة:

وهي ثلاثة أنواع:

الأول: محبة المحبوب لذاته، وهي محبة الله. وليس شيء يُحَبّ لذاته إلا الله وحده، وكل ما سواه مما يُحَبّ فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى. وإنما لا يُحَبّ لذاته إلا من كان كماله وغناه من لوازم ذاته وإلهيته وربوبيته. فلذلك من أحب الله حق محبته أثبت له تمام ربوبيته وألوهيته، وذلك من كمال الإيمان، لا يجد حلاوته إلا من كان فيه ثلاث خصال، ومنها -كما قال النبي- ﷺ: ((**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..**))[2].

الثاني: محبة المحبوب لغيره، وهي محبة ما يحب الله. وهذا النوع ينتهي الى محبة المحبوب لنفسه. فكل ما سوى الله مما يُحَبّ فإنما محبته تبع لمحبة الله كمحبة ملائكته، وأنبيائه، وأوليائه، فإنها تنتهي إلى محبته سبحانه، وهي من لوازم محبته؛ فإن محبة المحبوب توجب محبةَ ما يحبه وبغضَ ما يبغضه. وهذا هو كمال العبودية؛ فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.[3]

ومن هذا الباب قال بعض السلف: من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة[4]؛ لأن الطاعة مما يحب الله، فكانت من لوازم محبته.

---

[1]- **مراتب المحبة وما بعده من الكلام نقلته بتصرف بسيط من "شرح العقيدة الطحاوية": ١/١٣١-١٣٢.**

[2]- **هذا جزء من الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وسيأتي ذكره بتمامه وتخريجه في ص١١٤.**

[3]- **هذا تعريف العبادة قد ذكره الإمام ابن تيمية في رسالته "العبودية" المطبوعة ضمن مجموع الفتاوى: ١٤٩/٢.**

[4]- **أخرج هذا الأثر أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء" عن عتبة الغلام: ٢٣٦/٦.**

قال شارح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي: (فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغضه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال)[1].

قال ابن القيم: (وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسوله وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرسِله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لحب الله له. ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة- رضي الله عنهم- وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله لهم)[2].

وهذا النوع من المحبة يشترط فيه أن تكون في ذات المحبوب (في الله ولله)، أي: أن تكون محبةُ ما يحبه الله محبةً لوجه الله، وهي من لوازم محبة ما يحب الله، ولا تستقيم محبةُ ما يحِبُّه الله إلا فيه وله، أي إذا أحببتَ شيئاً مما يحبه الله، فلا بد أن تحبه لله، أي: موافَقةً لله لا موافَقةً لهواك، وإلا كانت محبةً مع الله أو محبة لغير الله[3]. فإن كانت العبودية لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة، فإن المحبة في الله من لوازم العبودية وموجباتها. وقد جاء في السنن: ((**من أحبّ لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**))[4]. وهذه المحبة قد ذكرها رسول الله ﷺ وعدها من الثلاثة الموجبة لحلاوة الإيمان: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**))[5].

---

[1]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٢/٤٣٣.

[2]- "جلاء الأفهام" لابن القيم: ص٢٠٥.

[3]- كمن هاجر – مثلا– إلى بلاد الإسلام لا موافقة لشرع الله بل لأجل امرأة ينكحها.

[4]- أخرجه أبو داود في سننه عن أبي أمامة مرفوعا، أول كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: ص٨٤٥ برقم٤٦٨٠، وأخرج الترمذي في الجامع عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه نحوه مع زيادة في آخره: ((وأنكح لله))، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ٦٠: ص٥٦٨ برقم٢٥٢١، وأحمد في مسنده: ٣٩٩/٢٤ برقم١٥٦٣٨، وقد صحح الحديث بمجموع طرقه الألباني، انظر "السلسلة الصحيحة" للالباني: م١/قسم٢/ص٧٢٨ برقم٣٨٠.

[5]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان: ص٣ برقم ١٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان: ص٦٨٧- ٦٨٨ برقم ٦٧ (٤٣). طبعة دار السلام- موسوعة الحديث الشريف.

وفي حديث آخر: ((**ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبّاً لصاحبه**))[1]، فإن هذه المحبة من لوازم محبة الله و محبة ما يحبه الله، وكل ما كانت أقوى كان أصلها كذلك.[2]

الثالث: المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد. فهذه من قسم المباحات، ولا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ المنافقون: ٩، ولكن إذا قصد بهذه المحبة الاستعانة على عبادة الله، وتوسَّل بها إلى ما يحبه الله صارت عبادة، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، ولأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد[3].[4]

[1]- أخرجه أبو داود الطيالسي من حديث أنس- رضي الله عنه: ٢/٥٠٠، برقم ٢١٦٦، وقال محققه: إسناده حسن، وصححه الحاكم في مستدركه: ١٨٩/٤ برقم٧٣٢٣، وابن حبان في صحيحه: ٣٢٥/٢ برقم٥٦٦، وقال الهيثمي أن في الإسناد مبارك بن فضالة، وقد وثقه غير واحد على ضعف فيه. وقال محقق صحيح ابن حبان: وضعفه ناشئ من تدليسه، وقد صرح بالسماع في إسناد المؤلف والبخاري في الأدب المفرد، فزالت شبهة تدليسه، فثبت الحديث. وللحديث طرق أخرى. انظر تحقيق شعيب الأرنؤوط في حاشية ابن حبان: ٣٢٦/٢.

[2]- انظر "الجواب الكافي" لابن القيم: فصل في أنواع العبادة ص١٦٤، وفصل في المحبوب ص١٦٧، وانظر شرح قول الطحاوي (ونحب أهل العدل..) لابن أبي العز: ٤٣٣/٢.

[3]- الوسائل لها حكم المقاصد. انظر "قواعد الأحكام في مصالح الأنام": ص٥٨، و"إعلام الموقعين": ٥٥٣/٤.

[4]- لقد تنوعت طرق أهل العلم في تقسيم المحبة، فقسمها أبن القيم في كتابه "طريق الهجرتين" (ص٦٤١-٦٤٢) إلى قسمين: الأول: محبة مشتركة، وهي ثلاثة أنواع: - محبة طبيعية مشتركة، - محبة رحمة وإشفاق، - محبة أنس وإلف، الثاني: محبة خاصة، وهي محبة العبودية. وتبعه في ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه "تيسير العزيز الحميد (ص٨٢٥)، والشيخ محمد بن عثيمين في "القول المفيد" (٤٤/٢-٤٦). وفي الجواب الكافي (ص١٦٤) قسمها ابن القيم إلى خمسة أقسام: ١- محبة الله، ٢- محبة ما يحب الله، ٣- الحب لله وفيه، ٤- المحبة مع الله، ٥- المحبة الطبيعية، وتبعه في ذلك الشيخ السعدي في "القول السديد" (ص١١٨)، لكن جعلها أربعة أقسام: ١- محبة الله، ٢- المحبة في الله، ٣- المحبة مع الله، ٤- المحبة الطبيعية. ولا خلاف بين هذه التقسيمات، فإنما هي وضعت لزيادة البيان وتيسير التأمل في مفهوم المحبة، والله أعلم. ويستفاد في الموضوع من الرسالة "أعمال القلوب" لسهل العتيبي: ١٨٤/١.

المسألة السادسة: أقوال علماء التتر في مسألة المحبة:

هناك كتابات كثيرة تدل على اهتمام علماء التتر بمسألة المحبة، فهي تبرز من خلال كتبهم ومقالاتهم، ومنها:

قول المفتي رضا الدين بن فخر الدين التتري في القرن الماضي: (الأصل المقصود من وجود بني آدم في هذه الدنيا وممارستهم الحياة فيها هو معرفة الغرض الذي وجدوا من أجله، والتفتيش عن العلاقة التي بين مقامي البشرية والإلهية، ومعرفة الله ومحبته وفقاً لتعاليم القرآن والسنة. ... ومن لم يرَ الله محبوباً ومستغاثاً، ولم يعرفه إلهاً وحامياً وملجأً ومعبوداً حقاً ؛ لن ينال صلاحاً وفلاحاً، نعمةً ولذةً، غنىً ونجاحاً. لا تتصور لذة أعلى ولا غنى أكبر من لذة معرفة الله ومحبته. ومن أظهر العلامات الدالة على صحة المحبة من عدمها هي الموافقة لأمر المحبوب ومراده. ولذا إذا ادّعى أحدٌ حبَ الله فليحذر أن تكون مجردَ دعوى وخيالاً كاذباً، فليمتحن نفسه وليضَعْ دعواه على ميزان العمل:

- فإن كان مطيعاً لله في أوامره كانت دعوى محبته صادقة،
- فإن لم يكن مطيعاً ألبتة أو لم تصل طاعته الدرجة اللازمة كانت دعواه كاذبة.

وقد صدق الشاعر إذ يقول:

(تعصي الإله وأنت تظهر حبّه
هذا لعمري في الفعـــال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[1]).[2]

وقال أيضاً في موضع آخر من كتابه: (لا يجوز أن تثير الشبه وتعترض على الدين بمثل: لماذا كان بعض الصلوات أربع ركعات وبعضها ثلاثاً؟! لا، فإن وظيفة المحبِّ أن يمتثل لمراد المحبوب لا أن يعترض عليه! ولا يفهم من أداء الصلاة، وحج البيت، وصوم رمضان

[1]- هذه الأبيات عزاها البيهقي في " شعب الإيمان " ١/٣٨٦ إلى أبي العتاهية. وقيل هي من نظم محمود الوراق.

[2]- "شرح جوامع الكلم": ص٥٩٠، ٥٩١، ثم أعاد المؤلف مضمون كلامه هذا لأهميته في ص٥٩٣.

وغيرها من الأعمال أنها مجرد حركات ورسوم ومادة صِرفة؛ لأنها لا بد أن تتصل بأمور معنوية كالفكر، والنية، والإخلاص)[1].

ويقرر عالم تتري آخر صوفي إلاهيار أن المحبين لله هم الذين يتّبعون أمره ولا يخالفونه، فيقول في بيت شعري ما معربه:

(المحبّون لله في جميع الأحوال: صباحاً و مساءً ،

لن يخالفوا أمر حبيبهم أبداً)[2].

وقال أحد التتر المعاصرين صاحب كتاب "قل هو الله أحد": (وكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" لها شروط، ومنها المحبة؛ فيجب على المؤمن أن يحب كلمة الإيمان، لأنه من لا يحب الله تعالى لا يحب دينه، ومثل هذا لا يمكن أن يكون مؤمناً)[3].

وقال رئيس مجلس القضاة في جمهورية تتارستان حضرت جليل فضلي[4]- وفقه الله لما يحبه ويرضاه: (طبعاً، أعظم محبة لا بد أن تكون لله وحده. أما المحبة التي تنشأ بين اثنين إن ألهت عن الله فستؤدي إلى الشقاء).

وقال في موضع آخر: (لا بد أن نؤسّس محبة الله في قلب الطفل إلى السابعة من عمره)[5].

فهذه هي أنواع المحبة المشروعة، وهي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان السعادة، وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه وآخرته، وهي عنوان الشقاوة. لننتقل الآن إلى المطلب الثاني وهو مظاهر الانحراف في مسألة المحبة.

---

[1]- "شرح جوامع الكلم": ص٥٩٤.

[2]- "ثبات العاجزين" ترجمته من التترية: ص٥٧/ب٦٠٣.

[3]- "قل هو الله أحد" لإدريس علاء الدين الإمام القاضي في إحدى مناطق تتارستان. انظر: ص٣٦.

[4]- حضرت جليل فضلي، هو: رئيس قضاة جمهورية تتارستان حاليا.

[5]- مجلة "التقويم الإسلامي التتري لعام ٢٠٠٣م": ١٦، ٨٥.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها

قد تكلمنا في المطلب السابق عن حقيقة المحبة، وواجب العباد فيها، وأنها موجبة لرضى الله ومحبته. وذكرنا أيضا أنّ هذه المحبة المحمودة على أنواع، ولكن هناك أنواعاً من المحبة منحرفة أو مخالفة تماما لأصلها المحمود. فهذه نطلق عليها اسم المحبة المذمومة، ويمكن بيانها بما يأتي:

الأول: المحبة مع الله:

محبة الله تعالى من أعظم واجبات الدين، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، ويقابلها المحبة مع الله؛ فمن أحب مع الله مخلوقا مثل ما يحبه فهو من الشرك الذي لا يُغفر لصاحبه، ولا يُقبل معه عمل، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥.

ذكر سبحانه أن المشركين يحبون أندادهم كحب الله، فدل ذلك على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، و لم يدخلهم ذلك الإسلام لإشراكهم الأنداد في حب الله، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده و لم يحب الله![١].

ووجود هذا النوع من الانحراف أو أشد منه – وهو عدم حُبِّ الله – من المهالك الموبقات التي ابتلي بها كثير من الشعب التتري[٢]. فبعض الناس ما زالت فطرتهم الإسلامية بعد انهيار الشيوعية تترنح تحت أدران عقيدتها التي غطّت قلوب العباد بالكفر والإلحاد[٣]. فكثير منهم لا يعرف عن حب الله شيئاً، بل يحبون هذه الحياة الدنيا وحدها، فضلاً عن

[١]– انظر "تيسير العزيز الحميد". ٢٨٩/١.

[٢]– بل عمت بها البلوى الاتحاد السوفييتي كله، وليست هي في التتر وحدهم. ويتبين ذلك من خلال الأعمال الظاهرة وقرائن الأحوال التي تدل على ضعف المحبة أو انعدامها لدى بعضهم.

[٣]– ربما هناك أسباب أخرى، لكنها في الغالب تكون ثمرة من ثمرات الشيوعية، وسوف نتكلم عن أسباب ذلك في الفصل المخصص لأسباب الانحراف.

حبهم أحداً مع الله! وذلك لوجود فجوة كبيرة في معرفتهم رهم أصلاً، إذ من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه[1].

وكان ابن القيم يصف هذه الحال ويقول: (وإنما يصدر ذلك عن جهله وظلمه، فإن النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها، وذلك ظلم من الإنسان لنفسه: إما أن تكون النفس جاهلة بحال محبوبها بأن تهوى الشيء وتحبه غير عالمة بما في محبته من المضرة، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم، وإما عالمة بما في محبته من الضرر لكن يؤثر هواها على علمها، وقد تتركب محبتها من أمرين: من اعتقاد فاسد وهوى مذموم، وهذه حال من اتبع الظن وما تهوى الأنفس، فلا تقع المحبة الفاسدة إلا من جهل أو اعتقاد فاسد أو هوى غالب، أو ما تركب من ذلك فأعان بعضه بعضاً)[2].

فتجد رجلاً- في تتارستان وغيرها من الجمهوريات الإسلامية- ممن يزعم أنه مسلم، إذا سألته: لماذا لا تصلي؟ يقول: أنا مشغول بالعمل ولديَّ التزامات.. ولكن إذا تقاعدتُ سوف ألتزم بالدين وآتي إلى المسجد وأتعلم الصلاة[3]. فهذا أحد اثنين:

- إما أنه آمن بالله إيمان الربوبية ومفرّط في حقه سبحانه في الألوهية، فمحبته للدنيا غلبت محبتَه لله، فالكلام في مدى كونه مسلماً مؤمناً طويل ومعروف الإشكال[4].

- وإما أنه لا يؤمن بوجود الله أصلاً، فهذا لا يحبه ولا يعرفه، بل يتبع العرفَ وتقاليدَ قومه[5].

ويجيب ابن القيم- رحمه الله- بأنَّ كل إرادة أوشبهة تمنع كمال حب الله ورسوله، وتزاحم هذه المحبة، أو تمنع كمال التصديق، فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإن

[1]- انظر "فتح الباري" لابن رجب: ٥١/١. ومقولة (من عرف الله أحبه...) سبق تخريجها في ص١١٣.

[2]- "الجواب الكافي": ص١٧٦.

[3]- وهذه الظاهرة موجودة معروفة وهي أشهر من أن توزع الاستبانات لمعرفة انتشارها.

[4]- أي هل نطلق عليه اسم المسلم أم لا، وهل نأكل ذبيحته أم لا..وغير ذلك مما يترتب على هذه المسألة.

[5]- وقد يطلق على كلا النوعين اسم "المسلم العرفي" أو "المسلم بالانتماء العرفي"، ولكن بينهما فرقا وهو أن الأول ربما يحب الإسلام ويحب المسلمين ولو كانوا من غير جنسه (يعني ليست المسألة عنده عرفية بحتة) ويدافع عنهم ويحب أن ينتمي أولاده إليهم، بل ربما يقاتل على تسمية نفسه بالمسلم. أما الثاني فلا يحب من ذلك شيئاً، فالمسألة عنده مسألة العرف لا غير.

قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفراً وشركاً أكبر (أو إلحاداً)[1]، وإن لم تعارضه قدحت في كماله، وأثّرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب[2].

فأمثال هؤلاء من أصحاب الهوى قلوبهم متعلقة بالدنيا وملذّاتها- نسألة الله العافية.

يقول العالم التتري عبد النصير القورصاوي في ذلك: (..إن للضلالة لحلاوة في قلوب أهلها)[3]. فأهل الضلال لا يعملون إلا ما يجدون فيه حلاوة- وهم لا يجدون حلاوة في الإيمان و العبادة بل يجدوها في اتباع شهواتهم- لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، لأنّ الحلاوة ثمرة المحبة[4]؛ فمن أحب شيئاً واشتهاه، إذا حصل له مراد، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك. واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى[5].

وقد أورد أحد الكتاب التتر في تقويم الأسرة المسلمة بيتَ شعرٍ يوضِّح فيه أنّ الذي عوّد نفسه على العبادة سيجد حلاوتها، فيقول ما ترجمته:

نوم الفجر من أحلى النوم

لكن حلاوة الصلاة ألذّ منه،

لا سمح الله أن نكون ممن

سيندم على ما قدّم.[6]

ولكن أكثر الناس يغلطون في مسألة حصول اللذة غلطاً قبيحاً، فيقصد حصول اللذة بما يعقب عليه أعظم الألم، فيؤلم نفسه من حيث يظن أنه يحصل لذتها، ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض، وهذا شأن من قصر نظره على العاجل و لم يلاحظ العواقب، فأعقل الناس من آثر لذته وراحته الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة، وأسفهُ الخلق من باع نعيم

---

[1]- هذه العبارة مني وأقصد بذلك الكفر في الربوبية.

[2]- انظر "جواب الكافي": ص١٦٨.

[3]- "الإرشاد للعباد" لأبي النصر عبد النصير البلغاري القورصاوي، فصلٌ فيما يتعلق بحديث التفرق: ص٤٦.

[4]- قال ابن القيم في الجواب الكافي: (والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم وأحكام، سواء كانت محمودة أو مذمومة، نافعة أو ضارة من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس، والاتصال بالمحبوب والقرب منه، والانفصال عنه والبعد منه، والصد والهجران، والفرح والسرور، والبكا والحزن، وغير ذلك من أحكامها ولوازمها).

[5]- انظر "مجموع الفتاوى": ٢٠٥/١٠.

[6]- "تقويم العائلة المسلمة" لعام ٢٠٠٦م/ الشعر لحامد وليدي تتري: يوم ٢٩ نوفمبر.

الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة بالآلام والمخاوف، وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء.[1]

ذكر أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي القزاني[2] في "تبصرة المرشدين" أن التلذذ بالعبادة شرك.[3] وهذه الشبهة أخذها من أستاذه الصوفي الجنيد[4]، يقصدون بها الإخلاص وعدم الالتفات إلى أي شيء يشوب إخلاص العبادة لوجه الله وحده، ولكن هذه العبارة باطلة، لأن التلذذ بالعبادة قد ورد الإذن به، بل والحض عليه، فقد كان رسول الله ﷺ يقول لبلال: ((**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**))[5]، وذلك لما يجده فيها من اللذة والسعادة القلبية. وعلى عكس هذه الحال حال المنافقين وضعفاء الإيمان الذين وصفهم الله في كتابه الكريم قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾النساء: ١٤٢، وذلك لعدم ارتياح قلوبهم للعبادة والإيمان. وأي دليل أكبر من قول النبي ﷺ إذ يقول: ((**حُبِّب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**))[6]، وكون الشيء قرة عين هو أعلى مراتب التلذذ

[1]- الجواب الكافي: ص١٦٦.

[2]- أبو عبد الرحمن محمد ذاكر بن عبد الوهاب الشستاوي القازاني، عالم تتري صوفي من مشايخ الطريقة النقشبندية الخالدية في روسيا الوسطى. توفي سنة ١٨٩٣م. انظر مقدمة كتاب "تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين": ص٤-٧.

[3]- انظر " تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين ": ص٧٤. وقد أسند القول إلى الجنيد الصوفي.

[4]- الجنيد، هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز (٠٠٠- ٢٩٧هـ/٠٠٠-٩١٠م): عالم صوفي. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وعرف الجنيد بالخزاز؛ لانه كان يعمل الخز. تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي وكان يفتي في حلقته. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله؛ الكتبة يحضرون مجلسه لالفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. انظر "طبقات الصوفية": ص١٥٥، و"وفيات الأعيان": ١٩١/١، و"سير أعلام النبلاء": ٦٦/١٤، و"طبقات الأولياء": ص١١٢، و"الأعلام": ٢ /١٤١.

[5]- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة: ص٩٠١ برقم٤٩٨٦، وصححه الألباني في "المشكاة" برقم١٢٥٣.

[6]- الحديث أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء: ٣٩٣٩، وأحمد في مسنده: ٤٣٣/٢١ برقم١٤٠٣٧، وحسّنه محقق المسند.

والراحة. وقد قال ابن القيم: (فقرة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحبه، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها، ومحض لذته، وفرحه وسروره وبهجته، إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله، وحضور بين يديه، ومناجاة له، واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين!؟)[1]. فإن العبد إذا أحب ربه انقاد له طائعا مستلذاً بعبادته وإن لم يصل إلى هذه المرحلة بعد صبر على التكره والتعب أولاً، فإذا صبر وصدق في صبره وصل إلى مرحلة اللذة التي تكون العبادة بعدها عنده كجريان الماء في منحدره، ولذا قال بعض السلف: (كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة)[2]. فمن عرف هذا عرف الطريق إلى محبة الله: كيف يكون أوله، وكيف يكون آخره. وأيضاً، الحديث: ((..**وجد حلاوة الإيمان**))[3] دل على ذلك؛ فإن من وجد حلاوة الإيمان تلذذ بها[4]، فما بعد المحبة الصادقة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضى واللذة، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها[5].

فلننتبه هنا! فإن العبد إذا أحب شيئاً من أنواع العبادة قبل أن يعرف الله ويعرف محبته وكان باعث عبادته ليس التقرب إلى الله، بل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس؛ فإن عبادته هذه -إذن- ليست لوجه الله ولا موافقة لأمره، بل تكون موافقةً لهوى نفسه. فمن كان حاله كذلك يصدق عليه قول الشستاوي: إن تلذذه بعبادته هذه شرك.

وإلا، فالتلذذ بالعبادة مطلوب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨.

وهذا الأمر لم يخف على رضى الدين بن فخر الدين، حيث قال: (من الصعب أن

[1]- "طريق الهجرتين" لابن القيم: ٧٢.

[2]- أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء": ٣٢١/٢، وأورده الذهبي في "سير أعلام النبلاء": ٢٢٤/٥ في ترجمة ثابت البناني- رضي الله عنه.

[3]- سبق تخريجه في ص١١٣.

[4]- وقال ابن بطال: معنى وجود حلاوة الإيمان هو استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فيما يرضى الله تعالى، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، رغبة فى نعيم الآخرة، الذى لا يبيد ولا يفنى. "شرح البخاري" لابن بطال: باب حلاوة الإيمان ح٩: ٦٦/١.

[5]- انظر "مختصر منهاج القاصدين" لأحمد المقدسي: ٣٢٢.

يعرف الزاهد من غيره بالنظر إلى الظاهر، ولكن بالنظر إلى بعض العلامات يستطيع كلٌّ أن يأخذ فكرة عن نفسه، ومن هذه العلامات التلذذ بمحبة الله والتلذذ بعبادته دون أي قصد غير إرادة وجه الله خالصةً)[1].

وقال عبد النصير القورصاوي محذّراً من حب الدنيا والركون إليها: (إن مما اشتد منه خوف العارفين والعالمين العاملين سوء الخاتمة، ومن أسبابه: ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب، فيورث ذلك اتباع الشهوات حتى يتراكمَ ظلمةُ الذنوب على القلب، فإذا جاءت سكرات الموت يتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيُخشى أن يثور في باطنه بغضُ الله عزّ وجلّ، فإن اتفق (وجود البغض) زهوقَ روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد خُتم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً. والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها، والفرح بأسبابها. فمن وجد في قلبه حبَّ الله تعالى أغلبَ من حبِّ الدنيا فهو أبعد من هذا الخطر[2].

و يقول أيضاً بأن: (حب الدنيا رأس كل خطيئة[3]، وهو الداء العضال، وقد عم أصنافَ الخلق)[4].

وكذلك نجد هذه المعاني عند علماء التتر الآخرين، لا سيما عند أهل التصوف

---

[1]- "شرح جوامع الكلم": ٢٤٥.

[2]- "الإرشاد للعباد" لأبي النصر عبد النصير البلغاري القورصاوي: ٥٦-٥٧.

[3]- صدر هذه العبارة حديث أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلا: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) (٨٤/١٩ برقم١٠٠١٩). قال ابن تيمية: هذا معروف عن جندب البجلي، أما عن النبي ﷺ فليس له إسناد معروف ("أحاديث القصاص": ٥٨/١ و"مجموع الفتاوى": ١٠٧/١). وقال السيوطي: قد عُدّ الحديث في الموضوعات ("الدرر المنتثرة": ص١٩١ برقم١٨٤)، وقال العراقي: مراسيل الحسن شبه الريح ("شرح التبصرة والتذكرة": ٣١٥/١)، وقال السخاوي: رواه البيهقي بإسناد حسن إلى الحسن البصري، رفعه مرسلاً. وبهذا يُرَدّ على من صرح بالحكم عليه بالوضع لقول ابن المديني: مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات صحاح، ما أقل ما يسقط منها، وقال أبو زرعة: كل شئ يقول الحسن فيه "قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلا ثابتا، ما خلا أربعة أحاديث وليته ذكرها، وقال الدارقطني: في مراسيله ضعف. ("المقاصد الحسنة": ص٢٩٦ ح٣٨٣)، وانظر "كشف الخفاء" للعجلوني: ٤١٢/١ ح/١٠٩٩، و"تذكرة الموضوعات" لمحمد طاهر الهندي: ١٧٣/١، و"السلسلة الضعيفة" للألباني: ٣٧٠/٣ ح/١٢٢٦. وانظر معنى هذا الحديث في "مجموع الفتاوى": ١٠٧/١١ و"فيض القدير": ٤٨٧/٣ برقم٣٦٦٢.

[4]- المصدر السابق.

ممن يتخذ ترك الدنيا وملذاها هي الركيزة الأساسية لكون الرجل صوفيا، فهذا أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي القزاني يقول: (حب الدنيا رأس الخطيئة والضلالة. بسبب حبها لا يرى الإنسان الأخطاء والباطِل؛ لأن العاشق كالسكران. أليس حب الدنيا يعني الفساد وقتل القلب!؟ نعم، هو آفة القلوب في كل الاديان، هو منبعث الأخلاق الرذيلة، ومضيعة الأخلاق الحميدة، وأحيانا يكون سببا لذهاب الإيمان، بل لا تفارق محبةُ الدنيا النفاقَ. إن الذي أحب الدنيا بعد أن ذاق حلاوة الإيمان كمثل شجرة لا تثمر، فيكون ثمرةُ محبتِهِ الحسدُ والبخلُ والظلمُ والكذبُ والغيبةُ وعدمُ التوكل وعدمُ القناعة، ... إلى ست وستين خلقاً من الأخلاق الرذيلة. ... ولا يمكن أن تجتمع في نفس الوقت محبة الدنيا مع عمل الصالحات والتزين بالإحسان)[1].

وقال في موضع آخر: (الدنيا ابتلاء، لا خير فيها، فلو لم تترك حبها تكن بمثابة أحجار الاستنجاء. بل تركُ حبِّك للدنيا خيرٌ، وهو أصل العبادة، وسبب لتمكنك من فعل الصالحات..)[2].

الثاني: المحبة الطبيعية المذمومة:

ذكرنا سابقا أن المحبة الطبيعية من حب الطعام والشراب والنكاح واللباس وعشرة النساء وغيرها من قسم المباحات[3]، ولهذا كان النبي ﷺ يحب عمه أبا طالب محبة طبيعية، قال

---

[1]- "تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين": ٧٢ (ترجمته عن اللغة التترية).

[2]- المصدر السابق: ص٧٠، وأصل معنى كلامه من حديث الرسول ﷺ: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم)) الحديث رواه الترمذي وحسنه (كتاب الزهد، باب١٤: ص٥٢٥ برقم٢٣٢٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب مثل الدنيا: ص٦٨٤ برقم٤١١٢)، وحسنه الألباني في "الصحيحة": ٧٠٣/١/٦ برقم٢٧٩٧، وقال الشراح أن المراد بالدنيا كل ما يشغل عن الله تعالى ويبعد عنه. انظر "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" لملا علي القارئ، كتاب الرقاق: ٣٧٢/٩، وحاشية السندي على ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا: ٤٢٨/٤ ح٤١١٢. ونجد ذلك المعنى في الآية: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ الحديد: ٢٠، آل عمران: ١٨٥، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. الأثر أخرجه ابن المبارك في "الزهد"، أبوب زيادات الزهد، الجزء الخامس: ص٣٥ برقم١٤٠، وانظر "شرح السنة" للإمام البغوي، باب قصر الأمل: ٢٣٠/١٤. أما نفي الخيرية عن الدنيا على الإطلاق، فليس بصحيح؛ إذ يدخل في النفي المطلق ما لا يجوز نفي الخيرية عنه كذكر الله وما والاه وغيرذلك.

[3]- يشترط في ذلك كون هذه الأشياء من الطعام واللباس وغيرها مباحةً في نفسها، فيكون حينئذ حبها مباحاً.

الله بهذا الخصوص: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦، وأيضا، قد حبب إليه ﷺ الطيب والنساء، وهذا يلائم طبيعة الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤،

فهذه المباحات لا تُذمّ، بل إذا قصد بها الاستعانة على محبة الله وطاعته، صارت عبادة يؤجر عليها: ((**وفي بضع أحدكم صدقة**))[١]، ((**حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك**))[٢]؛ فكانت محبة محمودةً.

ولكنها إذا زادت عن حدها وأشغلت عن طاعة الله أو صدت عنها، وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، فتكون محبة مذمومةً. قال الله تعالى في شأن هذه المحبة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المنافقون: ٩.

قال أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي القزاني: (...أما حبها حباً مُفْرِطاً فحرام)[٣].

وقال صوفي إلاهيار التتري في بيت شعري ما ترجُمَتُه:

- إذا كان عبد من عباد الله يمتلك مائة كيس ذهباً ولا محبة؛ فلا يضره.
- إذا كان العبد يرى الدنيا فانيةً، سيجد القناعة حتى في فلس واحد [٤].

وقال القورصاوي إن: (هذا الداء العضال قد عم أصنافَ الخلق، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ

[١]- الحديث أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف: ص٤٠٦ برقم٢٣٢٩ (١٠٠٦).

[٢]- سبق تخريجه في ص٧٧.

[٣]- "تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين" أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي: ص٧٢.

[٤]- "ثبات العاجزين": ص١٠٨/ ١٢٧٢، ١٢٧٥، ١٢٧٦.

﴿فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ التوبة: ٢٤)[1].

وقال صاحب "عماد الإسلام" التتري[2]: (وظاهر الحديث ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**))[3] أن الذي لا يحب الرسول أكثر من حبه لنفسه ولولده ليس بمؤمن، لكن المراد من المحبة هنا ليست هي المحبة الطبيعية، وإنما المراد المحبة العقلية[4]. وقد ذكر مفسّرو المشرق أن محبة الله ورسوله ﷺ ليست محبة طبيعية بل عقلية. فالإنسان لا يأثم بحب أولاده، وماله، وزوجته؛ لأن هذه المحبة غير اختيارية، ولذا، فهي جائزة حتى في حق النبي (أو: هي تحصل حتى للنبي ﷺ). ومعنى المحبة العقلية هو: أن يزن الإنسانُ الأشياءَ بميزان العقل، ثم يتم قبول هذه الأشياء أو عدمه باختياره[5] حسبما دله عليه عقله. فمثلا، العقل يشير إلى أن هذا الدواء المر فيه شفاء، فتشربه وإن كان طبعك لا يحبه، ولكنك تفهم بميزان العقل ضرورة شربه، فتشرب! فالذي يحب الرسول ﷺ ويتبعه يفهم أنه ﷺ سبب في نجاتنا من النار وإخراجنا من شقاوة الدارين. فهذا الإنسان لما يحب

---

[1]- "الإرشاد للعباد" للقورصاوي التتري: ٥٦-٥٧.

[2]- هو: شاكرجان بن أسد الله حامد الله أبو عبد الرحمن التتري من علماء التتر في القرن الماضي، وله هذا الكتاب "عماد الإسلام" كتبه باللغة التترية القديمة، تمت إعادة طباعته باللغة التترية الحديثة من قبل الإدارة الدينية في تتارستان.

[3]- متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان: ص٦ برقم١٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين: ص٤١ برقم١٦٩.

[4]- وهي المحبة الشرعية، ولكن وصفها بعض الشراح بالعقلية أو الاختيارية لبيان حقيقتها وكيفية تكوّنها.

[5]- من هنا جائت تسمية هذا النوع من المحبة حب الاختيار. قال ابن حجر في "فتح الباري": والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار، لا حب الطبع. ٢٣/١، وقال الخطابي: حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. ٤٨٧/١٥ (٦١٤٢). وانظر شرح النووي على مسلم:١٢٤/١ (٦٢) وفيه: (قال ابن بطال- رحمه الله: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن به ﷺ استنقذنا من النار، وهدينا من الضلال. قال القاضي عياض- رحمه الله: ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته؛ فيبذل ماله ونفسه دونه. قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد، وولد، ومحسن، ومفضل. ومن لم يعتقد هذا، واعتقد سواه، فليس بمؤمن. هذا كلام القاضي- رحمه الله).

الرسول ﷺ يترك الحب الطبيعي جانباً ويستيقظ من نومه اللذيذ ويقوم للصلاة حباً له وطاعةً لأمره)[1].

الثالث: محبة ما لا يحبه الله:

قلنا سابقا إن محبة الله تستلزم محبة ما يحبه الله ويرضاه وكره ما يكرهه ويبغضه، وذلك كمال العبادة. فمن ادعى محبة الله لا بد أن يتبع الشرع. والله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ آل عمران: ٣١، وتسمى آية المحبة أو آية الامتحان.

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله)[2].

وقال صوفي إلاهيار التتري في بيت شعري ما ترجُمَـــتُه:

(المحبّون لله في جميع الأحوال: صباحاً أو مساءً، لن يخالفوا أمر حبيبهم أبداً)[3].

وقال أحد المعاصرين واصفا حال كثير من التتر اليوم: (لما ذهبت جماعتنا من التتر إلى مكة لأداء فريضة الحج، التقوا بإخواننا العرب الذين سألوهم: كيفكم والعبادة في بلادكم؟ فأجابوا: إيه، ما نستطيع؛ الوقت غير كافٍ للعبادة، ليل نهار ونحن في العمل...فاستغربوا!)[4].

فيقول المؤلف إجابةً على هذه الظاهرة: (هؤلاء ليسوا بعباد الله، بل صاروا عبدة الناس!) ثم قال: (حقاً، حالتهم تورث دهشةً. أحيانا تقول لأبناء جنسنا: يجب أن تصلوا، يجب أن تعبدوا ربكم، استيقظوا؛ نحن مسلمون. فيردون عليك: ما عندنا وقت! سبحان الله، يخرجون للعمل الساعة الرابعة...الخامسة فجراً، ولا يرجعون منه إلا مساءً، يشتغلون في

[1]- "عماد الإسلام" لشاكرجان حامد الله: ص١٦.

[2]- تفسير ابن كثير: ٣٢/٢.

[3]- "ثبات العاجزين": ص٥٧/ب٦٠٣.

[4]- التقويم التتري الإسلامي من عام ٢٠٠٣م/ مقالة إسحاق غاراي: ص١٤٧.

ظروف قاسية، في البرد، دون أن يروا الراتب (أي الرواتب تتأخر و-أيضاً- هي قليلة)! حقاً، هؤلاء عبيد الناس، وحالتهم حالة العبيد)[1].

ويرى صوفي إلاهيار التتري أن الذي لا يقوم بواجبات الدين ولا يمتثل لأوامر الله ليس من المحبين له، حيث قال في بيت شعرٍ:

(الإنسان الذي ترك الفرائض .... لا علاقة له بمحبة الله)[2].

هذا، ثم إن العبد إذا أراد أن يبرهن على صدق محبته، فلا بد له من العمل. وإذا أراد أن يرقى من منزلة المحب لله إلى منزلة المحبوب من الله[3]، فطريقه إلى ذلك العمل. فلذا على المسلم أن يحرص على فعل ما يحبه الله من: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، والتفكر في ملكوت السموات والأرض، وفي عظمة خالقها وقدرته وجلاله وكماله إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض، ودوام ذكره على كل حال، وإيثار محابه على محاب النفس وغير ذلك من الأعمال التي يحبها الله سبحانه وتعالى.[4]

وليعلم أن المحبة يتعلق بها أمور أخرى، فعلى حسب قوتها يكون الرجاء والخوف، فكل محب راجٍ خائفٌ بالضرورة، فهو أرجى ما يكون لحبيبه، أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه، فإنه يخاف سقوطه من عينه وطرد محبوبه له وإبعاده واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوف، ورجاؤه ذاتي للمحبة، فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه فإذا لقيه ووصل إليه، اشتد الرجاء له لما يحصل له به من حياة روحه ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه وبره، وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضى، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب ولا نعيم ولا

---

[1]- المرجع السابق: ص١٤٨. وينظر في هذا الموضوع "الطريقة المحمدية" فصل حب الدنيا و حب المال و أسباب ذلك: ص٨٥-٨٦.

[2]- "ثبات العاجزين": ص٩٢/بيت١٠٥٩.

[3]- قال بعض السلف: ليس الشأن أن تحِب، وإنما الشأن كل الشأن أن تُحَبَّ. وقال المتنبي في بيت شعرٍ:
(أنت الحبيب ولكني أعوذ به ...... من أن أكون محباً غير محبوبٍ).

[4]- من أراد التفصيل في معرفة أسباب محبة الله، فليراجع رسالة ابن القيم "شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله" / إعداد عبد العزيز مصطفى.

فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه، فرجاؤه أعظم رجاء وأجلّه وأتمّه. .. فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه[1].

سيكون المبحثان التاليان- بإذن الله تعالى- عن الخوف والرجاء.

[1]- "مدارج السالكين": ٤٣/٢.

المبحث الثالث: الرجاء:

المطلب الأول : حقيقة الرجاء الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المطلب الأول

حقيقة الرجاء الشرعي و تقريره عند التتر

المسألة الأولى: تعريف الرجاء لغة:

الرجاء بالمد مصدر رجا يرجو، ومادة (ر- ج - و) تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس. يقال: رجوتُ فلاناً رجاءً ورجواً ورجاوةً.[1]

وقال الراغب[2] في معنى هذا الرجاء: (الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة)[3].

أما الرجا بالقصر، فإنه يدل على ناحية الشيء، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ الحاقة: ١٧.

أما الإرجاء المهموز في أوّله، فإنه يدل على التأخير، يقال: أرجأتُ الشيء، أي أخّرته، كما في قوله تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ الأحزاب: ٥١، ومنه سميت المرجئة.[4]

المسألة الثانية: تعريف الرجاء شرعا:

قال ابن القيم- رحمه الله: (هو: مطالعة الوعد وحسن الظن بالرب تعالى وما أعد الله لمن آثر الله ورسوله والدار الآخرة)[5].

---

[1]- انظر "الصحاح": ص٣٩٢، و"معجم مقاييس اللغة": ٢/٤٩٤ - ٤٩٥، و"لسان العرب": ١٤/٣١٠، و"القاموس المحيط": ١٢٨٧.

[2]- الراغب، هو: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، كان في أوائل المائة الخامسة، كان أديبا، عالما بأنواع العلوم، ماهرا في التفسير، من أهل أصبهان، سكن بغداد، اشتهر حتى كان يقرن بالغزالي. من كتبه: "محاضرات الأدباء"، "جامع التفسير" كبير، "المفردات في غريب القرآن"، "الذريعة إلى مكارم الشريعة" وغير ذلك. انظر: "بغية الوعاة": ٢/٢٤٨ برقم٢٠١٥، "روضات الجنات": ٣/١٨٧ برقم٢٧٣، "السير": ١٨/١٢١، "الأعلام": ٢/٢٥٥.

[3]- "المفردات في غريب ألفاظ القرآن": ص١٩٥.

[4]- انظر المراجع المذكورة في الحاشية رقم ١، والمرجئة هم الذي يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: هو اعتقاد بالجنان وقول باللسان، ولم يدخلوا العمل فيه (ينظر "الإيمان" لابن مندة: ١/٣٣١).

[5]- "مدارج السالكين" لابن القيم: ٣/٢٦٩.

وقال: (وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى)[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي[2] – رحمه الله– في بيان الرجاء الشرعي: (هو رجاء رجلٍ عَمِلَ بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راجٍ لمغفرته)[3].

فنلاحظ هنا أن الرجاء الشرعي لا بد أن يعتمد على عمل ما يحبه الله ويرضاه، فقد قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة: ٢١٨.

قال ابن أبي العز الحنفي– رحمه الله: (فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات!؟ فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته وثوابه وكرامته. ولو أن رجلا له أرض يؤمل أن يعود عليه من مَغَلِّها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مَغَلِّها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض؛ لعده الناس من أسفه السفهاء! وكذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك. فكذلك من حسُن ظنُّه وقوِي رجاؤُه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرُّب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه)[4].

---

[1]– "مدارج السالكين": ٣٧/٢.

[2]– ابن أبي العز الحنفي، هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: فقيه، ولد سنة ٧٣١ هـ. كان رئيس القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي. له كتب، منها: "التنبيه على مشكلات الهداية"، و"شرح العقيدة الطحاوية" المشهور. توفي سنة ٧٩٢ هـ. انظر "الدرر الكامنة": ٨٧/٣ برقم١٨٨، "شذرات الذهب": ٦/ ٣٢٦، "الأعلام": ٣١٣/٤.

[3]– "شرح العقيدة الطحاوية": ٣٥٧/٢. وأصل هذا الكلام عند ابن القيم في "مدارج السالكين": ٣٧/٢.

[4]– "شرح العقيدة الطحاوية": ٣٥١/٢.

وبجانب قول الإمام ابن أبي العز أريد أن أذكر قول سماحة مفتي ديار التتر في القرن الماضي رضاء الدين بن فخر الدين، حيث قال: (لقد قال رسول الله ﷺ: ((**لا يموتَنّ أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**))[1]، ومعنى إحسان الظن بالله هو محبة الله، والاجتهاد في الامتثال لأوامره، رجاء رحمة الله ومغفرته بكل عزم وجزم.

أما لو قال: "إن الله سيغفر لي"، وهو مهمل لأمر الله، ومنغمس في منهياته؛ فهذا لا يسمى حسن الظن بالله، بل غرور وأمانٍ.

فمثلاً؛ إن تعاهدَ الأرض بحرثها حرثا جيدا، وبزرعها بنوع طيب من البذور؛ له أن يأمل ويقول: "سيرزقني الله"، فيحسن الظن بالله. أما لو رجا أن يأتيه حصاد من أرض لم يتعاهدها، ويقول: "الله سيرزقني"، فهذا معلوم الحماقة.

فإذا تحسر الإنسان عند موته لما حصل له من ارتكاب الأخطاء والمعاصي قائلاً بجزم إنه لو عاش لتجنب تلك المعاصي التي كان يرتكبها من قبل، وفي نفس الحال هو يرجو ويأمل ألا يتركه الله من واسع رحمته؛ فهذا عمل صالح. والحديث يصور لنا هذه الحال، ويبين أن الله تعالى سيعاملهم بما يوافق ظنهم[2].

ولهذا السبب – خاصة في الساعات الأخيرة من العمر– لا يجوز ألبتة أن يقطع الأمل في لطفه وكرمه.

---

[1]– **أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت: ص١٢٤٦ برقم٧٢٢٩ (٢٨٧٧)، وانظر: "فتح الباري" لابن حجر حيث شرح المقصود من الرجاء: ٣٦٤/١١.**

[2]– **وهذا المعنى يتأكد في حديث قدسي:** ((أنا عند ظن عبدي بي)) **الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة: البخاري بهذا اللفظ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾الفتح: ١٥: **ص١٢٩٢ برقم٧٥٠٥، ومسلم بزيادة اللفظ:** ((وأنا معه إذا دعاني)) **في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به: ص١١٦٩ برقم٦٨٢٩ (٢٦٧٥)، وأخرجه البخاري أيضاً مطولاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾آل عمران:٢٨ : **ص١٢٧٣ برقم٧٤٠٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى: ص١١٦٦ برقم٦٨٠٥ (٢٦٧٥)، وراجع أيضا الحديث رقم ٦٩٥٢ (٢٦٧٥). وللبيهقي حديث آخر عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ:** ((أنا عند حسن ظن عبدي بي))، **"شعب الإيمان" فصل في آداب العيادة: ٢٤٨/١٦ برقم ٨٧٩٩.**

نعم، في حالة الصحة والقدرة على العمل، يجب أن يخاف ويرجو، لكن في ساعات العجز وعدم القدرة على الاختيار- وخاصة عندما تكون على فراش الموت- عندما لا يبقى لك سوى التوبة وعمل قلبي، وربما شيء من الأعمال اليسيرة الأخرى كالذكر والدعاء مثلا، فعندها ليس لك إلا الرجوع إلى رحمة الله، وإحسان الظن به سبحانه)[1].

ويؤكد هذا القول ما ذكره أحد الأئمة المعاصرين في تتارستان: (تكون الأوقات التي يُصاب فيها الإنسان بشقاوة في الدنيا أو بأي حزن أو بلاء وقتاً للدعاء والتضرع إلى الله. في هذه الحالات يعترف الإنسان بضعفه، ويخلص في دعائه، فيرجو من الله العون والسداد)[2].

ذكر ملا مراد رمزي العالم التتري المؤرخ واصفاً حال بعض طلبة العلم الذين يسافرون لطلب العلم ويموتون في سبيل ذلك: (...وهو معتقد أنه مسعود لكونه من زمرة الشهداء، فإنه مات في طلب العلم، وفي أرض الغربة ليس عنده أحد يرجو منه أدنى نفع ويرحمه ويتوجه إليه سوى الله، فهو لا يرجو ولا يتوجه إلا إياه فيا له من سعادة...)[3].

وذكر شاكرجان حامد الله التتري صاحب "عماد الإسلام"[4] أن من شروط الإيمان: (أن تخاف من عذاب الله تعالى وألا تقطع أملك من رحمة الله)، وقال في موضع آخر: (المؤمن يخاف عذاب الله ويرجو رحمته، ولو كان العكس لكان كافراً)[5].

وقال أحد المعاصرين التتر في "التقويم الإسلامي التتري": (إن عبد الله الحقيقي هو الذي لا يخاف إلا من الله، ولا أحد أحب إليه من الله: يخاف من عذاب الله، ويرجو رحمته؛ هذا هو عبد الله حقاً)[6].

وقال أحد المؤلفين التتر من المعاصرين: (عبادة الله هو ما امتحن الله عباده في هذه الدنيا الفانية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦.

---

[1]- شرح جوامع الكلم/ رضا الدين بن فخر الدين: ص ٣٩٢-٣٩٣.

[2]- "التقويم التتري الإسلامي لعام٢٠٠٣م"، مقالة رستم شيخ ولي- أحد الأئمة في مدينة يارتشاللي: ص٢٠١.

[3]- "وقائع قازان": ٢٠٤/٢.

[4]- تقدم ذكره قبل قليل.

[5]- "عماد الإسلام" لشاكرجان التتري: ص٧.

[6]- التقويم التتري الإسلامي من عام ٢٠٠٣م/ مقالة إسحاق غاراي: ص٣١.

فإذا كان الأمر كذلك، فواجبنا ألا نطيع إلا إياه، ولا نحب إلا إياه، ولا نخاف إلا منه، وندعوه ونستعين به، ولا نتوكل إلا عليه، ولا نرجو إلا إياه)[1].

وقال رضا الدين بن فخر الدين: (إعطاء الصدقات خفية بحيث لا يراه الناس دليل على أن صاحب هذه الصدقة وضع آماله كلها على الله وحده، ولا يرجو الثواب على هذا العمل إلا من الله)[2]. هنا يذكرنا هذا العالم بمسألة الإخلاص والرياء، فإن كل عمل لا رياء فيه دليل على الإخلاص والرجاء الصحيح، فكل شخص يستطيع أن يعرف ذلك في نفسه.

قال ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله: (ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً:

أحدها: محبة ما يرجوه .

الثاني: خوفه من فواته .

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان. وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات)[3].

وذكر ابن القيم- رحمه الله- أن الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه.

والثاني: رجاء رجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني، والرجاء الكاذب.[4] وهذا هو الذي سأتكلم عنه في المطلب الثاني- إن شاء الله.

---

[1]- "لا إكراه في دخول الجنة" رسيم حبيب الله التتري المعاصر: ص١٥٣.

[2]- "شرح جوامع الكلم": ص٢٤٩.

[3]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٣٥٢/٢، وانظر "الجواب الكافي": ص٣٢.

[4]- انظر "مدارج السالكين": ٣٧/٢.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها

قد سبق ذكر قول المفتي رضا الدين بن فخر الدين أن الرجاء الصحيح هو الذي ينبني على محبة الله والامتثال لأوامر الله، وأن الرجاء مع ترك أوامره سبحانه وارتكاب محارمه ليس هو الرجاء الشرعي الصحيح، بل هو غرور وأمانٍ. وهذا -كما سبق آنفا من قول ابن القيم رحمه الله- اعتقاد سلفنا الصالح.

وسأورد الآن بعض أقوال المعاصرين التتر في ذمهم الرجاء المجرد الخالي من العمل. فقد ورد سؤال في إحدى الدوريات التترية، يقول: مع تزايد الاهتمام بالدين يتزايد عدد من يقوم بمجالس القرآن في بيوتهم[1]. فبعض المجالس يُطوّلون فيها الدعاء حتى يصبح رفع الأيدي أثناء الدعاء عناءً ومشقةً على بعض الحاضرين..إلخ؟ فأجيب بما فيه أنَّ (بعض الناس يتكلمون في المجالس فيما لا يفيد، ويدعون بالأدعية الكثيرة والطويلة، وفي نفس الوقت يتركون الصلوات ولا يحضرون المساجد...)[2].

هكذا بعض الناس: يدعون ربهم ويرفعون أيديهم يرجون رحمة الله ودخول الجنة، ومع ذلك لا يؤدّون ما طلبه ربهم منهم، أنّى يستجاب لهم! قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠.

وهذه الظاهرة وهي ظاهرة الانحراف في مسألة الرجاء موجودة في المجتمع التتري، وقد انتبه لها علماء التتر والأئمة، وعالجوها من خلال كتاباتهم ومقالاتهم:

ذكر أحد الأئمة التتريين المعاصرين أحوال المفرطين في الرجاء، وقال: (لنتذكر الموت ولنستعد للآخرة، ولنحذر من قولنا: "بدري"، "أنا شاب؛ ما زال لدي وقت لأتمتع بالدنيا".

نعم، هذا التفكير يراود كثيراً من الشباب؛ يفكرون في ملذات الدنيا و يهمّشون

---

[1]- هي مجالس يجتمع فيها الأقارب أو الزملاء، فيقرؤون القرآن ثم يأكلون فيتفرقون. ولا يخلو مجلس عن دعاء مع رفع الأيدي.

[2]- التقويم التتري الإسلامي من عام٢٠٠٣م: ص١٥٠.

الآخرة، فيؤخرون العمل إلى وقت التقاعد. ولكن، أنّى لهم أن يعرفوا: هل يستيقظون غداً، فما بال وقت التقاعد؟!

إنّ الذي يقول: "سأصلي إذا تقاعدتُ"، لا يدري هل سيحيى إلى ذلك الوقت. والمشكلة الكبرى أن الذي سيحيى منهم- حتماً- سيقول: إيه، أصبحنا كبار السن وضعفت قواتنا وأبصارنا، فلا نقدر على حفظ الآيات. فهؤلاء، ألا يخدعون أنفسهم؟! هل يمكن أن يكون المسلم كاملاً دون أداء أوامر الله وترك مناهيه؟!

لكن نجد من يقول: الحمد لله ما عندي ذنوب. وهذا خطأ كبير، إذ لا أحد لا يخطئ، فقوله" ما عندي ذنب" بحد ذاته ذنب. ومن العجيب أنه ما زال كثير منا لم يسجد لله سجدة و لم يدخل ولا مرةً بيتاً من بيوت الله تعالى!

انظروا إلى الصحابة، كيف كانوا يصلون في الليالي ودموعهم تدمع، ويصومون النهار وهم في جهاد؛ فهؤلاء يرجون جنة الله حقاً. أما هؤلاء الذين لم يسجدوا لله سجدة- أيضاً- يرجون الجنة؟! نقول لهم: لا، لا يمكن أن تشبع بمجرد قولك: "أكلتُ"، دون أن تأكل، فكذلك لا يمكن أن تكون مسلماً مستعداً للقاء الله بمجرد قولك: "أنا مسلم".)[1].

وكما أن الرجاء مع ترك العمل مذموم- كما تقدم- فكذلك قطع الرجاء عن الله مذموم. فهما طرفا نقيض: ترك العمل مع الرجاء تفريط مؤدٍّ إلى الأمن، وقطع الرجاء عن رحمة الله وغفرانه إفراط في الخوف مؤدٍ إلى اليأس.

وهذا الكلام مقرر لدى أهل السنة؛ قال الإمام الطحاوي[2]: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام)[3].

---

[1]- التقويم التتري الإسلامي من عام٢٠٠٣م/ مقالة إمام خطيب يوسف دولتشين : ص ٢٢٥-٢٢٦.

[2]- الطحاوي، هو: أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي الأزدي، إمام جليل القدر مشهور في الآفاق، ولد سنة ٢٩٠هـ وقيل ٢٣٠هـ، وهو منسوب إلى قرية "طحا" بأسفل أرض مصر. تفقه أولا على خاله المزني صاحب الإمام الشافعي على المذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً فتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولم يسلك مسلك المقلدين في مدارك الأحكام ولكن الأصول الشرعية التي مشى عليها وافقت أصول الإمام أبي حنيفة التي بنى عليها مذهبه. لقد ألف مؤلفات كثيرة شهيرة، منها: "معاني الآثار"، و"مشكل الآثار"، ومتن في العقيدة المسمى بـ"عقيدة الطحاوي"، وغير ذلك. مات- رحمه الله- سنة ٣٢١هـ. انظر: "المنتظم" لابن الجوزي: ٣١٨/١٣ برقم٢٣٢١، "سير أعلام النبلاء": ٢٧/١٥-٣٣، "البداية والنهاية": ٢٠٧/١١، "شذرات الذهب": ٢٨٨/٢.

[3]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٣٥٧/٢.

وقد ورد في كتاب "الطريقة المحمدية" المشهور لدى التتر: (...الأمن من عذاب الله وغضبه، وبالعكس قطع الرجاء من رحمة الله تعالى.. هذا كله كفر)[1].

وفي موضع آخر منه: (من الخلق المذمومة قطع الأمل من رحمة الله. والله تعالى يقول: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ الزمر: ٥٣.

وأيضاً، ورد في الحديث عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إنّ رحمتي غلبت غضبي**))[2])[3].

ويبين ذلك عالم تتري صوفي إلاهيار في أبيات شعرية من كتابه المشهور"ثبات العاجزين": باب في بيان رجاء رحمة الله، ما ترجمته:

لا تقِفْ خائفاً فتقول: معاصي كثيرة
فإن عفاك الله فلا غريبَ
فلو تُبتَ التوبة النصوحِ
فهل لا يغفر لك عالم الأسرارِ!
لو أحسَنَ إليك رب العالمين
يبدّل سيئاتِك حسناتِ
فإن أردتَ ذلك، فابكِ وارتجفْ
طالباً رحمة الله بالإخلاصِ

---

[1]- **"الطريقة المحمدية" باللغة التترية: ص٣٧.**

[2]- **رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ الروم: ٢٧: **ص٥٣٢ برقم٣١٩٤، وفي مواضع أخرى من صحيحه.**

[3]- **"الطريقة المحمدية" باللغة التترية: ص٩٨.**

فلا تقطعْ أملك في سبيل الطلب (أي في طريقك طالباً الجنة)

فوالله: لا تقنطوا من رحمة اللهِ

يا أيها المسافر، لن تصل بلا دين

أما المطيع... فبرحمة اللهِ.[1]

ويناجي هذا العالم ربه قائلاً، ما ترجمته:

إذا ارتكبت المعاصي بلا حسابِ

فيبقى كوني وحّدتك أملاً لسبب الغفرانِ

فيا إلهي، بحق توحيدي[2]

سلمني من محنة الكفرانِ.[3]

فما دام التوحيد موجودا في قلبك، فلا تقطع رجاءك عن الله، إذ يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ النساء: ٤٨.

وقال في موضع آخر:

...لا ينبغي للعبد أن يقطع الأمل بالله

وهو الذي كان به رؤوفاً رحيماً دائماً

لكن اعلم: وإن كان رحيماً، فلا

يجوز لك أن تمشي مغروراً أبداً

وإن كان ذا رأفة، فلا تنسَ قهره قط،

وإن وصلتَ إلى السماء لا تنسَ أنك عبدٌ.

ثمّ يقول - بعد ذِكْر نعيم الجنة- معالجاً مرضى القلوب الذين أصيبوا بالغرور والأمان:

... ولكنَّك لــــم تَدخل الجنة بعد،

فكيف تمشي فرِحاً بلا تعب؟!

---

[1]- "ثبات العاجزين" باللغة التترية لصوفي إلاهيار: ص١١٨-١١٩/ ب١٤٠٥-١٤١٦.

[2]- التوسل بهذه الطريقة جائز؛ وذلك لأن توحيد الرجل هو من أعظم الأعمال الصالحة التي شرع التوسل بها. فمعنى كلامه (بحق توحيدي) أي: بحق كوني موحدا إياك يا الله، أو: استجب لي يا الله لأني أعبدك وحدك.

[3]- "ثبات العجزين" باللغة التترية: ص٤١/ ب٣٨٥-٣٨٦.

لـــيس جـــهنم أمراً مضحكاً قـــط،
ستضحك إذا أمِنت المخاطر يا عبد.[1]

وفي ختام هذا المبحث أقول إنه ينبغي للعبد أن يعلق رجاءه بالله عز وجل مع الالتزام بالعمل الصالح، وأن يعلم أنه كلما قوي رجاؤه وطمعُه في فضلِ الله تعالى، ورحمتِه، وتيسيرِ أمورِه؛ قويت عبوديته لربه، وتحرره مما سواه. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا ما يحبه ويرضاه، آمين.

[1]- "ثبات العاجزين" باللغة التترية ، باب في بيان عذاب أهل المعاصي، ص١٢٠/ ب١٤٢٨-١٤٣٢.

المبحث الرابع: الخوف:

المطلب الأول : حقيقة الخوف الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المطلب الأول

حقيقة الخوف الشرعي و تقريره عند التتر

المسألة الأولى: تعريف الخوف لغة:

مادة (خ و ف) تدل على الذعر[١] والفزع.

قال ابن فارس: (الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال: خفتُ الشيء خوفاً وخيفةً)[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: (الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة... ويضاد الخوف الأمن)[٣].

وقال ابن القيم: (وقيل الخوف: عبارة عن تألم القلب واحتراقه، بسبب توقع مكروه في المستقبل)[٤].

المسألة الثانية: تعريف الخوف شرعاً:

الخوف في اصطلاح الشريعة هو: خوف العبد من الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته في الدنيا، أو عقابه في الآخرة، أو يفوته ما أعده الله لأوليائه من النعيم في الدنيا وفي الآخرة.

ولا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب المجرد الذي يستشعره الخائف من الأسد، بل الحق أن يقال: إن هناك قدراً مشتركاً بين الخوف الطبيعي الذي يشعر به الخائف من الأسد وبين الخوف الشرعي (ويسمى خوف العبادة) الذي يشعر به الخائف من الله، وأيضاً، هناك قدر مميّز بينهما، إذ ينضاف إلى الخوف من الله الخضوع له سبحانه والذل التام، واللجوء إليه

---

[١]- **الذعر هو: انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى. ينظر "القاموس المحيط": ص٣٩٦.**

[٢]- **"معجم مقاييس اللغة": ٢٣٠/٢. وانظر: الصحاح: ص٣٢٣، وانظر القاموس المحيط: ص ٨٠٩، ولسان العرب: ٣٣١/٢.**

[٣]- **معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص١٦١.**

[٤]- **انظر مختصر منهاج القاصدين: ص٣٢٨.**

نفسه، كما ورد عن النبي ﷺ: ((**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**))[1].

والخوف من الله على أنواع:

١- الخوف منه سبحانه لما يتصور العبد عظمتَه وكبرياءَه وصفاته الأخرى التي تقتضي الخوف من الله وعزته وغضبه وانتقامه، إذ لا شيء أعظم وأكبر من الله!

٢- الخوف منه لما يتذكر الإنسان وعيد الله بالعذاب في النار لأهل الكفر والمعاصي.

٣- الخوف من إمكانية عدم قبول الله لأعماله بسبب عدم قيامه بها على الوجه المراد، ومن فواته ثواب ربه سبحانه وتعالى.

٤- الخوف من الزيغ بعد أن هداه الله، للعلم بأن الله مقلب القلوب، فإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ [2].

هذا، وقد قال ابن رجب- رحمه الله: (القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً. فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً، أو همّاً لازما بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله- عز وجل- لم يكن محموداً...والمقصود الأصلي هو طاعة الله – عز وجل- وفعل مراضيه، ومحبوباته، وترك مناهيه ومكروهاته... ومتى صار الخوف مانعاً من ذلك، وقاطعاً عنه، فقد انعكس المقصود منه)[3].

وقال الشيخ محمد العثيمين- رحمه الله: (وخوف الله تعالى درجات؛ فمن الناس من يغلو في خوفه، ومنهم من يفرط، ومنهم من يعتدل في خوفه. والخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله فقط، وإن زدت على هذا؛ فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله. ومن الناس

---

[1]- جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء: ص٤٥ برقم ٢٤٧، ومسلم في كتاب الذكر و الدعاء، باب الدعاء عند النوم: ص١١٧٧ برقم٦٨٨٢ (٢٧١٠).

[2]- عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا: ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يُصَرِّفه حيث يشاء- ثم قال رسول الله ﷺ- اللهم، مُصرّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء: ص١١٥٦ برقم٦٧٥٠ (٢٦٥٤).

[3]- "التخويف من النار" لابن رجب: ص٢٨.

من يفرط في خوفه بحيث لا يردعه عما نهى الله عنه)[1].

والخوف له ألفاظ أخرى متقاربة غير مترادفة استخدمت في القرآن والسنة، وهي: الخشية، والرهبة، والإشفاق، والوجل، والهيبة، والتقوى[2]. يكون بعضها أخصَّ من الخوف وبعضها أعمَّ منه متضمناً له.

المسألة الثالثة: أهمية هذا العمل القلبي:

الخوف من الله من أفضل وأجل العبادات القلبية، وأنفعها للإنسان. وهو فرض على جميع المكلفين. فقد أمر الله به في كتابه، فقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥، لأن الإيمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره. وقد أمر الله بإخلاص الخوف له في آيات أخرى كذلك: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠، و: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ البقرة: ٤١، و: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ البقرة: ١٥٠، وغيرها من الآيات التي فيها ذكر الخوف بألفاظ متقاربة من الخشية، والرهبة، والتقوى، والوجل، والهيبة، والإشفاق.

ومما يدل على علو شأن الخوف ثناء الله سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠، وقال عنهم أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب: ٣٩.

وقد مدح الله أهل الخوف، وأثنى عليهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[1]- "القول المفيد على كتاب التوحيد" لابن العثيمين: ٦٧/٢.

[2]- انظر "مدارج السالكين": ٥٠٧/١، ولم يدرج بينها التقوى، ولكن قال الطبري في تفسير قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته) أي: خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه، و(حقّ تُقاته)، أي: حقّ خوفه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ المؤمنون: ٥٧ – ٦١، وقد جاء في تفسير هذه الآيات ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: (سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ المؤمنون: ٦٠، قالت عائشة: أهُمْ الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: ((**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون وهم يخافون أن لا يُقبل منهم**[1]**. أولئك الذين يسارعون في الخيرات**)).)[2].

وقال سبحانه - أيضاً- عن أهل الخوف: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ النور: ٣٦ – ٣٨.

وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ السجدة: ١٦.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ الرعد: ٢١.

---

[1]- أي هم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بهذه الأعمال على مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، فيخافون ألا تقبل منهم، وليس المراد بالخوف هنا خوفهم ألا يوفيهم الله أجورهم و الله لا يخلف وعده.

[2]- رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين: ص٧١٤ برقم٣١٧٥، وابن ماجه نحوه في الزهد، باب التوقي في العمل: ص٦٩٧ برقم٤١٩٨، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٥٦/٤٢ برقم ٢٥٢٦٣، والحاكم في مستدركه: ٤٢٦/٢ برقم٣٤٨٦، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني، انظر "السلسلة الصحيحة": ١/١ ص٣٠٤ برقم١٦٢.

ووعد أهل الخوف والخشية بالمغفرة، والأجر العظيم، والجنات، والأنهار، والرضوان: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ الملك: ١٢، وقال: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن: ٤٦، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١، وقال: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ البينة: ٨.

قال الحسن البصري[١]- رحمه الله- في حق سلف الأمة: (عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا)[٢].

وقد قال الإمام الطحاوي- رحمه الله- في بيان عقيدة المسلمين نحو مسألة الخوف: (ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنّطهم)[٣].

وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي: (وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ - رحمه الله- في حق نفسه، وفي حق غيره)[٤].

---

[١]- الحسن البصري، هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه، ولد سنة ٢١هـ/٦٢٤م بالمدينة، رأى عثمان وسمع خطبه، ورأى علياً ولم يثبت سماعه منه، كان مكثرا من الحديث، روى عن جمع من الصحابة، وكان كثير الإرسال، وصفه بتدليس الإسناد النسائي وغيره، أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة، وكتاب في فضائل مكة، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. انظر: "طبقات الفقهاء" للشرازي: ص٨٤، "وفيات الأعيان": ٢٢٦/١ برقم١٥٦، "الوافي بالوفيات": ١٩٠/١٢ برقم٣٥٢٦، "السير": ٥٦٣/٤-٥٨٨ برقم٢٢٣، "الأعلام": ٢٢٦/٢.

[٢]- تفسير ابن جرير: ٤٢/١٨، وتفسير ابن كثير: ٤٨٠/٥.

[٣]- متن العقيدة الطحاوية": ص٥٦، أو انظر قوله ضمن كتاب "شرح العقيدة الطحاوية": ٣٥٠/٢.

[٤]- "شرح العقيدة الطحاوية": ص ٣٥٠/٢.

وهذه المسألة المهمة قد قررها علماء التتر وأئمتهم خلال كتبهم ومقالاتهم ومواعظهم، فلنعرض بعضاً منها:

قال العالم التتري القورصاوي- رحمه الله: (..وإن غلب على قلبه غلبة يقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ولا يرى الخير والشر إلا منه، ولا يخاف ولا يرجو إلا منه، فهو موحّد بالتوحيد الحقيقي)[1].

وقال القورصاوي في موضع آخر: (ومنها قوة الخوف والرجاء، فإنهما جناحان بهما يطار إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع عقبات طريق الآخرة، ولا يقود إلى الجنة مع كونها محفوفة بأنواع المكاره إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن الجحيم مع كونها محفوفة بالشهوات واللذات إلا سياط الخوف، فلا بد إذاً من الاهتمام بهما، والاشتغال بما يوصل إليهما، وفي الحديث: ((**رأس الحكمة مخافة الله**))[2]، وعن الفضيل: (من خاف الله دلّه الخوفُ على كل خير)[3]، وعن أبي سليمان الداراني[4]: (ما فارق الخوفُ قلباً إلا خرب)[5]. والخوف والرجاء وصفان متلازمان؛ فإن من رجا محبوباً، فلا بد أن يخاف فوته، فإنه إذا لم يخف الفوت يكون جازماً بالحصول، فيكون آمناً لا راجياً؛ وكذلك من لم يرجُ الحصولَ يكون قانطاً لا خائفاً، ولكن يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر، فيشتغل القلب بأحدهما عن الآخر

[1]- "الإرشاد للعباد" لأبي النصر عبد النصير التتري البلغاري القورصاوي: ٥٥. والمقصود من كلامه أن يقطع تعلق قلبه والتفاته عن الأسباب بعد فعلها ويكل نتائج ما عمل إلى الله، وليس أن يعرض عن فعل الأسباب.

[2]- الحديث رواه البيهقي في "شعب الإيمان": ٣٠/٣ برقم٧٢٩ موقوفاً على ابن مسعود، وقال: قد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ: ٣١/٣ برقم٧٣٠.

[3]- هذا الأثر أورده الغزالي في "إحياء علوم الدين": ١٤٥٢/٢.

[4]- أبو سليمان الداراني، هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الزاهد من أهل دارياً بغوطة دمشق (...-٢١٥هـ/...-٨٣٠م)، وهو ثقة لم يرو مسندا إلا واحدا أو اثنين، وله حكايات في الزهد. كان من كبار المتصوفين، ولم يكن من أصحاب الشطحات والخرافات كما آل إليه الأمر عند المتأخرين من الصوفية. انظر "تاريخ بغداد": ٢٤٧/١٠ برقم٥٣٦٧، "طبقات الصوفية": ص٧٥ برقم٩، "وفيات الأعيان": ٦٣/٢ برقم٣٦٣، "تاريخ دمشق" ١٢٢/٣٤ برقم ٣٧٣٨، و"تقريب التهذيب": ص٥٨١ برقم٣٩١١، و"الوافي بالوفيات": ٦٠/١٨، و"الأعلام": ٢٩٣/٣.

[5]- رواه أبو القاسم عبد الكريم القشيري بإسناده في "الرسالة القشيرية في علم التصوف" في طبعة دار المعارف- مصر- تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف: ٢٥٤/١، ولم يُذكر السند في طبعة دار الخير: ص١٢٧.

ولا يلتفت إليه وهما مجتمعان عنده)[1].

وقال العالم التتري صوفي إلاهيار في كتابه"ثبات العاجزين": (باب في بيان أن المؤمن لا بد أن يكون دائماً جامعاً بين الخوف والرجاء:

تعالَ يا ابن آدم، اتكل على الله على الدوامِ

لتكون حياتك كلها في الخوف والرجاءِ

... ثم يقول صوفي إلاهيار مواصلاً أبياته الشعرية:

أمـــامك ســبيلان اثنـــان:

الأول يميناً إلى الجنة واليسار الثاني

حتى وإن أُسبغ عليك بمـا لا يحصى من نعمه

حتى وإن رفعت رجلك لتدخل فسيح جنته

ينبغي ألا تزال خائفا بعد، واستعذ بالـله؛

ماذا لو رجّعك وصار دونك المراد؟!

وكذا لو وقفت على حافة النـيران

لا تقطع أملك؛ فالله صاحب الغفران

لا غرابة لو رجّعك من هناك

ومنحك جنة النعيم إلى الأبد

أما لكن، لو كان اسمك وذاتك إنـسان

فكيف لا تخاف ما دام روحك في البدن

رفيـقك الخوف يا عـبد اللهِ

لأن قبول الأعمال في اختيار اللهِ

إذا لم يغفر لـك الله فلا مفـرّ لـك

مسكين أنت ستذهب حيث يقال لك)[2].

---

[1]- "الإرشاد للعباد" للقورصاوي التتري: ص٥٦. وقوله (يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر، فيشتغل القلب بأحدهما عن الآخر ولا يلتفت إليه وهما مجتمعان عنده) هذا إن قلنا بجواز تغلب أحد الجانبين على الآخر، فإنه يجب ألا يكون ذلك على الدوام، بل كل حالة لها ما يناسبها من تغلب الخوف أو الرجاء بعضهما على الآخر. ثم إن أهل العلم اختلفوا في مسألة تغليب أحد الجانبين على الآخر، وسيأتي ذكر طرف من المسألة ص١٥٣.

[2]- "ثبات العاجزين"صوفي إلاهيار: ص١١٦/ب١٣٨٠–ص١١٧/ ١٣٩٣.

ويتساءل أحد الكتاب التتريين المعاصرين، فيقول: (من هو الرجل الصالح؟- ثم يجيب- هو المؤمن بالله والخائف منه، والممتثل لأوامره والتارك لمحارمه، ..وهو الذي يعرف أنه في كل لحظة تحت رقابة الله؛ فمن هذه حاله سيكون دائماً بعيدا عن السيئات. وبالاختصار: فإن الذي يخاف الله سيعود صلاحه فائدةً حتى للمجتمع الذي يعايشه)[1].

وقال أحد الأئمة المعاصرين في موعظته عن الحياء: (..يجب على المسلم أن يعرف الحياء مع الله ومع الناس. أما الحياء من الله فيكون مع الخوف، فيخاف أن يغضب الله. وعندما نتكلم عن الخوف لا ينبغي أن نتصور أن الله شديد العذاب فقط، بل لا بد أن نتذكر أنه تعالى رحيم شفيق[2] بعباده. فكل مسلم يخاف راجياً رضى الله سبحانه وتعالى)[3].

وذكر أحد الأئمة التتريين المعاصرين أن خوف العبادة إذا صرفت لأحد غير الله كانت شركاً: (الشرك الأكبر أن تعبد غير الله، كأن ترجو- مثلاً- من الشمس شيئاً، أو تخاف من الأولياء، أو تحبّهم مثل ما تحب الله تعالى وتدعوهم رافعاً يديك، أو تصرف له أي عبادة أخرى مثلما تصرفه لله تعالى)[4]. فعد الخوف من الله من العبادات.

وأيضاً، فالخوف من الله يقتضي الخوف مما يغضب الله، والحذر منه، ولذا أفرد مؤلف كتاب "قل هو الله أحد" مبحثاً في الخوف من الشرك وقال: (كان إبراهيم عليه السلام يخاف فتنة الشرك على نفسه وعلى أولاده، فكان يدعو بـــ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥. ونحن اليوم يلزمنا أن نخاف من فتنة الشرك أكثر منه في وقت إبراهيم عليه السلام. ...فلذا، علينا أن نحذر ونخاف من الشرك بأنواعه، لأن الشرك جزاؤه النار، وقد قال ﷺ: ((**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**))[5]. هذا جزاء الشرك، وقد ألزمنا الله بالخوف منه، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ البقرة: ٢٤)[6].

---

[1]- تقويم الاسرة المسلمة ٢٠٠٦م: عن ٥ فبراير.

[2]- لم يرد في القرآن ولا في السنة وصف الله تعالى بـــ"شفيق"، والأسماء والصفات الأصل فيها التوقيف.

[3]- تقويم الاسرة المسلمة ٢٠٠٦م: عن ٢٤ نوفمبر.

[4]- "قل هو الله أحد": ص٤٥.

[5]- الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة: ١٦٥: ص٧٦٤ برقم ٤٤٩٧.

[6]- "قل هو الله أحد": ص٤٦-٤٧. وكذلك في الصفحة ١٨٧ قد عد الخوف من العبادات.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في هذه المسألة وحكمها

أما الانحراف في مسألة الخوف فيكون إما بالإفراط وإما بالتفريط أو بالإشراك.

المسألة الأولى: الإفراط في الخوف:

وهو تغلب الخوف من الله ومن عقابه على جانب الرجاء وأمل الخير ورحمته، بحيث يصبح الشخص يائساً من رحمة الله. وقد حكم الإسلام على هذه الحال بأنه كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧.

قال صاحب "الطريقة المحمدية": (...الأمن من عذاب الله وغضبه، وبالعكس قطع الرجاء من رحمة الله تعالى.. هذا كله كفر)[١].

وقال العالم التتري صوفي إلاهيار في كتابه "ثبات العاجزين" ما معربه:

(لا ترفع رأسك من الخـــوف والرجـــاءِ

واعلم يقيناً: الأمن واليـــأس من الكفرانِ)[٢].

ويقول هنا عالم تتري آخر تاج الدين يالشيغول[٣] – رحمه الله- شارحاً هذا البيت: (إذا أردت أن تكون قريبا إلى الله فاعبده وتضرع وتذلل إليه بالخوف والرجاء، واعلم يقيناً أن من رأى أنه أمن عذاب الله، أويئس من رحمة الله، كفر بذلك)[٤].

وقد أمر الله بترك الإياس والقنوط، ويذكرنا بذلك إلاهيار في أبيات شعره:

---

[١]- "الطريقة المحمدية": ص٣٧ (ترجمته عن اللغة التترية).

[٢]- "ثبات العاجزين": ص١١٦/ ب١٣٨١ (ترجمته عن اللغة التترية).

[٣]- تاج الدين يالشيغول، هو: عالم تتري، ولد عام ١٧٦٨ م. طلب العلم منذ الصغر، من مؤلفاته: "تواريخ بلغارية"، "سدرة المنتهى"، "تفسير هفتياك شريف"، "رسالاي عزيزا"، توفي سنة ١٨٣٨م. انظر مقدمة كتاب "رسالاي عزيزا": ص ٤-٥.

[٤]- "رسالاي عزيزا"/ تاج الدين يالشيغول: ٢/٤٠٧-٤١٠ (ترجمته عن اللغة التترية).

فلا تقطعْ أملك في سبيل طلب الجنة

فباللّــه، لا تقنطوا من رحمة اللّــهِ.[1]

ولتستقيم حال اليائسين ينبغي أن يكون الخوف مقرونا بالرجاء. فيقول العالم في بيت شعر مذكّراً رحمة الله الواسعة وغفرانه الشامل:

...وحتى لو وقفت على حافة النيرانِ

لا تقطع أملك؛ فاللهُ صاحب الغفرانِ.[2]

إن كثيراً ممن أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي يظن أنه لو تاب فلن يتوب الله عليه، ولا أمل له أن يغفر له الله أبداً. فهؤلاء إذا جاؤوا إلى المسجد أو راجعوا أحد الدعاة للاستفسار عن حكم حالهم، لا بد أن يعتنى بهم ويبين لهم الحق في المسألة، ويذكّرون بآيات الرحمة وأحاديث الغفران[3]، والله هو الهادي إلى سبيل الرشاد.

المسألة الثانية: التفريط في الخوف:

وهو انعدامه أو ضعفه، بحيث يشعر الإنسان بالأمن أو الغرور.

وقد ذكر هذه الحالة صوفي إلاهيار في أبيات شعر:

أما لكن، لو كان اسمك وذاتــك إنسانْ

فكيف لا تخاف ما دام روحك في البدنْ

رفــيقك الخــوف يا عــبد اللهِ

لأن قبول الأعمال في اختيار اللهِ

إذا لــم يغفر لك اللــه فلا مفرّ لــك

مسكين أنت؛ ستذهب حيث يقال لك[4].

---

[1]- "ثبات العاجزين": ص١١٩/ ب١٤١٥.

[2]- "ثبات العاجزين": ص١١٧/ب١٣٨٧.

[3]- كحديث متفق عليه: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟...))، أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب(٥٤): ص٥٨٥ برقم ٣٤٧٠، ومسلم وهذا اللفظ له، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله: ص١١٩٩ برقم٧٠٠٨ (٢٧٦٦).

[4]- "ثبات العاجزين": ص١١٧/ب١٣٩١-١٣٩٣.

وهذا المعنى نجده في آثار سلفنا الصالح، فقد ورد عن الحسن، قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا، يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟- أي: وارد النار لخبر الله في سورة مريم: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ - فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها؟ فيقول: لا، فيقول: ففيم الضحك إذاً)[1].

يقول صوفي إلاهيار في بيت شعر معالجاً مرض القلوب التي أصيبت بالغرور والأمان، ونسيت الخوف من الله، فيقول:

...ولكنك لم تدخل الجنة بعد،

فكيف تمشي فرِحاً بلا تعب؟!

أي: كيف يمكن للإنسان أن يفرح ويرتع ويترك العمل والخوف من الله وهو لم يدخل الجنة ولم يأمنوا النار بعد!؟ إن النجاة كل النجاة في الخوف من الله وغضبه والعمل رجاء رحمته وثوابه:

ليس جهنم أمراً مضحكاً قط،

ستضحك إذا أمِنت المخاطر يا عبد.[2]

ومما يدل على وجود الانحراف في هذا الأمر أن بعض الناس لا يعرفون الخوف من اللهِ وعقابِه إلا عند المشاكل والمتاعب، مثلما وصفهم أحد الأئمة، أنهم: (إذا أرادوا أن يجعلوا حياتِهم التعيسةَ سعيدةً، أو إذا أرادوا شفاء الطفل المريض، يقولون: إنا نسينا أن نأتي بالملاّ (إمام الحي) ليسمّي طفلنا حسبما في الشريعة)[3]، فيخافون أنهم لم يأتوا بما يلزمهم من الشعائر الدينية، وأن ذلك يُسبّب المشاكل والأمراض، فنتيجة خوفهم من مشاكل الدنيا يقومون ببعض هذه الشعائر وإن لم تكن من الواجبات ولا حتى من السنن بل أحيانا تكون من البدع-كما في المثال السابق! من الطبيعي أن يخاف الإنسان من المشكلات، لكن الإشكال أن يكون هذا الخوف مؤقتاً منقطعاً وقتاً دون وقت. نعم، يجوز أن يكون القلب

---

[1]- **مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، باب٦٢: ٣٦٨/١٩ برقم٣٦٣٤٤. وانظر "التخويف من النار" لابن رجب، الباب السابع والعشرون "في ذكر ورود النار": ص٢٤٤-٢٤٦، ففيه جمع من أقوال السلف في هذا الموضوع.**

[2]- **"ثبات العاجزين": ص١٢٠/ب١٤٢٨-١٤٣٢. وقد تقدم ذكر هذه الأبيات في ص١٣٥ من الرسالة.**

[3]- **التقويم التتري الإسلامي ٢٠٠٣م، المقالة لإسحاق غاراي: ص٢٥٠.**

منشغلاً عن الخوف، ولكن لا يجوز أن ينساه بالكل بحيث لا يذكره أبداً، بحيث يصير القلب خالياً عنه. وأيضاً، فإن الخوف العارض عند هؤلاء إذا زال لا يخلفه الرجاء حتى يعملوا ويتعبدوا رجاءَ الله وجنته كما ينبغي؛ لا، بل تصبح قلوبهم خالية منهما جميعا! والحق أنّ الخوف والرجاء إذا لم يتساويا، فإن أحد الطرفين يغلب على الآخر، دون زوال الآخر، بل يكونان معاً في القلب.

قال الإمام القورصاوي التتري: (فإنه إذا لم يخف الفوت يكون جازماً بالحصول، فيكون آمناً لا راجياً؛ وكذلك من لم يرجُ الحصولَ يكون قانطاً لا خائفاً، ولكن يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر، فيشتغل القلب بأحدهما عن الآخر ولا يلتفت إليه وهما مجتمعان عنده)[1].

المسألة الثالثة: الشرك في الخوف:

الخوف مع الإشراك هو: الخوف من الله مع الإشراك معه غيره سبحانه، ذكر هذا النوع من الخوف أحد الكتاب في "التقويم التتري الإسلامي" وأكد وجوده لدى بعض مسلمي تتارستان ثم قال: (والحل (أي: الحل في معالجة هذه المشكلة) هو الرجوع إلى الدين،

---

[1]- **"الإرشاد للعباد" القورصاوي التتري: ٥٦. وقوله** (يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر، فيشتغل القلب بأحدهما عن الآخر ولا يلتفت إليه وهما مجتمعان عنده) **هذا إن قلنا بجواز تغلب أحد الجانبين على الآخر، فإنه يجب ألا يكون ذلك على الدوام، بل كل حالة لها ما يناسبها من تغلب الخوف أو الرجاء بعضهما على الآخر. ثم إن أهل العلم اختلفوا في مسألة تغليب أحد الجانبين على الآخر: (١) قيل: يغلب جانب الرجاء مطلقاً؛ ليكون متفائلا، (٢) وقيل: يغلب جانب الخوف مطلقاً ليحمله ذلك عل اجتناب المعصية ومن ثم فعل الطاعة، (٣) وقال ابن رجب: (فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يتساويان لا يرجح أحدهما على الآخر)، (٤) وقال ابن القيم: (...ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، قال معاذ- رضي الله عنه- لما حضرته الوفاة: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك)، (٥) وقال النووي: (اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء: وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك). انظر هذه الأقوال في: "مدارج السالكين": ٥٥٤/١، و"التخويف على النار": ص٢٥، و"رياض الصالحين" باب الجمع بين الخوف والرجاء: ص٢١٦، و"الآداب الشرعية": ٣١/٢، و"فتح الباري" لابن الحجر: ٣٦٤/١١، و"القول المفيد" لابن العثيمين: ٦٦/٢، و"شرح رياض الصالحين" لابن العثيمين: ٣٩٥/٥.**

فعندئذٍ يحررنا رب العباد من عبادة العباد)[1] مشيرا إلى أن الرجوع إلى الدين بالإيمان بالله وعبادته -كما أمر- وحده لا شريك له يؤمّن للناس الحياة السعيدة لا خوف فيها إلا الخوف من الله، وهو الخوف المطلوب المحمود الذي يحرر العباد من عبادة العباد والخوف منهم إلى عبادة رب العباد والخوف منه.

هذه بعض الأحوال لبعض مسلمي تتارستان، وإذا تابعناها نجد أن ما يقال في الرجاء المُفرِط الزائد عن الحد المطلوب المؤدي إلى الأمن والغرور يقال نفسه في الخوف المُفرِّط الناقص عن الحد المطلوب المؤدي إلى الأمن والغرور، وما يقال في الخوف المُفْرِط الزائد عن الحد المطلوب المؤدي إلى اليأس والقنوط يقال نفسه في الرجاء المفرّط. وأحيانا يدل هذا على مرض في القلب و ضعف إيمان الشخص، وأحيانا على موت قلبه وعدم حياته بالإيمان بالله أصلا، فإن الذي لا يعرف الله لا يحبه فلا يرجوه ولا يخافه، والعياذ بالله.

قال ابن تيمية في بيان أهمية هذه الثلاثة: (فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاثة فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه)[2].

هذه أحوال القلوب مع المحبة والخوف والرجاء، فهي متلازمة متعلقة بعضها ببعض. وتفصيل ذلك في المسألة الآتية.

المسألةالرابعة: العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء.

في ختام هذا المطلب أردت أن أتكلم عن علاقة هذه الأعمال القلبية الثلاثة: المحبة والرجاء والخوف، التي هي أركان العبادة والتي يقوم عليها التوحيد.

قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله: (إن الله تعالى خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته... وقد عُلم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والمحبة، وكل منها فرض لازم. والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلذا كان السلف يذمّون من تعبّد بواحد منها وأهمل الآخرَين، فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من

[1]- التقويم التتري الإسلامي ٢٠٠٣م: المقالة لإسحاق غاراي، ص١٤٨. ويستأنس بقوله هذا في مباحث الفصل الخامس "علاج مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية" الآتية في نهاية الرسالة.

[2]- "مجموع الفتاوى": ٢١/١٥.

التشديد في الخوف، والإعراض عن المحبة والرجاء؛ وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف؛ وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن يُنسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء)[1].

ولذا قال بعض السلف: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحّد)[2].

وهذه الأركان الثلاثة متلازمة، وهذا التلازم ينشأ عن وظيفة كل ركن منها.

قال ابن تيمية رحمه الله مبيناً تلك الوظائف: (... اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء. وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها، لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف، فإنه يزول في الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يونس: ٦٢. والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن الطريق المحبوب، والرجاء يقوده. فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره)[3].

وكذلك ذكر ابن كثير- رحمه الله- وظيفة الخوف والرجاء قائلاً: (لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكفّ عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات)[4].

هذه وظائف الأركان الثلاثة، أما التلازم فهو كما قال ابن القيم- رحمه الله: (وعلى حسب قوة المحبة يكون الرجاء والخوف، فكل محب راجٍ خائفٌ بالضرورة، ... فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه)[5].

---

[1]- "استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب: ص٢٥.

[2]- انظر "التحفة العراقية": ص٤٤٥، و"مجموع الفتاوى": ٢١/١٥، و"بدائع الفوائد": ٨٥١/٣، وقد نسبه أبو حامد الغزالي في "إحياء علوم الدين" إلى مكحول الدمشقي: ١٤٥٧/٢.

[3]- مجموع الفتاوى: ٩٥/١.

[4]- "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير: ٨٩/٥.

[5]- "مدارج السالكين": ٤٣/٢.

وكما أن المحبة تستلزم الخوف والرجاء، فكذلك نفس الخوف والرجاء متلازمان. فكل خائف راجٍ، وكل راج خائف. فالخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله، وكلاهما من كبائر الذنوب، لأن القنوط من رحمة الله سوء ظن بالله. وبالعكس:من أمن مكر الله ساءت تصرفاته. وليس الخوف والرجاء متضادان بحيث إذا وجد أحدهما استحال وجود الثاني، بل الرجاء مصاحب للخوف ملازم له. فالرجاء قائد، والخوف سائق.

ثم فإن الرجاء والخوف بدورهما يستلزمان المحبة، ويرجعان إليها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله: (وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني، فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه، لا فيما يبغضه. والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب)[1].

وقال ابن القيم- رحمه الله- موضحا هذا التلازم بين الأعمال الثلاثة: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر)[2].

فواجب كل المسلم أن يضع هذه الأمور الثلاثة نصب عينيه ولا يفرّط فيها ولا يُفْرِط. أما التفريط والإفراط المؤديان إما إلى الأمن والغرور أو إلى اليأس والقنوط فما هما إلا علامتان تدلان أحياناً على مرض في القلب و ضعف إيمان الشخص، وأحيانا على موت قلبه وعدم حياته بالإيمان بالله أصلا، فإن الذي لا يعرف الله لا يحبه فلا يرجوه ولا يخافه، والعياذ بالله.

ومهما يكن، فالإنسان يجب عليه أن يكون طبيب نفسه إذا رأى من نفسه أنه أمِن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومُتمَنٍّ على الله الأماني، فليعدل عن هذه الطريق، وليسلك طريق الخوف. وإذا رأى أن فيه وسوسة، وأنه يخاف بلا موجب فليعدل عن هذا الطريق وليغلب جانب الرجاء حتى يعتدل خوفه ورجاؤه[3].

---

[1]- **"التحفة العراقية": ص٣٩٩.**

[2]- **"مدارج السالكين": ٥١٣/١، وانظر نفس المعنى بعبارة أخرى في نفس المرجع: ٣٧/٢.**

[3]- **انظر "شرح رياض الصالحين" للشيخ محمد العثيمين: ٣٩٥/٥ شرح الحديث (٤٤٥/٣).**

المبحث الخامس: التوكل:

المطلب الأول : حقيقة التوكل الشرعي و تقريره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها.

المطلب الأول

حقيقة التوكل الشرعي و تقريره عند التتر

المسألة الأولى: التوكل لغة:

التوكل في اللغة من أصل "و- ك-ل"، وهو يدل على اعتماد غيرك في أمرك.

يقال: وَكِلَ بالله وتوَكَّل عليه واتَّكَل: استَسْلم إِليه. ويقال: وَكَلْتُ أمري إلى فلان، أي: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه.

فالتوكل هو: إظهار عجز نفسه والاعتماد على غيره.[1]

المسألة الثانية: التوكل في الاصطلاح الشرعي:

التوكل هو اعتماد القلب على الله- عز وجل- في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، كما ذكر ابن رجب- رحمه الله تعالى.[2]

وقال ابن حجر: (وقيل: التوكل هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب)[3].

ويورد رضا الدين بن فخر الدين قول النبي ﷺ في بيان التوكل: ((**اعقلها وتوكل**)) ويقول: (قال الرسول ﷺ هذه الكلمات جواباً لأحد الرجال سأله: أرسل ناقتي وأتوكل؟ فقال ﷺ: ((**اعقلها وتوكل**))[4].

---

[1]- انظر: "تهذيب اللغة": ٣٧١/١٠، "معجم مقاييس اللغة": ١٣٦/٦، "لسان العرب": ٤٨٤/٦، "القاموس المحيط": ص١٠٦٩.

[2]- "جامع العلوم والحكم" الحديث التاسع والأربعون: ص٤٩٧.

[3]- "فتح الباري" لابن حجر: ٣/ ٤٨٤.

[4]- أخرجه بهذا اللفظ عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه ابن حبان في صحيحه، باب الورع والتوكل: ٥١٠/٢ برقم ٧٣١، والبيهقي في "الشعب": ٤١٤/٣ برقم ١١٥٩، وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق على حديث ابن حبان: حديث حسن. وأخرج الترمذي نحوه عن أنس بن مالك في جامعه (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٦٠): ص٥٦٧ برقم٢٥١٧) بلفظ: ((...يا رسول الله، أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ فقال ﷺ...)) به، وقال: غريب. وحسنه الألباني، انظر الموضع المذكور من جامع الترمذي- طبعة مكتبة المعارف المزوّدة بأحكامه.

وكان مقصود الرسول ﷺ أن التوكل عبارة عن تسليم الأمر إلى الله بعد إعداد أسباب ظاهرة)[1].

أي: فلا نتّكل ونجلس مكتوفي الأيدي دون بذل الأسباب! إذ التوكل الصحيح يكون مع بذل الأسباب. بل إنّ إعلام الله نصرَ دينِهِ وإظهارَه لم يمنع الأمر بالقتال وإعداد العُدد.

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٠.

وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال: ٦٠.

وقال رضا الدين مواصلاً كلامه في التوكل: (يجب على العباد أن يتوكلوا على الله. ومع ذلك هم مكلّفون بتدبير الأمور الظاهرة وبعدم القصور في الأسباب. أما التعطل عن العمل وعدم اتخاذ الأسباب، بل التمدد في السرير (بحجة التوكل) أو الوقوف مكتوف الأيدي أو الجلوس على السجادة رافعاً الأيدي، فليس هذا توكلاً. لو كان التوكل بمجرد الدعاء دون بذل الأسباب[2] لما رأى النبي ﷺ حاجة في الجهاد، بل لاكتفى بالجلوس ورفع يديه الشريفتين بالدعاء، ولطارت جيوش الأعداء هباءً منثوراً، ولما بقي من آثارهم شيء، وذلك لأنه ليس هناك دعاء أعظم من دعاء الأنبياء. ومع هذا هل كان الأنبياء — خاصة نبينا محمد ﷺ – يجلسون على السجادات يدعون فقط دون فعل أي سبب؟ أين هذا من الحقيقة؟! بل كان ﷺ يأمر حتى بربط الدابة.

---

[1]– شرح "جوامع الكلم" بالتترية: ص٧٢.

[2]– لا ريب أن الدعاء أحد الأسباب القوية. وحتى التوكل نفسه الذي هو عمل قلبي يقتضي مراجعة العبد ربَّه ومناجاته وهذا هو الدعاء. ولكن المقصود هنا الأمور التي يتطلب لحصولها فعل الأسباب الظاهرة، فلا بد من مقارنة العمل بالدعاء وعدم الاكتفاء بمجرد الدعاء.

وأيضاً، فالخلفاء الراشدون وبقية الصحابة الكرام كانوا يتعبون ويلاقون المشاكل في سبيل بذل الأسباب، ولكنهم مع ذلك كانوا من أوائل من يتوكل على الله حق توكله)[1].

نخلص مما سبق بالنتيجة: أن التوكل الحق يقتضي أمرين اثنين لا يتم التوكل إلا بهما، وهما: بذل الأسباب والاعتماد على الله.

ولا أدل على وجوب فعل الأسباب من قول الله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ مريم: ٢٥، حيث أمر الله مريم العذراء أن تهزّ جذع النخلة اليابسة[2] وهي امرأة ضعيفة بها مخاض لكي تسقط الثمار وتتمكن من أكلها وتتقوى بعد الولادة.

(وقد أخذ بعض العلماء من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً، وأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا. وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة . إن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعاً لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر. ولو شاء الله تخلُّفَ تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلَّفَ.

ومن أصرح الأدلة في ذلك – قوله تعالى : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الأنبياء: ٦٩، فطبيعة الإحراق في النار معنى واحد لا يتجزَّأ إلى معانٍ مختلفةٍ، ومع هذا أحرقت الحطب فصار رماداً من حرها في الوقت الذي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم. فدل ذلك دلالة قاطعة على أن التأثير الحقيقي إنما هو بمشيئة خالق السموات

[1]- شرح "جوامع الكلم" لرضاء الدين التتري: ص٧٣.

[2]- قال المفسرون إن الجذع كان جذعًا يابسًا، وذلك في أيام الشتاء، ولم يكن لتلك النخلة رأس، وأمرها الله أن تهزّه، فلما وضعت يدها عليه، أنبت الله تعالى رأس النخلة وسقط الرطب رَطْباً جنياً. ويروي المفسرون في ذلك قول ابن عباس– رضي الله عنه– في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ ، حيث قال: (كان جذعًا يابسًا، فقال لها: هزّيه ﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾. انظر على سبيل المثال: تفسير ابن كثير: ٥/٢٢٥.

والأرض، وأنه يسبّب ما شاء من المسبِّبات على ما شاء من الأسباب، وأنه لا تأثير لشيء من ذلك إلا بمشيئته جل وعلا)[1].

(ومما يوضّح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله قوله تعالى عن يعقوب- عليه السلام: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ يوسف: ٦٧، أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به، لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين لأنهم أحد عشر رجلاً أبناءُ رجل واحد، وهم أهل جمال وكمال وبسطة في الأجسام. فدخولهم من باب واحد مظنة لأن تصيبهم العين، فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة تعاطياً للسبب في السلامة من إصابة العين، كما قال غير واحد من علماء السلف. ومع هذا التسبب فقد قال الله عنه: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ يوسف: ٦٧. فانظر كيف جمع بين التسبب في قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾ وبين التوكل على الله في قوله: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾وهذا أمر معلوم لا يخفى إلا على من طمس الله بصيرته.

فالله جل وعلا قادر على أن يسقط لمريم الرطب من غير هز الجذع، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجذع. وقد قال بعضهم في ذلك:

ألـــم ترَ أن الله قال لمريـــم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزِّه ... جنته ولكن كل شيء له سبب.)[2].

وقال أبو حامد الغزالي: (وإن أراد الله أمراً هيأ أسبابه وحرك القضاء بتحريكه؛ وقد كان الله قادراً على تحصيل الرطب لمريم من غير هز...).[3]

ومما كتبه علماء التتر عن التوكل قول القورصاوي التتري: (فالتوحيد الحقيقي باب من أبواب الإيقان الحقيقي ومن ثمراته التوكل، وترك شكاية الخلق والرضا والتسليم لحكم

---

[1]- التفسير "أضواء البيان" للشنقيطي: ١٩١/٤.

[2]- المرجع السابق: ١٩٢/٤.

[3]- "سر العالمين وكشف ما في الدارين": ٣٩/١-٤٠.

الله، ولا يعبد غير الله، ولا يتبع الهوى، فإن من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده؛ قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الجاثية: ٢٣)[١].

وقال صوفي إلاهيار في بيان التوكل عند السفر:

كيف أصِلُ؟ لا تحمِل الهمّ

لا تحير نفسك واتكل على رب الأنامْ

لأن التوكل لو كان في الطريق رفيقاً

فلا غرابة لو كان له الحَجَر رزقاً.

لو كان الاجتهاد صاحبا له

فلا غرابة لو صار الوادي متجراً له.

سيصل إلى النتيجة على الله المتوَكِّلُ

إذاً، توكلوا يا عباد الله، تَوَكَّلُوا.

...

إذا توكَّلتَ على الله فتوكل ولو كنتَ "مَن"!

سيعطي التوكُّلُ ثمارها ولو كنت "أين"![٢]

هذا بعض كلامِ مَنْ سلفَ من علماء التتر في التوكل، وكذلك المعاصرون لم ينسوا منزلة التوكل من العبادة.

يقول أحد التتر المعاصرين في كتابه "لا إكراه في دخول الجنة": (قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، إذاً علينا ألا نعبد إلا إياه... ولا نتوكل إلا عليه)[٣].

---

[١]- "الإرشاد للعباد": ص٥٥.

[٢]- "ثبات العاجزين" بالتترية: ص٨٦.

[٣]- "لا إكراه في دخول الجنة" بالتترية: ص١٥٣.

وقال أحد الأئمة التتر عند كلامه عن تربية الأولاد: (إنّ الشجاعة والتوكل من الصفات التي لا بد أن يتصف بها المسلم[1]. ولا بد أن يكون اتصافه بها لله عز وجل. والمسلم الحق يكون متواضعاً حيياً في وقته، ويكون جريئاً متوكّلاً في وقته)[2].

وكذلك من مظاهر التوكل عند التتر هو جريان عادة بعض علمائهم أن يذكروا في بداية كتبهم ما يشير إلى توكلهم كقولهم: "وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب"[3].

[1]- ربما يستحسن التنبيه على أن هناك فرقا بين صفتي التوكل والشجاعة من حيث الوجوب والاستحباب، لأن التوكل على الله من التوحيد، والشجاعة من ثمراته وليست لازمة للتوكل. ولذا روي عن النبي ﷺ لما سئل: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: ((نعم)). أخرجه المالك في "الموطأ- رواية الليثي"، باب ما جاء في الصدق والكذب: ص٧٠١ برقم١٨١٦، البيهقي في "شعب الإيمان": ١٠٥/٩ برقم٤٤٧٢، وقال المحقق: رجال الإسناد ثقات، ولكنه مرسل. وقال أبو عمر: (لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت، وهو حديث حسن) "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد": ١٢٣/٦ تحت رقم٣٩٨.

[2]- تقويم الأسرة المسلمة ٢٠٠٦: عن ٢٦ نوفمبر.

[3]- انظر على سبيل المثال "وقائع قازان وبلغار" لمراد رمزي: ٢٧/١.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في هذه المسألة و حكمها

تكلمت في المطلب الأول عن حقيقة التوكل، وذكرت أن التوكل الصحيح لا بد أن يقتضي أمرين اثنين:

- اعتماد القلب على الله ثقةً به سبحانه وتعالى في أمر دنيوي أو أخروي،
- بذل الأسباب المطلوبة لتحصيل هذا الأمر.

فبطبيعة الحال- وللأسف- ذهب الناس في التوكل إلى طرفي النقيض: بالإفراط في الأسباب أو بالتفريط.

أ- فالفريق الأول انصرفوا إلى الأسباب بالكلية، و تعلقوا بها تعلقاً مذموماً حيث جعلوا كل اعتمادهم عليها وحدها، ونسوا مسببها عزّ وجلّ، وظنوا أن الأسباب هي التي تعمل وحدها! وهذا الاعتقاد له تأثر كبير باعتقاد الفكر الشيوعي الملحد المادي الذي تربى عليها جيل آبائنا وورثه أبناؤهم من بعدهم. فهم نسوا الله واعتقدوا أن حياتهم قائمة عليها وحدها وبها يتعلق مصيرهم المستقبلي: أ شقي أم سعيد. وهذا الاعتقاد مستولٍ على أذهان الناس في هذه الأيام كثيراً بحيث صارت الأسباب تعبد مع الله أو من دونه سبحانه وتعالى.

ومن صور هذا الانحراف:

- اعتماد كثير من الناس اعتمادا كلياً على الأدوية التي صنعتها أيدي الناس وترك الاعتماد على خالق الناس، حيث يظنون أن الصحة الحسنة من نتاج أنفسهم وأدويتهم فقط. وقَلَّ من يتذكر أن الصحة أوالشفاء من الله فهو خالق الأسباب والمسببات.

قال صاحب "الطريقة المحمدية" في بيان هذا الانحراف: (ومن الأخلاق المذمومة أن تعتقد أن صحتك الحسنة من عند غير الله! والعكس هو الصحيح، وهو أن تسند الأمور كلها إلى الله، وأن تتوكل على الله.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ العنكبوت: ١٧.

وقال في آية أخرى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾الطلاق: ٣.

وقال في آية ثالثة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾المائدة: ٢٣)[١].

فالمسلم في أمر الشفاء من الأمراض والآلام مع اتخاذه للعلاج بالأدوية والعقاقير لا بد أن يتوكل على الله، وذلك بالاعتماد عليه والثقة التامة به سبحانه وتعالى والإيمان بأن الله هو الشافي والقادر على إزالة المرض وآثاره. فلذا كان النبي ﷺ إذا أتى مريضاً أو أوتي به يُعوّذه قائلا: ((**اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفِ، أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً**))[٢].

قال صوفي إلاهيار مبيناً وجوب الاتكال على الله في الأعمال:

اعمل، ولكن لا تتكل كليًا على العمل

بل ابن اعتمادك على الله عز وجل[٣]

وهنا من الضروري- أيضاً- أن ننبه على حالة أخرى لها تعلق بما سبق، وهي أن بعض المسلمين أحياناً ممن يعرف حقيقة التوكل على الله وضرورته في الأمور كلها مع اتخاذ الأسباب لا يطبقه في الواقع العملي- يظهر ذلك جلياً عند إصابتهم بالأمراض البدنية (عند ابتلاء أحدهم بمرض من الأمراض البدنية) فيراجعون الأطباء ويتناولون الأدوية ويتخذون الأسباب المادية ولا يخطر ببالهم ولا لحظة أن يرجعوا إلى مسبب الأسباب الطبيب الأعظم ويقول: اللهم رب الناس أذهب البأس واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقما، وذلك إما لنسيانهم هذا الواجب العظيم وهذا بدوره راجع إلى ضعف ارتباط قلبه بالله تعالى أم لعدم ثقته بالله تعالى، وهذا بحد ذاته نابع عن خلله في توحيد الربوبية. وكلا السببين من أمراض القلوب يجب معالجتها بالإكثار من الذكر وبالتأمل في الآيات.

---

[١]- "الطريقة المحمدية": ص٩٦.

[٢]- الحديث أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ: ص١٠١٤ برقم ٥٧٤٣، وانظر المواضع الأخرى من صحيحه (٥٦٧٥، ٥٧٤٤، ٥٧٥٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: ص٩٧٢ برقم (٢١٩١).

[٣]- ثبات العاجزين: ص٧٧.

- ومن الانحراف في التوكل: أن يكون الدخل المالي الشهري للرجل مثبّطاً له عن الزواج، بحيث يخاف الشاب أن يقدم على الزواج إذا لم يكن ذا وظيفة وراتب ومسكن. فمثل هذه المسائل: ما مصدر الرزق؟ وكم الراتب؟ وما الوظيفة؟ وما المسكن؟ صارت هي مقياس السعادة، فيعتمدون عليها في تكوين أسرهم، وفي إنجاب أولادهم وغير ذلك. فمشكلة الزواج وبجانبها مشكلة تحديد النسل ومشكلة الإجهاض، كلها مبنية على قلة الاعتماد على الله، وعلى اتخاذ الأسباب أصلاً لقيام مستقبلهم السعيد دون خالق الأسباب. ولكننا إذا نظرنا إلى الأسر الملتزمة بالدين المهتمة بالتعلم الديني نجدهم يتزوجون في سن مبكرة وأولادهم كثر وما يموت أحد منهم جوعاً. هذه الحال مع الأئمة والعاملين في الحقل الديني، فلا يقل عدد أولادهم عن أربعة أولاد إلى عشرة[1].

وبيان بطلان تلك الظواهر فيما يلي:

قال صوفي إلاهيار في أبيات شعرية ما ترجمتها:

(إذا كنت متأهلاً ولديك أولاد
فلا تنسَ أن الله هو الذي خلق العباد
هو الذي أوجد الجسم وخلق فيه الروح
فطبعاً سيرزقهم ما دام هو نفخ فيهم الروح
وما لم يزل الروح في البدن موجوداً
لن تنقصه نعمة الله أبداً
لن يفارق الروح البدن قبل انقضاء العمر المحسوب
وكذلك: لن يفارق الرزقُ شفتي العبد قبل أمره المكتوب)[2].

[1]- حسب الإحصائيات الشعوب المسلمة في روسيا لا تزال في النمو مع أن عدد سكان روسيا بصفة عامة في انتقاص مستمر. وقد ثبت أن هناك فرقا في نسبة الولادة بين قوميات شعب تتارستان، فنسبة الولادة عند التتر أكثر من نسبة الولادة عند الروس بشكل ملموس. انظر الدليل الاقتصادي الجغرافي "كل شيء عن تتارستان" لـ م. ر. مصطفين و ر.غ. خوزييف: ص١٤. وانظر الموقع باللغة الروسية:
www. religion.ng.ru/problems/2007-07-18/4_russian.html
و: http://federalmcart.ksu.ru/publications/kateg_2.htm

[2]- "ثبات العاجزين": ص٨٧ ، ب/٩٩٧.

فهذه الأبيات من قول العالم التتري تذكرنا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين لنا أن الله الخالق الرازق وإليه الأمر كله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الذاريات: ٥٨، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٣١.

ويورد صاحب "الطريقة المحمدية" في بيان وجوب التوكل على الله: (...وفي الحديث عن عمر- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (**لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً[١] وتروح بطاناً**)[٢].)[٣].

ويقول رضا الدين بن فخر الدين في شرح هذا الحديث: (...وفي هذا الحديث يأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتبر بهذه الطيور وعملها...وقال: فالمتوكل على الله يجتهد في الكسب ويعتقد أن الرزق من الله تعالى، وليس من مجرد الكسب)[٤].

- وأيضاً من مظاهر عدم التوكل على الله أو ضعفه: اتخاذ بعض الناس التمائم التي يعلقونها على رقابهم أو في سياراتهم وغير ذلك. وهي على النوعين: - إما أن تكون التميمة من المادة الممنوعة كالخيط يربطونه بيد الطفل، أو المقص يضعونه تحت الوسادة، أو تعليق حذاء الفرس أو الكف أو العين على جدران البيت أو المكتب أو في السيارة. - وإما أن تكون من آيات القرآن الكريم.

وسوف نتكلم عن التمائم في الفصل الثالث - إن شاء الله- بالتفصيل، ولكن يهمنا هنا أن هذه التمائم ولو كانت من الآيات القرآنية فهي في النهاية تعود الإنسان على اللجوء في الشدائد والرغائب إلى التميمةِ نفسها لا إلى الله! فنرى الإنسان إذا عزم على أمر معين تبدأ يده — تلقائياً- تبحث عن التميمة المعلقة على رقبته ليلمسَها أو ليقبِّلَها وذهنه منصرف

---

[١]- تغدو خماصا، أي: جياعاً. قال ابن الأثير أبو السعدات: (الخَمْص والخمصة والمخمصة: الجوع والمجاعة) "النهاية": ص٢٨٦.

[٢]- الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ، باب في التوكل على الله، ١٨٨٧، برقم ٢٣٤٤. وأحمد في مسنده: ٣٣٢/١، برقم ٢٠٥. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة، فمن رجال مسلم.

[٣]- "الطريقة المحمدية": ص٩٦.

[٤]- "شرح جوامع الكلم": ص٧٣.

إلى التميمة لا إلى الله، أو تبدأ عيونه ترسل النظرات إلى التميمة كأنما يخاطب الله أو يطلب العون من خلالها أو كأنما يخاطب التميمة نفسها! فإذا وصل الإنسان إلى مثل هذه الحال كان شبيهاً بالروس النصارى الذين يعملون الشيء نفسه بالصلبان المعلقة في رقابهم والصور المعلقة في بيوتهم ومكاتبهم. والحقيقة أن هذه العملية أصبحت تجري في قلوبهم لا شعورياً؛ فربما إذا سألت هذا الشخص تجده يفهم معنى التوحيد ويعرف ما هو التوكل على الله، ولكن يصدق عليهم قول النبي المصطفى ﷺ: ((**من تعلق شيئاً وُكل إليه**))[1].

– ونوع آخر من الانحراف ما كان قريباً من تعلق الإنسان بالتمائم وأسوأ منه للخلل الحاصل في اعتقاد تفرد الله بعلم الغيب، وهو تعلق الإنسان بأبراج النجوم حيث يعتقد الإنسان أنها تدل على أمور غيبية مستقبلية: من ولد في النجم الفلاني أو البرج الفلاني فإنه سيوفّق اليوم في التجارة أو أنه اليوم سيرتاح نفسياً، وأما فلان الذي ولد في البرج الفلاني فيومه غدا سيكون صعباً، وربما يتعرض للمشاكل مع الزملاء أو سيخسر الصفقة فلا ينصح له بالخروج إلى السوق...وإلى غير ذلك من الخزعبلات والكذبات التي هي من اعتقادات الجاهلية. وهذا حرام وإن لم يعتقد الإنسان أنها هي التي تحدث هذه الحوادث من دون الله، بل يعتقد أنها سبب للتأثير أما الذي يحدث هذه الأمور هو الله، فهذا أيضا باطل وشرك أصغر لا يجوز، لأن الله لم يجعلها سبباً، ولا علاقة لها بما يجري في هذا الكون أبداً من توفيق الناس في معاملاتهم الاجتماعية من زواج أو صداقة أو حرب أو ولاء وبراء، أو في معاملاتهم التجارية من الصفقات المربحة أو الخاسرة، ومن نزول البورصة أو ارتفاعها، أو أحوال الطبيعة من معرفة درجات الحرارة... وهكذا. وذلك لأن هذه الأمور راجعة إلى تدبير الله عز وجل ، فالأمور بيده وإذنه وحده، أما الكواكب فلا تتعدى قدرها الذي رسمه لها رب الكواكب والنجوم؛ قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ الملك:٥، أي:

---

[1] – **رواه الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عكيم ، كتاب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية التعليق: ص٤٦٨ برقم٢٠٧٢، وقال: عبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، ورواه أحمد في مسنده: ٣١/٧٧–٧٨ برقم١٨٧٨١، ورواه غيرهما. وحكم الألباني على الحديث بالصحة؛ انظر الموضع المذكور من سنن الترمذي– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه، وقال محقق المسند: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف؛ عبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ.**

(خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)[1].

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: ((**من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**))[2].

- ومِن صور الانحراف في مسألة التوكل ما ذكره أحد الكاتبين في التقويم التتري الإسلامي: (كل خطوة نخطوها نتذكر خرافة بعد الخرافة، وكلما تذكرنا خرافة: إما نتفل، وإما نطرق على الخشبة، وإما نمسك أزرار القميص، أو نقلب الطاقية؛ أو إذا قطعت علينا الطريق قطة سوداء نغير مسار الطريق خوفاً من أن يصيبنا مكروه. وكذلك بعض الخرافات تتعلق بالأرقام كـــ: ١٣، أو ٦٦٦. فالناس تخاف منها اعتقاداً منهم أنها من الأرقام المفضلة عند الشياطين وأنها تسبب الشقاوة والبلوى... .

... فلذا- يقول المؤلف بنوع من الازدراء- أيها الخرافي، إذا لم تتعرّض لمثل هذه الأمور: لم تقطع طريقك قطةٌ سوداءٌ، ولم تركب سيارة لوحاتها رقم (٦٦٦)، ولم تدخل عمارة مرقمة برقم (١٣)، ولم تكسِّر مرآةً، ولم تكُبَّ الملح - وغير ذلك من الخرافات- فثِقْ تماماً أن يومك سيكون آمناً من المخاطر والآفات- امشِ ولا تَخَفْ)[3].

إنه لمن الواضح أنّ التوكلَ له علاقة قوية بالخوف والرجاء. بل هو من ثمراتهما: فمَن ضعُف خوفُه ورجاؤه بالله ضعُف توكلُه بالله. فإن الإنسان إذا ما استشعر عظمة الله، وقوته، وجبروته، ورحمته، وإحسانه، وأن الأمور بيده، وأنه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، ما كان خائفاً منه ولا راجياً منه، بل يكون قلبه متعلقاً بغيره سبحانه وتعالى مما يخاف منه من الأسباب الدنيوية المادية أو الروحانية. فبطبيعة الحال من كانت حاله كذلك لا يتصور منه

---

[1]- **أورده البخاري معلقاً في كتاب بدء الخلق، باب في النجوم: ص٥٣٣.**

[2] - **أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الكهانة والتطير، باب في النجوم: ص٧٠١ برقم ٣٩٠٥، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم: ص٦١٧ برقم ٣٧٢٦، وأخرجه أحمد في مسنده بتكرار لفظ "ما زاد زاد": ٤١/٥ برقم٢٨٤٠، وقال محققوا المسند في الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبدالله بن أبي مغيث وهو ثقة. وقال الألباني في الحكم على حديث أبي داود وابن ماجه في الطبعة المزودة بأحكامه: حسن.**

[3]- **التقويم التتري الإسلامي ٢٠٠٣: ص٢٠٣-٢٠٤. وسوف نتحدث عن الخرافات بشكل أوسع في الفصل الثالث إن شاء الله.**

اللجوء إلى الله والاعتماد عليه. فمن وصل عقله إلى أن اعتقد هذه الاعتقادات الدنية لن يتوكل على الله! لأنه يخاف من الملح المكبوب، والقط المار، والزجاج المكسور إلى غيرها من الخرافات التي لا تضر في الحقيقة ولا تنفع.

يقول صاحب المقالة آنفة الذكر بعد أن ذكر جملة من هذه الخرافات والأباطيل: (وأهم شيء لا بد من ذكره هنا..أهم شيئ، هو: لا تصدق كل هذه الخرافات التي تسمعها من الناس!)[1]. وهذا حق، لأن هذه الخرافات لم ترد في الشرع الحنيف، ولم تذكر في الحقائق العلمية، فالإسلام ينقضها والعقل يرفضها، فلا يؤمن بها إلا من خلا قلبه من الإيمان الصحيح فينشغل بمثل هذه الأباطيل والخرافات.

يصف صوفي إلاهيار حال ضعيف العقيدة قليل التوكل، فيقول في أبيات شعر ما معربه:

أنا أحد المساكين عديم التوكل، في حسرة
انطفى سراج اجتهادي وفقدت الرجولة
أصبحتُ أُلبّي طلبات نفسي الخبيثة
هل بقي أحد مثلي مؤمناً
يا إلهي أدخلني بحر الجد والاجتهاد
وامنحني الضعيف الجبان حال الرجال الاقوياء
أنا عبد مسكين مجنون لا عقل لي
لست مطيعا ولا اجتهاد عندي ولا توكلَ.[2]

نسأل الله العافية.

ب- **والفريق الثاني** فرّطوا في الأسباب ولم يلتفتوا إليها بحجة التوكل على الله تعالى، بل ربما احتجوا بقدر الله قائلين: إن كان كتب لي في الأزل حصول الشبع والري والسفر

---

[1]- المرجع السابق.

[2]- "ثبات العاجزين": ص٨٩.

والعبادة ونحوها فلا بد أن يحصل لي ذلك سواءً تحركتُ أم لم أتحرك، وإن لم يكن مكتوباً فلا فائدة من الحركة.

فنقول لهم إن الإيمان بالقدر أمر مطلوب شرعاً، ولكن أنت لا تعرف ماذا كتب لك، ثم إن كتب لك الشبع، فالشبع لا يكون إلا بعد إعداد الطعام وأكله فلذا لم تعطل الشريعة العمل وبذل الأسباب. فلو جلست في البيت مكتوف الأيدي لا تأكل ولا تشرب بحجة التوكل والقضاء وبأنه ربما كتب عليك أن تموت جوعا لعدك الناس مجنوناً.

والعجيب أن هؤلاء إذا قيل لهم تعال اشتغل وتكسبْ، ثم كل تشبعْ، يقول لك: (إذا كتب لي الشبع الليلة سأشبع دون العمل معكم)، ولكن إذا دعوته للطعام لا يقول: (إن كتب لي...) بل يجلس ويأكل!

فحالهم هذه مخالفة للقرآن والسنة وعمل الصحابة- رضوان الله عليهم- والتابعين لهم بإحسان. فإن الله تعالى أمر في القرآن بالجهاد والدفاع عن الدين مع إعلامه إيانا بنصرته لدينه وحفظه من التغيير والتبديل. والسنة المطهرة - أيضاً- تدل على وجوب التوكل مع بذل الأسباب كقوله ﷺ: ((**اعقلها وتوكل**))[1]. وكذلك كان عمل الصحابة والتابعين والمسلمين في خير القرون.

فلو سار سلفنا الصالح على منهج الإعراض عن الأسباب ما انتصر لهم دين، ولا تأسست لهم الخلافة والحضارة، ولا انتشر الإسلام.

قال ابن الجوزي[2]- رحمه الله: (هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل، وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زارعين، وصالح

[1]- سبق تخريجه في ص١٥٨.

[2]- ابن الجوزي، هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي البكري، جمال الدين أبو الفرج، الحافظ، العلامة، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة في أنواع العلوم: زاد المسير، تلبيس إبليس، المنتظم، الحمقى والمغفلين، الموضوعات، وغير ذلك. تبحر في علوم كثيرة، كان مبرزاً في الوعظ والتفسير والتاريخ، متوسطا في المذهب والحديث. ولد في بغداد سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م. انظر "الوافي بالوفيات": ١٠٩/١٨ رقم٦٧٩٠، "طبقات المفسرين" للسيوطي: ص٥٠ برقم٥٠، الأعلام: ٣١٦/٣.

تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

ويقول ابن القيم- رحمه الله: (بل التجرد من الأسباب جملةً ممتنعٌ عقلا وشرعاً وحساً، وما أخل النبي ﷺ بشيء من الأسباب، وقد ظاهر بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عريانا، كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة، واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه يدله على طريق الهجرة... وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد...)[2].

ويقول رضا الدين بن فخر الدين- رحمه الله- في شرح الحديث ((**لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**))[3]: (قال بعض الشراح في قوله "لرزقتم"، أي: ولو تركتم الأسباب. وهذا غلط فاحش. فإن الطيور إن كانت ترجع بالمساء شبعى، فبسبب سعيها طول النهار وفقا لسنة الله في الخلق. فالطيور لا تجلس طول النهار في أعشاشها، لأنها تدرك أن الرزق لا يحصل بلا عمل، فلذا تخرج من الصباح إلى الليل وهي تبحث عن الرزق. فتوكلهم عبارة عن الاجتهاد والإتيان بالأسباب. وفي هذا الحديث يأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتبر بهذه الطيور وعملها...وقال: ولا يعني التوكل تعطيل الأسباب: فتجد الشخص يجتهد ليل نهار وهو متوكل على الله حق توكله، وكذلك هناك من يجلس معطلاً عن العمل ليل نهار ومع ذلك ليس متوكلاً، بل المعلوم أن المتوكل على الله يجتهد في الكسب و يعتقد أن الرزق من الله تعالى، وليس من مجرد الكسب)[4].

ويقول رضاء الدين أيضاً: (الجلوس مكتوفي الأيدي وعدم بذل الأسباب- هذا في الحقيقة تسليم لأعدائنا كل الإمكانيات للتغلب علينا. والمسلمون في زماننا لا يدركون فساد

---

[1]- "تلبيس إبليس": لابن الجوزي: ص ٢٧٣.

[2]- "تهذيب مدارج السالكين": ٣٣٨-٣٣٩، مختصرا من "مدارج السالكين": ١٣٣/٢-١٣٥.

[3]- سبق تخريجه في ص١٦٧.

[4]- "شرح جوامع الكلم": ص٧٣.

هذا الأمر. ولعل عدم فهمهم الشريعة فهماً صحيحاً ساعد على ارتكاب هذا الخطأ. فهؤلاء في مبارزة حياتهم كأنهم يسلمون السلاح لأعدائهم ولا يفهمون أضرار ذلك الفعل.

ومنهم من يتجشم عناء السفر إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ليعيش حياة الدراويش: في وقت لم يؤمِّن لعائلته نفقة شهر ... وفي حالة عدم اهتمامهم بتربية أولادهم وعدم تعليمهم يجلسون في المساجد يختمون القرآن! فأمثال هؤلاء يفرون من "ميدان المعركة" ويسلمون الأمور لمنازعيهم.

بل الواجب أن يعمل كل واحد قدر إمكانه، ويساعد ملَّتَه في طريقها نحو النهوض والتطور بالمال والفن والصناعة.... أما التوقف عن الكسب وعن الاجتهاد في العمل بحجة التوكل يكون عديم المعنى مثل ذهابك إلى الطبيب وعدم سماعك لكلامه!)[١].

فكما تبين فإن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، وكما أن سر التوكل على الله وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده. وأعظم ما يتجلى التوكل بهذين الأمرين حالَ الدعاء؛ وذلك أن الدعاء من الأسباب العظيمة إن لم يكن أعظمها، والداعي حين إتيانه بهذا السبب فإنه يستعين بالله، يفوض أمره إليه وحده دون من سواه. فبعظم دور الدعاء وجبت معرفة حقيقة الدعاء وتعلم أحكامه؛ فلذا كان أول مطلب من الفصل التالي – بإذن الله – في كشف حقيقة الأذكار والأدعية التي هي من أجل أنواع العبادات القولية.

هذا ما تيسر لي كتابته في الفصل الأول، فأسأل الله أن يجعل أعمالنا كلها لوجهه الكريم، وأن يرزقنا حبه وحب من يحبه، وأن يهدينا للخوف الذي لا يورث اليأس، والرجاء الذي لا يأتي بالأمن والغرور، والتوكل الذي لا ينفي الأسباب. آمين.

---

[١]– "شرح جوامع الكلم": ص٧٤–٧٥.

الفصل الثاني

مظاهر توحيد الألوهية القولية وما يخالفه

يحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأذكار و الأدعية

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الأذكار والأدعية الشرعية عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأذكار والأدعية و حكمها

المبحث الثاني: النذور و الأيمان

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في النذور والأيمان الشرعية عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في النذور و الأيمان و حكمها

المبحث الثالث: التوسل

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التوسل الشرعي عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التوسل و حكمها

مدخل

قد عرفنا من الصفحات السابقة أن توحيد الألوهية يتضمن عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح. وهذا يعني أن الأقوال من مهمات العقيدة الإسلامية، وهي من الأعمال التي يُعامَل الإنسانُ بمقتضاها في الدنيا، ويُحاسَب عليها في الآخرة. والآيات القرآنية والسنة النبوية تشهد لذلك:

قال الله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ آل عمران: ١٨١، وقال أيضاً: ﴿كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ مريم: ٧٩، وأيضاً: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ الزخرف: ١٩، و أيضاً: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨.

وكذلك جاء في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث التي تثبت خطر الكلام وأثره في دين العبد ثواباً وعقاباً.

ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار**))[1].

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: ((**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**))[2].

وفي رواية أخرى عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل**

---

[1]- رواه الترمذي، في كتاب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس: ص٥٢٣، برقم ٢٣١٤، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة: ص٦٥٦، برقم ٣٩٧٠، وأحمد في مسنده: ٣٣٩/١٣، برقم٧٩٥٨، وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق على الحديث: حديث صحيح، وهذا الإسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان: ص١١٢٣، برقم ٦٤٧٨.

له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل بها عليه سخطه إلى يوم القيامة))، قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.[1]

وأيضاً، ما ورد عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه– قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ﷺ: ((**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو على مناخرهم – يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم؟!**))[2].

فهذه النصوص القرآنية والنبوية الجامعة تبين خطورة الأقوال في دين الله، وأنها محسوبة على قائلها. فكما أن الكلام الطيب يترتب عليه جزاءٌ حسنٌ، فكذلك تترتب العقوبة على الكلام المحرم؛ فالإنسان يزرع بقوله الحسنات والسيئات، ثم يحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة.

إن أكثرَ ما يُدخل الناسَ النارَ النطقُ بألسنتهم! وما ذلك إلا لأن أكثر خطايا بني آدم في ألسنتهم[3]. فإن معصية النطق يَدخُل فيها أنواع البدعيات والشركيات، كالتوسل البدعي والشركي، ودعاء غير الله والاستغاثة بغيره سبحانه، وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل؛ ويدخل فيها القول على الله بغير علم، وهو قرين الشرك؛ ويدخل فيه شهادة الزور التي

---

[1]– أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في قلة الكلام: ص٥٢٤ برقم ٢٣١٩، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة: برقم ٣٩٦٩ ، وأخرجه أحمد في مسنده واللفظ له: ١٨٠/٢٥ برقم١٥٨٥٢، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة": ٥٤٩/٢ برقم ٨٨٨.

[2]– رواه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: ص٥٩٠، برقم ٢٦١٦، وقال هذا حديث حسن صحيح، و ابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة: ص٦٥٦، برقم ٣٩٧٣، والإمام أحمد في مسنده: ٣٤٤/٣٦، برقم ٢٢٠١٦.

[3]– وأصله في الحديث: ((أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٤٣/١٠، برقم ١٠٤٤٦، وقد ذكره الألباني في "السلسلة الصحيحة": ٧٠/١، برقم ٥٣٤، وقال: رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح.

عدلت الإشراك بالله عز وجل؛ ويدخل فيها: السحر، والقذف، وغير ذلك من الكبائر والصغائر، كالكذب والغيبة والنميمة. وحتى سائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالباً من قول يقترن بها، ويكون مُعيناً عليها[1].

ولقد كان رسول الله ﷺ يخاف علينا من ألسنتنا ويأمرنا بالاستقامة التي يدخل فيها استقامة القلب واللسان والجوارح. وأنا إذ تكلمت في الفصل الأول عن أعمال القلب أشرع الآن في الحديث عن أعمال اللسان. فأعظم ما تراعى استقامته بعد القلب من الجوارح هو اللسان؛ لأن القلب إن كان هو ملك الأعضاء، فإن اللسان ترجمان القلب والمعبّر عنه، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، ولهذا لما أمر النَّبيُّ ﷺ بعض أصحابه بالاستقامة وصَّاهم بعدَ ذلك بحفظ اللسان، فعن سفيان بن عبد الله الثقفي – رضي الله عنه- أنه قال: قلتُ: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: ((**قل: ربي الله ثم استقم**)) أو كما في رواية أخرى: ((**قل: آمنت بالله ثم استقم**))، فقلتُ: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: ((**هذا!**)) [2].

والآن إلى مباحث ومطالب هذا الفصل...

---

[1]- انظر "جامع العلوم والحكم" في شرح قوله ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم»: شرح الحديث التاسع والعشرون: ١٤٧/٢.

[2]- رواه الترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان: ص٥٤٣، برقم ٢٤١٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان الفتنة: ص٦٥٦، برقم ٣٩٧٢، وأحمد في مسنده: ١٤٥/١٣ برقم ١٥٤١٩، وذكر ابن حبان لدى شرحه لهذا الحديث: قال أبو حاتم: المعنى في أخذ النبي ﷺ لسانه بيده وقوله: «هذا»، وقد أمكنه أن يقول: «اللسان»، من غير أن يأخذ لسانه؛ أنه ﷺ كان عاملاً بالعلم الذي كان يعلّم الناس به، فأراد أن يسبق نفسه إلى العمل بالعلم الذي استُعْلِمَ، فعلم بأنه أخبر السائل بأن أخوف ما يخاف عليه أن يورد صاحبه الموارد، وأمره أن يقبض عليه، ولا يطلقه، فعمل ﷺ بما كان يَعلَمُه أولا، حتى يُفَصِّلَ مواضع العلم والتعليم. صحيح ابن حبان: ٧/١٣ عند ذكر الحديث برقم٥٩٩.

المبحث الأول : الأذكار و الأدعية:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الأذكار والأدعية الشرعية عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأذكار والأدعية و حكمها.

المطلب الأول

مظاهر التوحيد في الأذكار والأدعية الشرعية عند التتر

المسألة الأولى: تعريف الأذكار والأدعية لغة وشرعاً:

١- تعريف الأذكار لغةً وشرعاً:

أولاً: معنى الأذكار لغةً:

الذكر لغة: مصدر ذَكَرَ الشيءَ يَذْكُرُه ذِكراً وذُكراً.

قال ابن فارس: (ذكر الشيء خلاف نسيانه، ثم حمل على الذكر باللسان...)[١].

وقال الإمام النووي: (ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس...قد اتفق العلماء على أن الذكر على ضربين: ذكر القلب وذكر اللسان. قالوا: وذكر اللسان يتوصل به إلى إدامة ذكر القلب)[٢].

---

[١]- معجم مقاييس اللغة: ٣٥٨/٢.

[٢]- انظر "تهذيب الأسماء واللغات" للإمام النووي:١١١/٣. وفيه أيضاً: (قالوا: وذكر القلب أفضل من ذكر اللسان، وإذا ذكر بالقلب واللسان معاً فهو الذكر الكامل). وقال النووي في "الأذكار": (الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل) ص٣٣. وقد اختلف أيهما أفضل. والتفصيل في المسألة يأتي بالجواب المقنع. وقد أجيب عن هذا وفصّل أحسن التفصيل في "الموسوعة الفقهية الكويتية": ٢٢٦/٢١.

وفي فتح الباري: (ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه ، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل... . ثم قال: الذكر الكامل هو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى)- "فتح الباري" كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل: ٢١٠/١٨.

وقال النووي في "شرحه على مسلم": (قال القاضي عياض: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان. أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه، ومنه الحديث: ((خير الذكر الخفي)) والمراد به هذا. والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه، ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث، قال: وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل؟ ... واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل، ومن رجح اللسان قال: لأن العمل فيه أكثر، فإن زاد باستعمال اللسان اقتضى زيادة أجر) باب فضل مجلس الذكر: ١٨/٩-١٩،=

وقال الراغب في "المفردات": (الذكر تارة يراد به هيئة للنفْس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول. ولهذا قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان)[1].

وفي "تاج العروس": (...الذكر نقيضه النسيان لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ الكهف: ٦٣، والنسيان محله القلب، فكذا الذكر؛ لأن الضدين يجب اتحاد محلهما. وقيل: هو ضد الصمت، والصمت محله اللسان، فكذا ضده.)[2].

مما تبين من هذه التعريفات أن أصل الذكر في اللغة هو حضور المعنى في القلب على خلاف النسيان، ثم حمل على الذكر باللسان وهو التلفظ بذلك المعنى على خلاف الصمت، وأبلغ الذكر أن يجتمع فيه ذكر القلب واللسان.

هذا هو المعنى اللغوي لكلمة الذكر، ثم نجد أن لهذه الكلمة إطلاقات عديدة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها: الطاعة، وذكر اللسان، وذكر القلب، والإخبار، والحفظ، والعظمة، والشرف، والخير، والوحي، والقرآن، والتوراة، واللوح المحفوظ، واللسان، والتفكر، والصلوات، وصلاة واحدة، و-أيضاً- جاء بمعنى التوبة، وبمعنى الغيب،

=عند شرحه لحديث برقم ٢٦٨٩ . وذكر في الموسوعة الكويتية (٢٥٠/٢١): (...ومع هذا فالإسرار بالذكر بالقلب بدون تلفظ ولا تحريك للسان بل بإمرار الكلام الذي يذكر به على القلب من تسبيح وتحميد وتهليل وغير ذلك كله جائز ويؤجر عليه فاعله لقول الله تعالى في الحديث القدسي المتفق على صحته: ((وإن ذَكَرَني في نفسهِ ذَكَرْتُه في نفسي)).).

[1]- "المفردات في غريب ألفاظ القرآن": ص١٧٩-١٨٠، وعنه مرتضى الزبيدي في "تاج العروس": ٣٧٧/١١.

[2]- "تاج العروس من جواهر القاموس": ٣٧٧/١١. وانظر أيضا تعريف الذكر في "القاموس المحيط" للفيروزآبادي: ص٣٩٦ حيث قال: (الذِّكْرُ، بالكسر الحِفْظُ للشيء، كالتَّذكار، والشيءُ يَجري على اللسان، والصِّيتُ، كالذُّكْرَةِ، بالضم، والثَّناءُ، والشرفُ، والصلاةُ للّه تعالى، والدعاءُ، والكتابُ فيه تفصيلُ الدِّين) ، و"تهذيب اللغة" للأزهري: ١٦٢/١٠ حيث قال: (قال الفراء: الذكر ما ذكرتَه بلسانك وأظهرتَه. قال: والذكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذكر، أي: لم أنسَه. وقال الليث: الذكر: الحفظ للشيء تذكُره، والذكر: جري الشيء على لسانك...)، و"لسان العرب" لابن منظور:٤٦٤/٢.

وبمعنى الخطبة.[1]

ولا إشكال في ذلك؛ إذ تنبثق هذه الإطلاقات عن الأصل اللغوي للذكر إما حقيقة وإما بالتلازم أو إطلاق أو تقييد.

ثانيا: معنى الأذكار شرعاً:

وأما شرعاً فله معنيان:

أ- معنى عام: وهو ذكر العبد ربه بجميع أنواع العبادات القلبية، والقولية، والعملية من قراءة القرآن، والثناء، والدعاء، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، والصلاة، والصيام، والحج وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنها إنما تقام لذكر الله وطاعته وعبادته.

وجاء في "تهذيب اللغة": (الذكر الصلاة، والذكر قراءة القرآن، والذكر التسبيح، والذكر الدعاء، والذكر الشكر، والذكر الطاعة)[2].

قال العز بن عبد السلام: (فذكر الله أصل العبادات وأس المعاملات)[3]. وذلك لأن هذه العبادات إنما وضعت لذكر الله سبحانه وتعالى. ولذلك نجد الإمام النووي يقول: (كل عامل لله بطاعة، فهو ذاكر لله تعالى. كذلك قال سعيد بن جبير[4]- رضي الله عنه- وغيره من العلماء)[5].

---

[1]- "مشارق الأنوار على أصحاب الأذكار" للقاضي عياض: ٢٦٩/١. هذه الاطلاقات وردت في القرآن والسنة. وأوصل بعضهم معاني الذكر في القرآن إلى ثمانية عشر معنى. انظر "كشاف اصطلحات الفنون" لمحمد علي التهانوي،: ٨٢٥/١، و"قاموس القرآن" للحسين الدامغاني: ١٨٠-١٨٣.

[2]- "تهذيب اللغة" للأزهري: ١٦٣/١٠، و"لسان العرب" لابن منظور: ٤٦٥/٢.

[3]- "شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال" للعز بن عبد السلام السلمي (ت:٦٦٠هـ): ص٩٠.

[4]- هو: سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم أبو محمد، يقال أبو عبد الله الكوفي، تابعي، أحد الأئمة الأعلام الثقات محدّثاً ومفسّراً وفقيهاً، روى عن الصحابة كابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبي سعيد وطائفة، قرأ القرآن على ابن عباس، وقد أورد الأصبهاني في "حلية الأولياء": ٣٢٩/٣ قول سفيان الثوري: (خذوا التفسير عن أربع: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك). وقيل كان أسود اللون. قتله الحجاج شهيدا سنة ٩٥هـ وهو ابن ٥٧ وقيل ٤٩. انظر "رجال صحيح البخاري" للكلاباذي: ٢٨٢/١، "وفيات الأعيان": ٣٦٧/١، "السير": ٣٢١/٤ (١١٦)، "تهذيب التهذيب": ١١/٤ (١٤)، "المنتظم": ٣١٨/٦، "شذرات الذهب": ١٠٨/١.

[5]- "الأذكار" للنووي: ص٣٤.

وقال فخر الدين الرازي[1]: (إن الذكر يكون باللسان والقلب والجوارح: فذكر اللسان بالألفاظ الواردة، وذكر القلب بالتفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف، وفي أسرار المخلوقات، أما ذكر الجوارح فبالاستغراق في الطاعات، والخلو عن المنهيات، وعلى هذا الوجه سمى الله الصلاة ذكراً في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الجمعة: ٩، وبهذا أيضاً يصبح قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢ متضمناً لجميع أنواع الطاعات)[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[3]- رحمه الله: (وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة، أو فكر، أو عمل قلبي، أو عمل بدني، أو ثناء على الله، أو تعلم علم نافع وتعليمه، ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى)[4].

---

[1]- فخر الدين الرازي، هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري الطبرستاني أبو الفضل، الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، الأصولي المفسر المتكلم، ولد سنة ٥٤٤هـ. له مصنفات في علوم كثيرة منها: " مفاتيح الغيب" في التفسير، "البرهان في قراءة القرآن"، "المحصول" في أصول الفقه، "المعالم في أصول الفقه"، "المعالم في أصول الدين"، و"المطالب العالية" في ثلاث مجلدات ولم يتمه وهو من آخر تصانيفه. قال الذهبي: "وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة". مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ، وله بضع وستون سنة. وقيل: إنه ندم على دخوله في علم الكلام، وروي أنه قال: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى، وله وصية أملاها في مرض موته على أحد تلاميذته تدل على رجوعه عن الكلام: (لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن). ينظر "وفيات الأعيان": ٣٤٩/٢، "طبقات الشافعية الكبرى": ٢٨٣/٤ برقم١٠٨٩، "سير أعلام النبلاء":٥٠٠/٢١، "طبقات المفسرين" للسيوطي: ص١٠٠، "طبقات الفقهاء الشافعية": ٣٨٠/١ برقم٣٦٦.

[2]- باختصار من "لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات" لفخر الدين الرازي: ص٤٦ وتفسيره "مفاتيح الغيب": ١٣٠/٤، وقد ذكر عنه هذا التفصيل ابن حجر في "فتح الباري": ٢٥١/١١.

[3]- الشيخ عبد الرحمن السعدي، هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧- ١٣٧٦هـ/ ١٨٩٠- ١٩٥٦م): مفسر، من علماء الحنابلة. مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) و هو أول من أنشأ مكتبة فيها، وله نحو ٣٠ كتاباً، منها: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، "القواعد الحسان في تفسير القرآن"، و"الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" رسالة، و"الخطب المنبرية" مجموعة من خطبه، وغير ذلك. انظر "أعلام" للزركلي: ٣٤٠/٣، "مشاهير علماء نجد وغيرهم" لـعبد الرحمن آل الشيخ: ص٣٩٢.

[4]- "الرياض الناضرة" لعبد الرحمن السعدي : ص٢٣٣، وينظر أيضاً "كتاب السلوك" من مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٦٦١/١٠.

ب- معنى خاص: وهو ذكر العبد ربه بالألفاظ التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله سبحانه وتعالى من تلاوة كتابه، أو إجراء أسمائه الحسنى و صفاته العليا على لسانه أو قلبه بالثناء على الله، وتمجيده، وتحميده، وتسبيحه، وتوحيده سبحانه وتعالى، واستغفاره واللجوء إليه، بالتعوذ به، ودعائه سبحانه وتعالى.

ويأتي هذا المعنى في اصطلاح الفقهاء ويقال: الذكر قول سيق لثناء أو دعاء[1] أو هو ما يطلق على كل مطلوب قولي[2]، أي: كل قول مطلوب شرعاً نتعبد الله بالتلفظ به من تعظيم الله والثناء عليه بأسمائه وصفاته، وتوحيده وتسبيحه، وشكره وحمده، أو تلاوة كتابه، أو مسألته ودعائه.[3]

وهذا هو الذكر بمعناه الخاص المتبادر إلى الأذهان عند إطلاق كلمة الذكر.

ولننظر -كذلك- إلى تعريف ابن الأثير- رحمه الله- حيث قال في "النهاية في غريب الحديث والأثر": (وقد تكرر ذِكْرُ "الذّكْرِ" في الحديث ويراد به تمجيد الله وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده)[4].

وقال ابن علان[5]- رحمه الله: (أصل وضع الذكر هو ما تعبَّدنا الشارعَ بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه)[6].

وهذا ينبئ بأن الذكر أحياناً يأتي بمعنى أخص مما تقدم من سائر المعاني المذكورة في الذكر الخاص، بحيث يكون معناه إنشاء الثناء القولي من غير دخول الدعاء عليه.[7]

---

[1]- "الموسوعة الفقهية الكويتية": ٢٨١/١١.

[2]- "الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية" لابن علان: ٣٩٦/١.

[3]- انظر "الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٢٠/٢١.

[4]- "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير: ص٣٢٨.

[5]- ابن علان، هو: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي: مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة، ولد سنة ٩٩٦ هـ. له مصنفات كثيرة، منها: "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" في شرح "رياض الصالحين"، و"المواهب الفتحية على الطريقة المحمدية"، و"الفتوحات الربانية على الأذكار النووية"، وغيرها، توفي سنة ١٠٥٧هـ. ينظر: "الأعلام": ٢٩٣/٦، "معجم المؤلفين": ٥٤/١١.

[6]- "الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية" لابن علان: ١/ ٣٩٦.

[7]- وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: (ويستعمل الذكر اصطلاحا بمعنى أخص من ذلك؛ فيكون بمعنى إنشاء الثناء دون سائر المعاني الأخرى المذكورة...): ٢٢٠/٢١.

٢- تعريف الأدعية لغة وشرعاً:

أولاً: الدعاء لغة:

قال ابن فارس: (كلمة الدعاء في الأصل مصدر من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك)[١].

قال الراغب: (الدعاء كالنداء..غير أن الدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان)[٢].

وقال ابن منظور: (دعا الرجلَ دعوًا ودُعاءً، أي: ناداه... وأصله دُعاوٌ؛ لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت متطرّفة بعد الألف هُمزت)[٣].

ثانياً: الدعاء شرعاً:

قال أبو سليمان الخطابي[٤]- رحمه الله: (هو استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية)[٥].

والدعاء الذي حثَّ الله عليه في كتابه، ووعد المخلصين فيه بجزيل ثوابه، نوعان: دعاء المسألة، ودعاء العبادة[٦].

١- "معجم مقاييس اللغة": ٢/٢٧٩.

٢- "المفردات في غريب القرآن": ص١٦٩-١٧٠.

٣- "لسان العرب": مادة د-ع- و: ٢/٣٩٠.

٤- أبو سليمان الخطابي، هو: أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، الإمام العلامة، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة. له "شرح الأسماء الحسنى"، و"الغنية" عن الكلام وأهله، و"معالم السنن"، وغيرها من المؤلفات النافعة، توفي رحمه الله سنة ٣٨٨هـ. ينظر: "وفيات الأعيان": ١/٢٩٧، "سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٣-٢٨، "تذكرة الحفاظ": ٣/١٤٩ برقم٩٥٠، "البداية والنهاية": ١١/٣٩٤ (١٥/٤٧٩ – تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي).

٥- "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي: ص٤.

٦- انظر: "النبوات": ١/٣٧٧، و"مجموع الفتاوى": ١٠/٢٣٧-٢٣٨، و"شرح الطحاوية": ص ٣٥٤.

أما دعاء المسألة، فهو: طلب جلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف أو دفع ما يضره.[1]

أما دعاء العبادة، فهو: التقرب إلى الله بجميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة، من الأقوال والأعمال، والنيات والتروك، التي تملأ القلوب بعظمة الله وجلاله.[2]
أو هو: الطلب والمسألة بامتثال الأمر واجتناب النهي.[3] وهذا التعريف فيه بيان وجه دخول جميع العبادات في مفهوم الدعاء وسيأتي بيان ذلك في الفقرة الآتية- إن شاء الله.

التلازم بين نوعي الدعاء:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[4]: (إن الدعاء أكثر ما يستعمل في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب، كما قال بذلك العلماء من أهل اللغة وغيرهم)[5].

ولكن بين نوعي الدعاء تلازماً يجب ألا يندّ عن البال؛ فإن دعاء العبادة لكونه متضمناً لجميع أنواع العبادات يتضمن دعاء المسألة؛ فيكون دعاء المسألة المعبر عنه في قول المصطفى ﷺ: ((**الدعاء مخ العبادة**))[6]، جزءاً من مفهوم العبادة وفرداً من أفرادها. ومن

---

[1]- انظر: "مجموع الفتاوى": ١٠/١٥، "بدائع الفوائد": ٨٣٥/٣.

[2]- انظر: "تصحيح الدعاء": ص١٧.

[3]- "جهود العلماء الحنفية في إبطال العقائد القبورية" لشمس الدين الأفغاني: ١٣٩٧/٣.

[4]- هو: عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، حنبلي من علماء نجد، وهو حفيد العلامة محمد ابن عبد الوهاب، ولد سنة ١١٩٣هـ في الدرعية، نشأ يتيماً، تربي في حجر جده الإمام ولازمه وأخذ عنه العلم. بعد وفاة جده اجتهد في طلب العلم، وصار من العلماء وهو في سن الشباب. شهد عصر ستة من أئمة حكام آل سعود: من الدولة السعودية الأولى والثانية. من مؤلفاته: "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، وهو تهذيب وإكمال لـ"تيسير العزيز الحميد" لابن عمه الشيخ سليمان بن عبد الله، "قرة عيون الموحدين"، "مختصر تفسير سورة الإخلاص"، ومجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى. وبعد عمر جاوز التسعين عاماً توفي الشيخ عام ١٢٨٥هـ ودفن بالرياض. انظر كتاب "مشاهير علماء نجد" لعبد الرحمن آل الشيخ: ص٧٨، "الأعلام": ٣٠٤/٣.

[5]- "فتح المجيد": عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ص١٧٤.

[6]- رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب منه الدعاء مخ العبادة، ١٩٩٨، برقم ٣٣٧١، من حديث أنس، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث بن لهيعة، ويغني عنه الحديث الصحيح: ((الدعاء هو العبادة)) في سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه الدعاء مخ العبادة: ١٩٩٨، برقم ٣٣٧٢، وأبواب=

ناحية أخرى، فإن كل مسألة متضمنةٌ لرجاء وخوف؛ فالطالب السائل يرجو حصول مطلوبه ومحبوبه ويخاف فواته، وهذا شأن كل نوع من أنواع العبادات؛ فإن العابد يرجو بعبادته رضا الله وجنته، ويخاف فواته، فهو طالب وإن لم يكن طلبه بصيغة قولية. فلذلك عرف البعض دعاء العبادة–كما سبق– بأنه: الطلب والمسألة بامتثال الأمر واجتناب النهي.[1]

قال ابن تيمية: (وكل سائل راغب وراهب، فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضاً راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال. والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه، هو أيضاً راجٍ، خائف، راغب، راهب؛ يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ الأنبياء: ٩٠، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ السجدة: ١٦، ولا يتصور أن يخلو داعٍ لله دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ مسألة من الرغب والرهب، ومن الخوف والطمع)[2].

بيد أن المعبود الذي يرجوه ويخافه العابد والسائل لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر؛ فالله يُدعى للنفع والضر دعاءَ المسألة، ويدعى خوفاً ورجاءً دعاءَ العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ المسألة، وكل دعاء مسألةٍ متضمن لدعاء العبادةِ[3].

=تفسير القرآن، باب و من سورة البقرة: ١٩٥٠، برقم ٢٩٦٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء: ٢٧٠٥، برقم ٣٨٢٨، وإنما ذكرت الرواية الضعيفة لأدلل بها على كون دعاء المسألة جزءًا أو نوعاً من العبادة، وحتى لا يفهم أن العبادة هنا تفسير لكلمة الدعاء. فالمقصود في كلا الروايتين دعاء المسألة لا دعاء العبادة؛ وكذلك فإن المعنى لا يستقيم فيما لو فُسّر الدعاء هنا بدعاء العبادة. وانظر جواز العمل بالحديث الضعيف لترجيح معنى على الآخر في "الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به" للشيخ عبد الكريم الخضير: ص٣٠٠.

[1]– **ومن وجوه دخول الدعاء في مفهوم العبادة التذلل؛ فإن المسألة لا تخلو عن تذلل السائل أمام المسؤول.**

[2]– **مجموع الفتاوى: ٢٣٩/١٠–٢٤٠.**

[3]– **انظر: "مجموع الفتاوى": ١٠/١٥–١١، وانظر: "بدائع الفوائد" لابن القيم: ٨٣٦/٣.**

المسألة الثانية: العلاقة بين الذكر والدعاء:

لقد ورد في الأحاديث وآثار السلف وكتب أهل العلم من محدثين وغيرهم إطلاق الذكر على الدعاء أو العكس، فذكروا الأذكار في كتب الدعاء، كما أدرجوا الأدعية في كتب الأذكار، وكذلك عُطف أحدهما على الآخر في بعض عناوين الكتب.

وهذه العلاقة التي بين الذكر والدعاء يُبيّنها العلامة ابن القيم- رحمه الله: (إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه، متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً لتضمنه الطلب، كما قال النبي ﷺ: ((**أفضل الدعاء الحمد لله**))[1]، فسمى "الحمد لله" دعاءً، وهو ثناءٌ محضٌ، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب من ربه حاجة ما... وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب، وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاءً من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه)[2].

وعلّل أبو إسحاق الزجاج[3] تسمية الذكر والثناء دعاءً، بأن الدعاء معناه النداء، فالإنسان يصدِّر في الذكر والثناء بالنداء سواءً بياء المناداة أو بغيره، كأن يقول: يا الله، لا إله إلا أنت، أويقول: ربنا لك الحمد، إذا قال هذا فقد دعاه أولاً ثم أتى بالثناء والتوحيد[4].

---

[1]- رواه ابن حبان في صحيحه: ١٢٦/٣، برقم ٨٤٦، وحسنه المحقق.

[2]- "بدائع الفوائد": ٨٤٨/٣-٨٤٩. وأصل كلامه عند ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ١٩/١٥.

[3]- الزجاج، هو:أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي. ولد سنة ٢٤١ هـ. كان من أهل العلم باللغة والأدب والدين المتين، من تصانيفه الكثيرة: "معاني القرآن"، "النوادر"، "الاشتقاق"، "العروض"، "خلق الإنسان"، "القوافي"، "تفسير جامع المنطق" وغير ذلك. أخذ الأدب عن المبرّد وثعلب، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب والنحو. أَدَّبَ القاسمَ بنَ عُبَيْد اللهِ الوزيرَ، فكان سَبَبَ غِنَاهُ. توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: "وفيات الأعيان": ٣٣/١، "معجم الأدباء": ١٣١/١-١٤٨، "سير أعلام النبلاء": ٣٦٠/١٤ برقم٢٠٩، "بغية الوعاة": ٣٤٧/١ برقم٨٢٥.

[4]- انظر "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج: ٢٥٥/١. وعنه في "تهذيب اللغة" للأزهري: ١١٩/٣، و"لسان العرب":٣٩٠/٢.

ويمكن أن يطلق الذكر على الدعاء لكون الذكر توطئة لتلك الأدعية لاستحباب الثناء على الله قبل الدعاء[1].

ويقول الخطابي بهذا الخصوص: (إن الداعي يفْتَتِحُ دعاءه بالثناء على الله سبحانه ويقدمه أمام مسألته، فسمِّي الثناء دعاء، إذ كان مقدمةً له وذريعة إليه على مذهبهم في تسمية الشيء باسم سببه)[2].

وقال الطبري في دعاء الكرب[3]: (...فإن قيل : هذا ذكر وليس فيه دعاء ، فجوابه من وجهين مشهورين:

أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء.

والثاني: جواب سفيان بن عيينة حيث قال: أما علمت قوله تعالى- في الحديث القدسي: ((**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**))[4]، ويبين

[1]- انظر "تحفة الأحوذي"، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله: ٣٣/١٠.

[2]- "شأن الدعاء" للخطابي: ص٢٠٦.

[3]- عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم؛ لا إله إلا الله رب العرش العظيم؛ لا إله إلا الله رب السماوات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم). رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب: ص١١٠٣ برقم٦٣٤٦، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب: ص١١٨٤ برقم٦٩٢١ (٢٧٣٠).

[4]- الحديث أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب في "التاريخ الكبير": ١١٥/٢ برقم١٨٧٩ وفي "خلق أفعال العباد": ٢٨٠/٢ برقم٥٧٩، والبيهقي في "الشعب": ٤٦٣/٢ برقم٥٦٧، وقصة سفيان بن عيينة أخرجها البيهقي في "الشعب": ٤٦٦/٢ برقم٥٧٠. وأخرجه عن حذيفة من طريق سفيان بن عيينة أبو نعيم في "الحلية": ٣١٣/٧ بلفظ (...أعطيته قبل أن يسألني)، وغيرهم. أورد هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات: ١٦٥/٣ ولكن قد حسنه ابن حجر لشواهده في فتح الباري: ١٧٦/١١، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني: ٥٠٧/٣. وذكر النووي قول ابن عيينة في "شرح النووي على مسلم"، باب دعاء الكرب: ٥٠/٩ عند شرحه للحديث برقم٢٧٣٠، وانظر "عمدة القاري": ٤٥٧/٢٢ عند شرحه للحديث برقم٦٣٤٥، و"فتح الباري": ١٧٦/١١ عند شرحه للحديث برقم ٦٣٤٦، و"تحفة الأحوذي" باب ما جاء ما يقول عند الكرب: ٢٧٨/٩ عند شرحه للحديث برقم ٣٦٦٠، وقال: ويؤيد الأول رواية أبي عوانة؛ فإنه زاد في مسنده الصحيح: (ثم يدعو بعد ذلك...).

العلامة المناوي[1] جواب ابن عيينة، فيقول: (أي لوكان يذكر هذه الكلمات بنية الحاجة فهذا كافٍ عن إظهاره؛ لأن المذكور علام الغيوب)[2].

إذاً فالعلاقة بين الذكر والدعاء كما يلي:

إذا أريد بالدعاء دعاء العبادة فهو حينئذ مرادف للذكر، لأن الذكر بمفهومه العام يعم جميع أفعال العبد التعبدية. فمفهوم دعاء العبادة والذكر بمفهومه العام واحد.

ولكن الغالب إطلاق الذكر على معناه الخاص وإطلاق الدعاء على دعاء المسألة، مثلما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله: (إن الدعاء أكثر ما يستعمل في الكتاب، والسنة، واللغة، ولسان الصحابة، ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب، كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم)[3] . فإذا أريد بالدعاء دعاء المسألة، فيكون حينئذ أخصَّ مطلقاً من الذكر، ويكون الذكر أعم مطلقاً منه؛ لأن الدعاء لا ينفك عن كونه ذكراً (فهو ذكر وزيادة)، وأما الذكر فيكون سؤالاً ويكون غير سؤال. فتكون العلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق.

ويمكن أن تسمى العلاقة بينهما تلازماً، لأن ذاكر الله بأي نوع من أنواع العبادات: القلبية أو القولية أو الفعلية، يلزمه الخوف والرجاء والرغبة والرهبة؛ فحاله حال الطالب

---

[1]- المناوي، هو: عبد الرؤوف (ويقال: محمد عبد الرؤوف) بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، زين الدين، ولد سنة ٩٥٢ هـ، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفا، منها: "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، "الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية". عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ. انظر "خلاصة الأثر" للمحبي: ٤١٢/٢، "البدر الطالع": ٣٩٦/١ برقم٢٣٩، "الأعلام": ٢٠٤/٦، "معجم المؤلفين": ٢٢٠/٥.

[2]- "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي: ١٥٣/٥ برقم٦٦٤٢.

[3]- "فتح المجيد" لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: ص١٧٤.

الراجي لحصول ثواب الآخرة الخائف من عقابها. ومن ناحية أخرى: دعاء المسألة ذكر، وثناء، وافتقار أمام الله، وتضرع له. فالذاكر داعٍ، والداعي ذاكر.[1]

وكما سبق، فإن الغالب في إطلاق الذكر على معناه الخاص، وفي إطلاق الدعاء على دعاء المسألة، وهذا هو المعني في هذا المبحث من الفصل الثاني من بحثنا، إذ نحن بصدد بيان مظاهر توحيد الألوهية القولية، ومنها الأذكار والأدعية التي تقع باللسان. وهي على نوعين اثنين: **شرعية وغير شرعية.**

المسألة الثالثة: الأذكار والأدعية الشرعية:

مظاهر توحيد الألوهية في الأذكار والأدعية تتمثل في الإتيان بها وفق الضوابط التي وضعَتْها الشريعة الإسلامية. إذاً، فالأذكار الشرعية هي ما كان وفقاً لهذه الضوابط، وأما غير الشرعية، فهي التي يكون الاشتغال بها مخالفاً لها.

ولما كانت الأذكار والأدعية طاعةً لله جلّ وعلا لزم المتعبد بها أن يؤدي شرطين مهمين، لا تتم أي عبادة من العبادات إلا بهما:

١- إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

٢- عبادة الله عز وجل بما شرع ولا تتحقق إلا بمتابعة الرسول ﷺ.[2]

أما الضوابط، فسنذكرها خلال بيان التقسيم للأذكار التي قُسِّمتْ إلى قسمين اثنين: مقيَّدةٍ ومُطلَقةٍ[3].

---

[1]- انظر: "الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية": ١/ ٧٧- ٧٨.

[2]- انظر "جامع العلوم والحكم": ٧٢/١، وقد تقدم ذكرهما في هذه الرسالة كما في ص٧٩-٨٠.

[3]- ومن المؤلفين من يقسم الأذكار والأدعية إلى المأثور وغير المأثور، ثم يبين المقيد منها والمطلق. وكلا الطريقتين وارد في الكتب فكل منها يحوي الآخر.

أنواع الذكر والدعاء من حيث التقييد و الإطلاق:

الأول: الأذكار المُقيَّدة: هي الأذكار بالمأثور[١] الوارد في القرآن والسنة المرتبة بحال[٢] أو فعل[٣] أو مناسبة[٤] أو زمان[٥] أو مكان[٦]، فيؤتى بالذكر على الوجه الذي ورد ملتزماً باللفظ الوارد وبعدده، وزمانه أو مكانه أو حاله، وبهيئة الداعي الذاكر به، من غير زيادة أو نقص، أو تبديل كلمة بأخرى[٧].

---

[١]- المقصود بالمأثور هنا في هذا الموضع ما ورد في القرآن والآحاديث النبوية، ولا يدخل في المأثور هنا ما نقل عن الصحابة – رضي الله عنهم- لأن ما ورد عن الصحابي –كما قال ابن علان- مما للرأي فيه مدخل لا يكون له حكم المرفوع ("الفتوحات الربانية" لابن علان: ١١٩/١، ٣٨٨/٤)، وبالتالي لا يتعبد به كما يتعبد بالألفاظ القرآنية أو النبوية، وأيضا، فإن كون الأذكار على قسمين: المأثورة وغير المأثورة تنبني عليه أحكام فمثلا هل يجوز الزيادة أو النقص أو تغيير كلمة بأخرى فيما ورد من الأذكار والأدعية في السنة النبوية؟ وإن كان هناك خلاف بين العلماء في جواز ذلك أو عدمه فإن هذا الخلاف لا يتأتى فيما لو كان الذكر أو الدعاء من قول الصحابي؛ فلذا كان ما ورد عن الصحابي غير مقصود في بحثنا تحت لفظ "المأثور" وإن كان فيما نقل عنهم الكثير الطيب مما يحسن تعلمه واستعماله. وانظر أيضاً: "الموسوعة الفقهية الكويتية": ٢٣٨/٢١.

[٢]- الأذكار المرتبة بالأحوال والأفعال كأذكار النوم والاستيقاظ منه، وعند الأرق والكرب وغير ذلك.

[٣]- كالسفر والركوب، واللباس والأكل وغير ذلك.

[٤]- كمناسبة الزواج، وولادة المولود، أو التوفي إلخ.

[٥]- كأذكار الصباح والمساء، والظهيرة، وبعد كل آذان إلخ.

[٦]- كأذكار دخول المسجد، أو أذكار دخول الخلاء، أو السوق وغير ذلك.

[٧]- كل ذكر ورد في مناسبة عن رسول الله فلا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يبدل حرف واحد فيه؛ لما ورد في حديث البراء في الصحيحين من الذكر عند النوم: "اللهم أسلمت نفسي إليك... إلى أن قال: آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت" فقال الصحابي: "وبرسولك الذي أرسلت"، فقال له رسول الله: "وبنبيّك الذي أرسلت". قال النووي: (اختلف العلماء فى سبب إنكاره ﷺ ورده اللفظ، فقيل: إنما رده لأن قوله "آمنت برسولك" يحتمل غير النبى ﷺ من حيث اللفظ، واختار المازري وغيره أن سبب الإنكار أن هذا ذكر ودعاء، فينبغى فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه ﷺ بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها وهذا القول حسن، وقيل لأن قوله: ونبيك الذى أرسلت، فيه جزالة من حيث صنعة الكلام، وفيه جمع النبوة والرسالة، فإذا قال: "رسولك الذى أرسلت"، فإن هذان الأمران مع ما فيه من تكرير لفظ "رسول" و"أرسلت" – وأهل البلاغة يعيبونه- وقد قدمنا فى أول شرح خطبة هذا الكتاب أنه لا يلزم من الرسالة النبوة ولا عكسه واحتج بعض العلماء بهذا الحديث لمنع الرواية بالمعنى، وجمهورهم على جوازها من العارف، ويجيبون عن هذا الحديث بأن المعنى هنا مختلف ولا خلاف في المنع إذا اختلف المعنى). "شرح النووي على صحيح مسلم": ج٩/ص٣٦. وراجع أيضاً "فتح الباري": ٤٦٥/١ ح٢٤٧، و١٣٥/١١ ح٦٣١١. =

الثاني: الأذكار المُطْلَقة: هي الأذكار المأثورة التي وردت في الشرع، ولكنها لم ترتبط بسبب، أو مناسبة، أو هيئة، أوعدد، أو حال، أو زمان ومكان.

ويجوز الذكر المطلق بغير الوارد، بشروط:

أولاً: أن يتخير من الألفاظ أحسنها وأنبلها وأجمعها للمعاني وأبينها.

ثانياً: أن يكون خاليا من أي محذور شرعاً أو لغةً أو أدباً.

ثالثاً: أن لا يتخذه سنّةً راتبةً يواظب عليها.[1]

المسألة االرابعة: أقوال علماء التتر في الأذكار والأدعية:

سأعرض هنا بعض أقوال علماء التتر ومقالات كتّابهم التي توافق ما عليه الكتـــاب والسنة والسلف الصالح بياناً لمظاهر توحيد الألوهية في الأذكار والأدعية لدى المجتمع التتري، ثم في المطلب الثاني سأعرض مخالفات بعض التتر في هذه المسألة مع بيان وجه المخالفة.

فقد ورد عند بعض الأئمة والكتاب التتر المعاصرين ما يدل على كون الدعاء نوعين: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

= قال ملا علي القارئ: (والأظهر والله أعلم في وجه الرد أن الأدعية الواردة لا تغير عن ألفاظها، وكذا الأحاديث، ففي معناها التصانيف وإنما جاز نقل الحديث بالمعنى إذا اضطر إليه بنسيان لفظه، فإن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وأما نقله بالمعنى مع حفظه لفظه، فيخاف عليه أن يدخل تحت قوله ﷺ: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))، ولذا قال بعض المحققين: ولا بد أيضاً من مراعاة القواعد النحوية ومحافظة المخارج والصفات الحرفية، وقال الطيبي: "النبي" فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ بمعنى الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، و"النبي" مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع. ورَدُّ النبي ﷺ على البراء حين قال: (ورسولك الذي أرسلت) بما رد عليه ليختلف اللفظان ويجتمع الثناء بين معنى الارتفاع والإرسال، ويكون تعديداً للنعمة في الحالين وتعظيماً للمنة على الوجهين اهــ. وعلل النهي أيضاً بأنه كان نبياً قبل أن كان رسولاً. ثم رأيت أن النووي استحسن قول الماوردي وعلل سبب النهي أن الاذكار تعبدية يقتصر فيها على اللفظ الوارد بحروفه، وبه يتعلق الجزاء). "مرقاة المفاتيح": ٥/٢٩٧.

وفي"الموسوعة الفقهية الكويتية": ٢١/٢٤٢: وهذا كما هو واضح في الأذكار المقيدة التي رتب الشارع عليها فضلاً خاصاً، لا في الذكر المطلق.

[1]- انظر "تصحيح الدعاء": ص٤٢- ٤٣، و"ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع"عبد الرحمن خليفة:٦٤-٦٨.

ذكر في "التقويم التتري الديني": (يجب أن يكون المسلم على مدار الساعة في حال الدعاء إلى الله. ولا يعني هذا: ترك سائر الأعمال والاشتغال بالدعاء فقط، لا. لكن يجب أن يكون في حال الدعاء بحركاته وتصرفاته، أحاسيسه وأفكاره. وبتعبير آخر: يجب أن يكون في معاملة طيبة مع من حوله: مع عائلته، وأقربائه، والآخرين، وأن يعمل صالحاً، ويفكر في صالح، فعندئذ سيكون قد اقترب من هذه الحال. ألا ترى أن الذنوب أحياناً تغتفر من غير أن يُستغفَر لها، ومن غير أن يُتاب منها! كيف يكون ذلك!؟ الجواب في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾هود: ١١٤،[١]...).[٢]

ولقد بيّن صاحب المقالة في هذه الفقرة أن الدعاء ليس بالمقال فقط، وإنما بالحال أيضاً. فالداعي -كأي عابد- يرجو ثواب الله، وغفرانه، ودخول جنته، ويخاف ألا يغفر له، ويخاف سخطه وعذابه.

وكذلك قال أحد الأئمة التتر المعاصرين: (لو كان لا يجتمع في المسجد يوم الجمعة أكثر من عشرين شخصاً، فليدعُ كل منا الآخرين وليأتِ بهم إلى المسجد، ولتكن صلاة

---

[١]- قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة،... وفي الصحيحين (صحيح البخاري برقم ١٥٩، وصحيح مسلم برقم ٢٤٥) عن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان- رضي الله عنه- أنه توضأ لهم كوضُوء رسول الله ﷺ، ثم قال: هكذا رأيتُ رسول الله يتوضأ، وقال: ((من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)). ... وروى الإمام أحمد (المسند:١٦٩/٥) عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: ((إذا عملت سيئة، فأتبعها حسنة تمحها))، قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات: لا إله إلا الله؟ قال: ((هي أفضل الحسنات)). تفسير ابن كثير:٣٥٥/٤.

وقال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، قولُ من قال في ذلك (أي في الحسنات): "هن الصلوات الخمس"، لأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، ... . تفسير الطبري: ٥١٥/١٥.

والحاصل: أن لفظ "الحسنات" في هذه الآية يتناول الصلوات الخمس يقيناً وبطريق أولى، ويتناول غيرها من الصالحات تبعاً لدخولها في مفهوم "الحسنات"؛ فالعبرة في لفظ "الحسنات" في خصوصه وعمومه. قال ابن قدامة: (اذا ورد لفظ العموم على سبب خاص لم يسقط عمومه). وهذا مذهب الجمهور. انظر "روضة الناظر": ص٢٣٦.

[٢]- "التقويم التتري الديني لعام ١٩٩٩م" مقالة (أوقات الدعاء): عن ١٩ فبراير/٣ ذوالقعدة.

هؤلاء الجدد لنا دعاءً. هذه فرصة لاكتساب الأجر؛ فنحن بحاجة إليه، إذ قد ظلمنا أنفسنا كثيراً!)[1].

فهذه المقالة والتي قبلها تبين لنا أن الدعاء -في نظر هؤلاء- ليس طلباً قولياً فقط، وإنما هو على نوعين. فهم وإن لم يصرحوا بهذا التقسيم، ولكن لسان حالهم يثبته. فهم يرون الأعمال الصالحة وسيلة لغفران ذنوبهم، وأن الأعمال تعبير آخر يعبرون به عن حاجتهم إلى الله، ورحمته، وغفرانه وإن لم تتكلم ألسنتهم.

فهذا الأمر (أي كون الدعاء على النوعين المذكورين) أيضاً مقررٌ عند من قد سلف من علماء التتر. قال مفتي ديار التتر من القرن الماضي رضاء الدين بن فخر الدين في شرح الحديث ((**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ**))[2] قال: أي: (ادعوه (اعبدوه)[3] من غير أن تشُكُّوا أن الله سيقبل وسيستجيب[4]، واعلموا أن الله تعالى لا يقبل دعاءً (عبادة) إذا أتى به وهو غافل عنه.

---

[1]- مقالة القاضي العام في جمهورية تتارستان/ فضيلة الشيخ/ جليل حضرت فضل الله. انظر "التقويم التتري الديني لعام١٩٩٩م": عن ١٥ابريل/ ٢٨ذو الحجة.

[2]- الحديث رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٦٦): ص٧٩٠، برقم٣٤٧٩، والحاكم في المستدرك: ٦٧٠/١ برقم١٨١٧، وقال: مستقيم الإسناد. وحسنه الألباني في "الصحيحة": ١٤١/٢ برقم٥٩٤.

[3]- وضع المؤلف رضاء الدين كلمة "اعبدوه" بين القوسين بياناً لكلمة "ادعوه".

[4]- قد يتساءل السائل كيف يتم الجمع بين ما قُرّر هنا وبين قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٠، وقد قال النبي ﷺ لعائشة- رضي الله عنها- مبيناً لها أنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم. انظر: "سنن الترمذي" كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب من سورة المؤمنين: ص٧١٥ برقم٣١٧٥، و"سنن ابن ماجة" كتاب الزهد، باب التوقي على العمل: ص٦٩٧ برقم٤١٩٨. وهو حديث حسن؛ انظر "السلسة الصحيحة" للألباني: ٣٠٤/١ برقم١٦٢.
والجواب على التساؤل، أولاً: الحديث ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)) ليس على إطلاقه بل قيّدت استجابة الدعاء (أو قبول العبادة) بحضور القلب ((واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه)). ثانياً: لا ريب أن الأصل هو استجابة الدعاء (وقبول العبادة) لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ غافر: ٦٠، لكن جاء في الحديث: ((ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث...)) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الإسناد، انظر "صحيح الترغيب والترهيب" للألباني: كتاب الدعاء: ١٢٨/٢ ح١٦٣٣. إذاً فللدعاء شروط وموانع مثل ما لأي عبادة شروط وموانع. ثالثاً: مما تقدم يحق للعابد وللداعي أن يخشى ألا يقبل عمله أو دعاؤه؛ لأنه قد لا يكون مخلصاً أو ليس=

ولفظ الدعاء معناه مشترك بين معنى العبادة وبين السؤال أوالطلب من الله، وعلى هذا يجوز أن يكون مقصود الحديث هو العبادة والسؤال.

ولذلك يُذكر في تفسير هذه الكلمة كلا المعنيين، كما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾غافر: ٦٠، فإن الدعاء يفسر هنا بهما جميعاً)[1].

وقد ترجم أحد القضاة التتر المعاصرين صاحب كتاب "قل هو الله أحد" قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣، أي: الذين تعبدونهم من دون الله ... .[2]

وقد صرح في موضع آخر من كتابه "قل هو الله أحد" بأنّ: (الدعاء نوعان:

-العبادة: فالعبد يتقرب به إلى الله.

-والطلب: وهو سؤال العبد ربه أن يرزقه ما ينفعه، وأن يحفظه مما يضره)[3].

أما مسألة الإخلاص في الأدعية والأذكار، فقد ذكر المفتي رضاء الدين مسألة الإخلاص في الدعاء وهو أمر واجب لا تتم العبادة إلا به، وقال: (قد ذُكِرَتْ في كتب الأخلاق آدابٌ كثيرة في حق الدعاء، وعُيِّنَتْ الأوقاتُ لبعض الأدعية المخصوصة، ولكن الأصل المطلوب ذكره في حق الدعاء هو وجوب الإخلاص والاجتهاد في التذلل أمام الله تعالى. إذا وقر الإخلاصُ في القلب والاعتقادُ بالقبول، فإن هذا الدعاء سيقبل في أي وقت كان وبأي لغة كان، وستكون له ثمرة مرجوة. حتى لو قدّر أن النتيجة ما جاءت على حسب ما طلب تماماً فإن دعاء المخلص – مع كونه من قبيل الاشتغال بالعبادات الفاضلة

=على الصواب، أو كما قال الألباني: لأن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله (اهـ) انظر "السلسلة الصحيحة": ١/٣٠٤ برقم١٦٢، لكن على الداعي ألا يشك في أن الله تعالى سيستجيب دعاءه (وعلى العابد ألا يشك في أن الله سيقبل عمله) متى كان ملتزما بالشروط ومنتفياً من الموانع، فيكون معنى الحديث: فتشوا أنفسكم وحضروا قلوبكم ثم أخلصوا لله في الدعاء وأنتم موقنون بالإجابة. والله أعلم.

[1]– "شرح جوامع الكلم"/ رضاء الدين بن فخر الدين:ص٣٩.

[2]– "قل هو الله أحد": ص٨٨.

[3]– المرجع السابق: ص٨٢–٨٤.

كقراءة القرآن، وإقام الصلاة، والذكر، والتسبيح- إن لم تكن له ثمرة في الدنيا فسوف تكون في الآخرة.

ولذا يجب - خاصة- على من في سبيل طلب العلم وفي وقت الغربة أن يدعو بكل إخلاص وأن يرجو قبول دعائه)[١].

وأيضاً، فإن صاحب كتاب "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل"[٢] المكتوب باللغة التترية قال كلاما واضحاً في وجوب إخلاص الدعاء إلى الله والتوجه إليه وحده سبحانه، حيث قال: (لا يحصل لأحد كمال التوحيد حتى يتخلص من أنواع الشرك. فأوّل ما يلزمه عدم الإشراك في الألوهية، وهذا يعني ألا تدعو- على عكس المجوس- إلا الله تعالى... لذا فإن كل مؤمن إذا طلب العون، أو الغنى، أو الشفاء، أو أن يُرزق مالاً، أو ولداً، فإنه يجب عليه أن يتوجه في طلبِ ذلك كله وسؤاله إلى الله وحده سبحانه...)[٣].

وقال صاحب "قل هو الله أحد": (والدعاء لا يصرف إلا لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يونس: ١٠٦، ...قال: ويتضح من هذه الآية الكريمة أن صرف الدعاء لمن لا ينفع ولا يضر من الشرك. ... والله تعالى لا يحب من يدعو غيره، غير أن هؤلاء المدعوين يكونون لهم أعداء يوم القيامة. والله تعالى يقول: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٤، ويقول في آية أخرى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢)[٤]

---

[١]- "شرح جوامع الكلم"/ رضاء الدين بن فخر الدين:ص٣٩.

[٢]- وهذا الكتاب نال شهرة وقبولاً عند العامة وقد طبع عدة مرات. طبع أربع مرات في مطابع قازان و في المرة الخامسة سنة ١٣٢٧هـ طبع مع زيادات مهمة. انظر مقدمة هذا الكتاب في طبعة سنة ٢٠٠٢/١٤٢٣هـ مطبعة "الإيمان".

[٣]- "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل" لطيِّب بن ملا علمان: ص ٥١.

[٤]- "قل هو الله أحد": ص٨٢.

ويتساءل إمام آخر من الأئمة التتر المعاصرين في مقالته، ويقول: فيم سر الدعاء؟ ويجيب قائلاً: (أولاً، في الإخلاص؛ فدعاء المخلصين يكون مقبولاً بلا شك)[1].

ويبين صاحب مقالة أخرى في "التقويم التتري الديني" وجوب إخلاص الدعاء لله: (...أما أصحاب العقول السامية فيرفعون أيديَهم إلى ربهم من حيث لا يراهم أحد، ويتضرعون بكل كيانهم لله، ويناجونه وحده ويسرون إليه بكل ما حصل لهم من الحسرات والمشاكل، ولا يستعينون في حلها إلا به)[2].

وأمر الإخلاص يفهم ضرورته أغلب من يلجأ إلى الله في دعائه وذكره أوقات الشدة، وتدل على ذلك نتائج الاستبانات التي تم توزيعها في تتارستان[3]:

رقم السؤال	صورة الظاهرة في **الأذكــــار والأدعـــــية**	مدى انتشار الظاهرة في المجتمع التتري			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутст **لا توجد**
3	искреннее обращение к Аллаху в трудных моментах **الإخلاص في النداء إلى الله في أوقات الشدة**	**76.3**	**20.0**	**3.7**	**0**

الاستبانة رقم١/ السؤال رقم٣.

وحاصل هذه الاستبانة أن أمر الإخلاص يفهمه العامة والخاصة من الشعب التتري، وأن إخلاص الدعاء إلى الله في أوقات الشدة أمر معتاد عندهم. ولكن قد يقال: لا تغرينا نتائج الاستبانة ولا تجعلنا نطمئن على الناس في أمر الدعاء؛ إذ الإخلاص في الدعاء وقتَ الشدة أمر جبلي يأتي به حتى المشرك على ما وصف ذلك القرآن الكريم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾العنكبوت: ٦٥.

فنقول: إن هذا وإن كان صحيحاً، فإن بعض أهل تتارستان- وهم حسب نتائج الاستبانة قليلون- عند تزاحم المشاكل وتراكم المتاعب أحياناً يبحثون عن الحلول المادية وينسون ربهم مالك الكون ومدبره، مع أن المطلوب في هذه الحالة هو إخلاص الدعاء لله

[1]- **"وقت الاستغفار" للحاج سليمان إسماعيل: انظر التقويم التتري الإسلامي من عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، رمضان ٢٧.**

[2]- **"التقويم التتري الديني لعام ١٩٩٩م/١٤١٩هـ": عن ٣ فبراير(١٦شوال) مقالة" فوائد الدعاء".**

[3]- **نتائج الاستبانات المبينة في الجدول أدناه وفي الجداول التي ستأتي أثناء الرسالة موجودة في ملحقات الرسالة.**

والتوكل الكامل عليه مع اتخاذ الأسباب، لا مجرد اتخاذ الأسباب المادية!

هذا في الإخلاص، وأيضاً نجد في كلام علماء التتر ما يدل على وجوب اتباع السنة في الأذكار والأدعية ونبذ الابتداع فيها:

قال عبد الرحيم أوتوز إيماني التتري[1]: (لا تخرج عن طريق الرسول ﷺ أيها المؤمن، وعليك بالاستقامة، فمن أتى بعمل، أو تكلم بكلمة، أو أشار بشيء لا يوافق الكتاب والسنة، فهو بدعة وضلالة وترد على الفاعل أو القائل)[2].

وقال: (وقد تكلم العلماء في حديث النبي ﷺ: ((**من سبّح عقيب كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمده ثلاثاً وثلاثين، وكبّره ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"، حطّت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**))[3]، قالوا: يعطى المسلم هذا الأجر إذا فعل هذا لا يزيد عليه ولا ينقص، فلو زاد على هذا العدد يحرم هذا الأجر العظيم[4] لعدم موافقة عمله لحديث النبي الكريم ﷺ، لأن الله تعالى

---

[1]- عبد الرحيم بن عثمان أوتوز إيماني البلغاري الحنفي(١١٦٧هـ/١٧٥٤م- ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، ولد في قرية أوتوز إيمان بإحدى مناطق تتارستان. تربى يتيما، اعتنى بالعلم تعلماً وتعليماً، كان عالما أديبا، قيل متصوفاً نقشبندياً، كثيرَ الاطلاع، مجيداً للغات التركية واللغة العربية والفارسية، اشتهر بتدريسه، ومحاربته للبدع، وانتقاده على متصوفة زمانه، وتحذيره من المنطق، والفلسفة، وعلم الكلام. ألف كثيرا من الكتب نثرا وشعرا، وما زال جزء منها مخطوطا. من مؤلفاته: رسالة في مهمات الزمان، رسالة في ذم شرب الشاي، إنقاذ الهالكين، جواهر البيان، شرح ثبات العاجزين. انظر "وفيات الأسلاف" للمرجاني: ص٨٣-٨٨، "الآثار" لرضاء الدين بن فخر الدين: ١/٣٠٠-٣٠٥.

[2]- "جواهر البيان" مخطوطة بالعربية لعبد الرحيم أوتوز إيماني: ص٧، والنسخة المطبوعة المترجمة: ص٨.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه، كتاب (٥) المساجد ومواضع الصلاة، باب (٢٦) استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته: ٤١٨/١، برقم ١٤٦، بدون زيادة قوله ﷺ ((اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد))، وهذه الزيادة وردت في حديث آخر مستقل دون ذكر التسبيحات، أخرجه مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة: كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته: ٤١٤/١، برقم ١٣٧.

[4] – قال ابن حجر في "فتح الباري": (أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة ... . وقد كان بعض العلماء يقول: إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد. قال شيخنا الحافظ أبو الفضل في شرح الترمذي: وفيه نظر (*وهذا قول ثانٍ في المسألة*)؛ لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد=

لا يعظم الأعمال لكثرتها إذا لم تكن موافقة للكتاب والسنة، قال تعالى:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾الملك: ٢، لم يقل: "أكثر عملاً"، بل المطلوب العمل الحسن، وهو ما كان موافقاً للكتاب والسنة[١]. وقد ورد في الحديث: ((**عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة**))[٢]).[٣]

=حصوله؟ اهـ. ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية (*وهذا تفصيل في المسألة*): فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة، فالأمر كما قال شيخنا لا محالة (*أي أن الزيادة لا تضر*)، وإن زاد بغير نية بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلاً فرتبه هو على مائة فيتجه القول الماضي (*وهو أن الزيادة تضر وتمنع حصول الثواب المرتب على العدد المخصوص*). وقد بالغ القرافي في "القواعد" فقال: من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعا، لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئا أن يوقف عنده ويعد الخارج عنه مسيئا للأدب اهـ. وقد مثّله بعض العلماء بالدواء، يكون مثلاً فيه أوقية سكر، فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به، فلو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع. ويؤيد ذلك أن الأذكار المتغايرة إذا ورد لكل منها عدد مخصوص مع طلب الإتيان بجميعها متوالية لم تحسن الزيادة على العدد المخصوص لما في ذلك من قطع الموالاة لاحتمال أن يكون للموالاة في ذلك حكمة خاصة تفوت بفواتها، والله أعلم). "فتح الباري" لابن حجر: كتاب الآذان باب الذكر بعد الصلاة، ٢(٩-١٨)/ ص٤٢٦. وعنه في "تحفة الأحوذي ": ٣٧٦/٢. وعنه في "فيض القدير" :١٩١/٦برقم٨٧٣٨.

وهذا الكلام نجده أيضاً عند بدر الدين العيني في "عمدة القارئ": باب الذكر بعد الصلاة ١٩٢/٦، إلا أنه أيّد القول بعدم منع الفضل قائلاً: لأن هذا ليس من الحدود التي نهى عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها، والدليل على ذلك ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه)). فإن قلت: الشرط في هذا أن يقول الذكر المنصوص عليه بالعدد متتابعا أم لا، والشرط أن يكون في مجلس واحد أم لا؟ قلت: كل منهما ليس بشرط ولكن الأفضل أن يأتي به متتابعا وأن يراعي الوقت الذي عين فيه.

ولكن تفصيل ابن حجر- رحمه الله – يبدو أكثر إقناعاً حيث يتم فيه توفيق بين أدلة الطرفين. وقال الحصكفي في "رد المحتار" ملخصا كلام ابن حجر: (لو زاد على العدد، قيل: يكره؛ لأنه سوء أدب، وأيد بأنه كدواء زيد على قانونه أو مفتاح زيد على أسنانه، وقيل: لا، بل يحصل له الثواب المخصوص مع الزيادة، بل قيل: لا يحل اعتقاد الكراهة، لقوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾الأنعام: ١٦٠، والأوجه إن زاد لنحو شك عذر أو لتعبد فلا؛ لاستدراكه على الشارع وهو ممنوع). "رد المحتار" للحصكفي: ٣٠٢/٢.

[١]- وقد سبق ذكر قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿أحسن عملاً﴾: ص٧٩.

[٢]- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه مرفوعا: ٢٩١/١١ برقم٢٠٥٦٨، والبيهقي في "الشعب" موقوفا: ٥٣١/١٦ برقم٩٠٧٨. قال الألباني: ضعيف. (السلسة الضعيفة والموضوعة: ٢٤٨/٧ برقم٣٢٥١). ونقل المناوي قول الخطابي في معنى الحديث: (لا خير في العمل مع البدعة، لكن المراد أنه مع السنة ينفع القليل، ومع البدعة لا نفعَ فيه...) "فيض القدير": ٤٧٧/٤ برقم٥٦١٨.

[٣]- "جواهر البيان" لعبد الرحيم أوتوز إيماني، نسخة مخطوطة: ص٢٤، و ص٢٠ من النسخة المطبوعة.

أقوال أخرى في الأذكار والأدعية:

ذكر في "التقويم التتري الديني" أن العبادات تدخل ضمن ذكر الله وأن الصلاة من جملة الأذكار الواجبة وقد سماها الله ذكرا في قوله تعالى:﴿ **فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾الجمعة: ٩؛ فلا يجوز تركها حتى في حالات المرض ما دام المصلي يقدر على الإيماء والنية: (فالصلاة في الإسلام أمر ذو أهمية حتى من جهة أن الإنسان لا يجوز له أن ينسى ربه ولو كان مريضاً)، لأن المريض أول من يحتاج إلى ربه باللجوء إليه والدعاء وطلب الشفاء.[1]

قال صوفي إلاهيار حاثاً على الدعاء إلى الله:

(ليكن شغلك الشاغل هو الدعاء
حدّث اللهَ عن أحوالك يا عبد الله)[2].

وقال المفتي رضاء الدين- رحمه الله- مواصلا في بيان آداب الدعاء بعد ما ذكر قوله ﷺ: ((**واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ**))[3]: (...وأيضاً، فإن الشخص إذا لم يعرف ما يدعو به لن يكون للدعاء كبير الثمرة، ولذا يجب على كل واحد إذا دعا بما يخصه أن يدعو بما يفهم، وبلغته)[4].

ربما تحتاج مسألة الدعاء بغير العربية إلى شيء من البيان، فأقول: أما كون الدعاء أو أي ذكر مفهوماً لدى المشتغل به فهذا أمر مطلوب؛ إذ لا يتصور التفكر والتدبر وحضور القلب والإخلاص إلا بمعرفة معنى ما يدعو به ويذكر الله به، وإلا كان ذكره مجرد ترديد الألفاظ باللسان! نعم، لعلّ الله يكتب أجر اتباع السنة عند اشتغاله بالأذكار الواردة وإن لم يفهم معناها، ولكنه بهذا الأسلوب لن يصل إلى المراد الذي وضع لأجله الذكرُ وهو تمجيد الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه. وأيضاً فإن عدم فهمه لمعاني الأذكار يفقدها حكمة تنوعها؛ فهي كلها – بالنسبة له- واحدة لا تفرق.

---

[1]- **"انظر التقويم التتري الديني ١٩٩٧م": عن ٣ ديسمبر/ ٣شعبان ١٤١٨هـ.**

[2]- **"ثبات العاجزين" لألاهيار (ترجمتُه عن التترية): ص٩٧.**

[3]- **سبق تخريجه: ص١٩٤.**

[4]- **"شرح جوامع الكلم" رضاء الدين بن فخر الدين: ص٣٩-٤٠.**

وقد ذكر بعض العلماء أن الذكر لا يشترط فيه استحضار معناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه[١]. فهذا التتري الأعجمي الذي لا يعرف العربية إذا اشتغل بالمأثور فلا بأس إذا قصد تمجيد الله وتقديسه، ولو بشكل عام مجمل دون أن يفهم مفردات الذكر؛ وهذا الذي يجري عند كثير من غير الناطقين بالعربية.

أما الدعاء فهو -كما تقدم- أمر زائد على الذكر؛ فهو ذكر وسؤال، فلو دعا أحد بالمأثور الثابت بالطرق الصحيحة من غير أن يفهم معنى دعائه لعجمته، لا تفصيلا ولا إجمالاً- كما هو حاصل عند التتر وغيرهم من الأعاجم في الأدعية داخل الصلاة وخارجها؛ فإن كثيراً منهم يرددها ويرفع يديه إلى الله وهو لا يدري معانيها- كان دعاؤه بمثابة الذكر يحصل به — إن شاء الله- على أجر التعبد به وموافقته للسنة، ولكن ربما لا يستجاب لدعائه لغفلته عن معنى دعائه، فيصدق عليه قوله ﷺ: ((... **إن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ**))[٢]، ولعل هذا هو مقصود قول رضاء الدين: "ليس لدعائه كبير الثمرة". فلذا يستحسن بكل داعٍ أن يجتهد في معرفة معاني الأذكار والأدعية المأثورة ولو بشكل مجمل حتى يؤجر على أذكاره ويستجاب لدعواته- بإذن الله.

وقد جاء في مقدمة كتيب تتري"الخطب والمواعظ": (لما كانت اللغة العربية لغة القرآن ولغة النبي ﷺ كان من الحسن تعلمها لكل مسلم بغض النظر عن قوميته. وتتأكد أهمية تعلمها لدى أهل العلم الشرعي. وإلا فما الفرق بين من يدعو دون أن يعرف معنى دعائه ويردده بمجرد حفظه وبين شامان المجوس[٣] في سيبيريا الذين يرقصون عند موقد النار ويُصدرون أصواتاً غريبةً غيرَ مفهومةٍ؟! إن الله تعالى لا يهمه مجرد تحريك الهواء بأفواهنا، وإلا لحُرِمَ الدعاءَ من ليس عنده اللسان، كلا، إن الواجب هو إخلاص الرجاء إلى الله بالقلب)[٤].

---

[١]- انظر "فتح الباري": ١١/٢٥٠ عند شرح حديث ٦٤٠٨.

[٢]- سبق تخريجه: ص١٩٤.

[٣]- شامان مجوس سيبيريا: كلمة "شامان" كلمة مشهورة في روسيا والجمهوريات، تطلق على السحرة العرافين عند أقوام وثنية في مناطق سيبيريا. انظر "معجم اللغة الروسية" لأوجيغوف: ص٨٩١. ولكن يجب التنبيه هنا بأن تشبيه من لا يعرف معنى دعائه بالشامان لا يمكن إلا من حيث عدم قبول الله لكلامهما، وإلا فهناك فروق بينهما ويكفينا فرقاً بأن الأول يدعو الله ولو بما لا يفهم والثاني يدعو الأرواح والشياطين؛ فالأول قد يؤجر إن كان يدعو بالمأثور وفي أوقات وأماكن وردت بها السنة، والثاني يشرك قطعاً، فما أبعد بينهما فرقاً!

[٤]- "الخطب والمواعظ" مجلس المعلمين بمدرسة ألف سنة على قبول الإسلام: ص٣.

أي لا بد أن يفهم ما يدعو به وإلا لا يمكن أن يخلص في الدعاء.

أما لو أراد أن يدعو بلغته ويُسِرَّ إلى الله بحاجته ومشكلته (كواحد طرأت عليه ظروف قاهرة وأراد أن يناجي ربه في حل المشكلة التي وقع فيها)، فما العمل؟ قال ابن تيمية في ذلك: (والدعاء يجوز بالعربية وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي ومراده وإن لم يقوّم لسانه؛ فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات)[1]، ومن الواجب لمن يدعو بغير المأثور أو بالأعجمية أن يتحرى عدم وقوع شيء من المحظورات الشرعية في الدعاء.

أما لو ترجم الدعاء المأثور إلى اللغة المحلية — مثل ما نشاهده كثيراً في "التقويم التتري الإسلامي" — فإنْ أمِنَ وقوعَ الخطأ فيه فهو أمر حسنٌ. والله أعلم.

أما الدعاء بما لا يفهم معناه كالطلاسم التي لا تفهم: لا بالعربية ولا بالأعجمية، فهذا محرم لا إشكال فيه؛ إذ هي طريقة السحرة والمشعوذين الذين يدسون في دعواتهم وطلاسمهم الشرك بالله والكفر به- حفظنا الله من ذلك.

وقال رضاء الدين مواصلاً كلامه السابق: (أما الدعاء بما هو محرم ، فهذا طبعاً معلوم لكل مسلم تحريمه. ثم، من أهم شروط قبول الدعاء عدم الاستعجال وعدم طلب حصول ما يخالف سنة الله في الكون، كأن يسأل نزول الذهب من السماء، وإخراج الزرع من الأرض غير المعهودة بالزرع، فهذا الأمر لا يجوز، بل يعتبر من سوء التأدب مع الله[2]. إنما يجب أن يكون الدعاء- قدر الإمكان- بعد الإتيان بالأسباب الظاهرة)[3].

هذا ما تيسر لي كتابته في المطلب الأول من مبحث الأذكار والأدعية الشرعية، ثم من مظاهر التوحيد في الأذكار والأدعية رد علماء التتر وأئمتهم على تلك الانحرافات التي تحصل في هذه المسألة، وسوف نتطرق لبعضها في المطلب الثاني من هذا المبحث- إن شاء الله.

---

[1]- **"مجموع الفتاوى": ٤٨٩/٢٢.**

[2]- **وهو أيضاً اعتداء في الدعاء؛ قال الشوكاني: (ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل الداعي ما ليس له، كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة...). "فتح القدير" للشوكاني: تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ الأعراف: ٥٥ (٢٦٧/٢).

[3]- **"شرح جوامع الكلم" رضاء الدين بن فخر الدين:ص٣٩-٤٠.**

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في الأذكار والأدعية و حكمها

لما كان التصوف منتشراً في مناطق حوض نهر فولغا كان له أثر كبير في انتشار الأذكار والأوراد الكثيرة وبخاصة على طريقة النقشبندية[1] لدى عامة أهل بلاد التتر (تتارستان). ومما يدل على ذلك انتشار المؤلفات ببيان تلك الأذكار والآداب الصوفية.

قد ذكر أحد أكابر المرشدين على الطريقة النقشبندية في روسيا الوسطى في كتابه الأذكارَ وآدابَها وأورادَها على طريقة النقشبندية الخالدية بما فيها من "رابطة الموت"، و"رابطة الشيخ"، و"وقوف القلب"، و"الحضور"، و"العروة الوثقى"، و"المراقبة"، وقال: (وإذا تحرك قلب المريد بالذكر يُعلِّمْهُ شيخُهُ ذكرَ اسمِ اللهِ في "لطيفة الروح" وهو موضع من الصدر في جهة يمنى وفي الأسفل بمقدار أصبعين اثنين، بينما القلب في الجهة اليسرى، ثم إذا تحركت لطيفة الروح انتقل إلى "لطيفة السر"...، ثم "لطيفة الخفى"...، ثم "لطيفة الأخفى"...، ثم "لطيفة النَفَس"...، ويذكر اسمَ الله في كل "لطيفة" ما لا يقل عن خمسة آلاف مرة، حتى يصبح في النهاية مجموع عدد أذكاره ثلاثين ألف مرة، وبعد ما يتم تأثير الذكر على الجسم بالكامل يصير جسمه كالقلب؛ بحيث يصبح كل عضو من أعضائه حتى جذور شعره مشغولاً بالذكر مثل القلب، والذي يصل إلى هذه المرحلة يطلق عليه اسم "سلطان الذكر")[2] وإلى غير ذلك من الترتيبات في الاذكار، والأدعية، والأوراد التي تعمل بهيئات معينة وبأعداد معينة إلى جانب استغفار وتوبة على طريقة خاصة بالنقشبندية. ولا تخلو أذكارهم هذه من الغلو في مشايخهم، كقوله الذي

---

[1]- النقشبندية طريقة صوفية تنسب إلى محمد بهاء الدين البخاري الشهير بنقشبند، (٧١٧هـ/١٣١٧م-٧٩١هـ/١٣٨٩م)، وكانت قبله تنسب إلى عبد الخالق الغجدواني، وهو قد أخذها عن شيخه الصوفي محمد بابا السماسي. تسلك النقشبندية في تربية مريديها منهج الذكر والصحبة والرابطة التي يتم فيها ربط قلب المريد بالشيخ الكامل الذي اضمحلت صفاته- بزعمهم- في صفات الحق تعالى. وأصول الطريقة النقشبندية متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى؛ فإن فيها من البدع والشركيات والقول بوحدة الوجود وما يحكونه عن أحوال مشايخهم وخصائصهم وتصرفهم المطلق في الكون، ما لا يشك معه أحد في أن هذه الطريقة إحدى طرق الصوفية الغلاة الخارجين على الكتاب والسنة، مع إصرار أصحابها بأنها طريقة سنية لا تخرج عن أهل السنة والجماعة شبرا واحدا. انتشرت هذه الطريقة في بلاد فارس والهند وآسيا الغربية. انظر: "طبقات الصوفية" للمناوي: ٢٣٨/٤، "الطريقة النقشبندية" لعبد الرحمن دمشقية: ص٧، "الصوفية وطرقها" لممدوح الحربي: ص١٨.

[2]- "تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين" أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي القازاني: ص١١- ١٣.

أورده في كتابه: (اللهم نوّر قلوبنا بنور مشايخنا...)[1]، والتوسل بهم[2] وارتباطٍ روحيٍ بهم دائماً حتى عند أداء الصلوات، إلى غير ذلك من الأقوال، والأفعال، والحركات، وأحوال المشتغلين بها، أترك ذكرها هنا اختصاراً، فهي في الحقيقة لا تختلف عن أحوال أصحاب الطريقة النقشبندية الآخرين في أماكن ودول أخرى.

وقد أُفردتْ في بيانها وترويجها، وفي عرضها ونقدها مؤلفاتٌ[3]؛ ولكن ليس المقام هنا في ذكر عقائدهم وآباطيلهم، ولسنا في صدد كتابة آدابهم وأحوالهم، وإنما ذكرت بعض ما يخص موضوعنا من الأذكار والأدعية.

ثم، إن الطرق الصوفية وإن كانت منتشرة لدى أجدادنا بشكل واسع قبل الثورة البولشيفية في بداية القرن العشرين الميلادي- وهي اليوم لا تتمتع بذاك الانتشار والشعبية- فإنه وجد عدد من العلماء التتر ممن تكلموا في بعض آداب المتصوفة وعباداتهم، وذكروا بعض أخطائهم وذموا بدعهم.

فهذا عبد الرحيم أوتوز إيماني يقول في كتابه "إنقاذ الهالكين" راداً على متصوفة زمانه: (أما كلمة الذكر، فقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة. أما مجالس الذكر اليوم فهي أشبه ما يكون بمجالس القصص والأشعار والإكستاز (الوجد). أما الذكر عند السلف فكان في علم الآخرة، والتفكير بالموت، والتنبيه على عيوب النفس، وفي آفات الأعمال، ووساوس الشيطان والحذر منها، وفي آلاء الله ونعمائه وحث العبد على شكره...)[4].

---

[1]- المرجع السابق: ص ١٢.

[2]- ومن مظاهر غلوهم في المشايخ التوسل بجاههم: " يا ربي، تقبل مني بجاه مشايخ الطريقة النقشبندية "- انظر مبحث التوسل من هذه الرسالة: ص٢٦٨.

[3]- منها: "البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية" لمحمد الخاني، و"الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية" لمحمد بن سليمان البغدادي النقشبندي، "رشحات عين الحياة" لعلي الهروي، وغيرها، ومن الكتب الناقدة: "النقشبندية: عرض وتحليل" و"الطريقة النقشبندية" كلاهما للشيخ عبد الرحمن دمشقية، و"الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها" لفريد الدين آيدن.

[4]- " إنقاذ الهالكين" عبد الرحيم أوتوز إيماني: ص١٦٣ في "مجموع الرسائل لعبد الرحيم أوتوز إيماني" باللغة التترية. وأصل هذا الكلام موجود عند الغزالي في "إحياء علوم الدين": ٥٧/١، قال: (كان الحسن البصري يتكلم في علم الآخرة، والتفكير بالموت، والتنبيه على عيوب النفس، وآفات الأعمال، وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه، وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها، ونكث عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعاً. ... وقال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو، فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم: وذهلوا عن طريق الذكر المحمود). ولكن الغزالي =

ولكن من الملاحظ أن قوة انتشار التصوف أثرت على كثير من العلماء التتر، فحتى بعض من عرف عنه رده على الصوفية وذمه لاشتغالِهم بالبدع وابتعادِهم عن العلمِ واتباعِ السنة، هم أنفسهم تأثروا ببعض الأذكار المبتدعة، فهذا عبد الرحيم أوتوز إيماني يقول في سياق التحذير من الاغترار بالدنيا والحث على الاشتغال بذكر الله: (كان ممن يحبه الله مَن يذكر اللهَ دائماً بقوله: الله، الله، فلما وقع في رأسه سهم سال دمه وكتب على الأرض: الله، الله)[1]. يريد أن يشير إلى فضل هذا الذكر، وكرامة من اشتغل به، وظهور كرامته حتى بعد موته.

والجواب على هذا الذكر المفرد: نعم، إن المحب لله يكون قلبه متشرّباً بمحبة الله سبحانه وتعالى، وبذكره الدائم. وهذا الأمر مطلوب، بل كان رسول الله ﷺ لا يزال لسانه رطباً بذكر الله[2]، ولكن الذكر كبقية أنواع العبادات يخضع لأمرين اثنين لا تصح العبادة إلا بهما: الإخلاص والمتابعة. ولنفترض أن هؤلاء المذكورين في مقولة عبد الرحيم أوتوز إيماني يحبون الله ويخلصون في ذكرهم هذا، ولكن هل هيئة هذا الذكر الوارد في المقولة مشروع كي يؤجر عليه؟! هل كل مريد للخير مصيبه؟!

فنقول: إن هذا لم يرد في السنة النبوية، ولا في عمل الصحابة والتابعين، فإن كان محباً لله فليعمل بما شرع الله ورسوله ﷺ فإن المحب للحبيب مطيع.

قال سعيد بن جبير– رحمه الله: (الذكرُ طاعة الله، ومن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطع الله فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب)[3]. هذا إذا أكثر التسبيح والتهليل وهو أمر وارد محمود، فكيف لو أتى بما لم يرد وقال: الله، الله... واتخذه سنة في ذكر الله! بل العقل ينفي

= قد خالف ذلك في مواضع أخرى من الإحياء بأن السماع المحدث أنفع للعبد من سماعه للقرآن من كذا وكذا وجه!

[1]– **"مجموع رسائل عبد الرحيم أوتوز إيماني": ص١٢٧.**

[2]– **عن عبد الله بن بسر– رضي الله عنه– أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: ((لا يزال لسانك رطباً بذكر الله)). أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر: ص٧٦٦ برقم٣٣٧٥، وقال: هذا الحديث حسن غريب من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر: ص٦٢٥ برقم٣٧٩٣، وأحمد في مسنده: ٢٢٦/٢٩ برقم١٧٦٨٠، وابن حبان في صحيحه (٩٦/٣ برقم٨١٤) والحاكم في مستدركه (٦٧٢/١ برقم١٨٢٢) وقال: (صحيح الإسناد)، وغيرهم، وصححه الألباني، انظر المواضع المذكورة من سنن الترمذي وابن ماجه في طبعة مكتبة المعارف المزودة بحكم الألباني على الأحاديث.**

[3]– **أخرجه ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في "الزهد" في أبواب الزيادات: ص٣٥ برقم ١٣٨.**

هذا الأمر أيضاً: فهل يعقل أن تقف عند باب حبيبك – مثلاً– وتنادي اسمه مجرداً، مراراً وتكراراً دون ذكر محاسنه، ودون أن تحمده، وتثني عليه؟! إن هذا الفعل عديم المعنى!

وقد فند علماء السلف– رحمهم الله– ومنهم ابن تيمية دعاوى هؤلاء في هذا الذكر المحدث، حيث بين فساد ما قد يتشبثون به لنصرته وتقريره، فمما قال:

(فأما الاسم المفرد مظهراً، مثل: "الله"، "الله"، أو مضمراً، مثل: "هو"، "هو"، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة؛ ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين)[1].

وقال إن هذا الذكر: (بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً، لا إيماناً، ولا كفراً...[2] وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على استحباب الذكر بالاسم المفرد، ولا على فضله، ولا أفضليته، ولا حتى على مشروعيته.

وقال ابن تيمية أيضاً: (وأما ما يتوهمه طائفة من غالطي المتعبدين في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ الأنعام: ٩١، ويتوهمون أن المرادَ قولُ هذا الاسم فخطأ واضح؛ ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية؛ فإنه سبحانه قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ الأنعام: ٩١، أي: قل: الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى. فهذا كلام تام وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب. وهذا قياس مطرد في مثل هذا في كلام العرب، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم﴾ الزمر: ٣٨، ...)[3].

(وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك واستدل عليه تارة بوجد، وتارة برأي، وتارة بنقل مكذوب. كما يروي بعضهم أن النبي ﷺ لقّن علي بن أبي طالب أن يقول: الله، الله، الله. فقالها النبي ﷺ ثلاثاً ثم أمر علياً، فقالها ثلاثاً. وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث. وإنما كان تلقين النبي ﷺ للذكر المأثور عنه؛ ورأس الذكر "لا إله إلا الله " وهي الكلمة

[1] – مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٥٥٦/١٠.

[2] – مجموع الفتاوى: ٣٩٦/١٠.

[3] – مجموع الفتاوى: ٥٥٨/١٠–٥٥٩.

التي عرضها على عمه أبي طالب حين الموت؛ قال : ((**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**))[1]....)[2].

فتبين أن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع وهو بدعة في الدين إذ لا يقوم له دليل، وهو أيضاً غلط في اللغة باتفاق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات.

قال ابن تيمية: (ولهذا اتفق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات على أن الاسم وحده لا يحسن السكوت عليه؛ ولا هو جملة تامة، ولا كلاماً مفيداً... ولو كرر الإنسان اسم "الله" ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً، ولم يستحق ثواب الله، ولا جنته؛ ... حتى إنه لما أمرنا بذكر اسمه كقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ المائدة: ٤، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام: ١٢١، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ الأعلى: ١، ... ونحو ذلك كان ذكر اسمه بكلام تام مثل أن يقول: باسم الله، أو يقول: سبحان ربي الأعلى، وسبحان ربي العظيم، ونحو ذلك. ولم يشرع ذكر الاسم المجرد قط، ولا يحصل بذلك امتثال أمر؛ ولا حل صيد، ولا ذبيحة، ولا غير ذلك. ...إن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة... وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد)[3].

(فإن قيل: فالذاكر أو السامع للاسم المجرد قد يحصل له وجد، ومحبة، وتعظيم لله، ونحو ذلك. قلت: نعم ويثاب على ذلك الوجد المشروع والحال الإيماني، لا لأن مجرد الاسم مستحب وإذا سمع ذلك حرك ساكن القلب؛ وقد يتحرك الساكن بسماع ذكر محرم أو مكروه حتى قد يسمع المسلم من يشرك بالله أو يسبه فيثور في قلبه حال وجد ومحبة لله بقوة نفرته وبغضه لما سمعه. وقد قال الصحابة للنبي ﷺ: إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة أو يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. قال: ((**أ و قد وجدتموه؟**)) قالوا: نعم، قال: ((**ذاك صريح الإيمان**))[4]، وفي رواية قال: ((**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**))[5]،

---

[1] – رواه البخاري ومسلم وسيأتي تخريجه في ص٢١٦.

[2] – مجموع الفتاوى: ١٠/٥٥٧–٥٥٨.

[3] – مجموع الفتاوى: ١٠/٢٣٣.

[4] – رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان: ص٦٩ برقم٣٤٠ (١٣٢).

[5] – رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة: ص٩٢٥ برقم ٥١١٢.

فالشيطان لما قذف في قلوبهم وسوسة مذمومة تحرك الإيمان الذي في قلوبهم بالكراهة لذلك والاستعظام له، فكان ذلك صريح الإيمان؛ ولا يقتضي ذلك أن يكون السبب الذي هو الوسوسة مأمورا به)[1].

(فإن قيل: إذا لم يكن هذا الذكر مشروعاً، فهل هو مكروه؟ قلت:... وأما مع تيسر الكلمة التامة فالاقتصار على مجرد الاسم مكرراً بدعة والأصل في البدع الكراهة)[2].

فثبت بما ذكره شيخ الإسلام- رحمه الله- أن ذكر الاسم المجرد مظهراً أو مضمراً ليس مستحباً ولا مشروعاً، فضلا عن أن يكون هو ذكر الخاصة، بل هو بدعة في الدين إذ لا يقوم له دليل، وهو أيضاً غلط في اللغة باتفاق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات إذ ليس هو جملةً تامةً، ولا كلاماً مفيداً، فلا يعطي إيماناً ولا كفراً، ولا هدى ولا ضلالاً، ولا ثناءً ولا ذماً، ولا علماً ولا جهلاً؛ فلا يرتب على المشتغل به لا محبة المذكور ولا ثوابه ولا جنته[3].

فيا أسفاه على من اشتغل بما لم يرد، وضيّع أوقاته بما لم يفد!

وينبّه علماء التتر على ظاهرة سلبية أخرى ويحذرون منها، وهي اتخاذ الدين تجارة، وجعل أعلى أنواع الذكر وهو قراءة القرآن سبباً للتكسب! نعم، فقد وجد من يقرأ القرآن لأجل المال، فيقرأ سوراً معينة أو يختم القرآن بالكامل، ثم يبيع ثواب هذه القراءة. ويدل على مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التتري نتائج الاستبانة في الجدول الآتي:

رقم السؤال	صورة الظاهرة في **الأذكار والأدعية**	مدى انتشار الظاهرة في المجتمع التتري			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутст **لا توجد**
٧	أخذ الأجرة على قراءة القرآن و الدعاء	15.0	19.5	16.6	48.9
٨	ختم القرآن بهدف بيع ثوابه	4.6	23.7	11.4	60.3

الاستبانة رقم ١ / السؤال رقم٧، رقم٨.

[1] – **مجموع الفتاوى: ١٠/٥٦١–٥٦٣.**

[2] – **مجموع الفتاوى: ١٠/٥٦٦–٥٦٧. والمقصود بالكراهة هنا كراهة التحريم.**

[3] – **انظر "مجموع الفتاوى"/ مسألة قوله عز وجل: ((يا أيها الناس اعبدوا...)) : ١٠/٢٢٧، و مجموع الفتاوى: ١٠/٥٦٥. وألفت نظر القارئ إلى أن قبول أبي حامد الغزالي للذكر بالاسم المفرد (كما في "الإحياء": ١/٩٢٢) له أثر كبير لانتشار هذه البدعة في العالم الإسلامي خاصة عند المتصوفة ولا سيما عند التتر.**

نرى من خلال نتائج هذه الاستبانة أن ٤٨,٩ % من المجيبين على السؤال السابع من الاستبانة يرون ظاهرة أخذ الأجرة على القراءة والدعاء غير موجودة في المجتمع التتري، بينما يرى ٥١,١ % من مجموع المجيبين أنها موجودة وإن اختلفوا في مدى انتشارها، فقال ١٦,٦ % من المجيبين أنها قليلة الانتشار، وقال ١٩,٥ % من المجيبين أنها متوسطة الانتشار، بينما يرى ١٥,٠ % من المجيبين أن ظاهرة أخذ الأجرة على قراءة القرآن والدعاء موجودة وبكثرة.

أما نتائج الاستبيان في السؤال الثامن "ما مدى انتشار ظاهرة ختم القرآن بهدف بيع ثوابه؟"، فقد أجاب ٦٠,٣ % من المجيبين عليه أنها غير موجودة في المجتمع التتري، بينما يرى ٣٩,٧ % من مجموع المجيبين أنها موجودة مع اختلاف آرائهم في مدى انتشاره، فقال ١١,٤ % من المجيبين إن انتشارها في المجتمع التتري قليل، ويرى ٢٣،٧ % منهم أن انتشارها متوسط، ويرى ٤,٦ % من المجيبين أن هذه الظاهرة منتشرة في المجتمع التتري بكثرة.

تبين نتائج الاستبانة الموضَّحة في هذا الجدول أن أخذَ الأجرة على قراءة القرآن أو ختمَ القرآن بهدف بيع ثوابه ظاهرةٌ – وإن كانت قليلة الانتشار– موجودة[1] في المجتمع التتري، وأغلب الناس وإن لم يعملوها، فإنهم على الأقل يسمعون عنها، مما يستدعي بيان حكم هذه الظاهرة.

فنقول إن هؤلاء الذين يبيعون ثواب قراءة القرآن بالفلوس قد باعوا الدين بالدنيا! فليَعلم الذين يشترون الثواب المزعوم أن لا ثواب لهم؛ إذ الثواب المرجو من العبادة يحصل إذا استوفت العبادة شرطين اثنين: إخلاص العمل لله والمتابعة في هذا العمل لتعاليم الشريعة. أما هذا الذي يتلو ليبيع ثواب عمله هل عمله لوجه الله؟! طبعاً: لا. فأي أجرٍ يبيعه إذاً؟!

أنكر هذا العمل علماء التتر، ومنهم رضاء الدين بن فخر الدين، حيث قال فيمن يفعل ذلك: (ختمُ القرآن بهذا الأسلوب لم يرد في الشريعة: لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة. ليس لهذا العمل فائدة، بل يحصل للقارئ بذلك ضرر في الآخرة. ويصدق على من يختم القرآن ثم يأخذ على ذلك مالاً قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ النساء: ٢٩.[2]

[1] – وهذه الظاهرة لا يمكن أن تكون كثيرة الانتشار على نطاق تتارستان كلها؛ لأن الأصل في العبادات لدى جميع المسلمين ولا سيما التتر منهم أن يخلصوا في عباداتهم، وأيضاً، فإن الأصل في العباد أنهم يفهمون افتقار أنفسهم للأجر والثواب فلا يتخلون عنه ببيع أجورهم ولا بإهدائها.

[2] – "شرح جوامع الكلم" رضاء الدين فخر الدين:ص٦٠.

وقال رضاء الدين بن فخر الدين في موضع آخر: (من البدع المحدثة أخذ المال على ختم القرآن أو طلب ختم القرآن بالمال[1]. والكلام ليس عمن يتعاقد لدى الجهة الرسمية على القراءة أو الختم بالكامل بمبلغ معلوم، لا (أي: هذا معلوم الفساد)، بل الكلام عمن يقرأ القرآن وهو في قرارة نفسه يعلم أن عمله هذا ليس مجاناً؛ فهذه القراءة أو الختم لأجل المال لا لوجه الله.

فهؤلاء – مع كون أصل مقصودهم الفلوس- يتزينون بزينة العبادة والإخلاص ويلبّسون على عامة الناس، فهؤلاء منافقون حقيقةً لا مجازاً. ولعلّ قوله ﷺ : ((**أكثر منافقي أمتي قراؤها**))[2] يحتمل هذا المعنى.

وقراءة القرآن بقصد أخذ المال أو إعطاء المال بنية أن يقرأ له القرآن[3] لم يكن في زمن الرسول ﷺ ولا في زمن أصحابه- رضوان الله عليهم- وليس هناك حاجة لذلك؛ كل من المسلمين يعرف سور: "الفاتحة" و"قل هو الله أحد"، وكثير منهم يعرف معناهما أيضاً، فبدلاً من أن يطلب من الآخر ختمَ القرآن، من الأحسن أن يُخلص هو نفسُه بقراءة "الفاتحة" و"قل هو الله أحد"، ويظهر تذلّله وعبوديته أمام الله تعالى.

وكذلك ختم القرآن على الأموات والتهليل[4] عليهم، وجعل صدقات خصة للمقبورين وهي ما تسمى بـــ"صدقة الغوور"[5]، كله من هذا الباب، وهو مُحدَث بعد رسول الله ﷺ، ويعد من الأعمال المردودة)[6].

ومن ذلك الباب أيضاً تخصيص الأموال على الأذكار في الوصية: "هذا المبلغ الفلاني لمن يقرأ عليّ القرآن أو يسبّح كذا مرة أو يهلل كذا مرة...". يقصد أن يقرأ ثم يهدي ثواب القراءة له، أو أن يوصي شخص بأن يبيت جماعةٌ من الناس على قبره ليلةً كاملةً بالقراءة والذكر بعد دفنه.[7]

---

[1]- "طلب ختم القرآن بالمال"، أي: يريد أن يشتري ثواب ختم القرآن.

[2]- الحديث أخرجه أحمد في مسنده: ٢١٢/١١ برقم ٦٦٣٧، وقال محققو المسند: إسناد حسن.

[3]- إعطاء المال بنية أن يقرأ له القرآن أي بمعنى أنه يريد أن يشتري ثواب قراءة القرآن.

[4]- يقصد بالتهليل على الأموات هنا صفة معينة وعدد معين غير المشروع، وهو يكون بعد موت الإنسان.

[5]- صدقة "الغوور": الغوور، هي كلمة فارسية تعني القبر. انظر ترجمة قاموس المنجد باللغة الفارسية، مادة (ق- ب- ر): ١٥٣٨/٢. وهم يقصدون بهذه الصدقة إفداء المقبور من الصلوات الفائتة.

[6]- "شرح جوامع الكلم"/ رضاء الدين فخر الدين: ص٤٧٩.

[7]- انظر على سبيل المثال وصية أحد تجار التتر في "الأوقاف والوصايا" ص٢٤.

هذه كلها من البدع المستقبحة، فالوصية والعمل بهذه الوصية وأخذ المال بها حرام. ويكون القارئ والمسبّح عاصياً؛ لأنهما يفعلان ذلك للدنيا أي لأجل المال[1].

ثم أورد رضاء الدين قول الشيخ المفتي محمد عبده[2] بهذا الخصوص: (كل أجر يؤخذ على عبادة هو أكل أموال الناس بالباطل، وقد مضى الصدر الأول ولم يكن أخذ الأجر على عبادة ما معروفاً، ولا يوجد في كلام أهل القرن الأول والثاني كلمة تشعر بذلك. ثم لا يعقل أنّ تحقق العبادة يحصل بالأجرة لأن تحققها إنما يكون بالنية، وإرادة وجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته بامتثال أمره، ومتى شاب هذه النيةَ شائبةٌ من حظ الدنيا خرج العمل عن كونه عبادةً خالصةً لله تعالى، والله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً من الحظوظ والشوائب. وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا العمل شركاً، ففي حديث مسلم وغيره: ((**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه...**))[3]، وإنما يظهر تأويل مثل هذا فيمن قصد العبادة والأجرة معاً، وأما من لا يقصد إلا الأجرة بحيث إذا لم تكن لا يقرأ تلك الختمة أو العدد من السورة أو الذكر فأمره أقبح، وذنبه أكبر، وعمله باطل لا يعتد به شرعاً؛ فدافع الأجر عليه خاسر ماله، وآخذه منه خاسر لمآله)[4].

أما نقل حديث النبي ﷺ الذي أورده الإمام البخاري: ((**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**))[5] وأن صحابة رسول الله ﷺ الذين مروا بالأعراب في البادية، وقرؤوا الفاتحة على

---

[1]- انظر في هذا المعنى "الطريقة المحمدية": ص١٦٥.

[2]- محمد عبده، هو: محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م-١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ولد في شبراخيت (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة). وتصوف وتفلسف. تولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. له مؤلفات، منها: "تفسير القرآن الكريم"، و"رسالة التوحيد"، و"حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية"، و"شرح نهج البلاغة"، وغيرها من المؤلفات. انظر: الأعلام: ٦/٢٥٢-٢٥٣.

[3]- الحديث سبق تخريجه في ص٨٢.

[4]- انظر "تفسير المنار": قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨ : (١٦٦/٢). وربما يحسن بنا في هذا السياق أن نذكر في ثنايا هذا الكلام قول الرسول ﷺ: ((اقرؤوا القرآن واسألوا الله به؛ فإن مِن بعدكم قوماً يقرؤون القرآن يسألون به الناس)) رواه أحمد في المسند: ١٤٦/٣٣ برقم ١٩٩١٧ من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ. قال محققو المسند: الحديث حسن لغيره.

[5]- أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب: ص١٠١٣ برقم٥٧٣٧.

مريضهم، وأخذوا على ذلك أجراً، فليس في مسائل العبادات التي نحن بصددها الآن، إنما هذه المسألة في حق أخذ الأجرة على الرقى، ولقد كانت الرقية تعد في عصر النبوة قسماً من الطب. وكذلك أخذ الأجرة على تعليم القرآن وتدريسه جائزة عند الإمام مالك والشافعي، بينما يرى المتقدمون من علماء الحنفية عدم جوازه. وعلى كل حال فإن الخلط بين التعليم والتطبيب وبين القراءة عبادةً خطأ لا يجوز، بل يجب التفريق بين المسألتين)[1].

ومصداقاً لقوله أورد هنا قول ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله: (وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت! فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه. والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف. وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه مما فيه منفعة تصل إلى الغير. والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى! ولهذا لم يقل أحد أنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن، ويعلمه، ويتعلمه معونةً لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي "الاختيار": لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة؛ لأنه في معنى الأجرة.[2] انتهى)[3].

وكذلك هناك مسألة أخرى متعلقة بقراءة القرآن، وهي تكريس (أو إهداء) ثواب القراءة للأرواح. وقد سبق - قَبْلَ أسطر- ذكر كلام ابن أبي العز الحنفي: (وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت! فهذا...) فكلامه هذا كان في معرض بيان حكم الاستئجار على القراءة، حيث قال: (والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف... والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى!)، ولكن ما الحكم فيما لو كان العمل لوجه الله ثم أهدى صاحب هذا العمل ثوابه للآخر؟ السؤال يحتاج إلى الجواب؛ لأن هذه الظاهرة هي الثانية من المظاهر الموجودة في المجتمع التتري، ولنرى مدى انتشارها ننظر إلى نتائج الاستبانة المبيَّنة في الجدول التالي، ثم سنذكر حكم هذه الظاهرة:

[1]- "شرح جوامع الكلم" رضاء الدين بن فخر الدين: ص٤٨٠.

[2]- انظر "الاختيار لتعليل المختار" لعبد الله الموصلي الحنفي: ١٠١/٥.

[3]- "شرح عقيدة الطحاوي" لابن أبي العز الحنفي: ص٣٥٠.

رقم السؤال	صورة الظاهرة في الأذكار والأدعية	ما مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التتري			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا توجد
4	Чтение Корана по усопшим قراءة القرآن لأرواح الأموات	38,6	31,1	16.7	13,6

الاستبانة رقم١ / السؤال رقم٤.

نرى من خلال نتائج هذا الجدول أن ١٣,٦ % من المجيبين على الاستبانة قالوا بعدم وجود هذه الظاهرة في تتارستان، بينما يرى ٨٦,٤ % من مجموع المجيبين أنها موجودة وإن اختلفت آراؤهم في مدى انتشارها، فقال ١٦,٧ % من المجيبين إنها قليلة الانتشار، وقال ٣١,١ % منهم إنها متوسطة الانتشار، بينما يرى ٣٨,٦ % من المجيبين أن قراءة القرآن وإهداء الثواب لأرواح الأموات كثيرة الانتشار، بل أزيد وأقول إنه لا يخلو مجلس من المجالس يُقرأ فيه القرآن إلا ويُهدى فيه ثواب القراءة لأرواح المؤمنين من الأصدقاء والأقارب، حتى يوجد منهم من يعدهم بأساميهم واحدا واحدا.

ولعلنا نقسم الأرواح في مسألة الإهداء ثلاثة أنواع؛ لأن لكل نوع كلاماً يخصه، فهي:

١- **الإهداء لأرواح أموات المسلمين.** قال ابن أبي العز في شرح قول الإمام الطحاوي- رحمهم الله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات)، قال: (وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج)[1].

ومن المعروف أن هذه المسالة مختلف فيها: أ يصل ثواب القراءة إلى الميت أم لا؟ فإن علماء السنة والجماعة من أهل الورع والاستقامة اتفقوا على جواز انتفاع الأموات بعمل الأحياء عموماً واختلفوا في انتفاعهم من بعض أنواع العبادات والقراءة خصوصاً.[2]

فقد وردت النصوص الشرعية المعتبرة من القرآن والسنة بأن الميت ينتفع مما يعمله الحي عنه من الاستغفار، والدعاء، والصدقة، والحج، والصوم، والأضحية، والعتق.[3]

أما قراءة القرآن على الميت ثم إهداء ثوابها له، فإنه من الأمور التي لم يرد النص الشرعي الصحيح الصريح بمشروعيته أو استحبابه: لا في القرآن، ولا في السنة النبوية، ولم يعرف عن الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم- أنهم كانوا إذا مات لهم ميت يهدون له ما يتلونه من القرآن.

---

[1]- شرح العقيدة الطحاوية: ٥٢٥/٢، ٥٣٢.

[2]- انظر "مجموع الفتاوى": ٣١٥/٢٤، و"الفتاوى الكبرى" لابن تيمية: ٣٣/٢، و"شرح الطحاوية": ٥٢٥/٢، ٥٣٢.

[3]- ذكرها ابن القيم في "الروح": ص١٩١-١٩٨، و ابن أبي العز في "شرح العقيدة الطحاوية": ٥٢٨/٢-٥٣١.

فلذا اختلف القوم على القولين:

١- فقال أصحاب المذهب الحنفي وأصحاب مذهب الإمام أحمد بجواز ذلك بناءً على أنه لا فرقَ بين القراءة وباقي العبادات الوارد جواز إهدائها في الشرع من حيث الإهداء.[١]

٢- وقال الإمام الشافعي ومالك وهو المشهور في مذهبيهما أن ثواب القراءة لا يصل الأموات[٢] لعدم ورود ذلك في النصوص الشرعية ولعدم جواز القياس على ما ورد جوازه؛ لأن أصل العبادات المنع والتحريم، ولا تحل بالقياس.[٣]

ولكننا لو نظرنا إلى الواقع العملي سنجد أن هناك مذهباً آخر يعمل به الناس!

قال صاحب "الكواكب النيرات" الحنفي: (وقول الناس: يهدى ثواب ذلك إلى الميت، مرادهم به الدعاء؛ لأنه المعهود في العادة، والدعاء قد أجمعوا عليه (أي: على حصول المدعو به) إن استجاب الله تعالى، وأما ثواب الدعاءِ نفسِهِ، فللداعي)[٤].

وهذا الذي قاله صاحب "الكواكب" قد لامسته من الصيغة التي يهدون بها الناسُ قراءتــَـهم للأموات في تتارستان، وهي:

(اللهم بلِّغ ثواب هذه القراءة الطيبة المباركة لروح "فلان"... ولجميع أرواح المسلمين)[٥].

---

[١]- انظر "الهداية" للمرغيناني: ٤٨١/٢، "المغني" لموفق الدين ابن قدامة المقدسي: ٥١٩/٣ (طبعة دار عالم الكتب)، "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ١٨٠/٢٤، "الروح" لابن القيم: ص١٩٠، ١٩٧، ٢٢٤-٢٢٥، "شرح الطحاوية": ٥٢٥/٢، ٥٣٢-٥٣٣، "إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات" لمحمد العربي التباني، الرسالة الثانية: ص٢٠، ص٢٩، وينظر "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار " للشوكاني: ٢١٣٠/٥، ٢١٣٢ ويستفاد من "حكم القراءة للأموات" للشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالسعودية سابقا.

[٢]- انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ١٨٠/٢٤، "نيل الأوطار": ٢١٣٠/٥. ولكن جماعة من أصحاب الشافعي ذهبوا إلى أن ثواب القراءة يصل إلى الميت وحكى النووي وجها أن ثواب القراءة يصل إلى الميت وذلك إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته. انظر "المجموع شرح المهذب" للنووي: ٥٠٩/١٦- ٥١٠، و"شرح النووي لصحيح مسلم": ٧/ ٩٠، وانظر "الروح" لابن القيم: ص١٩٠، و"شرح الطحاوية": ٥٢٥/٢، و"مغني المحتاج": ٩١/٣.

[٣]- انظر "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا: ٢٣٦/٨، ٢٤٤-٢٥٦، "أحكام الجنائز" للألباني: ٢٢٠-٢٢١، "فتاوى اللجنة الدائمة": السؤال الثالث/ رقم ٢٢٣٢، "البرهان المبين في التصدي للبدع والأباطيل" لأشرف قطقاط: ص١٩.

[٤]- "الكواكب النيرات في إثبات وصول الحسنات المهداة إلى الأحياء والأموات" لابن الديري الحنفي: ص٣١.

[٥]- قد أملى علي هذه الصيغة مفتي جمهورية تتارستان سابقا الإمام الخطيب بجامع مدينة زيلينودولسك الشيخ عبد الحميد زينة الله مشكورا.

وقد اعتبر بعض المحققين هذه الصيغة مخرجاً من الخلاف؛ إذ جعلوا الإهداء دعاءً، وجواز الدعاء ووصوله إلى الأموات محل الإجماع[1].

قال الإمام النووي: والمختار أن يقول بعد القراءة: (اللهم أوصل ثواب ما قرأته)[2].

إذن هناك ما قد يكون مخرجا من الخلاف، وهذا الذي عليه عمل الناس في تتارستان أصلا، ولكن يجب لكل طالب الحق – في كل الأحوال: سواء أخذنا بما هو متفق عليه داخل المذهب الحنفي أو بما يخرجنا من الخلاف الذي بين المذاهب- أن يعرف بأن المسألة ما دامت خلافية يكون تركها أحوط لعدم ورود الدليل وتجنباً من احتمال الوقوع في البدعة، فلنَدَع ما يريبنا إلى ما لا يريبنا. فلنعمل بما هو الأحوط والأقرب للصواب وأنفع لحيِّنا وميِّتنا. والذي أريد أن أقوله هو: إن الذي ثبت عن النبي ﷺ يقينا مما ينفع الأموات من العبادات القولية إنما هو الدعاء والاستغفار لا تلاوة القرآن، إذن، فالأحسن الاشتغال بما هو ثابت ومؤكد نفعه لا بالذي هو ظني محتمل نفعه أو بما هو أقل نفعاً، أي: إن سُلِّم بأن ثواب القراءة يصل الأمواتَ، فإن أجر قراءة القرآن– لا شك- عظيم ولكنه في كل الأحوال منوط بعدد الأحرف التي يقرؤها القارئ، أما الدعاء فنفعه متعلق بما تدعو الله به من خيري الدنيا والآخرة؛ فلك أن تدعو بما شئت من فضل الله من الاستغفار لميتك وإدخاله الجنة، بل لك أن تدعو الله بأن يدخلك ويدخله فردوس الأعلى من الجنة. ولعل هذا المعنى قصده ابن عيينة – رحمه الله- لما سئل عن التصدق عن الأموات، فقال: (كل ذلك واصل إليه، ولا شيء أنفع له من الاستغفار، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين!)[3]. فلماذا نحصر نفع الميت بتلاوة محددة نفعها ونجعلها ديدنة كل مجلسنا!؟ والذي يظهر أن عدم إدراك الناس لمعنى الدعاء ومعنى الاستغفار وفضلهما يجعلهم يلجئون إلى مثل هذا، إضافة إلى أن عامل العاطفة له كذلك دور في تصرفات الناس؛ فالإنسان كأنه يريد أن يقدم للميت شيئا محسوساً، فيهدي ثواب ما قرأه آنفاً. فأعود وأكرر: ما دامت المسألة خلافيةٌ يكون تركها أحوط لعدم ورود الدليل ولتجنب الوقوع في البدعة وفي ما يريبنا إلى ما لا يريبنا، وللعمل بما هو أثبت وآكد وأقرب للصواب وأنفع لحيِّنا وميِّتنا. والله أعلم.

---

[1]- حكى النووي وغيره الإجماع على ذلك، انظر على سبيل المثال "شرح مسلم" للنووي: ١٠٠/١، و"المجموع" له: ٥١٠/١٦.

[2]- "المجموع": ٥١٠/١٦. وهذا الذي اختاره الكثير ممن لا يرى وصول ثواب القراءة للأموات، فاختاره جماعة من أصحاب الشافعي منهم ابن الصلاح، والمحب الطبري، وصاحب الذخائر، وعليه عمل الناس. انظر "مغني المحتاج": ٩١/٣، القليوبي: ٣ / ١٧٥ – ١٧٦ ، "جواهر الإكليل": ١ / ١٦٣ ، وانظر "الموسوعة الفقهية الكويتية": ٢٦٠/٢٩.

[3]- الأثر أورده الزمخشري في "الكشاف": ٥٠٨/٣ (طبعة مكتبة العبيكان المحققة).

٢- **لأرواح الأموات من الأقارب**، سواء كان هؤلاء الأموات من المسلمين الملتزمين بالدين أم كانوا مسلمين بالاسم فقط لكون أجدادهم مسلمين. هنا حالتان:

- إن كانت روح الميت من المسلمين، فالقول فيه كقولنا في سائر أوراح المسلمين: ندعو له، ونتصدق عنه، أما إهداء ثواب القراءة، فنقول فيه إنه لم يروَ في الشرع، فلذا، الأفضل أن نعمل بما أوصانا الله به في الوالدين- كما ذكره ابن عيينة- وهو الاستغفار؛ أما قراءة القرآن فلتكن هي وسيلة يُتوسَّل بها لقبول هذا الاستغفار.

- أما لو كان هؤلاء الأقارب من غير المسلمين، فالدعاء والاستغفار لهم والترحم عليهم وإهداء الثواب لهم من الأعمال المنكرة؛ قد أنكر الله هذا العمل على من هو خير منا: على نبيه ورسوله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعلى خير خلقه وخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٣ - ١١٤.

وفي الحديث الصحيح عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حَضَرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: ((**أيْ عَمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجّ لك بها عند الله عز وجل**)). فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: ((**والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**)). فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: ١١٣، وأنزل الله في أبي طالب؛ فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ القصص: ٥٦)[١].

[١]- متفق عليه؛ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، (٢٨) سورة القصص، باب قوله تعالى ((إنك لا تهدي من أحببت)): ص٨٣٧ برقم٤٧٧٢، وكتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت "لا إله إلا الله": ص٢١٧ برقم١٣٦٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...، وهو الغرغرة: ص٣٣ برقم١٣٢ (٢٤).

وكذلك وردت في صحيح مسلم قصة في شأن أمه ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى، وأبكى من حوله، فقال: ((**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت**))[1].

ومما يستشهد به على عدم جواز استغفار المسلمين للأموات من الكفار ولو كانوا ذوي قربى، قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨، فإذا كان الكافر أو العاصي لا تنفعه التوبة والاستغفار عند الموت، فما بالُ بعد الموت، بل الذي مات على الكفر قد قضي أمره بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ نسأل الله العافية.

٣- **الإهداء لروح نبيّنا محمد رسول الله** ﷺ. وقد دلت على وجود هذه الظاهرة نتائج الاستبانات المبينة في الجدول التالي:

رقم السؤال	Мольбы к Аллаху, поминания (зикры) **صورة الظاهرة في الأذكار والأدعية**	مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التتري			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутст لا توجد
6	Посвящение прочтения Корана Пророку إهداء ثواب قراءة القرآن لروح محمد ﷺ	25.0	37.9	14.4	22,7

الاستبانة رقم١/ السؤال رقم٦.

نرى من خلال نتائج هذا الجدول أن ٢٢,٧ % من المجيبين أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، بينما يرى البقية المتمثلة في ٧٧,٣ % من مجموع المجيبين على الاستبانة أنها موجودة؛ فقال ١٤,٤ % من المجيبين إنها موجودة ولو كانت قليلة الانتشار، وأشار ٣٧,٩ % منهم إلى أنها متوسطة الانتشار، بينما أشار ٢٥,٠ % من المجيبين إلى أنها منتشرة وبكثرة.

إذن، فالأكثرية من المجيبين أشاروا إلى وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري- وربما تختلف قوة انتشارها من منطقة إلى أخرى- مما يؤكد أهمية دراسة هذه المسألة.

[1] – **رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه: ص٣٩٢، برقم٢٢٥٩ (٩٧٦).**

فنقول: إذا كانت المسألة الأولى وهي إهداء ثواب القراءة ووصوله للميت مختلفاً فيها، مع العلم بأن من العلماء من أنكر عليها واعتبرها بدعةً، فإن مسألة إهداء ثواب القراءة لروح نبيّنا وحبيبنا محمد ﷺ أوضح في عدم مشروعيتها؛ لورود أدلة على وصول الثواب إلى الرسول ﷺ من غير أن يهدى له، بل كل عمل يعمله مسلم، له ﷺ منه مثل أجر فاعله؛ لأنه هو الذي دل أمته على كل خير وأرشدهم إليه، والدال على الخير كفاعله.[1] فإذا أردت أيها المسلم أن يصل ثواب عملك إلى النبي ﷺ فاعمله على سنته ﷺ.

ومن الأذكار المنتشرة في تتارستان الأذكار الموسمية[2]، منها التي تقال في شهر رمضان أثناء صلاة التراويح بعد كل أربع ركعات، فبعد ما يسلم الإمام يبدأ مساعده يتغنى بالكلمات التالية، ثم ينضم الحاضرون إليه[3]:

الذكر الأول الذي يرددونه في العَشر الأولى من رمضان:

(سبحان ذي الملك والملكوت

سبحان ذي العزة والعظمة

والقدرة والكبرياء والجبروت

سبحان الملك الحي الذي لا يموت

---

[1]– هذا ما ورد في السنة الصحيحة، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: ((إن الدال على الخير كفاعله)) أخرجه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء "الدال على الخير كفاعله": ص٦٠١ برقم٢٦٧٠. وفي حديث آخر عن أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ قال: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))، أخرجه أبو داود، أول كتاب الأدب، باب في الدال على الخير: ص٩٢٨ برقم ٥١٢٩، والترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء "الدال على الخير كفاعله": ص٦٠١ برقم٢٦٧١. وأيضاً مما يدل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله – رضي الله عنه– عن الرسول ﷺ قال: ((من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...))، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...: ص٤١٠ برقم٢٣٥١ (١٠١٧). وانظر كلام ابن أبي العز الحنفي في هذا الموضوع في كتابه "شرح العقيدة الطحاوية": ٥٣٣/٢.

[2]– ومدى انتشارها في تتارستان مشاهد عياناً، فمثلاً هي تطبق في "قول شريف" المسجد المركزي في العاصمة مدينة قازان، وهذا الأمر وحده كافٍ– في رأيي– في إثبات وجود هذه الظاهرة وأنها منتشرة انتشارا كثيراً، فلذا رأيت عدم عمل الاستبيان في هذه الظاهرة.

[3]– فتمتلئ أجواء المسجد بنغمات لطيفة وكل يحاول أن يسهم بصوته؛ فهذا الذي يتشوق الناس إلى استماعه، حتى بعض من حضر التراويح ولو مرة في تتارستان، أول ما يتذكر من التراويح هذه الأذكار"سبحان ذي الملك والملكوت..." .

سبوح قدوس رب الملائكة والروح

لا إله إلا الله نستغفر الله

نسألك الجنة ونعوذ بك من النار).

الذكر الثاني الذي يرددونه في العَشر الثانية من رمضان:

(سبحان ذي الملك والملكوت

سبحان ذي العزة والعظمة والقدرة

والكبرياء والجلال والجمال والكمال والجبروت

سبحان الملك المعبود

سبحان الملك المقصود

سبحان الملك المسجود[1]

سبحان الملك الحي الذي لا ينام ولا يزال ولا يموت أبداً

سبوح قدوس رب الملائكة والروح

لا إله إلا الله نستغفر الله

نسألك الجنة ونعوذ بك من النار).[2]

الذكر الثالث الذي يرددونه في العَشر الأواخر من رمضان:

(سبحان الملك الحنان المنان

سبحان الملك الديان

المعروف بالغفران والموصوف بالإحسان

الوداع الوداع، الفراق الفراق يا شهر رمضان

اللهم يا قديم، اغفر لنا يا كريم

يا دائم يا عليم يا رحيم يا حليم،

و الصلاة والسلام يا سيد المرسلين)[3].

---

[1]- الملاحظة: ما استعمل في هذه الأبيات في وصف الله تعالى من الكلمات كـ"المقصود"، و"المسجود" و"القديم"، و"الدائم" ليس من أسماء الله الحسنى فيتجنب!

[2]- "التقويم التتري الديني" لعام ١٩٩٧م، ٢٠ رمضان/٢٩ يناير. ولعام ٢٠٠١م": ١٤ رمضان/ ٢٩ نوفمبر.

[3]- أملى علي هذه الأبيات مشكوراً أحد الأئمة في تتارستان.

هذه الأذكار الثلاثة هي المشهورة المعروفة في المساجد في رمضان وإلا -كما ذكر في إحدى مقالات "التقويم الديني التتري"- يمكن ذكر مناجات أخرى بدلاً من هذه، مع تغيرات بسيطة في المعنى[1].

أما حكم هذه الأذكار، فيقال: أنها وإن كانت خالية من الشرك، فإنها أمر بدعي من جهتين:

أولاً: لتخصيص زمن معين بأذكار معينة من غير دليل على مشروعية ذلك.

ثانياً: لجعل هذه الأذكار أمراً تعبدياً من غير دليل على ذلك؛ إذ ليس لمشروعيتها دليل في السنة النبوية ولا في سيرة الصحابة ولا السلف الصالح.[2]

ولو قيل إن هذه الأوراد ليست تعبداً وإنما هي ترويح عن الأنفس في صلاة التراويح، يجاب عن ذلك بالتالي:

أولا: إن هذه الأوراد من نوع الأدعية والأذكار ولا يمكن ألا تكون تعبداً؛ إذ فيها مناداة الله بأسمائه، والترجي إليه بطلب عفوه وغفرانه، وسؤاله فسيح جناته، والدعاء -كما تقرر عندنا- عبادة.

ثانياً: إن اعتياد ذكرها في كل سنة وفي كل رمضان - مع كونها أمراً تعبدياً- يجعلها بدعة.

ثالثاً: ثم إن اعتيادها في كل رمضان جَعَلَ كثيراً من الناس يظنها من الطقوس اللازمة في صلاة التراويح، وهذا الاعتقاد باطل لا أصل له. وهذا مما يُلزمنا أن نبين المسألة وحكمها.

وكذلك من الأمور المحدثة في الدين في المجتمع التتري ما يحصل في نهاية شهر رمضان من تغنٍّ بأبيات باللغة التترية مع بعض أجزائها باللغة العربية يودعون بها - على حد قولهم- شهر رمضان المبارك. هذه الأبيات فيها ذكر بعض فضائل رمضان.

يقول أحد الأئمة: (إن عادة ذكر أبيات "الوداع" كانت عادة تقال ليلة عيد الفطر حيث كانت تنشد من منارات المساجد، وبعدما قطعت المنارات (أيام الشيوعية) صارت تنشد من أبراج المراقبة (أو يقال لها "أبراج الإطفاء"). كان الناس ينتظرون إنشاد هذه الأبيات صغاراً وكباراً؛ لأن هذا الإنشاد صار عندهم احتفالاً يودعون به شهر الله المبارك.

---

[1]- "التقويم التتري الديني ١٩٩٧م": عن ٢١ رمضان/٣٠ يناير.

[2]- ومن المحظورات- أيضاً- في هذه الأذكار اشتمالها على ألفاظ مخالفة للشرع كوصف الله بأسماء: "المقصود"، و"المسجود" و"القديم"، و"الدائم" وهي كلها ليست من أسماء الله الحسنى يجب تجنب استعمالها تجاه الله تعالى!

أما كلمات "الوداع" فكانت تنتقل من جيل إلى جيل، سنة بعد سنة، فوصلتنا دون أن تتغير. فهي تذكر ثلاث مرات: الأولى في الساعة الثانية عشرة ليلاً، والثانية قبل طلوع الفجر، والثالثة قبل طلوع الشمس.

كلمة "الوداع" كلمة عربية تعني باللغة التترية "Саубулашу". هذه العادة لا نجد لها سنداً في الشريعة الإسلامية، بل "الوداع" من تاريخ شعبنا، وهي عادة جميلة لها تعلق بديننا؛ ولذا كان واجباً علينا أن نحتفظ بهذه العادة، ونوصلها إلى أجيالنا القادمة.

تبدأ هذه الأبيات بالكلمات التالية:

الوداع، الوداع

شهر الرحمة الوداع

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله

... إلخ)[1].

حكم هذه الظاهرة أن السنة لم تأتِ بشيء يشبه ما يسمونه بالوداع، فالالتزام به إحداث وبدعة في الدين لم يسبقهم إليها أحد من السلف الصالح، ثم إن الالتزام بها وتخصيص أوقات معينة لها واعتيادها بحيث يُعتقد فيها أنها من الشريعة أمر خطير ومنكر وإضلال في الدين.

ومن المظاهر أيضا أن هناك جماعات تذكر الله بمجرد ذكر أسماء الله: يا غفار يا الله، يا سميع يا الله، يا لطيف يا الله، يا قهار يا الله، يا منان...، يا عزيز...، يا رحمن...، إلخ. فهؤلاء ربما استندوا على حديث: ((**إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة**))[2]، فما حكم فعلهم؟

الجواب على هذا: ان العلماء قد اختلفوا في معنى قوله ﷺ: "**من أحصاها**"، وقد ذكروا في ذلك وجوهاً:

---

[1]– "التقويم التتري الديني ١٩٩٧م": عن ٢٩ رمضان/٧ فبراير.

[2]– متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط: ص٤٥١ برقم٢٧٣٦، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها: ص١١٦٦ برقم٦٨٠٩ (٢٦٧٧).

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها بمعنى أن لا يقتصر على بعضها، فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

وثانيها: المراد به الإحاطة بمعانيها.

ثالثها: المراد بالإحصاء الإطاقة والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها فإذا قال الرزاق وثق بالرزق، وإذا قال: "الحكيم"، سلم لجميع أوامره؛ لأن جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: "القدوس"، استحضر كونه مقدساً منزهاً من جميع النقائص، وكذا سائر الأسماء.[1]

وقال ابن بطال[2]: (طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرّن العبدُ نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص به نفسه كالجبّار والعظيم، فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة، ويؤيد هذا أن حفظها لفظاً من دون عمل واتصاف كحفظ القرآن من دون عمل؛ لا ينفع[3]، كما جاء ((يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم))[4])[1].

---

[1]- ذكر هذه الوجوه الخطابي في "غريب الحديث": ٧٣٠/١، ونقلها عنه وغيرَها من الوجوه والأقوال ابن حجر في "الفتح": ٢٧٠/١١ رقم٦٤١٠، والصنعاني في "سبل السلام": ٢٨/٨ رقم (١٢٨٨/٩)، والحكمي في "معارج القبول": ٨٤/١، وابن الجوزي في"غريب الحديث": ٢١٩/١.

[2]- ابن بطال، هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن القرطبي ويعرف أيضاً بابن اللجّام. كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط حسن الضبط. عني بالحديث العناية التامة، وشرح صحيح البخاري في عدة مجلدات، ورواه الناس عنه. وكان من كبار المالكية، وينتحل الكلام على طريقة الأشعري، وتوفي سنة ٤٤٩هـ. انظر "السير": ٤٧/١٨ برقم٢٠، "الوافي بالوفيات": ٥٦/٢١ برقم٤٣، "شذرات الذهب": ٢٨٣/٣، "الديباج المذهب" لابن فرحون المالكي: ٨٣/٢، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لمحمد مخلوف: ١٧١/١ برقم٣٥٢، "الأعلام": ٢٨٥/٤.

[3] - كما لا تنفع كلمة "لا إله إلا الله" بدون عمل بمقتضاها.

[4]- جزء من حديث متفق عليه، ونصه: عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: ((ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل))، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه، فأضرب عنقه؟ فقال: ((دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم (وفي رواية: حناجرهم)، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه=

ولكن- كما قال العلماء- هذا الذي ذكره ابن بطال لا يمنع مِن ثواب مَن قرأها سرداً، أو حفظها حفظاً، أو دعا بها وإن كان متلبساً بالمعاصي.[٢]

فبعد النظر إلى أقوال العلماء في معنى الإحصاء نقول إن هؤلاء الذين يذكرون الله على الطريقة المذكورة آنفاً كقولهم: يا غفار يا الله، يا سميع يا الله، يا لطيف يا الله، يا قهار يا الله، يا منان...، يا عزيز... إلخ، يأخذون بقول من يرى أن الإحصاء الوارد في الحديث هو أن يعدها حتى يستوفيها، فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها، فهذا الأمر جائز سائغ وهو- كما تبين- أحد الاحتمالات الواردة في معنى الإحصاء، ولكن هؤلاء ابتدعوا من ناحية تخصيص هذا الذكر بوقت معين وهو بعد الصلوات المفروضة[٣]، ولا شك أن هذا مخالف للسنة، إنما هناك أذكار وردت ثابتةً لِتُذْكَرَ دبرَ كل الصلوات وليس فيها شيء مما هم فيه.

فكذلك تصير أذكارهم بدعة من ناحية هيئة الذكر؛ فهم تكلفوا السجع في ذكرهم حيث أضافوا بعد ذكر كل اسم من أسماء الله لفظ الجلالة "الله"، ليسهل التغني بها، وهذا إنما يفعله أهل المذاهب الصوفية. وقد أصاب صاحب المقالة في "التقويم التتري" لما قال: (بل يجب أن يساق الدعاء من القلب دون التكلف)[٤].

=شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه- وهو قدحه- فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَرُ، ويخرجون على حين فرقة من الناس)). أخرجه البخاري- وهذا اللفظ له- في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام: ص٦٠٥ برقم٣٦١٠، وانظر أيضاً مواضع أخرى من صحيحه (رقم الحديث: ٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٤، ٧٤٣٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ص٤٣١ برقم٢٤٥٦ (١٠٦٤).

[١]- إلى هنا قول ابن بطال، نقله بتصرف ابن حجر في "فتح الباري": ٢٧٠/١١ وعنه الصنعاني في"سبل السلام": ٢٨/٨. وأصل كلام ابن بطال في "شرح البخاري" له: ٤٢٠/١٠.

[٢]- انظر: "فتح الباري": ٢٧٠/١١، "سبل السلام": ٢٨/٨، "معارج القبول": ٨٤/١.

[٣]- هذا مشهور عن أصحاب الطريقة الصوفية النورسية التي أصلها من تركيا. وهم أتباع بديع الزمان سعيد النورسي من القرن الماضي. يرجع إلى رسالة الماجستير بجامعة الإمام "عقائد النورسية" لعلي عامر بقنة.

[٤]- "التقويم التتري الديني لعام ١٩٩٩م/١٤١٩هـ": عن ٢١شوال/٨ فبراير.

وكذلك أصاب صاحب "رسالاي إستيواني"[1] لما قال ما يتوافق مع رأي أهل السنة في مسألة التغني والرقص، حيث قال: (كل عبادة تخالف الشريعة بدعة، وفاعلها من أهل البدعة. ومن ذلك أن بعض الناس يتشبهون بالصوفية ويذكرون الله على طريقتهم. لا يجوز الجلوس في مثل هذه المجالس... إن الرقص والتغني على الطريقة الصوفية بطالة وجهالة وضلالة[2])[3].

هكذا نرى مما سبق أن للعلماء التتر اهتماماً كبيرا بالأعمال القولية تقريراً وتصحيحاً، فلم يطرحوا المسائل المتعلقة باللسان جانباً وإنما ولّوها اهتماماً واسعاً بالوعظ والكتابة. وأختم هذا المبحث بما كتبه أحد كبار أئمة التتر شهاب الدين المرجاني- رحمه الله- حيث قال بعض الكلمات المهمة في أمر الأذكار مبينا خطر الابتداع فيها:

(لا يجوز العدولُ عما ورد بوجه عن النبي- عليه الصلاة والسلام- على ما دُونَه أصلاً ولا تبديلُ كلماته الواردة بغيرها...ثم قال: اعلم أن إثبات شرعية شيء من العبادات المخصوصة باسم أو هيئة أو عدد أو حالة أو وقت أو حادثة لا بد له من دليل خاص يدل على ذلك وحجة تفيدها بخصوصية لأن أوصاف العبادات كلها وأحوالها وأوقاتها تعبدية ومأخذها التوقيف ولا يمكن إدراجها تحت العمومات المقتضية لمشروعية العبادات وفعل الخيرات لعدم دلالتها على ما فيها من خصوص)[4].

---

[1]- وهي رسالة في الفقه الحنفي مكتوبة باللغة التترية القديمة.

[2]- سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي عن حكم هؤلاء الصوفية وعن رقصهم، فقال: (مذهب هؤلاء بطالة، وجهالة، وضلالة؛ وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار؛ قاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون. فهو دين الكفار، وعباد العجل... فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة المسلمين، وبالله التوفيق). نقله أبو عبد الله القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن": ٢١٢/١١، وعنه ابن الحاج في "المدخل": ٩٩/٣.

[3]- "الرسالة الأستوانية في المسائل المتعلقة بالطهارة والصلاة على مذهب الحنفية": ٥٦.

[4]- "البرق الوميض على البغيض المسمى بالنقيض" لشهاب الدين المرجاني التتري: ص ٣٠-٣٢.

المبحث الثاني: النذور و الأيمان:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في النذور والأيمان الشرعية عند التتر.

المطلب الثـــاني: مظاهر الانحراف في النذور والأيمان وحكمها.

المطلب الأول

مظاهر التوحيد في النذور والأيمان الشرعية عند التتر

أولاً: مظاهر التوحيد في الأيمان المشروعة عند التتر:

المسألة الأولى: التعريف اللغوي لليمين:

اليمين[1]: للجهة ضد اليسار، وهي أيضاً الجارحة، واليمين القوة، واليمين مطلق الحَلِف[2] والقَسَم[3] بأي شيء كان من غير تخصيص[4]، أنثى، وتجمع على: أيْمُن وأَيْمان.

قيل: سمي الحَلِفُ أو القَسَم يميناً باسم يمين اليد أو-كما قيل- هو مستعار من اليد اليمنى، اعتباراً بما يفعله المعاهد والمحالف[5]؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم يمينَه على يمين صاحبه، فسمّي الحَلِفُ يميناً مجازاً[6].

---

[1] – انظر مادة (ي- م- ن) في قواميس اللغة: "الصحاح": ص١١٧٢، "معجم مقاييس اللغة": ٦/١٥٨، وغيرهما.

[2] – مادة (ح- ل- ف) فيها معنى الملازمة، يقال: حالف فلانٌ فلانا إذا لازمه. وكذلك الحلف الذي يأخذ بعضهم من بعض به العهد، فإذا حلف الإنسان لزمه الثبات على ما حلف عليه. انظر "معجم مقاييس اللغة": ٢/ ٩٧-٩٨، و"لسان العرب": ٢/١٣٦، "المفردات في غريب القرآن": ص١٢٩.

[3] – في "المخصص" لابن سيدة: (القسم هو يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد)- باب حروف الإضافة إلى المحلوف به: ١٣/١١٠، وفي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للفيومي: (والقَسَم بفتحتين: اسم من أقسم بالله إقساماً إذا حلف): ص٤١٠.

[4] – انظر "كتاب المبسوط" للسرخسي: ٨/١٣٣، و"الاختيار لتعليل المختار" للموصلي: ٤/٥٤.

[5] – "المفردات في غريب القرآن": ص٥٥٣. وانظر: "الفروق اللغوية" :١/٤٢٨ وفيهما أن: (اليمين في الحلف مستعار من اليد). وذكر في "حاشية ابن عابدين" أن حق اليد سميت باليمين بالاستعارة: (وسميت إحدى اليدين باليمين لزيادة قوتها على الأخرى)- ٥/٤٨٧. وقال ابن نجيم: (وهذا يفيد أن لفظ اليمين لفظ منقول)-"البحر الرائق":٤/٤٦٤.

[6] – انظر "الصحاح" الجوهري: ص١١٧٢، و"القاموس المحيط": ص١٢٤١، و"لسان العرب": ٦/٥٢٠-٥٢٢، و"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" لأحمد المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ) : ص٥٦٠.

وقيل: سمي يميناً لأن الحالف يتقوى بيمينه على تحقيق ما قرنه بها من تحصيل أو امتناع[1]، أو لتقوية أحد طرفي الخبر بالمقسم به أو بذكر الله[2].

المسألة الثانية: التعريف الشرعي لليمين:

جاء في "معجم لغة الفقهاء": (اليمين: توكيد القول بذكر معظَّم على وجه مخصوص)[3]، وهذا التعريف –كما لا يخفى- تعريف مطلق شامل لليمين بالله وبغير الله وهو الموافق للتعريف اللغوي، والعلماء عندما يتكلمون عن اليمين الشرعية يقيدون كلمة "المعظم" بالله خاصةً؛ فمثلاً، يقول السرخسي في "المبسوط" إن اليمين المسمى بالقسم أو الحلف (...لا يكون إلا بالله تعالى فهو المستحق للتعظيم بذاته على وجه لا يجوز هتك حرمة اسمه بحال)[4].

واختار الإمام النووي في تعريف اليمين عبارة الإمام البغوي، وهي: (اليمين تحقيق الأمر وتوكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته)[5].

وأيضاً، فإن المتأمل في كلام العلماء عن اليمين يجد أن للفقهاء نوعاً آخر في اليمين ليس فيه معنى التعظيم، وهو الشرط والجزاء أو تعليق الشرط بالجزاء، نحو: إن دخلتِ الدار فأنتِ طالق، أو فأنتَ حر، وما أشبه ذلك.

ولذلك عرّف ملا علي القارئ اليمين بأنها: (تقوية الخبر بذكر الله تعالى أو بالتعليق (أي: تعليق الجزاء بالشرط)، وسببها: قصد الحالف إظهار صدقه في قلب السامع، أو حمل

---

[1] – "طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية" لنجم الدين النسفي الحنفي: كتاب الأيمان: ص١٦٧.

[2] – انظر "كنز الدقائق" للنسفي (ت:٧١٠هـ) بأعلى "البحر الرائق" لابن نجيم (ت:٩٧٠هـ): ٤/٤٦٤، وقال ابن عابدين: (إن أصل المادة بمعنى القوة، ثم استعملت في اللغة لمعان أخر لوجود المعنى الأصلي فيها ... وهكذا في كثير من الألفاظ اللغوية التي تطلق على أشياء ترجع إلى أصل واحد عام؛ فيصحّ أن يطلق عليها لفظ الاشتراك نظراً إلى اتحاد المادة مع اختلاف المعاني، وأن يطلق عليها لفظ المنقول نظراً إلى المعنى الأصلي الذي ترجع إليه...) "حاشية ابن عابدين":٥/٤٨٨.

[3] – "معجم لغة الفقهاء": ص٧٩. وقال القونوي في "أنيس الفقهاء" ص١٧١: (الأيمان جمع يمين، وهو لغة: القوة، وشرعاً: تقوية أحد طرفي الخبر بذكر اسم الله تعالى أو التعليق...).

[4] – "المبسوط" للسرخسي: ٨/ ١٣٣.

[5] – "روضة الطالبين" للنووي: ٣/٨، وانظر "فقه السنة" للسيد سابق: ٦١/٢.

نفسه على الفعل أو الترك، وشرطها: كون الحالف مكلفاً، وركنها: اللفظ الذي ينعقد به اليمين، وحكمها: البَرُّ حال بقاء اليمين، والكفارة عند فوات البِّرِّ... وهذا النوع ليس بيمين وصفاً وإنما سمي يميناً في عرف الفقهاء لحصول ما هو المقصود باليمين بالله من الحمل على الشرط أو المنع عنه، فكان يميناً)[1].

وقال الموصلي- أيضاً- في "الاختيار": (اليمين في الشرع نوعان:

أحدهما: القَسَم، وهو ما يقتضي تعظيم المقسم به، فلهذا قلنا لا يجوز إلا بالله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: ((**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليذر**))[2]، وفيها المعنى اللغوي؛ لأن فيها الحلف، وفيها معنى القوة؛ لأنهم يقوّون كلامهم ويوثقونه بالقَسَم بالله تعالى، وكانوا إذا تحالفوا أو تعاهدوا يأخذون باليمين التي هي الجارحة.

والثاني: الشرط والجزاء، وهو تعليق الجزاء بالشرط على وجه ينزل الجزاء عند وجود الشرط كقوله: إن لم آتك غداً فعبدي حرّ، وهذا النوع ثبت بالاصطلاح الشرعي ولم ينقل عن أهل اللغة، وفيه معنى القوة والتوثق أيضاً؛ لأن اليمين تعقد للحمل على فعل المحلوف عليه أو للمنع عن فعله، فإن الإنسان يعلم كون الفعل مصلحة ولا يفعله لنفور الطبع عنه، ويعلم كونه مفسدة ولا يمتنع عنه لميله إليه وغلبة شهوته، فاحتاج في تأكيد عزمه على الفعل أو الترك إلى اليمين، وكما أن اليمين بالله تعالى تحمله أو تمنعه لما يلازمها من الإثم بهتك الاسم المعظم والكفارة، فكذلك الشرط والجزاء يحمله ويمنعه لما يلازمه من زوال ملك النكاح، وملك الرقبة، وغير ذلك، فيحصل المنع والحمل بكل واحدة من اليمينين فألحقناها بها لاشتراكهما في المعنى)[3].

إذاً، فالذي يُهمنا من اليمين هو النوع الأول الذي هو بمعنى الحلف أو القسم، أما الثاني فليس بيمين وصفاً وإنما سمي يميناً لحصول ما هو المقصود باليمين بالله من الحمل على الشرط أو المنع عنه، فكان يميناً في عرف الفقهاء، وإذا قيل: اليمين بغير الله لا يكره عند

---

[1] - **"فتح باب العناية بشرح النقاية" لملا علي القارئ: ٢/٢٤٦.**

[2] - **أخرجه البخاري عن نافع عن ابن عمر في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف: ص٤٣٦ برقم٢٦٧٩، ولفظه: (أو ليصمت)، ثم رواه البخاري في موضع آخر بزيادة وقصة وكذلك مسلم وسياتي تخريجه.**

[3] - **"الاختيار لتعليل المختار" للموصلي: كتاب الأيمان- ٤/٥٤. تسمية التعليقات أيماناً تستفاد من كتب الفقهاء وقرر ذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٣٥/٢٤٣.**

عامة العلماء، انصرف إلى هذا النوع: أي إلى التعاليق بالطلاق، والعتاق، وغير ذلك من الأمور المباحة[1]، ولا محظورَ؛ إذ ليس فيها تعظيم غير الله تعالى. أما النوع الأول الذي ينعقد بحروف القسم وألفاظه فيقتضي تعظيم المحلوف به، وهو الذي له تعلق بالعقيدة وبالتوحيد، وهو الذي سنركز عليه في المباحث الآتية- إن شاء الله تعالى[2].

المسألة الثالثة: مشروعية اليمين وأحكامها:

واليمين مشروعة[3] في المعاهدات والخصومات توكيداً وتوثيقاً للقول عند الحاجة، أو للحمل على الفعل أو للمنع عنه[4]، وقد ثبت حكمها بالكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ البقرة: ٢٢٥، و قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

---

[1] – انظر "البحر الرائق" لابن نجيم المطبوع مع "منحة الخالق على البحر الرائق" لابن عابدين؛ كلاهما ذكرا ذلك: ٤٦٦/٤. وقال ملا علي القارئ: (...وهي (أي: اليمين) نوعان: يمين بالله، ويمين بغيره. فالأولى مشروعة بالكتاب... وبالسنة... وبالإجماع. وكذا بغير الله مشروعة: وهي تعليق الجزاء بالشرط، نحو: إن دخلتِ الدار فأنتِ طالق) "فتح باب العناية بشرح النقاية" لملا علي القارئ:٢٤٦/٢. وقال القونوي في "أنيس الفقهاء" ص١٧١: (فإن اليمين بغير الله عز وجل هو ذكر الشرط والجزاء).

[2] – لما وقع التباس بين اليمين بغير الله بمعنى الحلف بغيرالله كـ"والكعبة"، "وحياتي" وبين اليمين بغير الله بمعنى التعليق كـ "إن بشّرتني فأنت حر"، أردت أن أبين الفرق بينهما حتى لا يقع الخلط ولا يُتوهم تحليل المحرَّم عند قول بعض الفقهاء "لا يكره اليمين بغير الله"، وحتى لا يتسرع القارئ إلى الحكم بارتكاب قائله للكبيرة؛ لأن قصدهم بهذا الكلام هو: لا يكره تعليق الجزاء بالشرط، كالتعليق بالطلاق، والعتاق، والحج، ونحو ذلك، وهذا عند عامة العلماء لا يكره؛ إذ ليس فيه تعظيم غير الله تعالى.

[3] – "الاختيار لتعليل المختار" للموصلي: كتاب الأيمان- ٥٥/٤. وانظر تعريف اليمين لرضاء الدين بن فخر الدين التتري في كتابه "شرح جوامع الكلم": ص١٤٩.

[4] – قال ابن تيمية: (اليمين ليس قصده فيها التقرب إلى الله، إنما قصده حض نفسه أو منعها، أو حض غيره أو منعه...) "قاعدة العقود" لابن تيمية: ص٧٦.

المائدة: ٨٩، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ النحل: ٩١، وقوله تعالى آمراً نبيه ﷺ بالحلف في ثلاث مواضع من القرآن: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يونس: ٥٣، وفي قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ سبأ: ٣، وفي قوله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ التغابن: ٧ وغير ذلك من الآيات.

أما السنة، فقد كان الرسول ﷺ يُقسم بقوله "والله"، و "والذي نفسي بيده"، أو "نفس محمد بيده"، و "لا ومقلب القلوب"، و "ورب الكعبة"[١]، ومما ثبت في الصحيحين قوله ﷺ: ((**إني – والله، إن شاء الله– لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها**))[٢]. وغير هذا الحديث كثير أورده أئمة الحديث في سننهم ومسانيدهم.

وقد كان النبي ﷺ يُحلّف الناس للفصل في الخصومات وإنهاء النزعات في الدعاوى، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال للمتلاعنين: ((**احلف بالله الذي لا إله إلا هو: إني لصادق**))[٣]، وقال ﷺ للمتخاصمين: ((**بينتك أو يمينه**))[٤].

---

[١] – انظر "فتح الباري شرح صحيح البخاري" قوله: (باب كيف كانت يمين النبي ﷺ): ٦٤٠/١١.

[٢] – هو الشاهد من الحديث الذي رواه البخاري مطولا في كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين: ص٥٢٠ برقم٣١٣٣، وانظر المواضع الأخرى من صحيحه، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه: ص٧٢٤ برقم٤٢٦٥.

[٣] – رواه الحاكم "المستدرك على الصحيحين"، كتاب الطلاق، باب الله يعلم أن أحدكم كاذب: ٢٢٠/٢ برقم٢٨١٣، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه بهذه السياقة. وفي البخاري من طريق نافع عن عبد الله بن عمر: (أن رجلا من الأنصار قذف امرأته، فأحلفهما النبي ﷺ ثم فرق بينهما). كتاب الطلاق، باب إحلاف الملاعن: ص٩٤٨ برقم٥٣٠٦.

[٤] – جزء من الحديث فيه قصة رواه البخاري عن أبي وائل عن الأشعث بن قيس، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: ٧٧): ص٧٧٣ برقم٤٥٥٠، ورواه أيضاً برقم٦٦٧٧.

أما الإجماع، فإن الأمة قد أجمعت على مشروعية اليمين وثبوت أحكامها[1].

أما أحكامها فهي على اختلاف أنواع اليمين، وقد جرت عادة العلماء الذين تكلموا في مسألة الأيمان أن يقسموها ثلاثة أنواع[2]، وقد سلك هذا المسلك علماء التتر منذ العصور الماضية، ومنهم رضاء الدين بن فخر الدين الذي قال في "شرح جوامع الكلم": (اليمين هي أن تتخذ الله شهيداً على صدق قولك، وهي على أنواع:

١- اليمين الغموس[3]: وهو أن يحلف على حدوث أمر في الماضي[4] أو عدم حدوثه عالماً كاذباً [لأخذ حق الغير أو بقصد الغش والخيانة][5].

---

[1] - انظر "الإجماع" لابن المنذر: ٤٨-كتاب الأيمان والنذور: ص١٥٦، و"الإجماع لابن عبد البر": ص٣٠٥-٣٠٧، وانظر أيضاً قول ابن قدامة المقدسي الحنبلي في "المغني": ١٦٠/١١، والملا علي القارئ الحنفي في "فتح باب العناية بشرح النقاية": ٢٤٦/٢.

[2] - وهذا مقرر عند علماء الفقه، ومن العلماء من ذكر أربعة أقسام، و قال الآخرون: هي أكثر من ذلك. قال السرخسي: (إن عدد الأيمان أكثر من أن يحصى، وإنما أرادوا أن اليمين بالله تعالى تنقسم في أحكامها ثلاثة أقسام: يمين يُكَفَّر، ويمين لا يكّفر، ويمين يرجى أن لا يؤاخذ الله تعالى بها صاحبها) "كتاب المبسوط" لسرخسي:١٣٣/٨، وقال علي القارئ الحنفي: (اليمين التي اعتبرها الشارع ورتب عليها الأحكام ثلاث، وإلا فمطلق اليمين أكثر من الثلاث، كاليمين على الفعل الماضي صادقاً. والمراد بترتب الأحكام عليها ترتب المؤاخذة على الغموس، وعدمها على اللغو، والكفارة على المنعقدة). "فتح باب العناية بشرح النقاية":٢٤٧/٢.

[3] - (وتسمى أيضاً: اليمين الفاجرة) ورد وصف هذه اليمين بكل من التسميتين في آحاديث كثيرة: ففي صحيح البخاري: ((قلت وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب)) مطولاً في كتاب (٨٨) استتابة المرتدين، باب (١) إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة: ص١١٩٢ برقم٦٩٢٠، وفي مسند الإمام أحمد: ((اليمين الفاجرة التي يقتطع بها الرجل مال المسلم تعقم الرحم)): ٣٥٠/٣٤ برقم٢٠٧٤٧.

[4] - قال المرغيناني في "الهداية": (فالغموس هو الحلف على أمر ماضٍ يتعمد الكذب فيه، فهذه اليمين يأثم فيها صاحبها)، وقال البابرتي (ت:٧٨٦هـ) تعليقاً على قول المرغيناني " على أمر ماضٍ": (وذكر الماضي ليس بشرط بل هو بناءً على الغالب، ألا ترى أنه إذا قال: والله إنه لزيد وهو يعلم أنه ليس بزيد كان غموساً) "العناية" للبابرتي المطبوع بحاشية الكتاب "شرح فتح القدير" لابن همام: ٣٤٨/٤. وانظر "منحة الخالق على البحر الرائق" لابن عابدين المطبوع مع "البحر الرائق" لابن نجيم: ٤٦٧/٤ لقد ذكر معنىً دقيقاً في ذلك.

[5] - ما بين القوسين من عندي استحسنت إضافته لبيان حقيقة اليمين الغموس؛ لأنها- كما قال ابن عبد البر: (قد أجمع العلماء على أن اليمين إذا لم يقتطع بها مال أحد، ولم يحلف بها على مال، فإنها ليست من اليمين الغموس التي ورد فيها الوعيد. والله أعلم) "الإجماع لابن عبد البر": ص٣٠٦.

وقد ذُكر هذا النوع من اليمين في الحديث الذي بيّن فيه ﷺ أنه من الكبائر[1].

وهذه اليمين سميت غموساً، أي: غامساً في الشدة؛ لكونه يدخل صاحبه في معصية [ثم في النار][2]. فإذا ابتلي أحد بهذا النوع من اليمين لزمته التوبة والاستغفار، ولا ينفع مجرد الكفارة.[3]

٢- **لغو يمين**، وهو أن يحلف على أمر ماضٍ[4] جاهلاً أو يظن صدق نفسه ولكن الأمر على خلاف ذلك. ...هذا النوع من اليمين يرجى أن يعفى عنه.[5]

---

[1] – عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ((الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس)) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، ص١١٥٢ برقم٦٦٧٥.

[2] – ما بين القوسين زيادة مني يذكرها أهل اللغة وشراح المتون الفقهية في تعريف الغموس. انظر "لسان العرب": ٦٠/٥، و "الفتح القدير" لابن همام (ت: ٦٨١): ٣٤٨/٤، و"شرح الهداية" للكنوي (ت:١٣٠٣):٣/٤.

[3] – والذي قاله موافق لمذهبه الحنفي ولقول الجمهور. وحكم هذا النوع من اليمين أنها محرمة وهي من كبائر الذنوب، قال السرخسي (ت٤٩٠): (... لا تنعقد هذه اليمين فيما هو حكمه في الدنيا عندنا، ولكنها توجب التوبة والاستغفار) "المبسوط" للسرخسي:١٣٤/٨، وليس لها كفارة؛ لأن ذلك، كما قال ابن تيمية: (أعظم من أن يكفر،...لأن الكبائر لا كفارة فيها) "كتاب العقود" لابن تيمية: ص١٦٧، ولكن تجب التوبة منها مع رد الحقوق المسلوبة إلى أهلها. انظر "فتح الباري": ٦٧٩/١١. وأخرج الحاكم في "المستدرك" عن ابن مسعود قال: (كنا نعد من الذنب الذي ليس له كفارة اليمين الغموس، قيل: وما اليمين الغموس؟ قال: الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل): ٣٢٩/٤ برقم ٧٨٠٩.

ولم يخالف الجمهور إلا الإمام الشافعي، قال: (ومن حلف عامداً للكذب...كفّر، وقد أثم وأساء حيث عمد الحلف بالله باطلاً) "الأم": ١٥١/٨. وقال المرغيناني: (قال الشافعي: فيها الكفارة؛ لأنها شرعت لرفع ذنب هتك حرمة اسم الله تعالى، وقد تحقق بالاستشهاد بالله كاذباً). "الهداية" المطبوعة مع الشرح للكنوي: ٣/٤.

[4] – كما في "الهداية":٤/٤، ولكن الآخرين أضافوا وقالوا: (أو في الحال) انظر "المبسوط":١٣٧/٨، وأيضاً من يمين اللغو اليمين التي لا يقصدها الحالف وهو ما يجري على ألسن الناس في كلماتهم من غير قصد اليمين، من قولهم: "لا، والله" و "بلى، والله". انظر "المبسوط":١٣٧/٨، و"الهداية": ٤/٤، وهو قول الشافعي، انظر "الأم": ١٥٥/٨، وهو مروي عن سيدتنا عائشة، انظر "المصنف"لعبد الرزاق: ح١٥٩٥١، ١٥٩٥٢، ٤٧٣/٨-٤٧٤.

[5] – وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٥، والمائدة: ٨٩.

٣- **اليمين المنعقدة**، وهي الحلف على أمر مستقبل [ممكن][١]، فإن الحالف إذا لم يأتِ بما حلف عليه يحنث وتلزمه الكفارة سواءً حنث باختياره أو بدون اختياره، عالماً أو ناسياً.[٢]

أمّا الكفارة فهي عبارة عن إطعام عشرة مساكين أو كسوقم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فعليه صيام ثلاثة أيام متتابعات)[٣].

وبعد أن عرفنا حقيقة الأيمان واستعرضنا أنواعها نبين مدى انتشار ظاهرة الأيمان في المجتمع التتري. والجدول الآتي يبين مدى انتشار الحلف لدى أهل تتارستان بصفة عامة:

№	форма проявления того или иного рода поклонения **صورة الظاهرة في الأيمــان والنـــذور**	на сколько сильно эта форма проявляется **مدى كثرة استعمال الحلف**			
		сильно **كثيرا**	средне **متوسطا**	слабо **قليلا**	Отсутств لا يوجد
١	На сколько часто татары используют клятвенные формы? **استعمال الحلف لدى التتر بشكل عام**	**20.0**	**20.0**	**60.0**	–

الاستبانة رقم٤/ السؤال رقم١.

نرى في الجدول أنه ليس هناك من أشار إلى عدم وجود الحلف في المجتمع التتري، بينما يرى الجميع أن الحلف موجود، وإن اختلفوا في مدى انتشاره وكثرة استعماله، فيرى ٢٠% من المجيبين أنه كثير الاستعمال، ويرى ٢٠ % أنه متوسط الاستعمال، بينما يرى ٦٠% من المجيبين أن الحلف بصفة عامة يستخدم قليلاً لدى التتر اليوم.

---

[١] – **استحسنت إضافة هذا القيد لإخراج لغو اليمين الذي فيه حلف على أمر مستحيل تنفيذه، وبعض الفقهاء يجعلون الحلف على أمر مستحيل تنفيذه نوعاً رابعاً من الأيمان. قال ابن قدامة: (واليمين على أربعة أضرب... الضرب الرابع: أن يحلف على المستحيل؛ كصوم أمس، والجمع بين الضدين...فلا كفارة فيها؛ لأنها غير منعقدة) "الكافي" لابن قدامة:٦/٦-٧. وصحح هذا الشرط ابن نجيم في "البحر الرائق" معلّقاً على صاحب "المحيط":٤/٤٦٥.**

[٢] – **وهذا موافق لمذهبه الحنفي، ذكره المرغيناني في "الهداية": (ومن فعل المحلوف عليه مكرهاً، أو ناسياً، فهو سواء) قال اللكنوي:(أي فهو ومن فعله مختاراً سواء)- "الهداية" مع الشرح للكنوي:٤/٥. وفي المسألة خلاف؛ قال ابن قدامة: (وإن فعل المحلوفَ عليه ناسياً أو مكرهاً لم يحنث لقول الله تعالى:** ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾الأحزاب: ٥، **ولقول النبي ﷺ : ((إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) رواه ابن ماجة والدارقطني، ولأنه غير قاصد للمخالفة، فلم يحنث كالنائم) "الكافي":٦/٢١.**

[٣] – **"شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين بن فخر الدين: ص ١٤٩-١٥٠.**

إنه لمن المناسب في هذا المقام أن أَعرِض نتائج استبانة أخرى لنرى مدى وجود ظاهرة الحلف بالله خاصة لدى التتر:

№	форма проявления того или иного рода поклонения صورة الظاهرة في الأيمان والنذور	مدى قوة انتشار الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсут لا يوجد
17	произношение клятвы Аллахом, типа: «клянусь Аллахом…». الحلف بالله/ مثل: "والله"	16,4	36,6	26,9	20.1

الاستبانة رقم١/ السؤال رقم١٧.

لقد رأينا من خلال نتائج الجدول السابق (الاستبانة رقم٤/ السؤال رقم١ من الصفحة ٢٣٣) أن ظاهرة الحلف موجودة في الشعب التتري، والآن من خلال الجدول الحالي نرى أن ظاهرة الحلف بالله خاصة هي الصفة الغالبة على الشعب؛ ولئن كان ٢٠,١ % من المجيبين على الاستبانة أشاروا إلى عدم وجود ظاهرة الحلف بالله في المجتمع التتري (وهذا بحد ذاته يشير إلى أن هناك نسبة من التتر من يحلف بغير الله)، فإن الباقين (وهم يمثلون ٧٩,٩ % من مجموع المجيبين) يرونها موجودةً، وأن الشعب لا يزال يستخدم الحلف بالله وحده منذ القدم في توكيد أقوالهم وتوثيقها أو لحمل أنفسهم أو غيرهم على الأفعال أو للمنع عنها.

أما الحلف بغير الله أو أي مخالفات أخرى التي ربما تقع لدى بعض مسلمي تتارستان في مسألة الحلف، فمحل النظر فيها في المطلب الثاني من المبحث- إن شاء الله.

ثانياً: مظاهر التوحيد في النذور عند التتر:

المسألة الأولى: التعريف اللغوي للنذر:

النذر: النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تخوّف. ومنه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف. ومنه النَذْر، وهو أنه يخاف إذا أخلف، والنذر أيضاً: ما يجب، كأنه نُذِر، أي أُوجِب.[1]

وفي "لسان العرب": النذر: النحب، وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً، وجمعه نُذور...وقال: إنما قيل له نَذْرٌ؛ لأنه نُذِر فيه أي أُوجِب، من قولك نَذَرْتُ على نفسي أي أوجبْتُ.[2]

المسألة الثانية: التعريف الشرعي للنذر:

قال الراغب الأصفهاني: (النذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر)[3].

وفي "القاموس المحيط": (النذر: ما كان وعداً على شرط، فــ: عَلَيَّ إن شفى الله مريضي كذا، نذر؛ وعليّ أن أتصدق بدينار، ليس بنذر)[4].

هذان التعريفان خاصان لنوع واحد من النذور وهو النذر المعلق بحدوث أمر أو شرط، بحيث ذُكر في الأول الإيجاب لحدوث أمر، وفي الثاني لحصول شرط، ولكن هناك تعريف شامل لكلا الأمرين ذكره الإمام القرطبي في تفسيره، قال: (وإن شئت قلت في حدّه:

---

[1] – "معجم مقاييس اللغة": ٥/٤١٤.

[2] – "لسان العرب": ٦/١٦٦.

[3] – "المفردات في غريب القرآن": ٤٨٧. وهذا التعريف لنذر معلَّق.

[4] – "القاموس المحيط": ٤٨١. أما قوله "عليّ أن أتصدق بدينار ليس بنذر" فليس على الإطلاق، بل إن نواه نذراً كان نذرا مطلقاً غير معلّقٍ أو غير مقيد بشرط. قال ابن تيمية: (لو قال "عليّ الصدقة لله" كان نذراً، ولو قال "واجب عليّ أن أتصدق بألف دينار" كان نذراً، ولو قال "فرض علي أن أتصدق بألف" كان نذراً. فكل كلام يتضمن التزام فعل طاعة فهو نذر). انظر "العقود":١٧٠.

النذر هو إيجاب المكلّف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه)[1]. فهذا التعريف شامل للنذر المعلّق بحدوث أمر، أو حصول شرط، أو النذر المطلق.

وبنحو هذا التعريف عرّفه مفتي ديار التتر رضاء الدين بن فخر الدين، قال: (النذر هو إيجاب المكلف نفسه بما لم يكن واجباً عليه لا اليوم ولا في المستقبل. ويتم باللفظ العربي: "نذرتُ كذا" أو "لله عليَّ كذا"، أو بلغتنا (التترية) بما يؤدي نفس المعنى، كقولك: "إيستينا لازم إتّيم" أي: جعلته لازماً عليَّ، أو: "*نذر إتنيم*" أي: نذرتُ، أو: " *ذمّى مه واجب ياكي فارض بولسين*" أي: جعلته فرضاً أو واجباً في ذمتي، أو: "*عاهت إتّيم*" أي: عاهدت الله....)[2].

بالنظر إلى تعريف اليمين وإلى هذه التعريفات يظهر أن اليمين والنذر بينهما تقارب من جهةِ كونهما عهداً يلزم به الحالفَ والناذرَ الثباتُ عليه[3]، ولذا يجعل كثير من الفقهاء الأيمان والنذور في كتاب واحد، ثم يفرقون بينهما في الأبواب لوجود فروق بينهما من جهات أُخَر: الأول/ اليمين يكون بالله والنذر للـــه؛ الثاني/ اليمين يكون على طاعة وعلى غيرها، أما النذر فلا يكون واجب الوفاء به إلا إذا كان بالطاعة، ثم يفرق اليمين عن النذر بالنية والصيغة المتلفظ بها. فهذا الذي جعلني أقرن النذور والأيمان في مبحث واحد وأتكلم عنهما كل على حدة.

فلننظر الآن إلى مشروعية النذور وأحكامها، وظاهرة النذر لدى التتر، وذلك من خلال عرض المسألة الثالثة:

المسألة الثالثة: مشروعية النذور وأحكامها ومظاهرها عند التتر:

يقول أحد أئمة التتر المعاصرين في كتابه "قل هو الله أحد" ما هو في موضوعنا من الأهمية بمكان، إذ ذكر علاقة موضوع النذور بالتوحيد واستدل على مشروعيتها ووجوب

---

[1] – "الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي": ٣١٤/٣ و في ١١٥/١٩، وانظر تفسير الشوكاني "فتح القدير" سورة الإنسان:٧ (٤٢٦/٥).

[2] – "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين بن فخر الدين التتري: ٥٥٧.

[3] – قال ابن حجر الهيتمي في "تحفة المحتاج بشرح المنهاج": (لأن كلاً يعقد لتأكيد الملتزم ولأن في بعض أنواعه كفارة كاليمين). ٣٢٣/٤.

الوفاء بها بالآيات والأحاديث، حيث قال: (إن النذر إذا نذرته يصير واجباً في حقك، وإذا كان واجباً كان نوعاً من العبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك وهو ضد التوحيد، ولذا كان موضوع النذر داخلاً في مسائل التوحيد.

والدليل على وجوب الوفاء بالنذر قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ الإنسان: ٧، وفي هذه الآية دليل دخول النذر في العبادات[1] والعبادات لا تصرف إلا الله.

وفي آية أخرى يقول الله أيضاً: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠ ﴾ البقرة: ٢٧٠، يتبين من خلال هذه الآية أنك إذا نذرت لوجه الله راجياً ثوابه، فإن الله يعلم ذلك ويثيبك عليه. والذي يثاب عليه مشروع في الشريعة الإسلامية بلا شك.

ومن الأدلة على مشروعية النذر وجوب الوفاء به من السنة النبوية ما ورد في الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصِهِ**))[2].)[3].

أما أحكامها فهي على اختلاف أنواع النذور، وقد جرت عادة العلماء الذين تكلموا في مسألة النذور أن يقسموها عدة أنواع، وقد سلك هذا المسلك علماء التتر منذ العصور الماضية، ومنهم رضاء الدين بن فخر الدين التتري، حيث قال مبيناً أحكام النذور: (تنقسم النذور إلى أقسام:

١- **النذر بالعبادة المقصودة لذاتها**، فيكون إما مطلقاً غير معلَّقٍ بشرط، مثل: "عليّ ركعتان من صلاة نافلة" أو: "عليّ صوم يوم"، وإما يكون معلقاً بشرط، مثل: "إذا حصل لي مقصودي الفلاني تلزمني صلاة كذا"، أو: "...صوم كذا"، أو: "...أتصدق بكذا".

---

[1] – **ووجه الدلالة على ذلك أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر؛ والله تعالى لا يمدح إلا على فعل مأمور به، وما كان مأموراً به كان عبادةً.**

[2]– **رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب النذر في الطاعة: ص١١٥٦ برقم٦٦٩٦، وراجع برقم٦٧٠٠.**

[3]– **"قل هو الله أحد": ص٧٧–٧٨.**

٢- **النذر بما يتوسل به إلى العبادة:** كأن ينذر بأن يتوضأ، أو أن يحج ملزماً نفسه المشي إلى مكة على الأقدام.

٣- **النذر بما ليس بعبادة:** كمَنْ نذَر أن يقف تحت الشمس، أو ألاّ يركب العربة، أو ألاّ يأكل لحماً.

٣- **النذر بمحرم:** كذبح قربان بمكان "خوجالار طاوي" (جبل خوجاوات)[١] أو النذر بالتصدّق لحق خوجا أحمد اليساوي[٢] أوخوجا بهاء الدين[٣]، أو إلزام نفسه بزيارة قبور بعض الأولياء.

هذه الأنواع المذكورة من النذر يجب الوفاء منها بالأول فقط! والباقية لا يجب الوفاء بها، وهذا هو مضمون الحديث الشريف: ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**))[٤].)[٥].

وقال صاحب "عماد الإسلام" شاكر جان التتري في بيان النذر المشروع: (لو نذر أحد أن يعمل عبادةً كأن يصلي بمقدار صلاة واحدة، أو يصوم يوماً واحداً، أو أن يذبح

---

١ – وهو تلّ في المنطقة الوسطى في جمهورية تتارستان.

٢– **أحمد اليساوي، هو: أحمد بن إبراهيم بن محمود اليساوي (؟– ٥٦١هـ /؟ –١١٦٦م) شيخ صوفي مفكر أديب، اشتهر صيته في بلاد تركستان، تنسب إليه الطريقة الصوفية الوساوية، كان يكتب باللغة التترية القديمة (لغة جاغاتاي) اشتهر كتابه "ديواناي حكمات" ما معربه "ديوان الحكمة"، توفي في تركستان، وبعد مرور عدة قرون أمر تيمورلانك – وذلك في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي– ببناء ضريح على قبره. انظر ترجمته في موقع مكتبة الأدب التركي:** www.tyurk.ru/file4_24.shtm.

٣– **بهاء الدين، هو: بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٧١٧هـ–٧٩١هـ/ ١٣١٨م–١٣٨٩م) تنسب إليه الطريقة النقسبندية وهي سهلة كالشاذلية، ألغى مؤسسها كثيرا من تقاليد التصوف من ذكر وخلوة وكرامات والتسلسل، ولكن تلاميذه عادوا وأرجعوا كثيرا من التطبيقات الصوفية. انتشرت النقسبندية في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية. انظر: "الكشف عن حقيقة الصوفية": ١/ ٣٦٠.**

٤ – **سبق تخريجه في ص٢٣٧.**

٥– **"شرح جوامع الكلم" رضاء الدين التتري: ص٥٥٧.**

للحج قرباناً واحداً، فإنه إذا حصل له مراده دون تأجيل يلزمه الوفاء بما نذر من غير تأخير[1])[2].

ويواصل رضاء الدين كلامه في أحكام النذور ويقول: (ليكون النذر نذراً شرعياً (صحيحاً) يجب أن يُلزم نفسَه بفعل من جنس العبادات المقصودة لذاها[3]، فمثلاً: لو نذر أن يحج ماشياً على الأقدام صار أداء الحج واجباً في حقه؛ لأن الحج من جنس العبادات له ما يماثله من جنسه واجباً[4]، ولكن المشي لا يصير بهذا النذر لازماً؛ لأن المشي ليس من جنس العبادات[5].

أما التلفظ بالنذر[6] (أو بعبارة أخرى: الابتداء بالنذر)، فإن أهل العلم اختلفوا في حكمه:

١- قال بعضهم: **مستحب**؛ لأن الله تعالى مدح الموفين بالنذر في قوله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ الإنسان:٧، وأمر بالوفاء به في قوله: ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ الحج: ٢٩، والأمر بالشيء أقل أحواله أنه يجعل هذا الشيئ مستحباً.

٢- وقال بعضهم الآخر: **مكروه**؛ لأن الناذر يقصد بنذره منفعته الشخصية، ولذا كان عمله ليس خالصاً لله وحده، بل ولمنفعته. والعمل غير الخالص أقل أحواله أنه مكروه.

٣- وقال الآخرون: **مباح**؛ إذا كان بما يطاع الله به، ويُحرَم إذا كان بغير ذلك.

---

[1]- مسألة وجوب الوفاء بالنذر هل هو على الفور أم التراخي مختلف فيها. انظر "بدائع الصنائع" للكاساني، فصل وأما حكم النذر: ١٥٧/٥.

[2] - "عماد الإسلام" لشاكر جان حامد الله التتري: ص٥٩.

[3] - قد أجمع العلماء على وجوب وفاء الناذر بما التزمه من العبادات المقصودة لذاها، وقد حكى هذا الإجماع الإمام النووي في "روضة الطالبين": ٥٦٦/٢ وابن قدامة في "المغني": ٣٣١/١١. ولكن قصر مشروعية النذر والوجوب بالوفاء به على النذر بالعبادات المقصودة لذاها، إنما هو مذهب الأحناف ووجه للشافعية؛ فهم يرون أن القرب غير المقصودة التي لم تشرع عبادة – وهي أعمال وأخلاق مستحسنة التي رغّب الشارع فيها لعظم فائدها والتي قد يبتغى بها وجه الله تعالى– لا يصح النذر بها، وقد اختلف في هذه المسألة على قولين.

[4] – كحجة الإسلام التي تجب ولو مرة في العمر.

[5] – أي: لا يوجد من جنسه عبادة واجبة.

[6] – وهو بعبارة أخرى: الابتداء بالنذر.

٤- وقال الآخرون: **حرام مطلقاً**؛ لأن الرسول ﷺ قد نهى عن النذر في أحاديثه الكثيرة (أحاديث المنع نجدها في أصول معروفة، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤّخر، وإنما يستخرج به من البخيل**))[١]. فإذا كان الأمر كذلك فإن النذر إذا كان بالمال، فلا يعني هذا إلا صرف المال وإخراجه، فليست نتيجة هذا النذر إلا هذا، أما النذر بالأعمال مثل الصلاة والصوم والحج فإنه لما كان مشوبا بمنفعة شخصية لم يُعد خالصا لله وحده، وإذا انضاف إلى هذا النذر اعتقاد بأنه هو السبب في حصول المقصود يكون مخالفةً صريحةً للأحاديث؛ ولذا وجب أن يكون هذا العمل ممنوعاً.

أرجو أن يكون الأمر قد اتضح، ولكني أعود وأكرّر: إذا تَلَفَّظ أحد بألفاظ النذر وألزم نفسه بعبادة مقصودة لذاتها كالصلاة، والحج، والصدقة وجب عليه الوفاء به. أما لو ألزم نفسه بعبادة غير مقصودة لذاتها أو بمباح، فلا يجب عليه الوفاء ولكن تلزمه كفارة اليمين[٢].

أما إذا ألزم نفسه بأعمال محرمة مثلَ: عبادةِ القبورِ والأمواتِ، وصَرَفِ الأموال في سبيل ذلك، فإنه يجب عليه عدم الوفاء به وعليه إخراج كفارة اليمين)[٣].

ويقول صاحب كتاب "قل هو الله أحد" التتري: (... ومثال النذر بطاعة الله أن يقول الناذر: إن شُفي ولدي هذا فسوف أذبح لله شاةً، فهذا النذر جائز[٤] ويبقى واجباً في

[١] – متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر: ص١١٥٥ برقم٦٦٩٢، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً: ص٧١٩ برقم٤٢٣٨ (١٦٣٩)، واللفظ لمسلم.

[٢] – رجّح صاحب "شرح جوامع الكلم" رضاء الدين التتري عدم وجوب الوفاء بنذر القربة غير المقصودة والنذر بالمباح ووجوب الكفارة فيها خلافاً للمذهب الحنفي الذي يرى عدم انعقاد هذه النذور أصلاً وبالتالي عدم وجوب الكفارة إن لم يف به. انظر "بدائع الصنائع"/ فصل حكم النذر:١٥٣/٥. وانظر "الموسوعة الفقهية الكويتية": ١٠٧/٣٣، ١٤٧/٤٠-١٤٨، ١٥٤-١٥٥. وانظر نذر الطاعة والمباح في كتب الفقه الأخرى.

[٣] – "شرح جوامع الكلم" لرضاء الدين بن فخر الدين: ص ٥٥٧-٥٥٩.

[٤] – هذا النوع من اليمين منعقد ولكنه مكروه ويسمونه بالمجازاة؛ لأن الناذر لا يأتي بالطاعة هنا إلا على سبيل التعويض، وهذا يشوب الإخلاص في العمل؛ لأن الإخلاص أن تعمل طاعة خالصة لوجه الله لا في مقابل حدوث نعمة أو اندفاع بلية.

حقه حتى يؤديه. وهذا يعني أنه يأثم إذا لم يؤدِّه. أما نذر المعصية فإنه إذا نذر بما هو محرّم في شريعة الله وأدّاه يكون عاصياً، وإذا ترك و لم يؤدِّه أُجر.

ولذا، مَنْ نَذرَ بالحلال فليفعل، ومَنْ نذر بالحرام فليترك، ولكن عدم النذر ولو بالحلال أولى؛ لأننا ملزمون بواجبات كثيرة من غير أن نلزم أنفسنا بواجبات أُخَر!)[1].

وقال في موضع آخر من كتابه في معرض شرحه للحديث: ((**لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم**))[2]، قال: (لا يجوز النذر بما حرم الله، ومثال ذلك النذر أن تقول: إذا شفيتُ وخرجتُ من المستشفى سليماً صحيحاً سأجمع زملائي على مائدة فيها أنواع من الخمر، فالوفاء بمثل هذا النذر حرام. وكذلك يحرم النذر بما ليس ملكاً لك؛ فإذا قلت: إن نجحتُ في الاختبار سأهدي سيارة أبي لأستاذي، فهذا النذر باطل لأنك لا تملك هذه السيارة وليس لك أن تتصرف فيها.

وبالاختصار: فإن عدم النذر خير لك؛ لأنك لن تجاوز تقدير الله؛ إذا كتب الله لك الشفاء ستشفى دون النذر، وإذا كتب لك النجاح في الامتحانات ستنجح ولو لم تنذر[3]. إن الله تعالى لم يأمرنا بالنذر؛ ولذا كان عدم النذر خيراً من أن تنذر ولو بالحلال، وقد ذكر- أيضاً- أن النذر يستخرج به من البخيل.

ومما يفهم من هذه النصوص: أن النذر يكون الوفاء به واجباً في حق من أتى به حتى يؤديه؛ ويكون حراماً الوفاء به إن كان بالحرام؛ ولا يجوز إن كان بما لا يملك ابن آدم)[4].

هذه هي كتابات علماء التتر ودعاتهم في أحكام النذر قديماً وحديثاً، و لم يكتبوها إلا لاستشعارهم مسؤوليتهم في نشر أحكامه إذ رأوا ظاهرة النذور موجودة في مجتمعهم. وأيضاً

---

[1] - "قل هو الله احد": ص ٧٧-٧٩.

[2] - رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من وفاء النذر: ص٥٩٤ برقم٣٣٠٥، وصححه الألباني، انظر تعليقه في الموضع المذكور من سنن أبي داود - الطبعة المزودة بأحكام الألباني.

[3] - فإن السبب الصحيح للنجاح في الاختبارات هو: الاستعداد لها بالقراءة والمذاكرة ثم بالتوكل على الله تعالى، أما النذر، فإنه ليس من الأسباب المشروعة فلا يغير من الأمر شيئاً.

[4] - "قل هو الله أحد": ص٧٧.

مما يدل على وجود استعمال النذور عند الشعب التتري نتائج الاستبانات التي تم توزيعها في تتارستان. وهي كالآتي:

№	форма проявления того или иного рода поклонения صورة الظاهرة الأيمـــان والنـــذور	مدى وجود هذه الظاهرة			
		كثير	متوسط	قليل	لا يوجد
15	произнесение обета(назра) Аллаху, типа: « О Аллах, если будет так-то, то я принесу тебе в жертву барана» или «три дня буду поститься» или «раздам милостыню на такую-то сумму». **النذر لله، مثل أن تقول: "يا الله، إذا حصل لي كذا، فسأقرّب لك شاة"، أو: "...سأصوم ثلاثة أيام"، أو: "...سأتصدق بمبلغ كذا".**	**10,4**	**26,7**	**40,7**	**22,2**

الاستبانة رقم١/ السؤال: رقم١٥.

هذا الجدول يبين نتائج الاستبيان في مسألة النذر لله، ولا يصعب للناظر فيها أن يلاحظ أن الصورة الموضحة في الاستبانة هي صورة النذر المعلق أو المقيد بالشرط، وهذا النوع من النذور هو المتبادر إلى الذهن عند العامة بل لا يعرفون من النذور إلا هذه الصورة، وهي مكروهة و- كما ورد في الأحاديث- لا تأتي بخير، ويستخرج بها من البخيل، ولا تجوز إلا بشرط أن تكون لله وحده! ونتائج الاستبانة المبينة في هذا الجدول إنما تبين لنا النذر لله. وقد أدلى ٢٢،٢% من المجيبين على الاستبانة بأن استعمال النذر لله غير موجود أصلاً، بينما يرى الآخرون (وهم ٧٧،٨ %) بأنه موجود. ورغم أن التلفظ بالنذور ليس من الأمور التي يمارسها الناس يوميّاً، وليست فيها حاجة وضرورة دينية أو دنيوية بحيث يواجهونها يومياً، رغم ذلك كله، فإن عشرة بالمائة من المجيبين اختاروا خانة "كثير" دلالةً على كثرة استعمال النذور في المجتمع. وهذا يؤكد ضرورة توعية الناس في مسألة النذور بذكر أحكامها والتنبيه على بعض المخالفات التي يمكن أن يقع الناس فيها، وهذا الذي سوف نتحدث عنه في المطلب الثاني — إن شاء الله.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في النذور والأيمان وحكمها

أولاً: مظاهر الانحراف في الأيمان وحكمها:

من المهم هنا أن يكون من المقرر أن الأيمان لا تكون إلا بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته[1]، وأن المسألة ليست مجرد انعقاد اليمين أو عدم انعقادها، بل اليمين بغيره تعالى منهي عنها في الشريعة الإسلامية، قادحة في توحيد الله سبحانه! وسنسوق الأدلة على تحريم الحلف بغير الله تعالى، ولكن قبل هذا أريد أن أَعرِض نتائج الاستبانات التي تم توزيعها في تتارستان لنرى ظاهرة الحلف عند التتر:

№	форма проявления того или иного рода поклонения صورة الظاهرة في الأيمـــان والنـــذور	مدى قوة انتشار الظاهرة			
		كثير	متوسط	قليل	لا يوجد
18	произношение форм клятв типа: «клянусь матерью» الحلف بصيغ، مثل: "وحياتي"، أو: "أقسم بأمي"	11,9	20.2	14,9	53,0

الاستبانة رقم١/ السؤال: رقم ١٨.

أثبتنا في المطلب الأول من هذا البحث أن ظاهرة الحلف موجودة في الشعب التتري، وأنه لا يزال يستخدم الحلف بالله وحده منذ القدم في توكيد أقوالهم وتوثيقها أو لحمل أنفسهم أو غيرهم على الأفعال أو للمنع عنها، فإن نتائج الاستبانة (السؤال رقم ١٨) تشير إلى أن الحلف بغير الله أيضاً موجود ولكنها ظاهرة ليست منتشرةً بين المسلمين في تتارستان- ولله الحمد، بل أكثر من خمسين بالمائة يرى عدم وجودها أصلاً، ولكن النسبة الباقية من المجيبين على الاستبيان - وهم ٤٧,٠ % من المجيبين - يرون وجودها بصيغ كـــ"وحياتي"، "وأمي"، "أقسم بالخبز" وغير ذلك مما تشير إليه الاستبانات[2].

ولئِن كان الحلف بغير الله في قديم الزمان موجوداً، كقولهم: "والنبي"، "ورأس النبي"، "والكعبة" وغيرها مما له شأن في الإسلام- وإن كان منهياً عنه شرعاً- فلِكون هذه الأشياء عظيمةً في قلوبهم ومُعَظَّمة في دينهم، وما أن جاءت الشيوعية الهدامة لكل الديانات،

[1] – وذلك كما تقرر في تعريف اليمين الشرعي في ص٢٢٧.

[2] – انظر ملحقات الرسالة: الاستبانة رقم١/ النذور والأيمان/ السؤال رقم ١٨، ١٩.

المبيدة لكل العقيدة، المربية على الكفر والإلحاد انقلبت الموازين عند كثير من الناس؛ فأضاعوا إيمانهم، ونسوا دينهم وما كان عليه من التوحيد آباؤهم، فابتعدت قلوبهم عن الله، وتوقفت ألسنتهم عن ذكر الله، فلما احتاجوا إلى توثيق أقوالهم حلفوا بغيره سبحانه مما ليس فيه ذكره ولا حتى ذكر دينه ولا نبيه! وذلك- وحالتهم هذه- لأنهم لما نسوا الله لم يجدوا شيئاً أحبّ وأعظم إليهم من حياتهم، ومن آبائهم أو أمهاتهم وأبنائهم فحلفوا بها! والقسم -كما هو معلوم- في العادة يكون بالمعظم المحترم دون غيره[1] وإلا فلا تكون للتوثيق والتأكيد إذ لا يخاف في حالة الحنث هتك حرمة المقسم به! إذاً لا بد أن يكون المقسم به محترماً معظماً، ولذا نجد الشعوب القاطنة في روسيا لما حلّت بالبلاد المجاعات أيامَ الحرب العالمية ظهر فيهم الحلف بالخبز والملح لتقدير الناس للرزق واحترامه وخوف ضياعه.

وهذا مما يؤكد ضرورة بيان الحق في المسألة إعلاءً لاسم الله، وتعظيماً لحقه، وإظهاراً لتوحيده، فنقول إن من الأدلة على تحريم الحلف بغير الله ما يلي:

١- من القرآن: حيث أشار الله تعالى للعباد إلى سبيل الحلف آمراً نبيه ﷺ بالحلف بالله وحده في ثلاثة مواضع من القرآن: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يونس: ٥٣، وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ سبأ: ٣، وفي قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ التغابن: ٧، وكذلك أشار إلى أن الحلف ما يكون إلا بالله في قوله حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ الأنبياء: ٥٧، وغير ذلك من الآيات التي يرشدنا الله فيها إلى طريقة الحلف التي ارتضاها لعباده.

أما كون الله تعالى أقسم في القرآن بمخلوقاته، فهذا ليس فيه دليل على جواز الحلف لنا بغير الله! فإن الله أقسم بهذه الأشياء ليعجب منها المخلوقين، ويعرفهم قدرته فيها، وليعظم

[1] - الجملة "والقسم في العادة يكون بالمعظم المحترم دون غيره" من "المغني" لابن قدامة: ١٦٧/١١. وهو مقرر عند الجميع؛ قال السرخسي أن اليمين بمعنى القسم يقصد به تعظيم المقسم به، ويسمونه قسماً إلا أنهم لا يخصون ذلك بالله تعالى، وفي الشرع هذا النوع من اليمين لا يكون إلا بالله تعالى فهو المستحق للتعظيم بذاته على وجه لا يجوز هتك حرمة اسمه بحال. انظر "كتاب المبسوط": ١٣٣/٨.

شأنها عندهم، ولدلالتها على خالقها، فلا يجوز لأحد أن يقسم بهذه الأقسام وشبهها.[1] فإن ذلك مختص بالله تعالى إذ له أن يعظم ما شاء وليس لنا ذلك بعد أن نهينا عنه[2].

٢- من السنة النبوية: حيث وردت أحاديث كثيرة في النهي عن الحلف بغير الله:

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: ((**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**))[3].

وفي الصحيحين أن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يقول: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**))، قال عمر: فوالله ما حَلَفْتُ بها منذ سمعت النبي ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً.[4]

وفي الصحيحين عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها؛ فقال: لا تحلفوا بآبائكم**))[5].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((**من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، فليتصدق**))[6].

---

[1] – انظر "شرح البخاري لابن بطال": كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم: ٦/٩٨. وفي "التحرير والتنوير" لابن عاشور: (والمعروف في إقسام القرآن أن تكون بالأشياء العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى أو الأشياء المباركة): ٣٠/١٣٦. وقال المناوي: (إقسام الله ببعض مخلوقاته تنبيه على شرفها) "فيض القدير"٦:/١٥٥ برقم٨٦٤٣.

[2] – انظر "منحة الخالق على البحر الرائق":٤/ ٤٦٧.

[3] – رواه الشيخان: صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ص ١١٤٨ برقم٦٦٤٦. وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ص٧٢٢ برقم٤٢٥٧.

[4] - رواه الشيخان: صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم، ص١١٤٨ برقم٦٦٤٦، وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ص٧٢٢ برقم٤٢٥٤. وهذا اللفظ لمسلم، والبخاري رواه بدون لفظ "نهى عنه"، وبزيادة لفظة "لي" في قوله: (قال لي رسول الله ﷺ).

[5] – رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ص٧٢٢ برقم٤٢٥٩.

[6] – رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: لا يحلف باللات والعزى، ولا بالطواغيت، ص١١٤٩ برقم٦٦٥٠، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ص٧٢٣ برقم٤٢٦٠، واللفظ للبخاري.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم**))[١].

وفي "سنن أبي داود" وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**))[٢].

وفي مصنف ابن أبي شيبة، قال عمر: حدثت قوماً حديثاً، فقلت: لا وأبي، فقال رجل من خلفي: لا تحلفن بآبائكم، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ، فقال: ((**لو أن أحدكم حلف بالمسيح لهلك، والمسيح خير من آبائكم**))[٣].

ومما ورد في المنع مِن الحلفِ بغير الله التشديد في مَنْ حَلَفَ بالأمانة ففي "سنن أبي داود" من حديث بريدة مرفوعاً: ((**من حلف بالأمانة فليس منا**))[٤].

وفي "سنن أبي داود" و"جامع الترمذي" عن ابن عمر أنه سمع رجلاً يقول: (لا، والكعبة)، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[٥].

وعن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة قال: كنا مع عمر في حلقة، فسمع رجلا يقول: لا و أبي، فرماه بالحصا، وقال: إنها كانت يميني، فنهاني النبي ﷺ عنها، وقال:

---

١ – رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى، فليقل: "لا إله إلا الله": ص٧٢٣ برقم٤٢٦٢. والطواغي، أي: الأصنام. انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم.

٢ – "سنن أبي داود": في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء: ص٤٩٧ برقم ٣٢٤٨.

٣ – رواه ابن أبي شيبة: ٥٤٦/٧ برقم ١٢٤١٠ من طريق عكرمة عن عمر، قال ابن حجر في "الفتح": هذا مرسل يتقوى بشواهده. "فتح الباري": (٦٤٧/١١) .

٤ – رواه أبو داود في السنن: في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة، ح/٣٢٥٣، ص/٤٩٧، ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه عنه مع زيادة: ١٠/ ٢٠٥ برقم٤٣٦٣، والحاكم: ٣٣١/٤ برقم٧٨١٦ وصححه ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة": م١/١ ص١٩٦ برقم٩٤.

٥ – رواه أبو داود في السنن: في كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين بغير الله: ص٥٨٥ برقم٣٢٥١، والترمذي في كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله: ص٣٦٣ برقم١٥٣٥ وهذا اللفظ للترمذي، ولفظ أبي داود: ((... فقد أشرك)). وقال الترمذي: حسن، وصححه الألباني في "الصحيحة": ٦٩/٥ برقم٢٠٤٢ و"الإرواء: ١٨٩/٨ برقم٢٥٦١. وسيأتي بيان نوع هذا الشرك.

((إنها شرك))[1].

٣- من الآثار: ومن الآثار ما روى البيهقي أن عمر أراد أن يضرب ابن الزبير- رضي الله عنهما- لحلفه بالكعبة، فقال له: (أتحلف بالكعبة؟!)[2].

وأيضاً ما ورد عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً)[3].

وقال الشعبي[4]: (الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغى له أن يقسم إلا بالخالق، والذى نفسي بيده لأن أقسم بالله فأحنث أحب إلى من أن أقسم بغيره فأبر)[5].

وقال كعب الأحبار[6]: (إنكم تشركون، قالوا: كيف يا أبا إسحاق؟ قال: يحلف الرجل: "لا وأبي"، "لا وأبيك"، "لا ولعمري"، "لا وحياتك"، "لا وحرمة المسجد"، "لا

---

[1] - رواه أحمد في مسنده، مسند وكيع: ١٨٢/٩ برقم٥٢٢٢، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأيمان والنذور، باب٢٢: ٥٤٧/٧ برقم١٢٤١٢، والطحاوي في "مشكل الآثار": ٢٤٤/١ برقم٨٣٩ قد علل الإسناد برجل مجهول بين سعد بن عبيدة وابن عمر (٢٤٥/١).

[2] - رواه البيهقي في "السنن الكبرى": ٥٣/١٠ برقم٢٠٣٩٦، وقال الألباني: (رواه البيهقي بإسناد رجاله ثقات). انظر "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني: ١٥٥/٣ برقم١١٦٦.

[3] - رواه عبد الرزاق في "المصنف": ٤٦٩/٨ برقم١٥٩٢٩ وابن أبي شيبة في مصنفه: ٥٤٩/٧ برقم١٢٤١٤ والطبراني في "المعجم الكبير": ٢٠٥/٩ برقم٨٩٠٢، كلهم من طريق وبرة بن عبد الرحمن عن عبد الله. وقال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٦٠٧/٣: (رواته رواة الصحيح) وقاله أيضا الهيثمي في "المجمع": ١٧٧/٤، وصححه الألباني في "الإرواء": ١٩١/٨ رقم٢٥٦٢. وذُكر نحو هذا المعنى عن ابن عباس وعن ابن عمر.

[4]- الشعبي، هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣هـ/ ٦٤٠- ٧٢١م)، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. كان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان رسوله إلى ملك الروم. وهو من رجال الحديث الثقات، وكان فقيها، استقضاه عمر بن عبد العزيز. انظر "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي: ٢٢٢/١٢ (٦٦٨٠)، "تهذيب التهذيب": ٦٥/٥، "الأعلام": ٢٥١/٣.

[5]- أورد قول الشعبي ابن حجر في "فتح الباري":٦٥٢/١١.

[6]- كعب الأحبار، هو: كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان من كبار علماء اليهود عالماً بأخبار الأمم الغابرة، وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر، فقدم المدينة، وروى عن النبي ﷺ مرسلا وعن الصحابة. ثم سكن في الشام وتوفي فيها سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م عن مئة وأربع سنين. انظر: "تهذيب التهذيب": ٤٣٨/٨ برقم٧٩٣، "تهذيب الكمال": ١٨٩/٢٤ برقم٤٩٨٠، "الأعلام": ٢٢٨/٥.

والإسلام"، وأشباهه من القول)[1].

٤- أقوال أئمة المذاهب الأربعة:

سنذكر أقوال علماء المذاهب الأربعة، علماً بأن أكثرَ من تكلم في مسألة الأيمان هم الفقهاء، حيث خصصوا لها باباً من أبواب الفقه: "الأيمان والنذور". وهم - بطبيعة الحال- أكثر ما تكلموا فيه هي مسائل فقهية لا علاقة لها بالعقيدة، ولكنهم مع ذلك تطرقوا إلى مسألة عقدية تخصنا وهو "الحلف بغير الله". وحتى هنا هم نظروا إليها بمنظور فقهي، حيث بحثوا فيما إذا كانت اليمين بغير الله هل تنعقد اليمين أم لا؟ هل تنبني عليها أحكام فقهية كالحنث والكفارة أم لا؟ وقد أجمعوا على أن اليمين بغير الله لا تنعقد، وأنها منهي عنها، وإن اختلفوا في مرتبة هذا النهي بين الحرمة والكراهة كراهة تنزيه. والأصحُّ — والله أعلم-أنها مُحَرَّمة. ولنرَ أقوال بعض العلماء من أصحاب المذاهب الأربعة على حدة.

علماء الأحناف:

قال أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ) شارحاً للحديث الذي فيه تسمية الحلف بغير الله شركاً: (لم يُرَد به الشرك الذي يخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكنه أريد أنه لا ينبغي أن يحلف بغير الله تعالى؛ لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به محلوفاً به كما جعل الله تعالى محلوفاً به، و بذلك جعل من حلف به أو ما حلف به شريكاً فيما يحلف به، وذلك أعظم، فجعله مشركاً بذلك شركاً غير الشرك الذي يكون به كافراً بالله تعالى خارجاً عن الإسلام)[2].

---

[1] - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه : ٥٤٩/٧ برقم١٢٤١٦.

[2] - "شرح مشكل الآثار" للطحاوي: ٢/ ٢٩٧ برقم ٨٢٦ (طبعة دار الكتب العلمية:٢٤٤/١ برقم ٨٤٠). وقال الألباني معلقاً عليه: (يعني – و الله أعلم – أنه شرك لفظي، وليس شركا اعتقاديا، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته. وهو كلام وجيه متين، ولكن ينبغي أن يستثنى منه من يحلف بولي؛ لأن الحالف يخشى إذا حنث في حلفه به أن يصاب بمصيبة، ولا يخشى مثل ذلك إذا حلف بالله كاذبا، فإن بعض الجهلة الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد بعد إذا أنكر حقاً لرجل عليه وطلب أن يحلف بالله فعل، وهو يعلم أنه كاذب في يمينه، فإذا طلب منه أن يحلف بالولي الفلاني امتنع واعترف بالذي عليه، وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦. "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني: ٧١/٥ عند حديث رقم٢٠٤٢.

وقال المرغيناني[1] (ت:٥٩٣هـ): (الحلف بالله هو المعهود المشروع، وبغيره محظور)[2].

وقال بدر الدين العيني[3] شارحاً قول المرغيناني "وبغيره محظور": (أي: حلف بغير الله حرام ممنوع)[4].

وقال الموصلي[5] (ت٦٨٣هـ) في "الاختيار لتعليل المختار": (الأصل في هذا أن الحلف بغير الله تعالى لا يجوز... لأن الحلف تعظيم المحلوف به ولا يستحقه إلا الله تعالى... وكذلك (لايجوز الحلف بـ) دين الله، وطاعة الله، وشرائعه، وأنبيائه، وملائكته، وعرشه، وحدوده، والصلاة، والصوم، والحج، والبيت، والكعبة، والصفا والمروة، والحجر الأسود، والقبر، والمنبر؛ لأن جميع ذلك غير الله تعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**لا تحلفوا**

---

[1]- المرغيناني، هو: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني نسبة إلى مَرغِينان مدينة من بلاد فرغانة التي وراء جيحون وسيحون، كان إماماً محدثاً مفسراً متقناً زاهداً له اليد الطولى في الفقه والخلاف. من تصانيفه "بداية المبتدئ" وشرحه "الهداية" وهو من أشهر الكتب في الفقه الحنفي. توفي- رحمه الله- سنة ٥٩٣هـ. انظر "تاج التراجم": ص١٤٨ برقم١٦٦، "الجواهر المضية": ٦٢٧/٢، "الفوائد البهية في تراجم الحنفية": ص١٤١.

[2] - "الهداية": ٩/٤.

[3]- بدر الدين العيني، هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي(٧٦٢-٨٥٥هـ/ ١٣٦١-١٤٥١م): مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته)، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. تصانيفه كثيرة جدا، منها: "عمدة القاري في شرح البخاري"، "العلم الهيب في شرح الكلم الطيب"لابن تيمية، "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" كبير، "البناية في شرح الهداية" في فقه الحنفية، "رمز الحقائق شرح كنز الدقائق" فقه، "المقاصد النحوية" في شرح شواهد شروح الألفية ويعرف بالشواهد الكبرى، "شرح سنن أبي داود" مجلدان منه. وله بالتركية "تاريخ الأكاسرة". انظر "البدر الطالع": ٨٤٩/٢ برقم٥٤٠، "الأعلام": ١٦٣/٧.

[4] - "البناية في شرح الهداية" لأبي محمد بدر الدين العيني: ٢٥/٦.

[5]- الموصلي، هو: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي. ولد بالموصل سنة ٥٩٩هـ، كان شيخاً فقيهاً، عالماً، فاضلاً، مدرساً، عارفاً بالمذهب، تولى قضاء الكوفة، ثم عزل، فرجع إلى بغداد، ولم يزل يدرّس ويفتي بها إلى أن مات سنة ٦٨٣هـ. من تصانيفه: "المختار للفتوى"، "الاختيار لتعليل المختار" وغيرهما.

بآبائكم ولا بالطواغيت ولا بحد من حدود الله، ولا تحلفوا إلا بالله))[1] ، وقال أبو حنيفة: لا يُحلف إلا بالله متجرداً بالتوحيد والإخلاص)[2].

وقال أيضاً: (إذا لم يجز الحلف بغير الله تعالى فلا تلزمه به كفارة؛ لأنه ليس بيمين، و لم يهتك حرمة من منع هتكها...)[3]. بل لو أبرّ بما حلف به وقع في محظور عظيم.

قال البابرتي[4] (ت:٧٨٦هـ): (لو قال: بحياتك لأفعلن كذا، واعتقد أن البَّر به واجب كفر، وليس بيمين)[5].

وقال الكرلاني[6] الحنفي: (وما اعتاد الناس من الحلف بالفارسية بـ"جان وسرتو"[1]، إن اعتقد أنه حلف واعتقد أن البر به واجب يكفر)[2].

---

[1]- **أخرج الحديث عن عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ بلفظ "لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت" من غير زيادة الإمام النسائي في سننه، ٣٥- كتاب الأيمان والنذور، ١٠- باب الحلف بالطواغيت: ص٥٨٣، برقم ٣٧٧٤، وأحمد في مسنده: ٢٢٨/٣٤ برقم ٢٠٦٢٤. ومسلم نحو رواية النسائي في صحيحه: كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى...: ص٩٦٦ (طبعة دار السلام- الموسوعة) برقم١٦٤٨ (٤٢٦٢)، وقد أخرج أصحاب السنن نحو هذا الحديث بزيادات مختلفة، ولكن ليس فيها زيادة القول "ولا بحد من حدود الله".**

[2] - **"الاختيار لتعليل المختار": ٦١/٤-٦٢.**

[3] - **المرجع السابق: ٦١/٤.**

[4]- **البابرتي، هو: محمد بن محمد بن محمود أكمل الدين البابرتي إمام محقق مدقق، كان بارعاً في الحديث وعلومه، ذا عناية باللغة. ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة. رحل إلى القاهرة. عرض عليه القضاء مراراً فامتنع، وكان حسن المعرفة بالفقه والعربية والأصول، وله تصانيف منها "العناية شرح الهداية". توفي سنة ٧٨٦هـ. ونسبته إلى بابِرت وهي مدينة في أرمينية (كما في معجم البلدان: ٣٠٧/١). انظر "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" لأبي الحسنات اللكنوي: ص١٩٥، و"تاج التراجم" لابن قطلوبغا: ص٢٣٥ برقم٢٦٠، "الدرر الكامنة": ٢٥٠/٤ برقم٦٨٦، "بغية الوعاة": ٢٠٨/١ برقم٤٣٦.**

[5] - **"العناية شرح الهداية" لأكمل الدين البابرتي المطبوع ضمن "الفتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤، وفي "العناية" لدار الكتب العلمية – مطبوع مستقل: ٣٣/٣.**

[6]- **الكرلاني، هو: جلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني (؟ – ٧٦٧ هـ). من فقهاء الحنفية. كان عالماً فاضلاً. أخذ عن حسام الدين الحسن السغناقي وغيره. من تصانيفه الكتاب "الكفاية شرح الهداية". انظر "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" اللكنوي: ٥٨-٥٩.**

[1]- **معنى كلمة "جان": روح، نفس، حياة، وكلمة "سرتو": رأس. انظر "المحيط الفارسي": ص٢٥٦، ٤٢٧.**

[2]- **"الكفاية" المطبوع مع "فتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤.**

قال ابن الهمام[1] (ت:٨٦١هـ): (وأما الحلف بـ"جان سَرتو"، ومثله الحلف بحياة رأسك، ورأس السلطان، فذلك إن اعتقد أن البر واجب فيه يكفر)[2].

وفي "تتمة الفتاوى"[3]: (قال علي الرازي[4]: أخاف على من قال "بحياتي" و"حياتك" أنه يكفر ولو لا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت أنه شرك[5])[6].

وقال القهستاني[1] (ت٩٥٣هـ): (لا يجوز أن يحلف بغيره تعالى، وإذا حلف ليس له

[1]- ابن الهمام، هو: كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، ابن الهمام السيواسي. (٧٩٠-٨٦١هـ/١٣٨٨-١٤٥٧م)، إمام، من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والمنطق. أصله من سيواس. ولد بالاسكندرية، ونبغ في القاهرة. وأقام بحلب مدة. وجاور بالحرمين. ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر. وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة. توفي بالقاهرة. من كتبه "فتح القدير" في شرح "الهداية" في ثماني مجلدات في فقه الحنفية. انظر "تاج التراجم": ص٣٢٧، "الفوائد البهية": ص١٨٠، و"شذرات الذهب": ٢٩٨/٧، "البدر الطالع": ٧٥٤/٢ برقم٤٧٠، و"الأعلام": ٢٥٥/٦.

[2] - "الفتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤.

[3]- "تتمة الفتاوي" من كتب الحنفية للإمام برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز الحنفي، صاحب المحيط (ت ٦١٦ هـ)، ذكر أن الصدر الشهيد حسام الدين جمع ما وقع إليه من الحوادث والواقعات، وضم إليها ما في الكتب من المشكلات، واختار في كل مسألة فيها روايات مختلفة، وأقاويل متباينة، غير أنه لم يرتب المسائل ترتيبا، فقام بعضهم بترتيبها وتبويبها، وبنى له أساسا، وجعلها أنواعا، وأجناسا، ثم إن محمود بن أحمد بن عبد العزيز زاد على كل جنس ما يجانسه، وذيل على كل نوع ما يضاهيه. انظر "كشف الظنون": ١٨٩/٢.

[4] - علي الرازي، هو: علي بن أحمد بن مكي حسام الدين الرازي، كان فقيها فاضلاً، سكن دمشق ودرّس بها وأفتى على مذهب أبي حنيفة، وألف كتباً، منها: "خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل" في شرح القدوري، "شرح الجامع الصغير"، وغير ذلك. توفي في سنة ٥٩٨هـ. انظر "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" لعبد القادر القرشي الحنفي: ٥٤٣/٢ برقم ٩٥٠، "تاج التراجم": ص١٤٩ برقم١٦٧، "الفوائد البهية": ص١١٨.

[5]- ولكن عدم علمهم لا يمنع من أن نحكم على القول بأنه شرك كما هو منطوق الحديث!

[6] - "فتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤. وانظر الشرح على "تنوير الأبصار" للحصكفي، و "حاشية ابن عابدين على الشرح لمتن تنوير الابصار" كلاهما مطبوعان معاً: ٥٠٧/٥، و"منحة الخالق على البحر الرائق" لابن عابدين المطبوع مع "البحر الرائق": ٤٦٦/٤.

[1] - القهستاني، هو: محمد بن حسام الدين الخراساني القهستاني، الحنفي من أبرز فقهاء الحنفية المتأخرين، كان إماماً، عالماً، زاهداً، من مصنفاته "جامع الرموز في شرح النقاية"، مات في حدود سنة ٩٥٣هـ. انظر ترجمته في "شذرات الذهب": ٣٠٠/٨، و"الأعلام": ١١/٧.

أن يبر بل يجب أن يحنث، فإن البر فيه كفر)[1]، وذلك لأن هذا الفعل يدل على أن الحالف يعظمه تعظيمَ الله تعالى.

وزاد الكرلاني في "الكفاية" تعليلا على قول الرازي وقال: (...لأنه لا يمين إلا بالله وإنما جعل الله اليمين بالله ليرعوي الرجل أي ليمتنع إذا ذكر الله فلا يحنث هو، وإذا حلف بغير الله تعالى فكأنه أشرك معه)[2].

علماء المالكية:

منهم: ابن عبد البر المالكي[3] (ت:٤٦٣هـ) قال في "التمهيد": (لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه)[4].

وقال في موضع آخر من كتابه: (وأجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها، لا يجوز الحلف بها لأحد، واختلفوا في الكفارة: هل تجب على من حلف بغير الله فحنث؛ فأوجبها بعضهم في أشياء يطول ذكرها، وأبى بعضهم من إيجاب الكفارة على من حنث في يمينه بغير الله؛ وهو الصواب عندنا، والحمد لله)[5].

وقد قرر خليل الجندي[1] (ت:٧٧٦هـ) صاحب "المختصر" أن اليمين لا تنعقد بقول

---

[1] – انظر "منحة الخالق على البحر الرائق" لابن عابدين المطبوع مع "البحر الرائق": ٤٦٦/٤.

[2] – "الكفاية على الهداية" للكرلاني المطبوع مع "شرح الفتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤.

[3]– ابن عبد البر، هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨هـ– ٤٦٣هـ)، الإمام الحافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيهم، تفقه عند المكوي وكتب عن شيوخه، ولازم الفرضي، سمع سعيد ابن نصر، وعبد الوارث، وأحمد البزاز، وأبو عمر الطلمنكي، وسمع منه كثيرون منهم الدلائي، وابن أبي قحافة، وأبو عبد الله الحميدي. ألف في الموطأ كتباً مفيدة منها: "التمهيد" و"الاستذكار" ومن مؤلفاته:"الاستيعاب" في أسماء الصحابة، و"الكافي" في الفقه المالكي وغير ذلك. انظر "الديباج المذهب" لابن فرحون المالكي: ٢٩٥/٢، و"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لمحمد مخلوف: ١٧٦/١ برقم ٣٧٣.

[4] – "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لابن عبد البر: ٣٩٣/٥ تحت الحديث برقم ٣٤٦.

[5] – المرجع السابق، وانظر أيضاً "الإجماع لابن عبد البر" جمع وترتيب للشهلوب والشهري: ص٣٠٦.

[1]– خليل الجندي، هو: ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق الجندي (المتوفى سنة ٧٧٦هـ)، كان صدراً في علماء القاهرة، مشاركاً في فنون من العربية والحديث والفرائض، فاضلاً في مذهب مالك صحيح النقل، جمع بين العلم والعمل. من تصانيفه: شرح على ابن الحاجب في ست مجلدات، ومختصره من أفضل نفائس الأعلاق فما نسج على منواله. انظر "الديباج المذهب": ٣١٣/١، و"شجرة النور الزكية": ٣٢١/١ برقم٨٢٥.

"والنبي، والكعبة"، وزاد الدردير[1] (ت:١٢٠١هـ) صاحب "شرح المختصر": (والركن والمقام والعرش والكرسي وسر الإمام والولي فلان من كل مخلوق معظَّم شرعاً ... وأما الحلف بالسلطان أو نعمة السلطان أو برأسه أو رأس أبيه أو تربته ونحو ذلك فحرام قطعاً... وإن قصد في حلفه بـــكالعزى وبكل ما عبد من دون الله التعظيمَ من هذه الحيثية فكفرٌ، والعياذ بالله تعالى، وإن لم يقصد فحرام)[2].

علماء الشافعية:

ذكر الإمام الشافعي- رحمه الله- حكم الحلف بغير الله بقوله: (كل يمين يغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ: ((**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**))[3]... فكل من حلف بغير الله كرهت له وخشيت أن تكون يمينه معصية)[4].

وإن كانت الشافعية من بعد الإمام قد استشفّوا تردد الإمام في حكمه على الحلف بغير الله هل هو مكروه تنزيهاً أو معصية مكروهة تحريماً، فإن عبارته "وخشيت أن تكون يمينه معصية" تدل على عدم جزمه بأنها مكروهة كراهة التنزيه؛ لأن المكروه في اصطلاح الفقهاء: ما ليس معصية ولا يذم فاعلها ولا يخشى عليه أن يكون بذلك عاصياً، وأيضاً فإن قول الشافعي الذي أورده ابن قدامة المقدسي في "المغني": (من حلف بغير الله تعالى فليقل:

---

[1]- الدردير، هو: أبو البركات أحمد بن محمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير (١١٢٧هـ - ١٢٠١هـ). حفظ القرآن وجوده، حضر دروس علماء الأزهر، أفتى في حياة شيوخه، ثم تعين شيخاً على المالكية ومفتياً وناظراً وشيخاً على أهل مصر بأسرها. له مؤلفات، منها: "شرح مختصر خليل" أورد= =فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال، و"أقرب المسالك لمذهب مالك" متن في فقه المذهب، وله رسائل في التوحيد والتصوف. انظر "شجرة النور الزكية": ٥١٦/١ برقم١٤٤٦.

[2] - "حاشية الدسوقي على الشرح الكبير": ٢٠٢/٢-٢٠٤.

[3] - رواه الشيخان بلفظ "ليصمت" وقد سبق تخريجه في ص٢٤٥، ورواه أبو داود بهذا اللفظ في ١٦-كتاب الأيمان والنذور، باب (٥) في كراهية الحلف بالآباء: ، ص٤٩٧ برقم ٣٢٤٩.

[4] - "الأم" للشافعي: ١٤٩/٨-١٥٠.

"أستغفر الله")[1] يؤكد كون الحلف بغير الله معصيةً وحراماً وإلا فالمباح لا يترتب على فاعله وزرٌ ولا الاستغفار منه، ولو كان مكروهاً كراهة تنزيه.

وإن كانت المسألة محل خلاف عند الشافعية فإن أكثر الذين يسمون الحلف بغير الله مكروهاً يصفونه أوصافاً لا يوصف بها إلا المحرم المكروه كراهة التحريم، ورتبوا عليه أحكاماً لا تناسب المكروه كراهة التنزيه!

ومن ذلك قول الماوردي[2] (ت:٤٥٠هـ): (اليمين بغير الله من المخلوقات كلها مكروهة، سواء حلف بمعظّم كالملائكة، والأنبياء، أو بغير معظم لرواية الشافعي...)، ثم ذكر حديثين في النهي عن الحلف بالآباء، ثم قال: (وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[3]، وفيه تأويلان:

أحدهما: فقد أشرك بين الله وبين غيره في التعظيم، وإن لم يصر من المشركين الكافرين.

الثاني: فقد أشرك بالله، فصار كافراً به إن اعتقد لزوم يمينه بغير الله كاعتقاد لزومها بالله)[4].

ثم أورد حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من حلف بغير الله فكفارته أن يقول "لا إله إلا الله**))[1]. وهذا مع حكمه على الحلف بغير الله بأنه مكروه[2]! فهل يُعقل أن يُلزم المسلم

[1] – "المغني" لابن قدامة: ١٦٤/١١. وستأتي ترجمته في ص٢٥٧.

[2]– الماوردي، هو: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن: نسبته إلى بيع ماء الورد. ولد في البصرة عام ٣٦٤ هـ، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان حافظا للمذهب الشافعي. حدث عنه الخطيب البغدادي ووثقه، له تصانيف كثيرة نافعة، منها: "أدب الدنيا والدين"، و"الأحكام السلطانية"، و"الحاوي" في فقه الشافعية، وغيرها من المؤلفات النافعة. توفي رحمه الله في ببغداد سنة ٤٥٠ هـ. انظر "الأنساب" لعبد الكريم السمعاني: ١٨٢/٥، "وفيات الأعيان" ابن خلكان: ١٣٤/٢ برقم٤٢٨، "سير أعلام النبلاء": ٦٤/١٨، "طبقات الشافعية الكبرى": ٢٣٢/٣ برقم٥١١.

[3]– سبق تخريجه في ص٢٤٦.

[4] –"الحاوي الكبير" للماوردي: ٢٦٢/١٥.

[1]– لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكنه موجود بلفظ آخر: ((من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: "لا إله إلا الله"، ومن قال لصاحبه: "تعال أقامرك"، فليتصدق)) متفق عليه واللفظ للبخاري، سبق تخريجه في ص٢٤٥.

[2]– ذكرت قوله قبل الأسطر، حيث قال: (اليمين بغير الله من المخلوقات كلها مكروهة...).

بالنطق بالشهادة والإقرار بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" النافية للشرك بنوعيه الأكبر والأصغر وهو لم يعمل سوى المكروه الذي لا يذم فاعله عليه؟ فإن لم يدل وصفه للحلف بغير الله بالمكروه على كراهة التحريم بحيث يأثم الحالف به، فكلامه إذن متناقض!

وكذلك الإمام المناوي[1] من أعلام الشافعية مع إقراره بأن الحلف بغير الله مكروه في موضع من كتابه "الفيض القدير" يقول في موضع آخر منه معلقاً على الحديث: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[2] قائلاً: (أي: فَعَلَ فِعْلَ أهل الشرك أو تشبه بهم، إذ كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله، أو: فقد أشرك في تعظيم ما لم يكن له أن يعظمه؛ لأن الأيمان لا تصلح إلا بالله، فالحالف بغيره معظِّم غيرَه مما ليس له، فهو يشرك غير الله في تعظيمه، ورجحه ابن جرير. ومن هذا التقرير علم أن من زعم أن الخبر ورد على منهج الزجر والتغليظ فقد تكلّف)[3]. وفي موضع آخر أورد فتوى شيخ الإسلام زكريا[4] في قوم جرت عادتهم إذا حلفوا أن يقولوا ببركة سيدي فلان على الله، هل هم مخطئون بحلفهم بغير الله تعالى؟ أجاب: (يكره الحلف المذكور ويمنع منه، فإن لم يمتنع أُدّب إن قصد بـــ"على" الاستعلاء على بابها)[1].

والمكروه الذي يمنع عنه ويؤدّب عليه فاعله -إن لم يمتنع عنه- لا يمكن أن يكون إلا مكروها كراهة التحريم!

---

[1]- سبقت ترجمته.

[2]- سبق تخريجه في ص٢٤٦.

[3] - "فيض القدير" للمناوي: ١٥٥/٦ برقم٨٦٤٢.

[4]- شيخ الإسلام زكريا، هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الشافعي، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، ولد سنة ٨٢٦ هـــ، نشأ فقيراً معدماً، كف بصره سنة ٩٠٦هـــ، أخذ العلم عن جماعة، منهم: البلقيني، والقاياتي، والشرف السبكي، وابن حجر، وغيرهم، وقرأ في جميع الفنون وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس وتصدر وأفتى وأقرأ وصنف التصانيف، منها: "فتح الرحمن" في التفسير، "تحفة الباري على صحيح البخاري"، "وغاية الوصول في شرح الفصول" في أصول الفقه، واشتهرت مصنفاته وكثرت تلامذته وألحق الأحفاد بالأجداد، وعمّر حتى جاوز المائة أو قاربها ومات سنة ٩٢٦هـــ. انظر "الضوء اللامع": ٢٣٤/٣ برقم٨٩٢، "البدر الطالع": ٢٩٢/١ برقم١٧٥، "شذرات الذهب": ١٣٤/٨، "الأعلام": ٤٦/٣.

[1] - "فيض القدير" للمناوي: ٢٦٨/٦ برقم٨٩٦٦. ونقل السويدي في "العقد الثمين" قوله بعبارة: (أُدّب، قصد بـــ"على" الاستعلاء على بابها أم لا): ص٢١٥.

قال الخطابي[1] شارحاً حديث الرسول ﷺ: ((**من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**))[2]، قال: (إنما أوجب قول لا إله إلا الله على من حلف باللات والعزى شفقاً من الكفر أن يكون قد لزمه؛ لأن اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يعظم، فإذا حلف بهما فقد ضاهى الكفار في ذلك، وأمر أن يتداركه بكلمة التوحيد المبرِّئة من الشرك)[3].

وقال ابن حجر الهيتمي[4] (ت:٩٧٤هـ): (فلا تنعقد بمخلوق: كنبي وملك للنهي الصحيح عن الحلف بالآباء، وللأمر بالحلف بالله. وروى الحاكم خبر: ((**من حلف بغير الله فقد كفر**))، وفي رواية: ((**فقد أشرك**))[5] وحملوه على ما إذا قصد تعظيمه كتعظيم الله تعالى، فإن لم يقصد ذلك أثم عند أكثر أصحابنا أي: تبعاً لنص الشافعي الصريح فيه، كذا قاله شارح. والذي في شرح مسلم عن أكثر الأصحاب الكراهة وهو المعتمد وإن كان الدليل ظاهراً في الإثم، قال بعضهم: وهو الذي ينبغي العمل به في غالب الأعصار لقصد غالبهم به إعظام المخلوق ومضاهاته لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)[1].

---

[1]- حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي، سبقت ترجمته.

[2] - متفق عليه؛ وقد سبق تخريجه في ص٢٤٥.

[3] - "أعلام الحديث": ١٩١٨/٣.

[4]- ابن حجر الهيتمي، هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الوائلى السعدي الهيتمى المصري ثم المكي، ولد سنة ٩٠٩هـ، ونشأ ببلده وحفظ القرآن ثم انتقل إلى مصر، فحفظ مختصرات وقرأ على الشيخ عمارة المصري والرملي وأبي الحسن البكري وغيرهم، وبرع في فقه الشافعي، وصنف التصانيف الحسنة ثم انتقل من مصر إلى مكة المشرفة وصنف بها الكتب المفيدة منها: "الإمداد" و"فتح الجواد" شرحا على الإرشاد: الأول بسيط، والثاني مختصر، و"تحفة المحتاج شرح المنهاج" و"الصواعق المحرقة" وغيرها، وكان زاهدا متقللا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، واستمر على ذلك حتى مات سنة ٩٧٣هـ. انظر "شذرات الذهب": ٣٧٠/٨، "البدر الطالع": ١٤٠/١ برقم٦٧، "الأعلام": ٢٣٤/١.

[5]- الحديث سبق تخريجه في ص٢٤٦.

[1] - "تحفة المحتاج بشرح المنهاج": ٢٨٩/٤.

علماء الحنابلة:

قال ابن قدامة المقدسي[1] (ت:٦٣٠هـ): (لا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق[2] كالكعبة كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، هذا ظاهر كلام الخِرَقي (ت:٣٣٤هـ) وهو قول أكثر الفقهاء)[3].

ثم قال: (وروي عن أحمد أنه قال: إذا حلف بحق رسول الله ﷺ فحنث فعليه الكفارة؛ لأنه أحد شرطي الشهادة، فالحلف به موجب للكفارة كالحلف بالله تعالى، والأول أولى لقول النبي ﷺ: ((**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**))، ولأنه حلف بغير الله تعالى فلم توجب الكفارة بالحنث فيه كسائر الأنبياء، ولأنه مخلوق فلم تجب الكفارة بالحلف به كالحلف بإبراهيم عليه السلام، ولأنه ليس بمنصوص عليه ولا هو في معنى المنصوص، ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه لعدم الشبه وانتفاء المماثلة)[4].

وأورد أبو البركات[1] عدم وجوب الكفارة وتحريم الحلف به مذهباً.[2]

---

[1]- ابن قدامة المقدسي، هو: عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: العلامة الفقيه الأصولي، من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) سنة ٥٤١ هـ، تعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق، وفيها وفاته سنة ٦٢٠ هـ. له تصانيف، منها: "المغني" شرح به مختصر الخرقي في الفقه، "روضة الناظر" في أصول الفقه، و"ذم التأويل"، و"ذم الموسوسين"، و"لمعة الاعتقاد"، و"الكافي" في الفقه أربع مجلدات، وغير ذلك. ينظر "السير": ١٦٥/٢٢، و"الأعلام": ٦٧/٤.

[2]- وزاد الزركشي (ت:٧٧٢هـ) في بيان هذه العبارة قائلا: (سواءً كان معظماً أو غير معظم، أضافه إلى الله تعالى أو لم يضفه) شرح الزركشي على مختصر الخرقي: ٣٠٩/٣

[3] – "المغني ويليه الشرح الكبير": ٢٠٩/١١.

[4] – "المغني ويليه الشرح الكبير": نص المغني: ٢٠٩/١١، ونص الشرح الكبير: ١٧٨/١١.

[1]- أبو البركات، هو: مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية الإمام العلامة شيخ الحنابلة (وهو جد الإمام تقي الدين أحمد ابن تيمية المتوفى سنة٧٢٨هـ)، ولد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، حدث عنه ولده شهاب الدين، والدمياطي، والشيخ محمد ابن القزاز، وغيرهم. صنف التصانيف، كان عجبا في سرد المتون وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة، عالما بالقراءات. توفي بحران سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م. انظر: "ذيل طبقات الحنابلة" لابن رجب: ١/٤ برقم٣٩١، و"الوافي بالوفيات" للصفدي: ٢٦٠/١٨ برقم٦٩٩٥، و"سير أعلام النبلاء": ٢٩١/٢٣، و"الأعلام": ٦/٤.

[2] – انظر "المحرر" لأبي البركات: ١٨/٣، و"شرح الزركشي على مختصر الخرقي": ٣٠٩/٣.

وقال الحجاوي[1] (ت: ٩٦٨هـ): (ويحرم الحلف بغير الله وصفاته، ولو بنبيٍّ؛ لأنه شرك في تعظيم الله، فإن فعله استغفر وتاب، ولا كفارة في اليمين به، ولو كان الحلف برسول الله ﷺ سواء أضافه إلى الله، كقوله "ومعلوم الله"، "وخلقه"، "ورزقه"، "وبيته"، أو لم يضفه، مثل: "والكعبة"، "والنبي"، "وأبي"، وغير ذلك، ويكره بالطلاق والعتاق)[2].

النتيجة:

يمكننا أن نكلل كلام هؤلاء العلماء من المذاهب الأربعة بقول شيخ الإسلام المحقق ابن تيمية- رحمه الله: (فأما الحلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة، أو قبر الشيخ، أو بنعمة السلطان، أو بالسيف، أو بجاه أحد من المخلوقين، فما أعلم بين العلماء خلافاً أن هذه اليمين مكروهة منهي عنها، وأن الحلف بها لا يوجب حنثاً ولا كفارة. وهل الحلف بها محرم، أو مكروه كراهة تنزيه؟ فيه قولان في مذهب أحمد[3] وغيره: أصحهما أنه محرم)[1].

والذي توصلنا إليه هو أن الحكم الموافق للنص والعقل التحريم الذي يتراوح بين نوعي الشرك: الأصغر والأكبر[2]! وكون الحلف بغير الله شركاً أصغر محله إذا لم يُرِد به

---

[1]- الحجاوي، هو: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبوالنجا (...-٩٦٨هـ/...-١٥٦١م): فقيه حنبلي، من أهل دمشق. كان مفتي الحنابلة وشيخ الإسلام فيها. نسبته إلى (حجة) من قرى نابلس. له كتب، منها: "زاد المستقنع في اختصار المقنع"، و"شرح منظومة الآداب الشرعية للمرداوي"، و"الإقناع" وهو من أجل كتب الفقه عند الحنابلة، قال ابن العماد: لم يؤلف أحد مؤلفا مثله في تحرير النقول وكثرة المسائل. انظر "شذرات الذهب": ٣٢٧/٨، و"الأعلام": ٣٢٠/٧.

[2] – "الإقناع" للحجاوي:٣٤٠/٤.

[3] – ويدل على ذلك – مثلاً– قول عبد الرحمن بن أبي عمر ابن قدامة المقدسي (ت:٦٨٢هـ) في الشرح الكبير": (ويكره الحلف بغير الله تعالى ويحتمل أن يكون محرماً وذلك نحو أن يحلف بأبيه أو بالكعبة أو بصحابي أو إمام أو غيره) ثم قال: (ثم إن لم يكن الحلف بغير الله محرماً فهو مكروه؛ لأن من حلف بغير الله فقد عظّم غيره تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به، فعلى هذا يستغفر الله إذا أقسم بغير الله): ١٧٧/١١، ١٧٨.

[1] – "مجموع الفتاوى":٢٤٣/٣٥.

[2]– الأصل في الحلف بغير الله أنه شرك أصغر. انظر – مثلاً– شرح الطحاوي على الحديث ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) في كتابه "شرح مشكل الآثار": ٢/ ٢٩٧ برقم ٨٢٦ (طبعة دار الكتب العلمية:٢٤٤/١ برقم ٨٤٠) . ثم إن هذا الشرك الأصغر قد يتمادى بصاحبه ويصير أكبر وذلك لما يقوم بالحالف من عمل قلبي من=

الحالفُ تعظيمَ المحلوفِ به، أما لو كان معظِّماً للمحلوف به بحيث يخاف أن يحلف به كاذباً أو يخاف أن يحنث حرمةً لاسم المحلوف به، فهذا شرك أكبر.[1]

وتفصيل ذلك في ما يلي:

إن الحلف بغير الله تعظيمٌ لغير الله؛ فإن الحلف ما يكون إلا بالمعظم المحبوب المحترم وإلا لا يكون فيه توثيق القول أو الحمل على الفعل أو المنع منه! فإذا ثبت أن الحلف يكون بالمعظم فكأنَّ الحالف بغير الله يشرك غير الله في التعظيم، حيث عظَّم غير الله بالحلف به كما يعظم الله بالحلف به وإن لم يعتقد تساويهما في العظمة، بل يعظم غير الله تعظيماً يليق به ويعظم الله تعالى تعظيماً يليق به سبحانه. ولكنه أعطى لغير الله ما حقه لله وهو تعظيم الله بالحلف، وكان واجباً ألا نشرك أحداً مع الله في الحلف، وهذا الحلف قد يقال له الشرك الأصغر غير مخرج من الملة، لكنه أمر خطير يُخاف على صاحبه الوقوع في الشرك الأكبر لكونه وسيلة إليه. أما إذا عظم شأن المحلوف به في نفس الحالف فحَلَفَ به مُعظّماً إياه تعظيماً يخاف الحنثَ به أو يخاف الحلف به كاذباً لكان هذا شركاً أكبر[1]؛ وهذا مما لا يختلف فيه اثنان، بل الجميع متفقون على أن هذا ضرب من الشرك الأكبر المخرج من الملة!

=تعظيم غير الله والخوف منه. انظر- مثالاً- "العناية شرح الهداية" لأكمل الدين البابرتي: ٣٣/٣، و"الفتح القدير" لابن الهمام: ٣٥٦/٤.

[1]- انظر تعليق الشيخ الألباني على شرح الطحاوي للحديث ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) حيث قال الطحاوي: "لم يُرَد به الشرك الذي يخرج من الإسلام"، فقال الألباني: (يعني – و الله أعلم – أنه شرك لفظي، وليس شركا اعتقاديا، و الأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته. وهو كلام وجيه متين، و لكن ينبغي أن يستثنى منه من يحلف بولي؛ لأن الحالف يخشى إذا حنث في حلفه به أن يصاب بمصيبة، ولا يخشى مثل ذلك إذا حلف بالله كاذبا، فإن بعض الجهلة الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد، إذا أنكر حقاً لرجل عليه و طلب أن يحلف بالله فعل، وهو يعلم أنه كاذب في يمينه، فإذا طلب منه أن يحلف بالولي الفلاني امتنع واعترف بالذي عليه). "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني: ٧١/٥. وانظر "تسهيل العقيدة الإسلامية" لابن الجبرين: ص٤٥٨.

[1]- هذه المرتبة من الحلف فيه معنى إشهاد المحلوف به على صدق الحالف، وهذا لا يصح إلا بمن يعلم صدق المحلوف عليه أو كذبه، وهو الله تعالى، كما أن من يحلف به يجب أن يكون يملك عقاب من حلف به والانتقام منه عند حلفه به كاذباً، وهو الله تعالى دون سواه). انظر "دعوة التوحيد" لمحمد خليل هراس: ص٦١، و"تسهيل العقيدة الإسلامية" لعبد الله الجبرين: ص٤٥٧-٤٥٨.

هذا الحالف – وحاله هذه- حتى لو ما نطق بحلفه بغير الله، فإنه واقع في الشرك في أصل عمله القلبي بحيث اعتقد تعظيم غير الله وخاف غير الله كتعظيم المُسْلِم لله وخوفه من الله، أما إذا نطق وحلف بلسانه تعدّى شركُه قلبَه وصار على لسانه، فيصير مشركاً في عمله القولي، وإذا أبر بحلفه تعدّى شركه إلى الجوارح، فيصير شركه عملياً- والعياذ بالله.

أما علماء التتر، فإنهم في هذه المسألة عالة على كتب علماء الحنفية الذين- ربما أكثر من غيرهم- بيّنوا علة تحريم الحلف بغير الله، فلعل هذا الذي جعلهم يقرون بتحريمه.

ولكن نجد من بين كتابات علماء التتر من حكى الخلاف في المسألة؛ قال طيب ابن ملا علمان التتري في كتابه "خلاصة المسائل": (مما اختلف في كونه كبيرة أوصغيرة: ...الحلف بغير اسم الله)[1]. وقوله هذا يدل على إثبات الحكم بتحريم اليمين بغير الله؛ فإن خلافهم في كونها كبيرة أو صغيرة لا يُزيحها من درجة التحريم.[2].

وقال أحد الأئمة المعاصرين في مؤلَّفه "التوحيد": (المطلب: الشرك الأصغر؛ ومنه أن تحلف بشئ غير الله. إن الله تعالى يحلف بما يشاء من مخلوقاته، ونجد الأمثلة على ذلك في القرآن إذ أقسم الله بالشمس، والقمر، والأرض، والسماوات، والعصر، وأمور أخرى مهمة في حياة الإنسان. أما نحن البشرَ فلا يجوز لنا أن نحلف إلا بالله وحده، وبأسمائه أو بصفاته.

وقد قال رسول الله ﷺ بهذا الخصوص: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[1]. ولكن بعض الناس قد خالفوا هذا الحديث حيث يحلفون بغير الله، كالحلف بالخبز وغير ذلك[2]، فهذا من الشرك).[3]

---

[1] – "خلاصة المسائل" لطيب ملا علمان التتري: ص ٥٢.

[2] – أرى أن عبارته هذه لا تستقيم، وإنما كان الأصح أن يقول: اختلفوا في تحريمه أو كراهته، أو اختلفوا في كونه شركاً أكبر أو أصغر؛ لأننا قد عرفنا أن الحلف بغير الله في أصله شرك أصغر وقد يصبح شركا أكبر والشرك بنوعيه لا يكون إلا كبيرةً، والذين يرون أن الحلف بغير الله قد يكون مكروهاً كراهة التنزيه لا يقولون بأن المكروه من الصغائر التي يذم فاعلها ويعاقب عليها، فصار قوله متناقضاً.

[1] – الحديث سبق تخريجه في ص٢٤٦. وهذا الحديث يشمل جواز الحلف بأسماء الله وصفاته؛ لأنها ليست غير الله ولا تنفك عن الله؛ فإن الذات – أي ذات- لا يتصور خلوها في الخارج عن أسمائها وصفاتها.

[2] – كالحلف بالأم أو الحياة؛ لوجوده على نفس مستوى انتشار وجود الحلف بالخبز.

[3] – "التوحيد" لعبد الملك إبراهيم التتري: ص١١.

الحلف بالله كاذباً:

لما ثبت عندنا أن الحلف لا يجوز أن يكون إلا بالله تعالى، فلا بد من التنبيه على أمر آخر خطير- أيضاً- وهو الحلف بالله كاذباً، قال طيب بن ملا علمان التتري: (ومن الواجبات ألاّ يحلف على الكذب؛ قال تعالى:﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾التوبة: ٧٤ ...)[1]، ومن الحلف بالكذب ما يسمى باليمين الغموس التي توعد الله لأصحابه بالغضب عليهم يوم القيامة، كما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة: ((**من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**))[2]، فلا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستهين بقول الرسول ﷺ القائل: ((**ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**))[3] وبغضب الله المترتب على الحلف كاذباً، فإن ذلك يؤدي إلى عدم الخوف من الله وعذابه، وعدم حصول المقصود من الحلف بالله وهو تعظيمه سبحانه وتعالى! لئن كان أصل المقصود بالحلف هو توثيق القول وهو غرض دنيوي ظاهر، فإن تعظيم الله في الحلف أمر باطن خفي يستشعره المسلم في داخله وهو عمل قلبي. فعدم موافقة الظاهر للباطن من علامات النفاق؛ فلذلك كان من صفات المنافقين الذين وصفهم الله بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون خلافه، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾المجادلة: ١٤ – ١٦. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ النور: ٥٣، وقال الإمام البغوي في تفسير هذه الآية: (وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل)[1].

---

[1] – "خلاصة المسائل" لطيب ملا علمان التتري: ص٣٠.

[2] – رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود: كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، ص٣٧٩ برقم٢٣٥٦، وانظر مواضع أخرى من صحيحه.

[3] – أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة مطولاً: كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين بغير الله، ص٥٨٥ برقم٣٢٤٨، وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود- طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

[1] – "تفسير البغوي": ٣٥٣/٤.

الإكثار من الحلف:

ثم إن اليمين إن كانت بالله تعالى وليس فيها كذب ولا بطرُ حقٍّ أحدٍ، فإنه ينبغي عدم الإكثار منها؛ فقد شدد الله الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريم ذلك احتراماً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سبحانه. فإن كانت العبادة اسماً جامعاً لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، فإن كثرة الحلف إذا لم تدعُ إليه الحاجة لا يرضيه سبحانه، ولوكان صادقاً في حلفه ولو كان بالله؛ لأن في ذلك استخفافاً بعظمة الله وكبريائه! قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾القلم: ١٠.

وذكر صاحب "البحر الرائق": (والأفضل في اليمين بالله تعالى تقليلها؛ لأن في تكثير اليمين المضافة إلى الماضي نسبة نفسه إلى الكذب، وفي تكثير اليمين المضافة إلى المستقبل تعريض اسم الله تعالى للهتك)[١].

أو لأن كثرة الحلف يلزم منه كثرة الحنث مع ترك تكفيره، فكما كان عدم الحنث من حفظ اليمين، فإن الإتيان بالكفارة عند الحنث من حفظ اليمين.

والمتأمل في قول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ المائدة: ٨٩، سيجد الأحكامَ المذكورةَ في المسائل السابقة موجودةً مضمومةً في معنى كلمة "حفظ الأيمان"! [٢]وهذه الأحكام، هي: وجوب الحلف بالله وحده، وكراهة الإكثار منه، وعدم جواز الحنث[١]، ووجوب الإتيان بالكفارة عند الحنث.

---

[١] – "البحر الرائق": ٤٦٥/٤.

[٢] – نجدها متفرقة في التفاسير، انظر مثلا تفسير الطبري: ٤٠/٧، وتفسير البغوي:٦٢/٢، وتفسير القرطبي: ٢٦٦/٦.

[١] – ولكن أحياناً يكون الحنث وعدم الوفاء ليس بمعصية، بل مطلوباً شرعاً. فمثلاً في الحديث التالي ما يدل على جواز الحنث إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ: ((والله، لأن يَلَجَّ أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه)) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم برقم٦٦٢٥، ومسلم بلفظ ((...التي فرض الله)) في كتاب الأيمان، باب النهي عن الإصرار على اليمين برقم ١٦٥٥ (٤٢٩١)، وأصرح منه ما ثبت في الصحيحين قوله ﷺ: ((إني – والله، إن شاء الله– لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها)) وقد سبق تخريجه في ص٢٣٠.

ثانياً: مظاهر الانحراف في النذور وحكمها:

ذكر بعض علماء التتر ودعاهم أنواع النذور وأحكامها، وذكروا أيضاً أن النذر لا يكون إلا لله وحده لا شريك له، وأن خلاف ذلك شرك بالله تعالى.

فهذا أحد الأئمة التترين المعاصرين يقول مبيِّناً وجه دخول مسألة التوحيد والشرك في النذور: (النذر لغير الله شرك. إن النذر إذا نذرته صار واجباً في حقك، وإذا كان واجباً كان نوعاً من العبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك وهو ضد التوحيد، ولذا كان موضوع النذر داخلاً في مسائل التوحيد)[1]. هذا تصريح بحكم النذر لغير الله أنه شرك من أحد دعاة البلد، فهو يحذر وينفر عنه وهو أيضاً غير مقبول لدى الناس على مستوى العامة- ولله الحمد.

والاستبانة التي تلي تبيّن مدى انتشار ظاهرة النذر لغير الله في المجتمع التتري، وكما يتضح من خلال النظر إلى نتائجها، فإن النذر الشركي يكاد يعدم عندهم:

№	форма проявления того или иного рода поклонения صورة الظاهرة **في النذور والأيمان**	مدى وجود هذه الظاهرة			
		كثير	متوسط	قليل	لا يوجد
16	произнесение обета (назра) не Аллаху, с целью навлечь благо или избавится от беды, типа обращения к усопшему, говоря: « О такой-то, если все получится, то я принесу тебе в жертву барана». **النذر لغير الله بهدف جلب المصلحة أو دفع المضرة، مثل أن تقول للميت:" يا فلان إذا حصل لي كذا فسأقرب لك شاة"**	0,8	5,2	9,8	84.2

الاستبانة رقم١/ السؤال: رقم١٦.

يرى أغلب من سئل في المسألة (وهم ٨٤,٢ من النسبة المئوية) أن النذر لغير الله لا يوجد في المجتمع التتري المسلم، بينما قرابة عشرة بالمائة من المجيبين قالوا: إنه إن وجد، فوجوده قليل. وهذه النتائج تسرّ وتبشّر، ولكن المسألة لا يجوز إهمالها؛ لأن النذر لغير الله وإن كان شبهَ معدومٍ في المجتمع التتري، فإن بعض الناس يجهلون خطورة الشرك فيه ويمارسونه عن جهل، وقد أثبت ستة بالمائة من المجيبين أن هذه الظاهرة لها انتشار في البلد بشكل أوسع من أن يكون "قليلاً".

بل نزيد ونقول إن مفتي التتر في القرن الماضي رضاء الدين التتري قد لاحظ وجود بعض الانحرافات في مسألة النذر ونبّه عليها قائلاً: (النذر المحرم: كذبح قربان بمكان

[1] – **"قل هو الله أحد" إدريس علاء الدين التتري: ص٧٧.**

"خوجالار طاوي" (جبل خوجاوات) أو النذر بالتصدّق لحق خوجا أحمد اليساوي أوخوجا بهاء الدين[1]، أو إلزام نفسه بزيارة قبور بعض الأولياء)[2].

فالانحرافات التي ذكرها رضاء الدين على ثلاثة أضرب:

الأول: النذر لغير الله كالنذر بالتصدق لحق خوجا أحمد اليساوي أو خوجا بهاء الدين أو أي ولي آخر يعتقد الناذر تعظيمه، فهذا النذر شرك؛ لتعظيمه المخلوق تعظيم الخالق، ولصرفه ما حقه لله لغير الله.

الثاني: النذر لله بمكان يعبد فيه غير الله مثلما يحدث في مكان يسمى بجبل الخوجاوات (خوجالار طاوي)، وهذا النذر بعينه ورد النهي عنه في السنة النبوية الصحيحة. فعن ثابت بن الضحاك، قال : نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: ((**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**)). قالوا: لا. قال: ((**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**)). قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: ((**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**))[3]. فالشاهد في هذا الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» استفسر النبي ﷺ هل المكان الذي نذر أن يذبح فيه خالٍ من الشركيات، وعبادة غير الله، والأعياد الجاهلية أم لا، فلما تبين أنه ليس هناك شيء من ذلك أذن له رسول الله ﷺ في الوفاء بالنذر. أما "خوجالار طاوي" فلا يخلو عن عبادة غير الله، بل وضع جدول الزيارات لهذا المكان: فيوم للمسلمين، ويوم آخر للنصارى، ويوم للمجوس، ويوجد بالمكان منبع للماء يعتقدون قداسته وقدرته الشفائية. فهذا كله كافٍ للزجر عن زيارة هذا المكان بله وفاء النذر فيه!

الثالث: النذر لله بما ليس بمشروع أو بمحرم كالنذر بزيارة بعض الأولياء ظناً منه أن في زيارته بعينه قربة لله! فهذا النذر حسب المذهب الحنفي الذي عليه رضاء الدين لا

---

[1] – سبق التعريف بهذا الجبل وبأحمد اليساوي وببهاء الدين.

[2] – "شرح جوامع الكلم" رضاء الدين فخر الدين: ص٥٥٧.

[3] – أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر: ص٥٩٤ برقم٣٣٠٥. وقال الألباني في الموضع المذكور من سنن أبي داود في الطبعة المزوّدة بأحكامه: صحيح.

ينعقد أصلاً؛ لأنه ليس من الطاعات التي لها مثيل من الواجبات، بل لو فعل ذلك معتقداً تعظيم هذا الميت الذي يُدّعى ولايتُه وقع في الإشراك مع الله باتفاق المذاهب!

وهناك حالة أخرى لا يدخلها الشرك بالله، ولكن النذر فيها مكروه وقد يصل إلى التحريم، فيجب أن يَنتبِه له كل من أراد النذر حتى لا يقع فيه.

وضرباً لمثال هذا النذر نذكر قصةً لأحد الأئمة وقعت قبل أن يصبح إماماً، يقول إنه كان في وقت شبابه عاملاً في مناجم سيبيريا وفي أحد الأيام انهارت سقوف المنجم الذي كانوا فيه، فسدّ عليهم المخرج. يقول: (فتعذبنا ثلاثة أيام ونحن في ظلام، وتحت أرجلنا ماء وأوساخ، أما البرد والجوع الذي ابتلينا به فلا يوصف. وحينئذٍ رفعت الأيدي إلى الله: يا عزيز يا الله، لو نجّيتنا من هذا العذاب سأصوم لوجهك الكريم ثلاثة أشهر متتالية. فألف ألف شكر لله تعالى؛ فقد تقبل الله دعائي ونجاني، وذلك لإخلاصي في دعائي ولوفائي في كلامي ولمحبة ديني)[1].

فهذا النذر وإن لم يكنْ محظوراً من ناحية كونه لغير الله؛ لأنه ليس كذلك، بل هو لله- وإن كان تَشوبُ إخلاصَه رغبة في حصول مراده حتى سمي هذا النوع من النذر نذر المجازاة، لكونه يجري مجرى المعاوضات لا خالصاً لوجه الله- فإنه يكون محظوراً إذا اعتقد الناذر أن نَذْرَه هذا سبّب في تخلصه من الهلاك، فهذا باطل لخبر الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى القائل إن النذر لا يغير من الأمر شيئاً!!! فإن كان هناك شيء تسبب في نجاته فهو دعاؤه الخالص لوعد الله بإجابة المضطر وباستجابة المخلص في دعائه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ النمل: ٦٢، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠. فنذره هذا لا يؤثر في الأمر شيئاً، إنما هو إلزام النفس بطاعة الله عند حصول الشرط، لا أكثر! بل دعاؤه المخلص هو الذي يُعدّ من الأسباب المعتبرة في حصول المراد، فلينتبه الناذر لهذه اللطيفة التي تخفى على كثير ممن ينذر في أوقات الشدة والحاجة!

[1] – التقويم التتري الديني ١٩٩٧م": ٢٧ رمضان/ ٥ فبراير.

وكذلك هناك عدة إشكالات التي قد تجعل الإنسانَ يخلط بين النذر وغيره من العقود، فيتساءل البعض[1]: إذا قلتُ لزميلي: إن فعلتَ لي كذا، فعليَّ لك كذا، أليس هذا نذراً؟ وإذا كان نذراً هل يكون شركاً؛ لأنه نذر لمخلوق؟

والجواب على هذا الإشكال: أن هذه الصيغة تشبه صيغة النذر ولكن أن قولك هذا أشبه ما يكون بجُعل ليس فيها أي محذور شرعي؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ يوسف: ٧٢، فهذا ليس نذراً؛ لأنه ليس في حق الله؛ إنما النذر ما ابتغي به وجه الله وكان من أوجه البر المشروعة التي يبتغى به وجه الله.[2] فلذا إذا قال القائل عند قبر الميت: اشفِ مريضي ولك مني شاة، يكون ذلك شركاً في النذر؛ لأن هذه الأعمال- من الدعاء والاستغاثة والاستعانة والتوسل- من أعمال البر التي اختص الله بها، فلا تصرف إلا لله! فهم التزموا بها لغير الله بينما كان حقها لله، فلذلك كان شركاً.

فيتولد عنده إشكال آخر ويقول: إني أقول لصديقي: إذا أتيتَنا ضيفاً فسوف أذبح لك شاةً! والذبح-كما هو معلوم- لا يكون إلا لله؟! فهل هذا الالتزام شرك أيضاً؟

فالجواب على ذلك: بأنك لا تذبح للضيف تقرباً إليه وتعبداً، وإنما تذبح ذبيحتك باسم الله ثم تقدّم الطعام تكريماً للضيف لا تعبداً له. وأيضاً فإن هذا ليس نذرًا؛ لأن الأمر ليس في حق الله، أي: ليس المقصود به طاعة الله[1]، وإنما يتم فيه ذبح الشاة باسم الله للأكلِ وتقديمِه على المائدة، فهذا لا محذورَ فيه إذا لم يُقصد به التقرب والتعبد إلى الضيف بالذبح وإراقة الدم! فالذبح لله والأكل للضيف، وقول القائل "سأذبح شاة للضيف" كنايةٌ عن تقديم

---

[1] – وقد سئلت نحو هذه الأسئلة في روسيا.

[2]– قولنا "إنما النذر ما يبتغى به وجه الله عز وجل" نص حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ٥٥٨/١١، برقم ٦٩٧٥. وقال محقق المسند: حديث حسن. ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن النذر إذا كان بما يبتغى به وجه الله فإن ذلك لا يتم إلا بما كان من وجوه البر الثابتة في الشريعة.

[1] – والذبح – في نظري- له مقاصد أربعة: الأول: الذبح لله لمحض التقرب، الثاني: الذبح باسم الله لا تقرباً بل للأكل، الثالث: الذبح لغير الله وبغير اسم الله وهذا محض شرك لا شبهة فيه، والرابع: الذبح باسم الله ولكن يقصد به التقرب لغير الله (كالذبح للولي عند قبره أو بعيدا عنه) وهذا قد يغتر به بعض العامة وهذا تحايل على الشريعة وهو أيضاً شرك (وقد يقصد به التوسل إلى الله بمكان دفن الشيخ رجاء قبول دعائه عنده) والله أعلم.

لحمها للضيف، لا حقيقةٌ؛ لأن الضيف لا يستفيد من مجرد إراقة دم الشاة إذا لم يُقدم لحمها على المائدة!

المبحث الثالث: التوسل

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التوسل الشرعي عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في التوسل و حكمها.

المطلب الأول

مظاهر التوحيد في التوسل الشرعي عند التتر

المسألة الأولى: تعريف التوسل لغةً:

التوسل من أصل (و– س– ل).

قال ابن فارس: (الواو والسين واللام: الرغبة والطلب، يقال: وسل إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في قول لبيد:

* بلى كل ذي دين إلى الله واسل*

ومن ذلك القياس: الوسيلة)[1].

وقال الجوهري: (الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل. والتوسيل والتوسّل واحد، يقال: وسّل فلان إلى ربه وسيلةً، وتوسّل إليه بوسيلةٍ، أي: تقرب إليه بعمل)[2].

وقال ابن منظور والفيروزآبادي من بعده: (الوسيلة والواسلة: المنـــزلة عند الملك، والدرجة، والقربة. و وسّل إلى الله تعالى توسيلاً أو وسيلة: عمل عملاً تقرب به إليه، كـــتوسّل)[3].

وقال الراغب الأصفهاني: (الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة)[4].

إذن التوسّل في اللغة هو اتخاذ الأسباب التي يتقرب بها إلى تحصيل مقصود مرغوب فيه.

---

[1] – انظر"معجم مقاييس اللغة": مادة (و– س– ل) ١١٠/٦ ، والبيت من ديوان لبيد ٢٨.

[2] – "الصحاح": ص١١٣٩.

[3] – "لسان العرب": ٤٤٢/٦، "القاموس المحيط": ص١٠٦٨.

[4] – "المفردات في غريب القرآن": ٥٢٤.

المسألة الثانية: تعريف التوسل اصطلاحاً:

التوسل في الاصطلاح الشرعي لا يخرج عن معناه اللغوي، إلا أنه يتقيد فيما يُتقرَّب إليه بالله وحده لا شريك له[1]، فلذلك يقيد المفسرون كلمة الوسيلة الواردة في القرآن بالقربة إلى الله؛ يقول قتادة – رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾المائدة: ٣٥، الوسيلة هي القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه.[2]

قال ابن جرير الطبري: (وبه قال أهل التأويل)، ثم ذكر بسنده تفسير الوسيلة بالقربة إلى الله عن كل من ابن عباس، ومجاهد، وأبي وائل، والحسن وغيرهم.[3]

وقال ابن كثير بعد هذا النقل عن ابن جرير: (وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه)[4].

وبهذا المعنى عرّف كلمةَ الوسيلة العلماءُ الآخرون، ومنهم الإمام المحقق ابن تيمية: (ابتغاء الوسيلة العمل بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بالصالح من الأعمال)[5].

إذن يكون التعريف الشرعي للوسيلة والتوسل هو:

(الوسيلة قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه من رضوان الله ونعيمه، والتوسل هو التقرب إلى الله بتلك القربة، وتوسل الداعي هو طلبه المبني على تلك القربة)[6].

---

[1]- ولذلك يرى الزمخشري أن كلمة الوسيلة في الاصطلاح الشرعي استعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. انظر "الكشاف" للزمخشري: ص٢٨٨.

[2]- نقل المفسرون هذا التفسير لكلمة الوسيلة عن قتادة.

[3]- انظر تفسير الطبري: ٢٧٢/٦.

[4]- تفسير ابن كثير: ١٠٣/٣.

[5]- "الاستغاثة في الرد على البكري" لابن تيمية: ص٢٩١، وانظر "اقتضاء الصراط المستقيم": ٣١٢/٢، و"قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة": ص ١٣١.

[6]- وهذا التعريف لمبارك الميلي- رحمه الله. انظر "تهذيب رسالة الشرك ومظاهره": ص٩٩. وقد يذكر العلماء في تعريف الوسيلة والتوسل تعريفاً عاماً وهو التقرب إلى الله بالطاعة مطلقاً، وتعريفاً خاصاً وهو التقرب إلى الله متخذاً تقربه سبباً لإجابة الدعاء. انظر "كتاب التعريفات الاعتقادية":١٣٣-١٣٤. والتعريف الذي ذكره الميلي شامل لكلا النوعين. والتوسل المعني في بحثنا هو التوسل بمعناه الخاص.

فهذه القربة وهذا التقرب لا يكون إلا بمعنى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، ويكون رغبةً من العبد في نيل المنـــزلة العالية عند الله ودخول جنته سبحانه. إذاً جميع العبادات والقرب المشروعة تعتبر وسيلة تقربنا إلى الله تعالى، وتكون سبباً لسلامتنا من غضب الله علينا ولنجاتنا من النارِ، ولحلول رحمة الله فينا ولدخولنا جنتَه مع الأبرارِ.

فإذا كانت الوسيلة والتوسل على ما وصفنا إذاً لا بد للواسل أو المتوسل إلى الله أن يحقق في توسله شرطين اثنين لا يكون توسله مشروعاً بدونهما: الإخلاص والمتابعة، وهما- كما هو معلوم- شرطا العبادة.

فيجب أن يكون العبد المتوسل إلى الله قاصداً بعمله وجه الله تعالى، لا يتوجه إلا إليه وحده دون الإشراك معه أحدًا: لا ملكاً، ولا نبياً، ولا عبداً صالحاً؛ ولا يتوجه إلى الله تعالى إلا بما شرعه الله، كما يجب أن يكون أداؤه موافقاً لما كان عليه الرسول ﷺ، فلا يبتدع من عند نفسه: فلا يزيد على المشروع، ولا ينقص منه، ولا يفعل في غير زمانه الذي شرع له، ولا في غير مكانه الذي حدّد له وإلا كان توسله هذا بدعةً وأمراً مردوداً، بله أن يتقرب به إلى الله! فكيف يتقرب بما لا يقبل منه أصلاً! إن الله هو الذي أمرنا أن نعبده، وهو الذي رضي بكيفية وكمية معينة شرعها لنا، وأما الذي ليس عليه أمره فهو مردود غير مقبول عنده سبحانه.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن توسل الداعي على نوعين اثنين: مشروع وممنوع.

المسألة الثالثة: التوسل المشروع:

التوسل المشروع هو التوسل بالوسائل الصحيحة التي جاءت بها الشريعة، ويتفرع إلى ثلاثة أنواع:

الأول: وهو أن يتوسل بما لله من الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف: ١٨٠، وقد ورد في أحاديث كثيرة دعاء النبي ﷺ متوسلاً فيه بأسماء الله تعالى وصفاته، وإقرارُه للآخرين في ذلك، منها: ما روي عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بقوله: ((**اللهم رب جبرائيل**

وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))[1]، وما روي عن أنس- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: ((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: **لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))**[2].

الثاني: التوسل بصالح الاعتقادات والأقوال والأعمال التي قام بها الداعي.

١- التوسل بصالح الاعتقادات كالتوسل بالإيمان الصحيح الصادق، فيقول المتوسل: اللهم بإيماني بك... ،أو يقول: بمحبتي لك...،

والدليل على مشروعية ذلك ما قاله سبحانه تعالى عن أولي الألباب من عباده: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٣.

والدليل الآخر ما رواه أصحاب السنن عن بريدة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: ((**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))**[3].

---

[1] – أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة النبي ودعائه بالليل: ص٣١٤ برقم١٨١١ (٧٧٠).

[2] – أخرجه أبو داود في أول كتاب الصلاة، باب(٣٥٨) الدعاء: ص٢٥٧ برقم ١٤٩٥، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر: ص٢١١ برقم ١٣٠٠، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم: ص٦٣٥ برقم٣٨٥٨. ورمز الألباني للحديث بالصحة، انظر المواضع المذكورة من السنن في طبعة المعارف المزودة بأحكامه.

[3] – أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ: ص٧٨٩ برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم: ص٦٣٥ برقم٣٨٥٧، وحكم الألباني على الحديث بالصحة، انظر الموضعين المذكورين من السنن في الطبعة المذيلة بأحكامه.

٢- التوسل بالعبادات القولية كتقديم قراءة القرآن والأذكار والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء فيما رواه أبو داود وصححه الترمذي أن النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي ويدعو، ولم يحمد ربه ولم يصلِّ على نبيه، فقال: ((**عجل هذا**))، ثم دعاه فقال: ((**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، وليصلِّ على النبي وليدع بعد بما شاء**))[1].

٣- التوسل بصالح الأعمال وهو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به، كما ورد ذلك في الصحيحين عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ((**بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر فأوَوْا إلى غار في جبل، فانحطّت على فَمِ غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحةً لله فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم. قال أحدهم: اللهم، إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صِبْيَةٌ صغارٌ كنت أرعى عليهم، فإذا رُحتُ عليهم حلبتُ فبدأت بوالديَّ أسقيهما قبل بنيَّ، وإني استأخرت ذات يوم ولم آت حتى أمسيت فوجدتهما ناما، فحَلَبْتُ كما كنت أحلب، فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما وأكره أن أسقي الصبية، والصبية يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله فرأوا السماء. وقال الآخر: اللهم، إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت منها، فأبت علي حتى أتيتها بمائة دينار فبغيت حتى جمعتها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة، ففرج. وقال الثالث: اللهم، إني استأجرت أجيراً بفَرَقِ أرزٍ، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورُعاتَها، فجاءني فقال: اتق الله، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر ورعاتها فخذ، فقال اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ**

[1] - رواه أبو داود في أول كتاب الصلاة، باب (٣٥٨) الدعاء: ص٢٥٥ برقم ١٤٨١، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٥): ص٧٩٠ برقم ٣٤٧٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، انظر الموضعين المذكورين من السنن في طبعة المعارف المزودة بأحكامه.

بك فخذ، فأخذه، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله))[1].

الثالث: التوسل بطلب الدعاء من غيره من الأحياء:

وصورته أن يطلب الداعي المتوسل إلى الله من غيره أن يدعو له، وهذا مأذون فيه ما لم يكن ذريعة إلى منهي عنه كطلب الدعاء والشفاعة من الأموات والغائبين.

والدليل على جواز التوسل بدعاء الأحياء الصالحين ما رواه البخاري في صحيحه من استسقاء عمر بن الخطاب بدعاء العباس- رضي الله عنه- عم النبي ﷺ؛ فقد ورد عن أنس أن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا[2] وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون.[3]

هذا الحديث وغيره من الأحاديث يبين أن الصحابة كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته، وكذلك هو جائز بدعاء الصالحين الأحياء الحاضرين بين أظهرنا ولا سيما إذا كانوا من ذوي قرابة النبي بعد موته ﷺ.

قال بدر الدين العيني في ترجمة قول عمر "إنا كنا نتوسل إليك بنبينا... إلى آخره": (بيانه أنهم كانوا إذا استسقوا كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته، وبعده استسقى عمر ومن معه بالعباس عم النبي فجعلوه كالإمام الذي يسأل فيه؛ لأنه كان أمس الناس بالنبي وأقربهم إليه رحما، فأراد عمر أن يصلها ليتصل بها[4] إلى من كان يأمر بصلة الأرحام).[5]

---

[1] – **أخرجه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم: ص٣٧٤ برقم ٢٣٣٣، ومسلم في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال: ص١١٨٨ برقم ٦٩٤٩ (٢٧٤٣).**

[2] – **ومعنى التوسل بالنبي في الاستسقاء هو طلب الدعاء من النبي ﷺ في حياته أن يدعو بالمطر.**

[3] – **أخرجه البخاري، كتاب أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا: ص١٦٢ برقم١٠١٠، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: ص٦٢٦ برقم ٣٧١٠.**

[4]– **ليتصل بها أي: ليتوسل بها إلى الله الذي يأمر بصلة الأرحام. انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩/٣.**

[5] – **"عمدة القارئ شرح صحيح البخاري": ٥٠/٧.**

وقد ذكر أصحاب الشروح صفة دعاء العباس: (... قال عمر: قل يا أبا الفضل، فقال العباس: اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة فاسقنا الغيث)[1].

بالنظر إلى آثار الصحابة نجد أنهم- رضي الله عنهم- عدلوا عن التوسل برسول الله ﷺ بعد موته إلى التوسل بدعاء العباس، فدل على أن التوسل بدعاء النبي ﷺ قد انقطع بموته، فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً لما عدل الصحابة عن الرسول ﷺ إلى العباس- رضي الله عنه.[2]

وفي "تحفة الأحوذي": (الحق عندي أن التوسل بالنبي ﷺ في حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح في حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضا جائز، وأما التوسل به ﷺ بعد مماته وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز، واختاره الإمام ابن تيمية في رسالته التوسل والوسيلة وقد أشبع الكلام في تحقيقه وأجاد فيه...)[3].

هذا كلام السلف وتطبيقاتهم لمفهوم التوسل.

أمّا المجتمع التتري فقد ذكر بعضُ علمائهم من القرن الماضي بعضَ مفاهيم التوسل الصحيحة. قال رضاء الدين بن فخر الدين: (تبين تعاليم الإسلام أن الله تعالى عالم بكل شيء؛ فلا يحتاج الإنسان عند إخلاصه بالدعاء والعبادة، وعند الإيمان بالله تعالى، وعند التوبة إليه سبحانه إلى اتخاذ الواسطة بينه وبين الله. فلذلك يجب أن يكون كل من العبادة، والطاعة، والخضوع، والدعاء والتوبة والترجي كلّه موجهاً لله خاصةً)[4].

وكذلك ذكر شيئاً من هذه المسألة بعض المعاصرين من أئمة التتر، قال صاحب كتاب "قل هو الله أحد": (قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠، ذكرت هذه الآية في

---

[1] – انظر مثلا "عمدة القاري": ٥١/٧.

[2] – اقتبست الكلام من "أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة" لمحمد الخميس: ص٢٧١.

[3] – "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": باب في دعاء الضيف: ٢٧/١٠.

[4] – "مجموعة من الدروس: العقيدة، الدين الإسلامي، الأدب والأخلاق) لرضاء الدين بن فخر الدين: ص٤٧.

مسائل التوحيد بقصد توجيه الناس إلى الدعاء بذكر أسماء الله وصفاته، ومنعِ الناس في أدعيتهم عن التوسط بالأموات... وإذا ورد سؤال: كيف يكون الدعاء بأسماء الله وصفاته؟ الجواب: هو أن تقول عند سؤال حاجتك: "يا ربّ أنت العليم فارزقنا علماً، أنت القدير فارزقنا قوة وقدرةً...)[1].

أما مظاهر التوسل الصحيح لدى الشعب التتري، فمن أبرزها:

- أن الناس إذا اجتمعوا في المجالس أو المناسبات، فإنهم يقرؤون القرآن، ثم يدعون متوسلين بالقراءة: (إنا نسألك بهذه القراءة المعظمة...). وهذا الأمر ظاهر مشهور لا يخلو منه مجلس من مجالسهم[2]، والتوسل بقراءة القرآن أمر حسن موافق لما ورد في الحديث النبوي: ((**من قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى به، فإنه سيجيء قوم يقرأون القرآن يسألون الناس به**))[3].

وهذا هو التوسل بصالح الأعمال والأقوال التي يقوم بها المتوسل قبل الدعاء.

- وكذلك بعض الناس إذا أرادوا أن يخرجوا للسفر أو إذا حزبهم الأمر وأرادوا أن يلجأوا إلى الله ويدعوه يأتون إلى المسجد ليضعوا الصدقة في الصناديق المخصصة للصدقات ثم يطلبون من الإمام أن يدعو لهم بحضرتهم وهم يؤمنون. فهذا كذلك -كما لا يخفى- في أصله أمر مشروع حسن. وهو من التوسل بصالح الأعمال التي يقوم بها المتوسل قبل الدعاء، وهو أيضاً من التوسل بدعاء الصالحين. وهذا كله مشروع، ولكن ينبغي ألا يتخذ الذهاب

---

[1] - "قل هو الله أحد": ص ٢٢٨-٢٣١.

[2]- الكلام هنا عن التوسل نفسه، فالتوسل بقراءة القرآن جائز فهو من أنواع التوسل بالعمل الصالح، أما المجالس فهي على أنواع، فمنها ما هو جائز كمجالس الزواج، ومنها ما هو بدعة منكرة كمجالس المآتم في اليوم الثالث على الميت وغيرها، فالكلام في حكم هذه المجالس في موضع آخر من البحث.

[3] - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب (٢٠): ص٦٥٢ برقم٢٩١٧ وقال: قال أبو عيسى هذا حديث حسن ليس إسناده بذاك. والإمام أحمد في مسنده: ١١٦/٣٣ برقم ١٩٨٨٦. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة": م١/١ ص٥١٧ برقم٢٥٧.

وقد تكلم رضاء الدين بن فخر الدين عن المسألة المذكورة في الحديث في "شرح جوامع الكلم": ص١٩٨.

إلى المسجد والتصدق هناك عند الشدائد أو عند السفر عادة مستمرةً بحيث يظن بها أنها سنة! بل أعمال الخير التي يمكن التوسل بها لا تنحصر في وضع الصدقات في الصناديق، والدعاء لا ينحصر قبوله في أئمة المساجد، فإن العبرة بالصلاح وصدق الالتجاء إلى الله.[1]

- وكذلك هناك ظاهرة أخرى منتشرة بين المسلمين في تتارستان، وهي أن يقول الواحد للثاني عند الفراق: "لا تنسونا من صالح دعائكم". فهذا من نوع التوسل بدعاء الصالحين، وهو مشروع، ولكن يجب ألا يُتخذ ذلك ديدناً، فإنه لم يكن من هدي سلفنا الصالح.

أما اتخاذ الناسِ الوسطاءَ بينهم وبين الله والتوسل بهم إليه سبحانه فهذا يكاد لا يوجد في المجتمع التتري، وسوف نتكلم عنه في المطلب الثاني — بإذن الله.

[1] – ويلاحظ في هذه الصورة من التوسل أن بعض الناس حين يطلبون من الإمام أن يدعو لهم لا يطلبون منه الدعاء لاعتقادهم بأن الإمام أولى بقبول دعائه (وإن كان ذلك صحيحاً؛ لأن الإمام يظن به الصلاح والتدين والصالحون أرجى لقبول دعائهم، وليس الأمر متعلقاً بوظيفة الإمامة وإنما العبرة بالصلاح وصدق الالتجاء) بقدر أن الناس لا يعرفون كيف يدعون وبماذا يدعون؛ فيفضلون أن يدعو لهم أصحاب الاختصاص والمعرفة بما يناسب حالهم. وهذا — في الحقيقة— لا يمكن أن يصدر إلا من أناس ظلوا فترة طويلة متأثرين بعقيدة الإلحاد بعيداً عن الدين والإيمان بالله، حتى إذا كشف ستار الكفر وتوجه الناس إلى الدين وجدوا أنفسهم لا يحسنون حتى الدعاء.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في التوسل لدى التتر وحكمها

المسألة الأولى: أنواع التوسل الممنوع:

قبل الحديث في مظاهر الانحراف في مسألة التوسل أريد أولاً أن أبين أنواع هذا الانحراف، وذلك بما يلي:

النوع الأول: التوسل إلى الله بذوات الأحياء والأموات بمعنى دعائهم:

وهو أن يدعو الداعي المتوسَّلَ به نفسه من الأنبياء، أو الأولياء، أوالصالحين، ويستغيث به ويطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله متخذاً إياه واسطة فيما يطلبه من الله.[1] وهذا النوع من التوسل نراه في قوله تعالى حاكياً حال المشركين: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣، وهو من الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء لغير الله، وهو مِنْ صرفِ العبادة لغير الله، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧. وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥.

و لم يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستغيث بالصالحين من عباده أو ندعو أنبياءه حتى تستجاب دعوتنا، بل قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

---

[1]- **إطلاق التوسل على الاستغاثة أمر محدث. إن ذلك من حيث المنطق واللغة غير صحيح؛ فإن الناس يفرقون بين المدعو والمدعو به. فالمدعو هو الذي يدعى ويطلب منه ويستغاث به ويتوسل إليه، والمدعو به هو الذي يتوسل به، ويطلب به، ولا يدعى، ولا يستغاث به، ولا يطلب منه. فلذلك كان استعمال كلمة التوسل تجاه الاستغاثة خطأ وتغييراً للمفاهيم، فهو اصطلاح أحدثه القبوريون تمويهاً وتلبيساً على العامة بينما هو غير معروف بهذا المعنى عند السلف ولا في لغة العرب. انظر: "مجموع الفتاوى": ١/١٠٣-١٠٥، ٢٠١، "الدرر السنية": ١٥/٥٣.**

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أراد بالواسطة: أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم؛ يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار)[1].

وكذلك يستأنس بما سبق ذكره من كلام رضاء الدين بن فخر الدين التتري في عدم جواز اتخاذ الواسطة بين الداعي وبين الله، حيث قال: (تبين تعاليم الإسلام أن الله تعالى عالم بكل شيء؛ فلا يحتاج الإنسان في عبادته، وفي إخلاصه بالدعاء، وفي الإيمان بالله تعالى، وفي التوبة إليه سبحانه إلى اتخاذ الواسطة بينه وبين الله. بل يجب أن يكون كلٌّ من العبادة، والطاعة، والخضوع، والدعاء والتوبة والترجي كلّه موجهاً لله خاصةً)[2].

النوع الثاني: التوسل في دعاء الله بحق بعض المخلوقات:

وهذا النوع من التوسل يكون بجعل ذات النبي ﷺ أو غيره وسيلةً في دعاء الله، كأن يقول الداعي في دعائه: اللهم إني أسألك بنبيك محمد ﷺ أو بحق نبيك أو بحق فلان إقساماً به على الله، فهذا محظور.

قال أبو حنيفة وصاحباه- رحمهم الله: (يُكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام ونحو ذلك)[3].

وقال ابن تيمية- رحمه الله: (والذي قاله أبوحنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء – من أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالى بمخلوق، لا بحق الأنبياء ولا غير ذلك – يتضمن شيئين كما تقدم:

أحدهما: الإقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهيٌّ عنه عند جماهير العلماء كما تقدم، كما ينهى أن يقسم على الله بالكعبة والمشاعر باتفاق العلماء...)[4].

قال ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله: (وإن كان مراده الإقسام على الله تعالى بحق

---

[1]- **"مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ١٢٣/١.**

[2] – **"مجموعة من الدروس: العقيدة، الدين الإسلامي، الأدب والأخلاق) لرضاء الدين بن فخر الدين: ص٤٧.**

[3] – **"شرح العقيدة الطحاوية": ٢٣٤/١، "شرح الفقه الأكبر" لملا علي القارئ: ص١٩٨.**

[4]– **"قاعدة جليلة": ص١٠٧، "مجموع الفتاوى": ٣٤٤/١.**

فلان، فذلك محظور؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز على المخلوق، فكيف على الخالق؟!)[1].

وثانيهما: كما قال ابن أبي العز: (اعتقاده أن لأحد على الله حقاً، ... وليس لأحد على الله حقٌ إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الروم: ٤٧،... فإن فلاناً (نبياً كان أو عبداً صالحاً) وإن كان له حق على الله بوعده الصادق، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء)[2].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا يجوّزه طائفة من الناس، ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس، لكن ما رُوِيَ عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع. وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى[3]... وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ أن يقول: "اللهم شَفِّعْه فيَّ" ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ. ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدْعُ لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله.

ودعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور- وهو بين المهاجرين والأنصار- بقوله: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا" يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ

---

[1]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٢٣٣/١. وأصل العبارة من كلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ٢١١/١.

[2]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٢٣٣/١.

[3]- وهو ما ورد عن عثمان بن حنيف: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: ((إن شئت دعوت وإن شئت صبرت، فهو خير لك))، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ). رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب- ١١٩: ص٨١٣ برقم ٣٥٧٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة: ص٢٤٥ برقم ١٣٨٥. ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٤٨٠/٢٨ برقم ١٧٢٤١. وصححه الألباني، انظر الموضعين المذكورين من سنن الترمذي وابن ماجه في طبعة المعارف المزودة بأحكامه.

لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس)[1].

النوع الثالث: التوسل في دعاء الله بجاه مخلوق أو بمنزلته أو ببركته:

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي: (يقال تارة: بجاه فلان عندك، أو: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور؛ فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه؛ يطلبون منه أن يدعو لهم وهم يؤمنون على دعائه كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ قال عمر- رضي الله عنه - لما خرجوا يستسقون: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) معناه: بدعائه هو ربَّه وشفاعتِه وسؤالِه، ليس المراد: أنّا نُقسِم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس)[2].

وهذا التوسل قد يشمل نوع إقسام على الله أيضاً؛ قال صاحب "تحفة الأحوذي" إن صحابة رسول الله ﷺ بعد موته توسلوا بالعباس عم النبي ﷺ مع أنه كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ﷺ ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بجاه النبي ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به، فيقولون: "نسألك أو نقسم عليك بنبيك" أو "بجاه نبيك" ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس.[3] وهذا محذور — كما تبين آنفاً.

وهذا التوسل أي: التوسل بجاه المخلوقين، أو منزلتهم، أو بركتهم، أو التوسل بحقوقهم من البدع في العقيدة الإسلامية، وهو وإن لم يكن شركاً فهو ذريعة إليه، ولذلك فهو ممنوع شرعاً إبعاداً للمسلم عن فعل شيء يفضي به إلى الشرك.[4]

---

[1]- "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة": ص١٠٧-١٠٨، وهو في "مجموع الفتاوى" في: ٩٤/١٤.

[2]- "شرح العقيدة الطحاوية": ٢٣٤/١.

[3] - انظر "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": ٢٨/١٠ عند شرحه لحديث برقم ٣٨١٣.

[4]- انظر "أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع" لعبد الله الأثري: ص٩١.

المسألة الثانية: مظاهر التوسل غير المشروع لدى بعض مسلمي تتارستان:

فمنها ما يلي:

١- التوسل بذوات المخلوفين: بجاههم أوحرمتهم أوحقهم:

إن الانحراف في مسألة التوسل يظهر كثيرا في أدعية الناس حيث يدعو كثير منهم الله تعالى بجاه النبي ﷺ، أو بحقه، أو بحرمته، أو بحرمة الكعبة، أو نحو ذلك كـــالتوسل بحق الشيخ، أو جاهه، أو حرمته، أو بركته. وإليك بعض الأمثلة من كلام بعض علماء التتر:

يقول محمد بن عبد الوهاب الشستاوي التتري في بيان الأذكار على الطريقة النقشبندية: (...ويجب على المريد أن يقول: "يا ربي، تقبل مني بجاه مشايخ الطريقة النقشبندية)[١].

وقال العالم التتري المؤرخ ملا مراد رمزي في كتابه "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": (هداهم الله سبحانه وإيانا إلى صراط مستقيم، وبصّرَنا بعيوبنا، ورزقنا حسن النظر فيما فيه منافعنا ونجّانا من الفكر العقيم والرأي السقيم، **بجاه** النبي الكريم؛ إنه بنا رؤوف رحيم)[٢].

وقال في كتابه الآخر "نفائس السانحات في تذييل الباقيات": (إن توسل المريد إلى الله بمشايخه أمر محمود ... وكلمة "الوسيلة" تجمع في نفسها عدة أمور، منه الطاعة والأولياء)، وقال في نهاية كتابه هذا: (ولنختم كلامنا بالتوسل إلى الله سبحانه بمشايخنا الكرام...، نسأله متوسلين بجاه سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبجاه سيدنا أبي بكر الصديق، وبجاه سيدنا سلمان الفارسي، وبجاه سيدنا الإمام...) ثم واصل ذكر سلسلة الطريقة النقشبندية منتهياً بمشايخه.[٣]

قال أبو عبد الرحمن شاكرجان حامد الله التتري في كتابه "عماد الإسلام" في بيان درجات المؤمنين: (وإذا قال مؤمن متعلقاً بأستار الكعبة: اغفر ذنوبي يا الله بحق الكعبة،

---

[١]- "تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين" لمحمد الشستاوي التتري: ص١١.

[٢]- "وقائع قازان" ١/ ص ٢٦.

[٣]- "نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات" لملا مراد رمزي القازاني التتري: ص١٨٧، ٢٥٥، وانظر أيضاً هذا الكتاب مترجماً باللغة التترية ضمن كتاب "طبقات خوجاوات النقشبندية" لشعيب بن إدريس الباقيني: ص٩١، ١١٣.

ستغفر له بحرمة الكعبة...ويقال للمؤمنين يوم القيامة: يا أمة محمد إن الذنوب التي بيني وبينكم قد غفرتها لكم **بحرمة** محمد، فادخلوا الجنة)[1].

وهناك أمثلة كثيرة في كتب علماء التتر وأئمتهم على التوسل بجاه النبي ﷺ وحرمته، لم يسلم منه حتى بعض العلماء المهتمين بالحديث كأبي الحسن عطاء الله القورصاوي[2]، وكذلك ما نسمعه اليوم كثيراً في بعض المجالس من دعاء بعض الأئمة.[3]

وهذا الذي ذكرناه من مظاهر التوسل لدى التتر ممنوع في الشرع – كما أثبتنا ذلك من كلام أئمة السلف – رحمهم الله.

إننا نعترف ونقر بأن الأنبياء وأولياء الله بل وكل عبد صالح –كما يذكره ابن تيمية– لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضي أن يرفع الله درجاتهم ويعظم أقدارهم ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا، مع علمنا أنهم لن يشفعوا إلا بإذنٍ من الله، فقد قال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾البقرة: ٢٥٥، ويقتضي أيضاً أن من اتبعهم واقتدى بهم فيما سُنَّ له الاقتداءُ بهم فيه، كان سعيداً، ومن أطاع أمْرَهم الذى بلّغوه عن الله كان سعيداً، ولكن ليس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله، أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين، وينفعه أيضا إذا دعوا له وشفعوا فيه .

فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة، ولا منه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن متشفعا بجاههم، و لم يكن سؤاله بجاههم نافعا له عند الله.[4]

وقال صاحب "تحفة الأحوذي": (...فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم، فليس هذا

---

[1]– "عماد الإسلام" لشاكر جان حامد الله: ص٤. وانظر أيضاً "أفضل الإحسان لأولاد الإسلام": ص٧٦. وكلامه هذا لا دليل عليه لا من القرآن ولا من السنة المطهرة.

[2]– عطاء الله القورصاوي الحنفي (وقد سبقت ترجمته في ص١٠١) شرح مجموعة من الأحاديث التي جمعها المحدث التتري عبد الخالق القورصاوي وسمى شرحه بـــ"كتاب الرقاق" قال فيه: (فأسأل الله العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم... بحرمة سيد المرسلين...) ص٣. ينظر مقدمة الكتاب المذكور.

[3]– وذلك من ملاحظاتي الشخصية.

[4]– "التوسل والوسيلة" ضمن "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ٧٣/١٤.

مشروعا عند الصحابة والتابعين، بل عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، ومن بحضرهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا أو استشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا، ولم يستشفعوا، ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ: لا عند قبره ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر: "*اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا؛ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا؛ فاسقنا*"، فجعلوا هذا بدلا عن ذاك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه).[1]

ولكن هناك حالة ينبغي أن نذكرها وهي أن يقول قائل: "أسألك بنبيك محمد"، على أنه أراد: إني أسألك بإيماني به وبمحبته، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته، أو حمل القول "بحرمة نبيك" على الإيمان به ووضعه بمنزلة محترمة ووصفه حرمة لائقة بمكانة النبوة ونحو ذلك، فهذا جائز. وهذا الذي يعنيه بعض الأئمة والدعاة في المجتمع التتري الذين يدعون الله بمثل هذه العبارات.[2]

يقول ابن تيمية- رحمه الله- مبيناً هذه اللطيفة: (من أراد هذا المعنى فهو مصيب فى ذلك بلا نزاع، وإذا حمل على هذا المعنى كلام من توسل بالنبى ﷺ بعد مماته من السلف كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين وعن الإمام أحمد وغيره كان هذا حسنا، وحينئذ فلا يكون فى المسألة نزاع، ولكن كثير من العوام يطلقون هذا اللفظ ولا يريدون هذا المعنى، فهؤلاء الذين أنكر عليهم من أنكر)[3].

إذاً، هذا اللفظ كثيرا ما يراد به المعنى غير الصحيح، فلذا ينبغي تركُه خشية اشتباه الصحيح بالباطل، والعدولُ إلى الألفاظ الواضحة غير المحتملة، كقولنا: أسألك بإيماني به وباتباعه... وهكذا.

[1]- انظر "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": ١٠/٢٨ عند شرحه لحديث برقم ٣٨١٣.

[2]- قد أَثَرْتُ هذه المسألة في حديثي مع أحد الأئمة وهو الإمام المحتسب المشرف على منطقة زيلينودولسك (منظقة غربية) في تتارستان، وتبين لي أن هذا الأمر حاصل في المجتمع التتري.

[3] - "التوسل والوسيلة" ضمن "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ١٤/٧٤.

٢- التوسل بذوات المخلوقين بمعنى دعائهم واتخاذهم وسطاء بينهم وبين الله:

وهناك صورة من الانحراف في التوسل الممنوع خطيرة يصل حدها إلى الشرك الأكبر- والعياذ بالله، ومع أن هذا الانحراف قليل الانتشار في المجتمع التتري، فقد تكلم فيه وذكر صورته أحد علماء التتر رضاء الدين في كتابه "شرح جوامع الكلم"، حيث قال: (الذهاب إلى القبور عند أطلال بلغار وجبل الخوجوات وإلى المنابع وإلى تربة بهاء الدين النقشبندي وضريح خوجا أحمد اليساوي، وإلى قبر إيشان جعفر على شاطئ نهر "أورشاك"[١]، وقبر قاشان وسانتاش في قرية شيشما،[٢] ثم ذبح القرابين المنذورة هناك والتقرب بهذه النذور والقرابين إلى الذوات والأماكن المذكورة أو جعلها واسطة بينهم وبين الله ممنوع في الشريعة، ويعد فساداً وضلالاً؛ إذ لم يعلمنا رسول الله ﷺ أن التقرب إلى الله يكون بهذه الطريقة و لم يُنقَل جواز ذلك عن الصحابة الكرام، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا عن علماء السلف الصالح، وما لم ينقل عن الرسول ﷺ يكون طلب الفائدة والثمرة المرجوة به عبثاً!)[٣].

وقال في موضع آخر من كتابه القيم أن المقابر صارت سوقاً كبيراً لكسب المال؛ بحيث يزين بعض الدجالين بعض القبور بالقناديل والسجادات والعطور، ثم يشيعون خبراً أن صاحب هذا القبر ولي، فتأتيه جماعات من المساكين ليتخذوه واسطة يسألون به حاجاتهم. ثم قال معلقاً على ذلك: (وهذه الأعمال ليست عديمة الفائدة فحسب، بل هي من البدع الضارة)[٤].

وأيضاً، فإن صاحب كتاب "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل" طيّب بن ملا علمان التتري قال مستشعراً أهمية التوحيد وخطورة الشرك على الناس: (لا يحصل لأحد كمال

---

[١]- نهر "أورشاك" نهر في غرب جمهورية بشقرطستان المجاورة لجمهورية تتارستان وهي منطقة يكثر فيها سكان تتر. انظر موقع فيكيبيديا: http://ru.wikipedia.org/wiki/Уршак_(река).

[٢]- قد تقدم ذكر بهاء الدين النقشبندي وأحمد اليساوي مع ترجمتهما، أما إيشان جعفر وقاشان وسانتاش فأسماء لرجال من أهل التتر والبشقرط وهم غير مشهورين اليوم، فلم أتحقق منها لعدم الفائدة. و"شيشما" قرية في جمهورية بشقرطستان المجاورة لتتارستان. والله أعلم.

[٣] – "شرح جوامع الكلم" رضاء الدين بن فخر الدين: ص٣٧٧.

[٤] – شرح جوامع الكلم: ص٢٤١. ويلاحظ أن هذه البدع الضارة إذا احتوت على دعاء هؤلاء المقبورين وتقديم القرابين والنذور لهم- لا شك- تكون من الشرك الأكبر- والعياذ بالله.

التوحيد حتى يتخلص من أنواع الشرك. فأوّل ما يلزمه عدم الإشراك في الألوهية، وهذا يعني ألا تدعو- على عكس المجوس- إلا اللهَ تعالى، فلا يجوز تعظيم الأصنام والأوثان وعبادتهم؛ لأنها كلها من مخلوقات الله. فرجاء المنفعة منهم قائلين إنهم سيشفعون لنا وسيقضون حاجاتنا، وبالتالي دعاؤهم متوسلين بعبادتهم كُفْرٌ. وهذا مثل كفر الصابئة الذين كانوا يناجون القمر والشمس والنجوم زاعمين أنها من عباد الله المقبولين. إنهم قالوا: "دعاؤنا غير مقبول عند الله، لأننا تغرقنا في المعاصي؛ فلذا ندعوهم وهم بدورهم سيقربوننا إلى الله وسيشفعون لنا عنده". فهؤلاء بهذا السبب كفار. فلذا، فإن كل مؤمن إذا طلب العون، أو الغنى، أو الشفاء، أو أن يُرزق مالاً، أو ولداً، فإنه يجب عليه أن يتوجه في طلبِ ذلك كله وسؤاله إلى الله وحده سبحانه. أما التوجه بالسؤال إلى الأحجار، أو الأشجار، أو الأنبياء، أو الأولياء، فيعتبر شركاً في الألوهية وكفراً. فمثلاً: لو كانت عند زيد حاجة وكان مضطراً فطلب العون من أرواح المشايخ معتقداً أنهم يعرفون الغيب، فهذا يلزمه تجديدُ إسلامِه ونكاحِه)[١].

هذا كلام بعض علماء التتر من القرن الماضي يحذرون به المجتمع التتري من الوقوع في مثل هذه المحرمات، وذلك رغم أن هذه الظاهرة ليست متفشية في تتارستان لا سيما اليوم- ولله الحمد.

وقد أبانت نتائج الاستبانات الموضَّحة في الجدول التالي مدى انتشار ظاهرة التوسل الممنوع في المجتمع التتري اليوم:

№	форма проявления того или иного рода поклонения صورة الظاهرة في الأذكار والأدعية	مدى وجود هذه الظاهرة сильно كثير	 средне متوسط	 слабо قليل	 отсутств لا يوجد
11	обращение к Господу через посредников. دعاء الله باتخاذ الوسطاء بينهم وبين الله	3,8	6,1	11,4	78,8
13	обращение к мёртвым с мольбой о заступничестве перед Аллахом. طلب الشفاعة من الأموات ليشفعوا لهم عند الله	6,1	5,3	6,9	81,7

الاستبانة رقم١/ السؤال رقم١١، والسؤال رقم١٣.

[١]- "خلاصة المسائل ومهمة الدلائل" لطيب بن ملا علمان التتري: ص ٥١.

نرى في نتائج الجدول أن ٧٨,٨ % من المجيبين على السؤال برقم ١١ من الاستبانة رقم١ أشاروا إلى عدم وجود ظاهرة دعاء الله باتخاذ الوسطاء بين الداعي وبين الله، وكذلك أشار ١١,٤ % من المجيبين أن هذه الظاهرة إن وجدت فوجودها في المجتمع التتري قليل جداً، بينما يرى ٦,١ % أن وجودها متوسط الانتشار، ويرى ٣,٨ % منهم أنها كثيرة الانتشار.

وكذلك النتائج الموضحة في الجدول عند السؤال رقم ١٣ (ما مدى انتشار طلب الشفاعة من الأموات ليشفعوا لهم عند الله؟) لم تختلف كثيراً عن سابقتها؛ فإن ٨١,٧ % من المجيبين على السؤال أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، و ٦,٩ % منهم أشاروا إلى أنها إن وجدت، فإن انتشارها قليل، بينما يرى ١١,٤% من مجموع المجيبين أن هذه الظاهرة موجودة بين التتر؛ إذ أجاب ٥,٣ % من المجيبين بأنها متوسطة الانتشار، وأجاب ٦,١ % من المجيبين بأنها كثيرة الانتشار.

وهذه النتائج تدل على أن اتخاذ الوسطاء والتوسل بهم إلى الله ظاهرة غير منتشرة بين مسلمي التتر– ولله الحمد.

ورغم أن هذه الظاهرة ليست متفشية في تتارستان اليوم، فإن إظهار كلام الإمام رضاء الدين وغيره من أئمة التتر مهم في قمع مثل هذه البدع المنكرة، خاصةً إذا علمنا أن هناك توجّها لبعض الطوائف في المجتمع التتري لمحاولة إحياء العادات الصوفية خاصة الطريقة النقشبندية منها بحجة: "أن ذلك من تراث الشعب التتري؛ فلذا يجب الاعتناء به"، وربما يُخرِجون للناس بعضَ النصوص الواهية مستدلين بها على جواز التوسل بالمخلوقين واتخاذهم وسطاء بينهم وبين الله[1].

[1] – انظر كتاب "التوسل" الذي طبعته دار الإيمان التابعة لولي الله يعقوب أحد مسؤولي الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان.

الفصل الثالث

مظاهر توحيد الألوهية العملية وما يخالفه

و يحتوي على سبعة مباحث:

المبحث الأول: العبادات العملية:

المطلب الأول : العبادات العملية في الشريعة و مظاهرها عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في العبادات العملية و حكمها

المبحث الثاني: البدع العملية:

المطلب الأول : حقيقة البدعة
المطلب الثاني : مظاهر البدع العملية عند التتر وحكمها

المبحث الثالث: الأعياد:

المطلب الأول : الأعياد الشرعية و مظاهرها عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأعياد و حكمها

المبحث الرابع: التداوي و الرقى و التمائم و التطير و السحر:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التداوي و الرقى
المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في التداوي والرقى والتمائم والتطير والسحر و حكمها

المبحث الخامس: الجنائز:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الجنائز
المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الجنائز و حكمها

المبحث السادس: الزيارات:

المطلب الأول : الزيارات الشرعية و مظاهرها عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الزيارات و حكمها

المبحث السابع: الولاء و البراء:

المطلب الأول : حقيقة الولاء و البراء في الشريعة و مظاهره عند التتر
المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الولاء و البراء

المبحث الأول

العـــــبادات العــــــملية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : العبادات العملية في الشريعة و مظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في العبادات العملية و حكمها.

المطلب الأول

العبادات العملية في الشريعة و مظاهرها عند التتر

سأتحدث-بإذن الله تعالى- في هذا المبحث عن العبادات العملية في الشريعة الإسلامية ومظاهرها لدى التتر. وقد تقدم الحديث في الفصول السابقة عن مظاهر توحيد الألوهية القلبية والقولية، والآن لنتحدث عن المظاهر العملية التي من لب موضوعها العبادات العملية، مثل: الصلاة والصوم والذبح.

المسألة الأولى: الصلاة ومظاهرها عند التتر:

بدأنا بالصلاة لأنها رأس كل العبادات العملية بل هي أفضل العبادات بعد الشهادتين، وهي مشروعة أيضاً في كل الشرائع التي نزلت من عند الله. قال تعالى عن إسماعيل- عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ مريم: ٥٥، وقال في آية أخرى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ آل عمران: ٤٣، وقال تعالى بعد ذكر طائفة من الأنبياء: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ مريم: ٥٨، والآيات في هذا كثيرة؛ فالأديان السابقة قد ثبتت فيها الصلاة وثبت فيها الركوع والسجود، وهي أفضل العبادات العملية في الإسلام وغيره من الأديان السماوية السابقة.

ومن مظاهر توحيد الألوهية في الصلاة – التي هي أحد مظاهر إفراد الله تعالى- كون الشعب التتري من يوم دخولهم الإسلام يبنون المساجد ليوحدوا الله تعالى بعبادتهم فيها: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨، وقد طلب " ألمس خان" ملك بلغار تحقيقاً لمعنى هذه الآية من الخليفة العباسي أن يرسل إليهم عددا من المعماريين المسلمين ليساعدوهم في بناء المساجد لتكون هي معالم الدولة الجديدة الناشئة.[1] فمن تلك الأيام (أي

[1] – وقد سبق ذكر مجيء وفد الخليفة العباسي إلى أرض بلغاريا في التمهيد من هذه الرسالة: ص٤٤.

من القرن العاشر الميلادي) أصبحت المساجد والجوامع من الضرورات التي لا تخلو منها قرية من القرى التترية بَلْهَ مدنهم.

يقول أحد كبار المستشرقين الروس المنصّرين في بداية القرن العشرين الميلادي بطرس زنامينسكي[1] في كتابه "تتر قازان": (التتر بصفة غالبة أناس متدينون، بل متشددون في دينهم يتمسكون بشعائر دينهم بقوة. كل عمل يبدأ عندهم بقولهم "بسم الله الرحمن الرحيم". يكاد جميعهم يلتزمون بصلواتهم، حتى في أسفارهم، فمثلا: رأيتهم يصلون في الباخرة أثناء سفرهم على نهر فولغا. ويحمل أغنياؤهم بوصلات صغيرة في جيوبهم لتحديد القبلة. وفي شهر رمضان يصومون الشهر كاملاً، حتى العاملون منهم في مجال الأعمال الشاقة لا يأكلون شيئاً إلى غروب الشمس، ولا يشربون رغم المشقة التي يعانونها بسبب ذلك أثناء العمل خاصة العطش وبالذات عندما يوافق رمضان أيام الصيف الحارة)[2].

واليوم بعدما ابتليت هذه البلاد نحو سبعين عاما بالعدوان الشيوعي على الإسلام وأهله بطمس شعائره ومظاهره، وبعدما عايش التتر- بل كل مسلمي روسيا- مسخاً كاملاً لهويتهم واضطهاداً مستمراً لأصحب الفكر الإسلامي لا سيما الاعتقاد الصحيح، وبعدما أعدمت المساجد كلها بتدميرها أو بتحويلها إلى مخازن ومستودعات، وبعد ما كاد نور الإسلام ينطفئ في هذه البلاد؛ ها نحن نرى اليوم تتارستان — ولله الحمد والمنة- انتعشت من جديد وعادت المساجد بعد صدور القانون بحرية الأديان تنمو نمو الفطر بعد المطر، فقل ما تجد قرية تترية من قرى تتارستان أو أي قرية تترية على نطاق روسيا بدون مسجد![3]

يقول في هذا أحد المشايخ الفضلاء الذين زاروا تتارستان وتعرفوا على أحوال المسلمين هناك: (ومن المظاهر الإيجابية بناء المساجد، فهناك جهود كبيرة جداً لبناء المساجد، فهي مشاريع نابعة من ذوات أنفسهم. إنك — ولله الحمد- لا تكاد تجد قرية إلا وفيها

---

[1] – بطرس فاسيلييفيتش زنامينسكي (١٨٣٦م-١٩١٧م) مؤرخ، دكتور في علم اللاهوت، درس في الأكاديمية الدينية النصرانية في قازان ٣٥ سنة (من عام ١٨٦٢م إلى ١٨٩٧م) فكتابه هذا يعتبر مرجعا مهماً في التعرف على نمط حياة التتر في ذلك الوقت . انظر مقدمة الكتاب "تتر قازان": ص٢.

[2] – "تتر قازان" زنامينسكي: ص٢٠.

[3] – خلال خمس عشرة سنة من يوم انهيار الاتحاد السوفييتي افتتح حوالي ٥٠ مسجداً في مدينة قازان، وحوالي ألف وخمسمائة مسجد على نطاق تتارستان.

مسجد قد بني الآن أو مسجد تحت البناء، ولا تكاد تجد قرية إسلامية إلا وأهلها حريصون على بناء المساجد)[1].

ولعلّ من المظاهر -أيضاً- تكلم العلماء التتر في مؤلفاتهم ومن فوق منابرهم عن وجوب إفراد الله تعالى في العبادات وعلى رأسها الصلاة وعدم الابتداع فيها: من حيث الهيئة، والمكان، والزمان.

المسألة الثانية: الصوم ومظاهره عند التتر:

إن الصيام من العبادات العظيمة في الشريعة الإسلامية، وهو عبادة قديمة أصيلة في الشرائع ما قبل الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣، أي كتب على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم فلم يخلِّ الله أمّة من الأمم من افتراضها عليهم.[2] والصوم ركن من أركان الإسلام الخمسة لقوله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس...)) وذكر منها: ((صوم رمضان))[3].

يفهم هذا المبدأ العظيم علماء التتر، ويظهر ذلك جليا في كلامهم وكتاباتهم.

فهذا العالم التتري رضاء الدين بن فخر الدين بعد إيراد قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣، يقول: (إن الحكمة من افتراض الصيام على الخلق لم تكن تعذيبَ نفسٍ، وإنما الصيام لنتقيه ونطيعه سبحانه وتعالى. ولا يكُنْ مقصودُ الصائم الخوفَ من أن يعيب عليه الناس عدم صيامه، وإنما يجب أن يكون قصده الامتثال لأمر الله راجياً ثواب الله.

إننا نشاهد في هذه السنوات أن أيامَ رمضان توافق أطولَ أيام السنة، وهي أكثر الأيام حرارةً (وذلك في منتصف الصيف)، فالصوم في هذه الأيام صعب خصوصاً إذا كنتَ تعمل

---

[1] – "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس"للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود: ص٣٣.

[2] – انظر تفسير الزمخشري: ص١١٢، تفسير الطبري: ١٥٥/٢، "فتح القدير" للشوكاني: ٢٢٨/١.

[3] – رواه البخاري عن ابن عمر في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم: ص٥ برقم٨، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام: ص٢٩ برقم ١٦.

طول النهار! ولكن هذه النوبة لا تكون في عمر الإنسان إلا مرّة أو مرتين، ولكنها فترة امتحان يختبر فيها الإنسان نفسه: هل يصبر ويلتزم بما عاهد الله عليه من الطاعة؛ وبالتالي هل يستحق تسمية نفسه بالمسلم أو أنه إلى النفاق أقرب فينتبه لحاله.

وفي مثل هذه الأيام الحارة قمنا بزيارة مدرسة في إحدى القرى فاطلعنا على أحوال أهل القرية فوجدنا الجميع يصومون حتى الذين جاءت الشريعة بالرخصة لهم كانوا يرفضون فكرة الإفطار والناس صائمون. وقد سمعنا أن مثل هذه الأحوال كانت تحصل في أماكن كثيرة. صحيح إن المقصود من الصيام ليس تعذيب البدن وإتلاف النفس، إنما يجوز الإفطار عند الضرورة، وذلك مبين في كتب الفقه؛ فلا يُعتبر مَنْ أَخَذَ بالرخصة منافقاً: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦.

هذا الذي ذكره أحد علماء التتر لاحظه أيضاً أحد كبار المستشرقين الروس بطرس زنامينسكي – الذي سبق ذكره- حيث قال واصفاً تَدَيُّن مسلمي قازان: (التتر بصفة غالبة أناس متدينون، بل متشددون في دينهم يتمسكون بشعائر دينهم بقوة. ... وفي شهر رمضان يصومون الشهر كاملاً، حتى العاملون منهم في مجال الأعمال الشاقة لا يأكلون شيئاً إلى غروب الشمس، ولا يشربون رغم المشقة التي يعانونها بسبب ذلك أثناء العمل خاصة العطش وبالذات عندما يوافق رمضان أيام الصيف الحارة)[1].هذه الظاهرة السارة التي حكاها مفتي التتر من القرن الماضي ما زال الناس عليها إلى أيامنا هذه، ومما يدل عليه هذه الاستبانة:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение **العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...**	**مدى وجود هذه الظاهرة**			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
6	держание поста в месяц Рамадана. الصيام في شهر رمضان المبارك	**75,6**	**21,5**	**2,2**	**0,7**

الاستبانة رقم ٢/ السؤال رقم ٦.

نرى من خلال هذه الاستبانة أن نسبة ٧٥،٦ % من المجيبين يرون أن أغلبية الشعب التتري يلتزم بالصيام في شهر رمضان المبارك، وهذا ملاحظ على الشعب بالفعل؛ فإنك تجد أحياناً شخصاً يصوم رمضان وهو في نفس الوقت لا يصلي! فلعل سهولة تعلم أحكام

[1] – "تتر قازان" زنامينسكي: ص٢٠.

الصيام، والتزاور أثناء الإفطار، وروح الأخوة التي تسود المجتمع في هذا الشهر مما يساعد على الإقدام والالتزام بهذه العبادة! أسأل الله أن يرزقنا جميعاً الإخلاص في عبادته. آمين.

المسألة الثالثة: الذبح ومظاهره عند التتر:

إن الذبح من العبادات العظيمة في الشريعة الإسلامية، وقد قرن الله سبحانه وتعالى هذه العبادة بالصلاة في موضعين من كتابه الكريم: قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣، والنسك الذبح[1].

وقد جمع تعالى بين هاتين العبادتين اللتين هما أفضل العبادات وأفضل القربات لله تعالى في هاتين الآيتين. فاقتران الذبح بالصلاة يدل على مكانة النسك من بين أنواع العبادات: فإذا كانت الصلاة أفضل العبادات البدنية لما فيها من قيام، وركوع، وسجود، وقراءة، وذكر، ودعاء؛ فالذبح أفضل العبادات المالية. وإنما كان الذبح أفضلها لأنه يجتمع فيه أمران: الأول أنه طاعة لله. والثاني أنه بذل ماله وطابت به نفسه، والبذلُ مشتركٌ في جنس المال، لكن زاد الذبح على غيره من حيث إن الحيوانات محبوبة لأربابها ويوجد لذبحها ألم في النفوس من شدة محبتها. فإذا بذله لله وسمحت نفسه بإذاقة الحيوان الموت صار أفضل من مطلق العبادات المالية[2].

هذه العبادة العظيمة تظهر جلية أيام عيد الأضحى خاصة عندما يتجه مسلمو العالم لأداء هذه الشعيرة من شعائر الإسلام، والشعب التتري ليس استثناءً في ذلك – ولله الحمد.

يقول أحد علماء التتر واصفا أحوال المسلمين التتر في قازان: (يقام في كل مسجد أيام عيد الأضحى ذبح القرابين. علماً بأن أسواق المدينة ما كانت توفر عدداً كافياً من المواشي، كانوا يأتون بها من القرى ويوزعونها على المساجد. والأضحية في الإسلام – كما تعلمناه في مذهب أبي حنيفة– واجبة؛ فالشعب يجتهد في أدائها)[3].

---

[1] – انظر "تفسير الطبري": ٨/١٣٢.

[2] – حاشية ثلاثة الأصول" لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي: ص٤٤.

[3] – "دفتر الذكريات" عالمجان بارودي: ص١٠٥.

وقال أيضاً عن مشروعية الذبح في الإسلام: (يقول بعض الملحدين: كيف يمكن أن تتعبدوا بقتل كائن حي وإراقة دمه، إنه لا ينبغي ذلك! ولكن الحق أن نقول إن هذه المسألة قد حسمها رسل الله! فهذه العبادة مشروعة من عند الله وتحتوي — حسب الآيات القرآنية- على معانٍ عميقة وتعود على دين المرء وأخلاقه بفوائد عظيمة؛ ففيها إطعام المساكين، وكفارة الذنوب، وبها يتقرب العبد إلى الله)[١].

لنرى مدى توحيد الشعب التتري ربه بالذبائح ننظر أيضاً إلى الاستبانة التالية:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
8	заклание животных с именем Аллаха. الذبح لله (باسم الله)	57,1	20,3	10,5	12,0

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم٨.

نجد أن الشعب التتري- حسب ما أجاب به ٥٧,١ % من المجيبين- يلتزمون في ذبائحهم ذكر اسم الله! وهنا لا بد أن نراعي ظروف المجتمع، فإن الكثير منهم لا يذبحون بأنفسهم وإنما يشترون لحوماً جاهزةً من المتاجر؛ فلذلك تعتبر النسبة المشار إليها في الاستبانة مرتفعة مبشّرة بالخير. وأيضاً، فإن من الملاحظ أن الناس صاروا يدركون عبودية الذبح لله تعالى؛ ففي موسم الحج يزداد عدد الراغبين – من غير الحجاج- في شراء الأضاحي، حتى صارت المساجد في المدن أيام عيد الأضحى تنظم مسألة الإتيان بكميات كبيرة من الشياه من القرى إلى المدن وإعداد الأماكن المخصصة للذبح. وهذه الأمور مشاهدة ولها فوائدها الدعوية واضحة ملموسة؛ بحيث يرى الناس هذه الأحوال الاجتماعية الحاصلة عند المسلمين التتر من التجمعات، وتقديم القرابين لله، والتكبيرات، والتزاور، والتهادئ؛ فتؤثر هذه المظاهر على المسلمين المقصّرين، فيتشجعون للالتزام بالدين عموماً وللمشاركة في هذه العبادة العظيمة خصوصاً، وأيضاً فإن غير المسلمين يتساءلون عنها فيكون سبباً للتعرف على الإسلام وأحكامه!

---

[١] – **"دفتر الذكرايات" عالمجان بارودي: ص١٠٥.**

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في العبادات العملية وحكمها

المسألة الأولى: مظاهر الانحراف في الصلاة:

المظهر الأول: التهاون في الصلاة:

رغم أن المساجد كثرت في البلاد وقل أن تجد قرية في تتارستان دون مسجد، ورغم ذلك فإننا نشاهد أناساً من التتر يسمون أنفسهم مسلمين ومع ذلك ليسوا ملتزمين بالصلاة، فلا تجدهم في المسجد إلا أيام الجمع والأعياد بل لا يصلون غير صلوات الجمع والأعياد!

وقد زار منطقةَ تتارستان في منتصف التسعينيات أحد المشايخ الفضلاء وتأسف لوجود الاستهانة بترك الصلاة هناك، وقال: (فإذا نظرت داخل المسجد وقت الصلاة، لا تجد مصلين وقت الصلاة. مع أن المسلمين بالهوية بالآلاف، ومع ذلك لا تجد من المصلين إلا عدداً قليلاً، فيصلي في صلاة الظهر عدد محدود: خمسة أو ستة أفراد أو عشرة أفراد)[١]. وهذا حق ولعلّ من أسباب ذلك قرب عهدهم بالشيوعية إذ كانت زيارته لروسيا إثر انهيار الاتحاد السوفييتي، فكانت الصفة الغالبة عليهم آنذاك هي كما ذكرها الشيخ: (فلا يكادون يعرفون الصلوات الخمس)[٢].

أما اليوم- بعد مرور خمسة عشر عاماً من انهيار الشيوعية- فقد تغيرت أحوال المسلمين في تتارستان نحو التحسن في الأوضاع الدينية، ومع ذلك ما زالت المشكلة قائمة.

وتبين نتائج الاستبيان مدى وجود هذه الظاهرة اليوم:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение صورة الظاهرة العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
2	совершение намазов только по случаям Уразы байрама и Курбан байрама или по пятницам. إقامة الصلوات في مناسبات العيدين والجمع فقط	35,7	17,8	8,5	38,0

الاستبانة رقم ٢/ السؤال رقم ٢.

[١] – "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس"/ عبد الرحمن بن صالح المحمود: ص ٢٩-٣٠.

[٢] – المرجع السابق: ص٣٠.

تُظهر هذه الاستبانة جلياً وجود التهاون في أداء الصلوات لدى بعض التتر ممن يسمي نفسه مسلماً؛ فإن اثنين وستين بالمائة من مجموع المجيبين أدلوا بوجود هذه المشكلة في المجتمع التتري، وفي الحقيقة فإن هذا التهاون في هذه الفترة من الزمن — وهي فترة محاولة إحياء الإسلام في البلد بعد فترة إبادة الديانات كلها على يد السلطات الشيوعية – ليس بمستغرب؛ فإن الأنفس لا تزال يعتريها جهل بأحكام الدين تارة، أو ضعف في الإيمان تارة أخرى، بل هذه العوامل موجودة وتسبب انحرافا عن الدين حتى في المجتمعات المسلمة البحتة، فلو لا ذلك لما عرفنا انتكاس الأمة الإسلامية في يوم من الأيام، ولما سمعنا في التاريخ خبر حروب الردة في خلافة أبي بكر الصديق، ولا المحنة بخلق القرآن، ولا سقوط الأندلس والخلافة العثمانية، ولا..ولا..ولا...

فلما كان هذا التهاون موجوداً، كان من الواجب أن ننتبه له، كما انتبه له علماء التتر في القرن الماضي، إذ لما رأوها مشكلة تصدوا لها بالوعظ والتوعية، ويشهد لما قام به أئمة التتر من واجبهم الدعوي التربوي كلام المفتي رضاء الدين بن فخر الدين الذي وصف لنا هذه المشكلة وقدم بعض الحلول لمعالجتها، فقال: (الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم من أعظم العبادات في الإسلام ومن أكثرها أجراً، وهذا مما أثبته القرآن الكريم. لكن عجباً؛ ترى في الأيام الأخيرة بين المسلمين قد ظهر التكاسل والتهاون في حق هذه الأعمال! هذا – ولا شك– مما يؤسف جداً. إنّ كونك مؤمنا بالله وقابلا لسنة رسول الله يعني التزامك بهذه العبادات المذكورة كأنك تقول بلسان حالك: "إني عاهدت أن أؤدي ما علي من العبادات". فإذا كان كذلك، فلا بد من أداءِ ما التزمت به والوفاءِ بما عاهدت عليه! علما بأن هذه العبادات وخاصة الصلاة من الأمور السهلة أداؤها، فتركها أو تأخيرها عن وقتها كسل صِرْفٌ و تساهل.

إنه من الصحيح أن كثيرا من العلماء يرى أن المتساهل في العبادة إذا كان لا ينكر أصل العبادة فلا يخرج من دائرة الإسلام ومن جملة المسلمين، ولكن – حتى لو كان كذلك– فإن ذمته لا تبرأ ويكون المتساهل داخلا في كبيرة من الكبائر!

إن الداخل في مكان ما إذا قيل له: "احذر؛ فإن به حيواناً مفترساً"، و لم يلتفت للقول، فإن ذلك من عدم إيمانه بالخبر! وكذلك التساهل في هذه العبادات وتأخيرها عن أدائها من غير عذر شرعي لا يصدر إلا عن عدم الإيمان بما كلفهم الله به أو عن اعتراضهم على ما كلفهم

الله به.[١] وكل من الاحتمالين يجب ألا يكون. ولذلك يجب ألا يظهر من المسلم تساهل وتهاون في حق الصلوات المفروضة وفي حق عامة أركان الإسلام، خاصة الصلاة؛ فإن ضياعها من أكبر علامات ضياع دين المرء)[٢].

ثم قال: (ليصبح إقامة الصلاة عادة لدينا وليدخل ممارستها في حكم السليقة لا بد أن نتعلمها من الصغر ونطبقها بصفة دائمة، وقد ورد عن النبي ﷺ: ((**إذا بلغ الغلام سبع سنين أمر بالصلاة، فإذا بلغ عشراً ضرب عليها**))[٣].)[٤].

وهذا الكلام من رضاء الدين في محاولة جعل أداء الصلوات عادة وسليقة كلام صحيح وفي محله، ولكن لا بد من التنبيه على نقطة مهمة وهي أنَّ كون الصلاة عادة أمر جيد عند التطبيق العملي بحيث يسهل على الإنسان ممارسة ما تعود عليه من الصغر، أما من حيث الاعتقاد فلا يجوز أن تكون الصلاة مجرد عادة تعلمها المرء من الصغر، بل لا بد أن يفهم لماذا يصلي! فيصلي على بصيرة مؤمناً بأنه كلما يقف للصلاة يقف بين يدي ربه، وكلما يكبر تكبيرة الإحرام يكبر لله مقراً بوحدانية الله وموقناً بوجوب أداء الصلاة توحيداً له سبحانه! وهذا الأمر واضح ومقرر عند المسلمين (ومقرر عند رضاء الدين نفسه)، ولكني أردت التنبيه على وجود ظاهرة "آلية الأداء" عند بعض العوائل المسلمة، وبالتالي أردت أن أنصح أولاً نفسي ثم جميع أولياء الأمور بضرورة بيان أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام للأولاد، وعدم تركها مجردَ تطبيقٍ عمليٍ من غير معرفة معناها، ومكانتها، وما يترتب من الأجور عليها.

ثم إني أريد أن ألفت نظر القارئ إلى أنه كما وجد بين علماء التتر في القرن الماضي من تصدى لمشكلة التهاون في أداء الصلوات، فكذلك يوجد اليوم من الأئمة والدعاة من يعتني

---

[١]- لعل الشيخ يقصد الذين يتساهلون بالعبادات ويقولون: سأصلي إذا تقاعدت، مثلاً، فهؤلاء لا ينكرون العبادات من أصلها ومع ذلك لايؤدونها! فحاول الشيخ معالجة هذه المشكلة في مجتمعه وبين أن هذا الأمر خطير ومن علامات الكفر الإلحاد. وإلا فمجرد تأخير الصلاة عن وقتها في بعض الأحيان ربما يكون بسبب الكسل لا بسبب عدم إيمانه أو اعتراضه على الله!

[٢] – "شرح جوامع الكلم": ص٦٥-٦٦.

[٣] – أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده عن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه عن جده: ٥٦/٢٤ برقم ١٥٣٣٩، وقال محقق المسند أن إسناد الحديث حسن، وله شواهد عند أبي داود والترمذي بأسانيد حسان، وبها يصح الحديث.

[٤] – "شرح جوامع الكلم": ص٦٦.

بالمسألة بالوعظ والتوعية؛ فلا يترك فرصة إلا ويغتنمها، ولا مجلساً، ولا اجتماعاً، ولا مناسبة إلا ويتحدث عنها وينصح الحاضرين بالالتزام بالصلاة والاهتمام بأحكامها تعلماً وتعليماً، بل نجد كل أئمة تتارستان بل أئمة روسيا كلهم مستعدين في كل لحظة أن يتكلموا فيها لما يرون من حاجة المجتمع إلى ذلك.

المظهر الثاني: الصلاة عند القبور:

إذا نظرنا إلى نتائج الاستبانة رقم٢ (العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح) نجد أن ظاهرة إقامة الصلوات عند القبور رجاء أن تكون أكثر قبولا عند الله ليست منتشرة في المجتمع التتري – ولله الحمد:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение **العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...**	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
4	совершение намаза у могил предполагая что там намаз более принимаем Аллахом. **الصلاة عند القبور رجاء أن تكون أكثر قبولا عند الله**	0,8	3,0	13,6	82,6

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٤.

نرى خلال هذه الاستبانة أن نسبة ٨٢,٦ % من المجيبين ترى عدم وجود هذه الظاهرة، بينما يرى الآخرون الذين تتمثل نسبتهم المئوية في ١٧,٤ % أنها موجودة ولكن ١٣,٦ % من هذه النسبة- ممن يرون وجودها- يؤكدون أن وجودها محدود جداً، ولله الحمد.

وقد قال مفتي التتر في القرن الماضي رضاء الدين بن فخر الدين: (اتفقت أئمة أهل الإسلام بأن الذهاب إلى مقابر الأنبياء والصالحين بقصد الدعاء وإقام الصلوات هناك رجاء أن يكون أكثر قبولاً وأكثر ثواباً يُعدّ ضلالة! وكذلك طلب المدد من أصحاب القبور ليس من عادة المسلمين الأوائل، وإنما أحدثها في العالم الإسلامي جهال من الطوائف الصوفية، ثم إنهم زينوها للناس وبذلك صاروا مصداقاً لقول الشاعر:

فساد كبير عالم متهتك — وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة في العالمين عظيمة — لمن بهما في دينه يتمسك.[1]

هذا كلام رضاء الدين في القرن الماضي، ولكن لا زال يوجد في المجتمع التتري من يبذل قصارى جهده في إحياء مذهب التصوف في بلادنا؛ فمثلا: أحد المنتصرين للصوفية يقول: (إذا كان بعض الناس متبلدي الإحساس تجاه الموت والأموات، فإنّ الآخرين يرتجفون فزعاً من القبور خائفين فتنة عبادتها من دون الله تعالى. ومن الظريف أن هؤلاء المتخوفين غير الواثقين بإيمانهم[2] يحاولون بوسائل شتى منع المسلمين من زيارة المقابر معللين ذلك بسد ذريعة الوقوع في الشرك، أي: خوفا أن تُعبَد القبورُ من دون الله تعالى. رغم أن المؤمنين لا يعبدون في المقابر إلا الله مثلما لا يعبدون في المساجد إلا الله!)[3].

فنقول لهذا الرجل: بشّرك الله بخير، الحمد لله على كون المسلمين في تتارستان لا يعبدون في صلواتهم إلا الله، ولكن لا يعرف هذا المسكين أن هناك فرقاً بين مشروعية زيارة القبور والدعاء لأهل المقبرة وبين تخصيص أنواع من العبادات في المقابر كإقامة الصلوات والذبح فيها. فهذه العبادات وإن كانت لله وحده فإنها تكون غيرَ مشروعةٍ لورود النهي عن إقامتها هنالك!

ومن أدلة النهي:

١- حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: ((**الأرض كلها مسجد إلا الحمامَ والمقبرةَ**))[4].

---

[1] – "شرح جوامع الكلم": ص ٣٩٨. وأبيات الشعر للإمام الشافعي، انظر "الديوان" المنسوب له: ص١٣٥.

[2] – يشير إلى أهل السنة المحاربين بدع القبور.

[3] – "إعانة أرواح الأموات" ولي الله يعقوب: ص٨.

[4] – أخرجه أبو داود (واللفظ له) في كتاب أول كتاب الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة: ص٩٠ برقم٤٩٢، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام: ص٨٩ برقم٣١٧، وابن ماجة في كتاب المساجد والجماعة، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة: ص١٤٢، برقم٧٤٥، وقال ابن حجر: (رجاله ثقات، لكن اختلف في وصله وإرساله، ومع ذلك حكم بصحته الحاكم وابن حبان) "فتح الباري": ٦٨٥/١. وذكر ابن تيمية أن أسانيد الحديث جيدة قائلا: (ومن تكلم فيه فما استوفى طرقه) "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٨٩/٢، وقال الألباني: (إسناد الحديث صحيح على شرط الشيخين) "الإرواء": ٣٢٠/١.

٢- حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه- أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بين القبور.[١]
فهذان الحديثان يفيدان النهي عن الصلاة في المقبرة، والأصل في النهي التحريم إلا إذا وجد ما يصرفه عن التحريم إلى غيره ولم يوجد له صارف، فالصلاة في المقبرة ممنوعة محرمة بدلالة هذين الحديثين، وكذلك يؤيد هذا الحكمَ الحديثُ الثالثُ التالي ذكره:

٣- حديث ابن عمر – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً**))[٢]، ومثله حديث أبي هريرة: ((**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**...))[٣]. وفي هذه الأحاديث دليل على أن المقبرة ليست موضعاً للصلاة. قال العيني: (...المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ: لا تجعلوا بيوتكم خالية كالمقابر، فإنها ليست بمحل للعبادة)[٤].

٤- أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، كحديث عائشة – رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال في مرضه الذي مات فيه: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) قالت: (ولو لا ذلك لأبرزوا قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)[٥]. فقد خشي النبي ﷺ وخشي الصحابة – رضي الله عنهم- إذا دفنوه بارزاً أن يتخذ قبره مسجداً، ومن ذلك الاتخاذ إقامة الصلاة عنده وإن لم يبنَ عليه مسجد؛ فإن ذلك أيضاً من اتخاذها مسجداً فهذا الذي خافته عائشة – رضي الله تعالى عنها- فالصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره

١ – أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الصلاة، باب شروط الصلاة: ٥٩٦/٤– (١٦٩٨)، وانظر تعليق شعيب الأرنؤوط على ابن حبان: ٥٩٦/٢، ٥٩٧. وأخرجه البزار في مسننده "البحر الزخار": ١٢/١٣ برقم ٦٤٨٧، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢/ ٢٧: رجاله رجال الصحيح.

٢ – أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب التطوع في البيت: ص١٨٩ برقم ١١٨٧، مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد: ص٣١٦ برقم ٧٧٧.

٣ – صدر الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد: ص٣١٧ برقم ٧٨٠، وتكملته: ((...إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)).

٤ – عمدة القارئ: ٢٨١/٤.

٥ – أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور: ص٢١٢ برقم١٣٣٠، وفي مواضع أخرى في صحيحه، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها... إلخ: ص٢١٥ برقم٥٢٩.

مسجداً، وإنما خافت أن الناس سوف يصلون عند قبره، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً وإن لم يكن هناك بناء، كما قال النبي ﷺ: ((**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**))[1].

٥- حديث أبي مرثد الغنوي[2]- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**))[3]. وهذا الحديث أبلغ في النهي من حديث أبي سعيد الخدري المتقدم ((**الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة**))[4]؛ ففيه نهي عن الصلاة إلى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة.[5]

ويرى الشيخ علي القارئ الحنفي أن العلة في النهي عن الصلاة إلى القبور هي العلة في النهي عن الصلاة عندها، وهي سد ذريعة الشرك وتعظيم القبور، ولذلك لو قصد المصلي إلى القبر تعظيمَ القبرِ وصاحبِه كان عمله ذلك كفراً وشركاً بالله تعالى.[6]

وأيضاً، فإن من التعليل أن الصلاة في المقابر فيها تشبه بالأمم الضالة من اليهود والنصارى والمشركين ممن يعظمون القبور ويتعبدون عندها، ولذا جاء عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون**

---

[1] – انظر "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٨٩/٢، والحديث أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله في حديث طويل في كتاب التيمم، باب-١: ص٥٨ برقم٣٣٥، وفي غيره من مواضع صحيحه، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة:ص٢١٢ برقم ٥٢١.

[2] – أبو مرثد الغنوي، هو: كناز بن حصين بن يربوع بن عمرو من غني، صحابي، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت، شهد سائر المشاهد مع رسول الله ومات سنة ١٢ في خلافة أبي بكر وهو ابن ٦٦ سنة. "الاستيعاب": ص٦٣٦ برقم٢٢٢٠، "أسد الغابة":٢٧٦/٦.

[3] – أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه: ص٣٩٠ برقم٩٧٢.

[4]– سبق تخريجه في ص٣٠٠.

[5] – انظر "إغاثة اللهفان": ٢٩٣/١.

[6] – انظر "مرقاة المفاتيح" لملا علي القارئ: ١٥٧/٤ وانظر "فتح الباري" لابن رجب، باب (٤٨): ١٩٩/٣.

قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك))[1].

وقد سمى صاحب "إعانة أرواح الأموات" التتري معللي منْع الصلاة عند القبور بـــ"المتخوفين غير الواثقين بإيمانهم" ونسي أن هذه العلل في النهي عن الصلاة في المقابر هي مثلها جاءت في النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها، فإن الشرع إنما نهى عن ذلك سداً لذريعة التشبه بالمشركين الذين يقصدون الصلاة في تلك الأوقات، بل إن فتنة الصلاة في القبور ومفسدتها أعظم بكثير من مفسدة الصلاة عند طلوع الشمس أو غروبها، فإذا نهى عن ذلك سداً لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر على بال المصلي، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيراً ما تدعو صاحبها إلى الشرك وعبادة الموتى واستغاثتهم وطلب الحوائج منهم[2]، وأيضاً فإن الصلاة في المقابر منهي عنها سواء قصد المصلي فضيلة تلك البقعة أو لم يقصد، كما ينهى عن الصلاة المطلقة وقت طلوع الشمس وغروبها وإن لم يقصد فضيلة ذلك الوقت، لما فيه من التشبه بمن يقصد فضيلة ذلك الوقت وهم المشركون، فنهي الشارع عن الصلاة في هذا الزمان كنهيه عن الصلاة في ذلك المكان[3].

وفي هذا المعنى يقول المفتي رضاء الدين التتري: (حتى لا يكون صاحب القبر وسيلة للآخرين في اتخاذه معبوداً من دون الله جعلت الشريعة الإسلامية أداء الصلوات بحضرة القبور ممنوعاً. وهذا الحكم ليس خاصاً بزمن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام – رضوان الله تعالى عليهم- فقط، بل عام لجميع الأماكن والأزمان)[4].

وقد كان هذا العالم التتري يرى فرقا بين مسألتي زيارة القبور و التعبد عند القبور، وقال إن زيارة القبور مشروعة، بل (يجب رعاية المقابر والاهتمام بها، لكن لا يصح اتخاذها مكاناً للاستمداد بحيث يذهب واحد هناك معظماً إياها ويقيم ركوعاً وسجوداً ويتضرع في

---

[1] – أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد: ص٢١٦ برقم٥٣٢.

[2] – انظر "إغاثة اللهفان": ٣٥٤/١.

[3] – "مجموع الفتاوى": ٥٠٣/١٧، وانظر "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٩٤/٢. ثم يتفرع عن هذه المسألة مسائل أخرى أهمها: هل الصلاة تكون حينئذ باطلة أم لا؟ أم أنها صحيحة مع التحريم؟ فقد اختلف فيها، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: (...ومن تأمل النصوص المتقدمة تبين له أنها محرمة بلا شك، وأن صلاته لا تصح) "اقتضاء الصراط المستقيم": ٦٨٢/٢، وانظر "القواعد" لابن رجب، القاعدة التاسعة: ٥٣/١.

[4] – "شرح جوامع الكلم": ص٣٩٦.

الدعاء. يجب على كل مسلم معرفة ذلك، بل كل من يعرف مكلفٌ بإبلاغ من لا يعرف!)[1].

المظهر الثالث: صلاة الهول:

صلاة الهول (ويقولون أيضاً: "الحول") هي الصلاة التي تقام لِيُهَبَ ثوابها للشخص الذي مات قريباً. لا تختلف هيئة الصلاة عن بقية الصلوات إلا أنها خصصت بأوقات وأغراض معينة لم يأتِ الشرع بتخصيصها مما أخرج هذه الصلاة من حكم النوافل إلى حكم البدع.

وقد روّج لهذه الصلاة بعض الأئمة التتر في مؤلفاتهم[2]، وانتبه لها الآخرون من الأئمة التتر الفضلاء[3] وحذروا منها.

فهذا الإمام المرجاني يصف لنا صلاة الهول ويبين حكمها، إذ يقول: (اعلم أنه قد حدث وشاع في ديارنا أمور يظن العوام أنها من فروض الأعيان في الإسلام، أحدها: أنه إذا مات أحد من وجوه الناس يخبرون به المساجد فيقوم المؤذن بعد صلاة المغرب يوم مات أو عُلم بموته فيأمر الناس أن يصلوا ركعتي الهول فيفعلون، ثم يتوجه الإمام نحوهم ويقول: هل وهبتم ثواب الركعتين لفلان المتوفى؟ فيقولون: نعم، ثم يدعو ويُؤَمّنون)[4].

وكذلك نجد وصفا لهذه الصلاة لأحد الأئمة اليوم في قازان، إذ يقول: (...أصعب الأيام على الميت هو أول يوم بعد دفنه؛ فلذلك من الخير أن تصلوا بعد صلاة المغرب ركعتي صلاة الهول: تقرأ في الركعة الأولى سورة الفاتحة وعشر مرات سورة القدر، وفي الركعة الثانية سورة الفاتحة وعشر مرات سورة الإخلاص، ثم تدعون بإهداء ثواب هذه الصلاة

---

[1] – المرجع السابق: ص٢٤٣.

[2] –انظر "عماد الإسلام"شاكر جان حامدوللين: ص٦١، "ترغيب الفضلاء إلى تخليص الشريعة من تسلط السفهاء" التنتاري: ص١٧، "لنُفرح أرواح موتانا– مجالس التعزية في اليوم الواحد والخمسين" لراضية ذكيروفا: ص١٩، "التقويم التتري المسلم عن عام ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ" يوم ١٤ ديسمبر.

[3] – منهم عالمجان بارودي. انظر "الخواطر" البارودي: ص١٠٦.

[4] – "البرق الوميض" شهاب الدين المرجاني: ص١٤.

للميت)[1].

يقول الإمام المرجاني بعد ما ذكر كيفية أداء صلاة الهول: (لا خفاء في أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاةً كان أو صوماً، أو حجاً أو صدقةً، أو قراءةَ قرآنٍ إلى غير ذلك من أنواع البر، ويصل ثوابه للمجعول إليه وينفعه إن شاء الله وذلك عندنا[2]. وقال مالك والشافعي – رحمهما الله- إن له ذلك في العبادات المالية والحج لا في غيرهما من الطاعات.

...ثم من المعروف أن الاستعانة بالصبر على البلية والنوائب والالتجاء إلى الصلاة عند المصائب مأمور بها من جهة الشارع؛ وقد كان – عليه الصلاة والسلام- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.[3]

فكل من تبرع بالركعتين أو أكثر وجعل ثوابه للميت يؤجر و يصل ثوابه إليهما[4] – إن شاء الله تعالى- ما لم يخصصه بفعل وكيفية لم يرد به الشرع. غير أن الصلاة التي يسمونها "**صلاة الهول**" أو "**الحول**" يؤدّونها على نحو أحدثوه من تخصيص ما بعد المغرب الأول من يوم الموت أو العلم به بالركعتين و أمرِ الناس بهما ثم إهداؤهما عند الدعاء مما لا ريب فيه أنه بدعة ليس لها أصل في الشريعة كصلاة الرغائب والبراءة وغيرها[5]. ومن ثم كنت منعت الناس عن هذا الفعل وبينت لهم هذا الوجه من غير منع عن أصل الصلاة، بل استرغبناهم في الصلاةِ وجعلِ ثوابها للميت، وإني منذ عرفت نفسي إلى الآن إذا مات واحد ممن له بي علاقة

---

[1] – "لنُفرح أرواح موتانا– مجالس التعزية في اليوم الواحد والخمسين": ص١٩.

[2] – قوله "عندنا" أي عند أصحاب المذهب الحنفي، ولا شك أن هذا هو المذهب بتمامه وهذا هو المطبق لدى التتر. وفي مشروعية إهداء ثواب الأعمال غير المنصوص عليها نظر.

[3]– أخرجه أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسيره من حديث حذيفة بهذا اللفظ (البقرة:٤٥، ٢٩٨/١)، وأخرجه أبو داود، وأحمد عنه بلفظ: (كان إذا حزبه أمر صلى). انظر سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي من الليل: ص٢٢٦ برقم١٣١٩، ومسند الإمام أحمد: ٣٣٠/٣٨ برقم٢٣٢٩٩، وغيرهما. وحسنه الألباني، انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكام الألباني.

[4] – هذه المسألة محل نزاع بين العلماء، فبعضهم لا يرى مشروعية إهداء ثواب الصلوات للآخرين لعدم ورود ذلك في السنة! انظر "شرح العقيدة الطحاوية": ٥٢٥/٢.

[5]– سيأتي الكلام عنها وعن غيرها قريباً.

من أهل الإسلام أصلي ركعتين أو أكثر فأجعل ثوابها له)[1].

هذا كلام أحد كبار أئمة التتر المشهورين في قازان، وقد ذكر لنا ظاهرة محدثة منتشرة في المجتمع التتري ووصف لنا صورة هذه الظاهرة، وهي ظاهرة صلاة الهول، ثم رد عليها وأثبت بدعيتها، غير أنه في مسألة إهداء ثواب الصلاة للأموات مشى على مذهب الأحناف في جواز الإهداء وثبوت الأجر للجاعل والمجعول له، ولعل **الراجح** الذي تقرر معنا في الفصل الثاني من هذه الرسالة[2] هو الاقتصار في مشروعية الإهداء على العبادات التي قد وردت في السنة وعدم استعمال القياس عليها في بقية العبادات من الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك مما لم يرد جواز إهدائه في السنة؛ لأن العبادات توقيفية وأصلها التحريم حتى يأتي دليل شرعي على جوازه: من القرآن، أو السنة الصريحة الصحيحة، أو الإجماع، فإن مثل هذه المسائل لا يكفي في الاستدلال عليها ذكر حديث ضعيف أو أثر الصحابي، فضلاً عن أثر التابعي أو من دونه، بلهَ أنواع الأقيسة والمنامات. وعلى كل حال فالعبادات التي لم يرد النص الصريح الصحيح بمشروعية إهدائها إلى الأموات- كالقراءة وغيرها- يبقى وصول ثوابها إلى الأموات موهومة غير ثابتة! فلذلك إذا أراد أحد أن ينفع أخاه الميت فليفعل ما ورد في السنة من الاستغفار له والتصدق باسمه، ونحو ذلك، وما عداه فيترك لعدم الجزم بانتفاع الميت بها.

ثم يقول الإمام المرجاني في بيان بدعية هذه الصلوات: (اعلم أن إثبات شرعية شيء من العبادات المخصوصة باسم أو هيئة أو عدد أو حالة أو وقت أو حادثة لا بد له من دليل خاص يدل على ذلك وحجة تفيدها بخصوصية لأن أوصاف العبادات كلها وأحوالها وأوقاتها تعبدية ومأخذها التوقيف ولا يمكن إدراجها تحت العموميات المقتضية لمشروعية العبادات وفعل الخيرات لعدم دلالتها على ما فيها من الخصوص، وقد أخرج الطبراني — رحمه الله- أنه ذُكِرَ لابن مسعود قاصٌّ يجلس بالليل ويقول للناس: قولوا كذا، فقال: إذا رأيتموه فأخبروني، قال: فأخبروه فجاء عبد الله متقنعاً، فقال: (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود، تعلمون أنكم لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، وإنكم

---

[1]- **"البرق الوميض" شهاب الدين المرجاني: ص١٤-١٥. وقد أفرد أحد الحاسدين للمرجاني وهو دينمحمد التونتاري كتيباً "ترغيب الفضلاء إلى تخليص الشريعة عن تسلط السفهاء" قصد من وراء هذا الكتيب الرد على مضمونات "البرق الوميض" انظر ما يخص صلاة الحول في: ص١٧.**

[2]- **انظر الصفحة ٢١٣- ٢١٥ من هذه الرسالة.**

لمتعلقون بذنب ضلالة)[١]. وفي رواية: (لقد جئتم ببدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً)[٢]. وروى الترمذي عن عبد الله بن المغفل – رضي الله عنه– أنه قال لابنه في الجهر بالبسملة: (إياك والحدث)[٣]. وقد روي أنّ محمد بن علي زين العابدين – رضي الله عنهما– رأى في الخلاء ذباناً كثيرةً يقعن على النجاسة ثم على الثياب، فأمر بثياب للخلاء ثم تركها واستغفر الله تعالى، فسئل عنه فقال: أحدثت ذنباً فأستغفر له، قيل: ماذا؟ قال: لأني فعلت شيئاً لم يفعله الصالحون ولا خيرَ في البدعة.[٤] فانظر إلى هؤلاء أكابر الصحابة وفضلاء السلف الصالحين وعلماء الأمة وأئمة الدين – رضي الله عنهم أجمعين– كيف أنكروا العبادات المخصوصة المتعلقة بأوقات معينة وأوصاف متعينة وأحوال مخصوصة ولم يروا إدراجها تحت العمومات الدالة على مشروعية الصلوات، والأذكار، والدعوات، والطهارات؛ وذلك لاحتياج الخصوصية المتعلقة باسم، أو هيئة، أو وقت، أو حالة، أو وصف، أو عدد، أو حادثة إلى دليل خاص شرعي، فلا يمكن إدراج مشروعية صلاة الرغائب، والبراءة، والقدر، والهول تحت عمومات مشروعية الصلوات)[٥].

وقد أثبت وجود هذه البدعة المفتي رضاء الدين في كتابه "شرح جوامع الكلم" وأنكر عليها مؤيداً كلام الإمام المرجاني في كونها من قبيل البدع المحدثة كصلاة الرغائب وصلاة البراءة[٦]، وأنها لم تأتِ بهذه الكيفية والاسم والزمان من عصر الصحابة والتابعين؛ فليس لها أصل في الشريعة.[٧]

هذا كلام كبار علماء التتر المعتبرين المعروفين في المجتمع التتري قديما وحديثاً وكفى بما ذكروه حجة على بدعية صلاة الهول– ولله الحمد.

---

[١] – "المعجم الكبير" للطبراني: ١٣٣/٩ برقم ٨٦٢٩.

[٢] – "المعجم الكبير" للطبراني: ١٣٤/٩ برقم ٨٦٣٠.

[٣]– أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في ترك الجهر بـ"بسم الله الرحمن الرحيم": ص٧٠ برقم٢٤٤، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب افتتاح القراءة: ص١٥٣ برقم ٨١٥، ضعفه الألباني، انظر المواضع المذكورة من سنن الترمذي وابن ماجه في طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكام الألباني.

[٤]– ذكره ابن عابدين في "رد المحتار على الدر المختار": ٥٨١/١.

[٥] – "البرق الوميض" المرجاني: ص ٦٢–٦٣.

[٦]– صلاة الرغائب وصلاة البراءة سياتي التعريف بهما في الصفحات القادمة: ص٣١١ وص٣١٤.

[٧] – "شرح جوامع الكلم": ص٤٧٦.

المظهر الرابع: صلاة "احتياط الظهر":

تكلم بعض علماء التتر في مؤلفاتهم عن ظاهرةٍ نشَأَ حولها خلاف كبير بين أهل بلاد التتر وهي ظاهرة أداء صلاة الظهر يوم الجمعة احتياطاً مع أداء صلاة الجمعة! وتسمى بـــ"احتياط الظهر".

وهذه المسألة نالت اهتماماتِ كثيرٍ من علماء التتر خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين حيث انقسم العلماء فريقين: منهم من يؤيد فكرة أدائها ويرى وجوبها، ومنهم من يرى بدعيتها ويمنع أداءها. ونتجت إثر ذلك فتنة وتفرقة بين مسلمي البلد. يقول أحد علماء التتر دينمحمد التونتاري[1] يوم اشتد النقاش حولها: (تكلم البعض في مسألة "احتياط الظهر" صار ذلك فتنةً وابتلاءً وسبّب توتراً واضطراباً وفرقةً بين المصلين أيام الجمع. استفحل الأمر حتى أصبح المانعون من احتياط الظهر يبتعدون عن الآخرين ويلمزون الذين يصلونها)[2].

وقال الإمام المرجاني في صدد بيان حقيقة صلاة احتياط الظهر: (إنه أحدث قوم من متأخري الحنفية[3] — رحمهم الله بعد أن مضى من عصر النبي ﷺ وأصحابه- رضي الله عنهم- نحو أربعمائة سنة أربع ركعات بعد الجمعة أو قبلها وأمروا بأدائها احتياطاً لاختلاف الأقوال في حد المصر وفي جواز تعدد الجمعة في مصر واحد وعدمه[4]- وليس لها أثر في عصر أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر- رحمهم الله ولا بعدهم في عصر أصحابهم وأصحاب

[1] – دينمحمد التونتاري، هو: إشمي إيشان (أي من آل البيت) دينمحمد بن يارمحمد بن منصور التونتاري (١٨٤٩م– ١٩١٩م) أحد علماء الدين التتريين المشهورين. درّس على مدار سنين طويلة في مدرسة قرية تونتار الواقعة في ولاية بلطاس من جمهورية تتارستان الحالية. وهو صاحب عدة تصانيف في العلوم الشرعية. انظر مقدمة الكتاب "ترغيب الفضلاء إلى تخليص الشريعة عن تسلط السفهاء" لدينمحمد التونتاري.

[2] – "ترغيب الفضلاء إلى تخليص الشريعة عن تسلط السفهاء" التونتاري: ص٣٠. وممن استحسن أداءها أحمدهادي المقصودي في "العبادات الإسلامية: سؤال جواب": ص١٢٧.

[3] – وهو قول بعض الشافعية أيضاً. قال محمود الألوسي في "الأجوبة العراقية" ص٢٢٠–٢٢٥: قال الرملي: إنما تجب إعادة الظهر إذا لم تعلم تقدم جمعة صحيحة إذ الشرط عندنا أن لا تتعدد في البلد إلا بحسب الحاجة ومعلوم لكل أحد أن هناك ما فوق الحاجة وحينئذ من لم يعلم وقوع جمعة من العدد المعتبر وجب عليه الظهر وصار كأنه لم يصل جمعة...): ص٢٢٢.

[4] – وقد يؤدي هذا الاختلاف إلى مسألة أخرى غير مسألة احتياط الظهر! قد يؤدي إلى ترك الجمعة أصلاً كما ذكر ذلك عن التتر في "رسالاء تواريخ بلغاريه": ص٣٤ و"البرق الوميض": ص٤٤.

أصحابهم الأجلاء المتقدمين؛ لم يروَ عنهم ولم يرَ في كتبهم، وإنما وقع الخلاف بين المتأخرين من مؤلفي الفتاوى والواقعات فذكر بعضهم أنه لا بد منها وصرح مصرح منهم بوجوبها، وجماعة منهم على أنهما بدعة لم تكن قط في القرون الفاضلة ولا ظهرت في مدارك الأحكام ومآخذ الشريعة، حتى قال بعضهم إن في ذلك رائحة الرفض؛ لأنه لما ابتلي أهل مرو بإقامة الجمعة في موضعين بها مع اختلاف العلماء في جوازها أمر أئمتهم بأداء الأربع بعد الجمعة حتماً احتياطاً، ثم اضطربت آراؤهم في محل إقامتها وصورة نيتها ومشروع القراءة فيها)[1].

وأضاف المرجاني قائلاً: (ولا وجه لإيجاب هذه الأربع أصلا مع أداء الجمعة ولو في القرى الصغيرة)[2].

وقال المفتي رضاء الدين : (بعد عصر الصحابة بعدة قرون رأى أصحاب الحنفية إقامة صلاة احتياط الظهر، فقالوا: شرط أبو حنيفة لأداء فريضة الجمعة مصرية المكان[3] ولما كان تحقق هذا الشرط مشبوهاً فيه وجب أداء أربع ركعات الظهر قبل صلاة الجمعة أو بعدها. فإذا صحّت الجمعة تقع صلاة احتياط الظهر قضاءً لما فات من صلوات الظهر أو صلاةً نافلةً، وإذا لم تصح الجمعة تقع صلاة احتياط الظهر صلاة الظهر، إلا أنه ليس هناك وجه لإيجاب هذه الصلاة، بل هي ليست مشروعة أصلاً...

وأيضاً، فإن دليل اشتراط المصرية دليل ظني، والتعريفات المذكورة للمصر مختلف فيها غير منضبطة وأكثرها غير صحيح[4]، فحسبَ بعض التعريفات تخرج القرى الصغيرة عن دائرة مفهوم "المصرية"، وحسب التعريفات الأخرى يستلزم أن تكون حتى المدينة المنورة التي أقيمت فيها الجمعة في حياة النبي ﷺ ليست داخلة في مفهوم "المصرية"!

---

[1] – "البرق الوميض": ص٤٢.

[2] – "البرق الوميض": ص٦٤. وانظر "المرجاني" لصالح بن ثابت عبيد الله: ٩٣/١.

[3] – لا تصح الجمعة– في المذهب– إلا في مصر جامع أو في مصلى المصر ولا تجوز في القرى لما ورد عن علي– رضي الله عنه: ((لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع)) رواه عبد الرزاق: ١٦٨/٣ برقم٥١٧٧، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٧/٤ برقم٥١٠٦، والبيهقي في الكبرى: ٢٦٠/٣ برقم٥٧١٣، وقد اختلف في تحديد المصر الجامع، فقيل: كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود، وقيل: هو إذا اجتمعوا في أكبر مساجدهم لم يسعهم. انظر "الهداية" باب صلاة الجمعة: ١٠٨/١.

[4] – انظر تفصيلها في "البرق الوميض": ص ٤٤.

وأيضاً فلا يمكن أن يكون العبد مكلفاً بصلاتين واجبتين في آن واحد، إنما أيهما يراها فرضاً يؤديها دون الثاني.

وإذا أتى أحد في حق هذه المسألة بشبهة وقال: "ما الضرر في أداء الصلوات (أي الزائدة)؟"، فهذه الشبهة ليست هينة فيقع فيها كثير من الناس، ولكن الحق هو أن العباد ليس لهم أن يزيدوا في العبادات ويجعلوا هذه الزيادات من الدين الإسلامي مع أنها لم تثبت عن الله ورسوله ﷺ. إذا أتى أحد بعبادة من عنده لم تُشرع من عند رسول الله ﷺ أو بعبادة يعرف أنها ليست ثابتة عنه ﷺ؛ فهذا الإنسان قد نصب نفسه شريكاً لله تعالى[1]، والذي يطيعه فيما ابتدعه يدخل في حكم من يتخذ من دون الله نداً[2].

ولهذا السبب كان التشدد والغلو في الدين محرماً في الإسلام.

ولما احتجوا لأحد الأئمة الذي منع أداء احتياط صلاة الظهر في مسجده بقول الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾ العلق: ٩ – ١٠، أجاب: يا أيها الفقهاء، إذا زاد أحد في صلاة الظهر وجعلها ست ركعات، أو صلاة المغرب أربع ركعات، أو شرع في صلاة عالماً بطلوع الشمس، هل ترضون وتسكتون من غير أن تمنعوه عن ذلك!

وبالاختصار فإن العبادات في الدين الإسلامي مبنية على أسس ثلاثة: ١- عدم الإشراك مع الله أحداً فيما هو خاص بالله، ٢- الموافقة لتعاليم الشريعة وعدم الانحراف عنها، ٣- الإخلاص في العمل. فيجب على الكل مراعاة هذه الأسس.

...ثم قال: على كل حال فإن الصلاة المسماة بـــ"احتياط الظهر" لم تأتِ عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته الكرام- رضوان الله عليهم- بل هي مما أحدث في الآونة المتأخرة...بدعة لا أصل لها)[3].

وأختم هذا المظهر بكلام الإمام المرجاني الذي به أنهى بحثه في مسألة احتياط الظهر، حيث قال: (وقد تلخص من هذا البيان أن الجمعة فريضة قطعية لا يجوز تركها ولا يمكن

---

[1]- **ويشر إلى هذا المعنى قوله تعالى:** ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾الشورى: ٢١.

[2] – **يشير إلى معنى قوله تعالى:** ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١، **ولما فسر النبي هذه الآيات قال إنهم كانوا يحرمون ما حرموا ويحللون ما أحلوا، فتلك عين العبادة واتخاذهم أربابا من دون الله.**

[3] – **"شرح جوامع الكلم": ص٤٧٧–٤٧٨. وانظر كلاماً مفصلاً في الرد على إيجاب صلاة احتياط الظهر عند المرجاني في كتابه "البرق الوميض" المكتوب بالعربية: ص ٤٢–٤٥.**

حجرها، ويجب اعتقاد صحتها في الأماكن التي تصلى فيها من غير احتياج إلى احتياط الظهر، وهذا هو المختار عندي! ولئن صلى (أي احتياط الظهر) فلا بد من أدائها في البيت وتأخيرها عن السنن كلها وترك ضم السورة في الشفع الثاني منها وقطع النية على ظهر اليوم من غير تردد فيها وهي للمسافر ركعتان فقط؛ لأنهما ظهر يومه الواجب عليه فيما لم تصح الجمعة. وكل ما قيل في هذه المسألة غير ذلك فلا يصح رواية ولا دراية، والله أعلم بالصواب وحكمه ألزم وأحكم، وعنده حسن الثواب وإليه المرجع والمآب)[1].

المظهر الخامس: صلاة البراءة:

إن بعض العلماء قد وهم في اعتقاد مشروعية صلاةٍ خاصةٍ بليلة النصف من شعبان[2] التي يسمونها بـــ"صلاة البراءة"[3]، وقد حكوا في ذلك أحاديث لم تصح فطبقها بعض الناس في بعض المساجد على هيئة خاصة مبتدعة[4]. ومما يلاحظ أن أشهر المؤلفات الدينية وأكثرها انتشاراً في تتارستان وغيرها من مناطق روسيا التي يسكنها التتر – وهو التقويم التتري

---

[1] – "البرق الوميض": ص٤٩.

[2] – انظر على سبيل المثال كتاب لأحد علماء التتر "خلاصة المسائل في مهمة الدلائل" لطيب بن ملا علمان: ص٤٠–٤٢، علما بأن هذا الكتاب طبع خلال القرن الماضي خمس مرات وتلقى رواجا في أوساط الشعب التتري، واليوم طبع لسادس مرة.

[3]– وسميت بذلك لما يترتب على أدائها– حسب الروايات الضعيفة والموضوعة– من العتق من النيران والغفران من المعاصي. انظر الأحاديث التي يستدل بها على مشروعية صلاة البراءة وعلى هيئتها ("اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة": ٤٩/٢–٥٠).

[4] – يستدل أهل البدع على هيئة صلاة البراءة المبتدعة بأحاديث موضوعة مثل حديث علي – رضي الله عنه: (يا علي من صلّى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات...) مطولاً، وبحديث ابن عمر مرفوعاً: ((من قرأ ليلة النصف من شعبان ألف مرة "قل هو الله أحد" في مائة ركعة لم يخرج من الدنيا حتى يبعث الله إليه في منامه مائة ملك: ثلاثون يبشرون بالجنة وثلاثون يؤمنون من النار وثلاثون يعصمونه من أن يخطئ وعشر يكيدون من عاداه) وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه مرفوعاً بلفظ: ((...في عشر ركعات...)). قال السوطي: وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل وفيهم ضعفاء والحديث محال. واستدلوا أيضاً بحديث: ((من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة "قل هو الله أحد" ثلاثين مرة لم يخرج حتى يرى مقعده من الجنة)). وقال عنه السيوطي: موضوع. انظر "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة":٤٩/٢–٥٠.

المسلم[1]- قد تكلم في فضل صلاة البراءة وبين هيئتها. وهذا كله يستلزم ذكرها في رسالتنا والتنبيه عليها.

ونتائج الاستبانة الآتية تبين مدى وجود هذه الظاهرة بين مسلمي التتر:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение **صورة الظاهرة في العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...**	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
3	совершение намаза «бараат» в ночь на 15-е шагбан. إقامة صلاة مخصوصة في ليلة النصف من شعبان	**9,4**	**26,6**	**36,7**	**27,3**

الاستبانة رقم ٢/ السؤال رقم ٣.

نرى من خلال الاستبانة أن ٢٧,٣ % من المجيبين لم يروا لهذه الظاهرة وجوداً، بينما يرى المجيبون الآخرون المتمثلون في نسبة ٧٢,٧ % أن لها وجوداً في المجتمع، وقد أدلى ٢٦,٦ % من المجيبين بأن وجودها متوسط الانتشار، ويرى ٩,٤ % منهم أن المجتمع التتري يطبق صلاة البراءة بشكل واسع. وهذه النسب تؤكد ضرورة الخوض في هذه المسألة وبيان حكمها.

وممن تصدى لهذه البدعة مفتي ديار التتر رضاء الدين في مؤلفه "شرح جوامع الكلم" قائلاً: (إذا لم يكن الوقت من أوقات الكراهةِ[2] فإن أداء النوافل فيه جائز يثاب فاعلها. ولكن الذي لا يجوز هو: أداء صلوات لم تثبت عن الرسول ﷺ، أو تغييرها عن الصورة التي وصلتنا عنه ﷺ. إن أداء عبادة على صورة مخصوصة يحتاج إلى دليل خاص، وإلا كانت تلك العبادة اختراعاً في الدين، وكون ذلك ممنوعاً معلوم. ولأجل ذلك كان **تخصيص ليلة الرغائب في رجب وليلة البراءة في شعبان بصلوات مخصوصة بدعةً**. رغم أن هذه الصلوات جاءت منذ العصور القديمة فإنها محدثة من قِبَل بعض المتصوفة ممن لا يحسن علم الحديث. أما علماء الإسلام من المحدثين والحفاظ من كل عصر فإنهم أنكروا هذه الصلوات.

[1] – انظر على سبيل المثال "التقويم التتري المسلم" عن عام ٢٠٠٩م يوم ١٤ شعبان.

[2]– قال ابن عابدين: (واعلم أن الأوقات المكروهة نوعان: الأول الشروق والاستواء والغروب. والثاني ما بين الفجر والشمس، وما بين صلاة العصر إلى الاصفرار...) "رد المحتار": ٤٢/٢. وانظر مناسبة التعبير بالكراهة في نفس المرجع: ٣٧/٢.

والذي أورده ابن ماجه من الحديث: ((**إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها**))[1]. فهذا ضعيف لا يُعتدّ به)[2].

وقد يحتج البعض على فعله بأحاديث حسنة لغيرها التي يَثْبُت حسنُها بمجموع الطرق والروايات كحديث: ((**إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه**))[3]، وكحديث: ((**يطلع الله على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**))[4]، ولكن هذه الأحاديث إن ثبت لنا حسنها أو صحتها، فإنها تتكلم في فضل ليلة النصف من شعبان، لا في مشروعية صلاة البراءة فيها ولا فضلها!

نعم، إن العلماء قد اختلفوا في أحاديث فضل ليلة النصف من شعبان من حيث ضعفها وصحتها، ولكن حتى وإن ثبتت عند بعض العلماء صحة بعضها أو صحتها بمجموعها وبالتالي صحّة القول بثبوت فضلها، فإنه لا يلزم من ذلك — أي من ثبوت فضلها- تخصيص هذه الليلة بصلاة خاصة بهيئة خاصة لم يخصّصها الشارع الحكيم بها، **بل ذلك كله بدعة يجب اجتنابها** والتمسكُ بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح – رضي الله

---

[1] – موضوع. أخرجه ابن ماجه عن علي بن أبي طالب في سننه في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان: ص٢٤٧ برقم١٣٨٨، وقال ابن الجوزي في "العلل"(٧١/٢ رقم٩٢٣): هذا حديث لا يصح. وقال الألباني: إسناد الحديث مجمع على ضعفه، وهو عندي موضوع. انظر "السلسلة الضعيفة": ١٥٤/٥ برقم٢١٣٢.

[2] – "شرح جوامع الكلم": ص٤٧٥.

[3] – البيهقي في "الشعب" عن أبي ثعلبة الخشني– رضي الله عنه: ٤١٤/٧ برقم ٣٥٥١، وقد أورده ابن الجوزي في "العلل المتناهية": ٧٠/٢ برقم٩٢٠، وقال: هذا حديث لا يصح، ولكن حسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير": ١٩٥/١ برقم٧٧١.

[4]- أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٣٥٦/١ برقم٥٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٨١/١٢ برقم٥٦٦٥)، والبيهقي في "الشعب" عن معاذ بن جبل– رضي الله عنه: ٤١٥/٧ برقم٣٥٥٢ وغيرهم. إسناد الحديث منقطع، وانظر "السلسلة الصحيحة" للألباني: ١٣٥/٣–١٣٩ برقم١١٤٤، وقد فصل الكلام في الحديث وطرقه وشواهده جرحاً وتعديلاً وقال: حديث صحيح روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضا. وكذلك انظر التفصيل للشيخ مشهور حسن سلمان في تحقيقه لكتاب "المجالسة وجواهر العلم" للدينوري: ٣٠٣/٣–٣١٥ رقم ٩٤٤.

عنهم[1]. والله أعلم.

المظهر السادس: صلاة الرغائب:

من الصلوات المبتدعة التي اشتهرت في العالم الإسلامي صلاة الرغائب التي تقام ليلة الرغائب وهي ليلة أول جمعة من شهر رجب اتخذها بعض الناس عيداً من أعيادهم يتعبدون بها ويخلصون أعمالهم فيها أشد مما يفعلونه في ليالي العشر الأخير من رمضان المبارك! ومما يلاحظ أن أشهر المؤلفات الدينية وأكثرها انتشاراً في تتارستان وغيرها من مناطق روسيا التي يسكنها التتر – وهو التقويم التتري المسلم– قد تكلم في فضل صلاة الرغائب وبين هيئتها. فكون هذه الصلاة مذكورة في هذا التقويم يعتبر ترويجاً قوياً لها. وأضف إلى ذلك بعض المؤلفات التترية[2] التي تذكر فضل مثل هذه الليالي وكيفية إحيائها بالصلوات المخصوصة والأدعية المخصوصة؛ فإن هذا كله يستلزم ذكرها في رسالتنا والتنبيه عليها.

وقد جاء في "التقويم التتري المسلم" عن هذه الليلة: (وفي هذه الليلة صلاة تقام ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، وهي اثنتا عشرة ركعةً يفصل بين كل ركعتين بتسليمة. يقرأ في كل ركعة منها: فاتحة الكتاب، وسورة "إنا أنزلناه" ثلاث مرات، وسورة "قل هو الله أحد" اثنتا عشرة مرة. وفي كل سجدة يقال: "سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح" سبعون مرة)[3].

ولأن هذه الصلاة لها قراءة مخصوصة وتسبيحات مخصوصة تخالف غيرها من الصلوات ولها وقت سنوي محدد حكم ببدعيتها بعض علماء التتر الأفاضل.

قال الإمام المرجاني: (فانظر إلى هؤلاء أكابر الصحابة وفضلاء السلف الصالحين وعلماء الأمة وأئمة الدين — رضي الله عنهم أجمعين– كيف أنكروا العبادات المخصوصة المتعلقة بأوقات معينة وأوصاف متعينة وأحوال مخصوصة و لم يروا إدراجها تحت العمومات الدالة على مشروعية الصلوات، والأذكار، والدعوات، والطهارات؛ وذلك لاحتياج

---

[1] – انظر "الصراط المستقيم رسالة فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان" للألباني: ص٩.

[2] – انظر على سبيل المثال كتاب "خلاصة المسائل في مهمة الدلائل" لطيب بن ملا علمان: ص ٣٨–٤٠.

[3] – "تاتار مسلمان جدولي–١٣١٨هــ" وهو "التقويم التتري المسلم من عام ١٩٩٧م": رجب ٦ الموافق نوفمبر ٦. مقالة الإمام المحتسب حضرة راميل حاجي إيسانبردين.

الخصوصية المتعلقة باسم، أو هيئة، أو وقت، أو حالة، أو وصف، أو عدد، أو حادثة إلى دليل خاص شرعي، فلا يمكن إدراج مشروعية صلاة الرغائب والبراءة والقدر والهول تحت عمومات مشروعية الصلوات)[1].

وأيضا حكم الإمام التتري رضاء الدين بن فخر الدين ببدعية هذه الصلاة في كتابه "شرح جوامع الكلم": (إن أداء عبادة على صورة مخصوصة يحتاج إلى دليل خاص، وإلا كانت تلك العبادة اختراعاً في الدين، وكون ذلك ممنوعاً معلوم. ولأجل ذلك كان **تخصيص ليلة الرغائب في رجب وليلة البراءة في شعبان بصلوات مخصوصة بدعةً**. رغم أن هذه الصلوات جاءت منذ العصور القديمة، فإنها محدثة من قِبَل بعض المتصوفة ممن لا يحسن علم الحديث)[2].

هذا كلام علماء التتر في حكم صلاة البراءة، وهو موافق لما قاله علماء أهل السنة فيها. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: (وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها، بل هي محدثة، فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ نهى أن تختص ليلة الجمعة بقيام، أو يوم الجمعة بصيام)[3]، إذن تخصيص غيرها من الأيام والليالي بالقيام والصيام أولى بالمنع![4] علما بأن ذلك باتفاق أئمة الدين –كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية– ولم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه، ولا استحبها أحد من أئمة الدين كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والثوري، والأوزاعي، والليث وغيرهم – رحمهم الله– والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث.[5]

وقد احتج الإمام النووي على تحريم تخصيص ليلة الرغائب بصلوات مخصوصة بحديث

---

[1] – "البرق الوميض": ص٦٢–٦٣.

[2] – "شرح جوامع الكلم": ص٤٧٥،٤٧٣.

[3] – "مجموع الفتاوى": ١٣٢/٢٣.

[4] – **قال الشيخ عبد العزيز ابن باز: (لو كان تخصيص شيء من الليالي بشيء من العبادات جائزاً لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها؛ لأن يومها خير يوم طلعت عليه الشمس بنص الأحاديث الصحيحة، فلما حذر النبي ﷺ من تخصيصها بقيام من بين الليالي دل ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى: لا يجوز تخصيص شيء منها بشيء من العبادة إلا بدليل صحيح يدل على تخصيصه). "التحذير من البدع": ص٣٩.**

[5] – انظر "مجموع الفتاوى": ١٣٤/٢٣.

الرسول ﷺ: ((**لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي...**))[1]، وقال: (واحتج به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى الرغائب، قاتل الله واضعها ومخترعها، فإنها بدعة منكرة...)[2] إلى آخر كلامه- رحمه الله، وقد نقل هذا الكلامَ عنه الأئمةُ الآخرون وأقروه[3]. قال ابن رجب: (فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء)[4].

المظهر السابع: صلاة التسبيح:

من الصلوات التي تقام في بلدنا والتي لم يثبت لمشروعيتها دليل صحيح صلاة التسبيح. وقد شاهدت جماعة في المسجد الرئيس في مدينة قازان يحثهم إمامهم على أداء صلاة التسبيح الجماعية ويشرح كيفية أدائها- وهذه الكيفية الغريبة كانت تحتاج بالفعل إلى شرح دقيق وتركيز من المستمعين، فاحتار الناس ماذا يفعلون؛ إذ لم يسمعوا عنها من قبل! ومع أن الصلاة لم تثبت بحديث صحيح، فإن إمام المسجد كان يستدل لمشروعية هذه الصلاة وفضلها بأقوال بعض علماء الأمة المشهورين مثل الإمام النووي- رحمه الله. فحينئذ عزمت على إضافة هذه الصلاة ضمن مسألة "**مظاهر الانحراف في الصلاة**". ثم إني أثناء البحث وتقليب صفحات كتب علماء التتر من القرون الماضية وجدت أن المسألة ليست بغريبة عليهم وإنما ذكرها بعضهم في مؤلفاتهم وحثوا عليها مما أكّد ضرورة ذكر هذه الصلاة في بحثي.

[1] – الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب كراهة إفراد يوم الجمعة بصوم لا يوافق عادته: ص٤٦٦ برقم١١٤٤ (٢٦٨٤).

[2] – "شرح مسلم" للنووي: ٢٦٠/٤.

[3] – مثل الشوكاني وغيره. انظر "نيل الأوطار" للشوكاني: ٢٣٦٥/٥ تحت رقم الحديث ١٧٣٢.

[4] – "لطائف المعارف" لابن رجب: ص٢٢٨.

فمثلا، قال صاحب كتاب "أفضل الإحسان لأولاد الإسلام" التتري: (وتطوع الرجل في بيته أفضل، وأصح ما جاء من نوافل الصلاة صلاة التسبيح؛ فليصلها العبد كل يوم، أو جمعة، أو شهر، أو سنة، أو في عمر مرة)[1].

وكذلك ذكر فضل هذه الصلاة مع الحث عليها في "التقويم التتري الديني" مما يعطي للمسألة رواجاً في المجتمع التتري.[2]

وقد استدل القائلون بمشروعية صلاة التسبيح بالحديث الذي رواه بعض أصحاب السنن، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: ((**يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك...، ألا أمنحك...، ألا أحبوك[3]...، ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك: أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته – عشر خصال– أن تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم، قلت: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً. فذلك خمس وسبعون في كل ركعة. تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة**))[4].

---

[1] – "أفضل الإحسان لأولاد الإسلام" باللغة التترية: ص ٧٦.

[2] – "التقويم التتري الديني عن عام ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ" يوم ٣٠ ديسمبر/ ٧ ذو القعدة.

[3] – "أمنحك" بمعنى أعطيك، وكذا "أحبوك"؛ فهما تأكيد بعد تأكيد. انظر "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير: ص١٨٥، "عون المعبود": ٤/١٣٠.

[4] – أخرجه أبو داود عن ابن عباس، أول كتاب الصلاة، باب صلاة التسبيح: ص٢٢٣ برقم١٢٩٧، و ابن ماجة في سننه عنه به: ص٢٤٦ برقم١٣٨٧، و الترمذي عن أبي رافع نحوه، كتاب الوتر، باب ما جاء في صلاة التسبيح: ص١٢٨ برقم٤٨٢، وقال الترمذي في ص١٢٧: (روي عن النبي ﷺ في صلاة التسبيح غير حديث، ولا يصح منه كبير شيء. وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيها). وحكم الألباني على الحديث بالصحة، انظر المواضع المذكورة من السنن في طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

هذا الحديث قد صححه بعض العلماء وضعفه الآخرون، حتى إنّ ابن الجوزي ذكره في الموضوعات، وقال بعد أن ذكر حديث صلاة التسبيح من عدة طرق: (هذه الطرق كلها لا تثبت)[1] ثم ذكر علة كل طريق.

قال ابن تيمية: (كل صلاة فيها الأمر بتقدير عدد الآيات، أو السور، أو التسبيح فهي كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث إلا صلاة التسبيح؛ فإن فيها قولين لهم وأظهر القولين أنها كذب - وإن كان قد اعتقد صدقها طائفة من أهل العلم- ولهذا لم يأخذها أحد من أئمة المسلمين، بل أحمد بن حنبل و أئمة الصحابة كرهوها و طعنوا في حديثها، وأما مالك، وأبو حنيفة، والشافعي وغيرهم، فلم يسمعوها بالكلية)[2].

لقد عرفنا أن أهل العلم مختلفون في مشروعية صلاة التسبيح وذلك لاختلافهم في ثبوت الحديث الوارد فيها، إلا أنّ جَعْلَ هذا الحديث في عداد الموضوعات — مثلما فعله ابن الجوزي- ربما يكون مبالغة — على حد قول ابن حجر رحمه الله- بل الحق أن نقول إن طرقه كلها ضعيفة وإن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن ولكنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ومخالفة هيئتها لهيئة باقي الصلوات؛ فينبغي ألا تُفْعَل.[3]

المظهر الثامن: الانحناء (أو توطئة الرأس) أمام المسلَّم عليه:

من الملاحظ على بعض أهل التتر أنهم عند إلقاء التحية على الآخرين أو عند توديعهم ينحنون قليلاً أو يوطئون روسهم إظهاراً لاحترام من يسلمون عليه أو يودعونه. وهذه العادة منتشرة في بلاد شرق آسيا، وهي دالة على تواضع أهاليهم واحترامهم وإكرامهم لضيوفهم، وهذه -لا شك- أخلاق حميدة، إلا أن فعلهم هذا وهو الانحناء أو توطئة الرأس وإن كان مجرد إبراز حب واحترام مكروه قياساً على سجود الاحترام المنهي عنه، فقد ورد أن معاذ بن

[1] - "الموضوعات" لابن الجوزي: ٢/١٤٥.

[2] - "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية" لابن تيمية: ٧/٤٣٤.

[3] - انظر "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير" لابن حجر العسقلاني: ٢/ ٧-٨ برقم ٤٨٢.

جبل- رضي الله عنه- لما قدم من الشام سجد لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((**ما هذا؟**)) قال: يا رسول الله، قدمت الشام، فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم، وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: ((**فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**))[1]. والانحناء في حكم السجود قياساً. والشريعة قد دلت على ما ينوب عنهما وهو: المصافحة والمعانقة[2]، ففي بعض طرق حديث معاذ: (**ونهى عن السجود للبشر، وأمرنا بالمصافحة**)[3].

وقال صاحب "الطريقة المحمدية" المشهور لدى الشعوب التركية ملاحظاً وجود هذه الظاهرة لديهم: (ومن الآفات أن ينحني الإنسان عند التسليم على الآخر؛ إنه مكروه)[4].

---

[1]- الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن أبي أوفى، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة: ص٣٢٣، برقم ١٨٥٣، وابن حبان في صحيحه واللفظ له، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين: ٣٣٥/١٧، برقم ٤٢٤٥. قال محققه: إسناده حسن. وللحديث شواهد كثيرة، انظر "الإرواء": ٥٥/٧ برقم١٩٩٨/٣.

[2]- أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، حدثنا وكيع، عن شعبة، عن غالب قال: قلت للشعبي: إن ابن سيرين كان يكره المصافحة، قال الشعبي: كان أصحاب رسول الله يتصافحون، وإذا قدم أحدهم من سفر عانق صاحبه (١٨٥/١٣ برقم٢٦٢٣٤) وقال محققه: إسناده حسن.

[3]- أورد الحديث بهذا اللفظ الإمام القرطبي في تفسيره: ٣٣٥/١ برقم٣٧٤. قال الشيخ الألباني في تحقيق الكتاب "إصلاح المساجد من البدع والعوائد" (ص٣٧): حديث معاذ- رضي الله عنه- في النهى عن السجود للبشر صحيح، ولكن ليس فيه الأمر بالمصافحة، وإنما جاء الأمر بها في حديث ضعيف مخرج في "الضعيفة" ٢٤٩/٤ برقم١٧٦٦.

ولكن يبقى أن المصافحة أمر مشروع؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن قتادة قال: قلت لأنس أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ قال: نعم. (كتاب الاستئذان، باب المصافحة برقم٦٢٦٣: ص١٠٩٠). وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٤/١٣ برقم٢٦٢٣١) وأحمد في مسنده (٥١٧/٣٠ برقم١٨٥٤٧)، عن ابن نمير عن الأجلح عن أبي إسحاق عن البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)). ومن طريق ابن أبي شيبة أبو داود (ص٩٤٢ برقم٥٢١٢) وابن ماجه (ص٦١٣ برقم٣٧٠٣)، ورواه الترمذي من طريق ابن نمير بهذا الإسناد (ص٦١٣ برقم٢٧٢٧) وقال: حديث حسن غريب. وقد حكم الألباني على الحديث بالصحة. والأجلح هو ابن عبد الله الكندي فيه مقال يعتبر به. وقال محقق المسند: صحيح لغيره. وأحاديث المصافحة والمعانقة كثيرة.

[4]- " الطريقة المحمدية" لمحمد البركلي: ص١٥٠. وانظر "الفتاوى الهندية": ٤٤٩/٥.

ويزيد جلال الدين السيوطي[1] على وصف هذه الظاهرة بالكراهة ويقول: إنها أمر منكر منهي عنه.[2]

أما لو كان هذا الانحناء انحناء التعظيم والعبادة، فهو- مما لا شك فيه- شرك ظاهر مخرج من الملة؛ وهذا لا يوجد في المجتمع التتري – فيما أعلم- ولله الحمد.

---

[1]- السيوطي، هو: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي الأصل الشافعي. العالم الكبير صاحب التصانيف، ولد بمصر سنة ٨٤٩ هـ، أمه تركية، نشأ يتيماً، حفظ القرآن وهو دون ثماني سنين، برع في علوم كثيرة وأجيز بالتدريس والإفتاء ولم يبلغ سن العشرين، لكنه تربى حسب ما شاع في زمانه من العلوم على أيدي المشايخ؛ فكان صوفياً طريقة، أشعرياً مفوضاً عقيدةً، وشافعياً فقهاً. رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع. وبلغت مؤلفاته نحو ٦٠٠ مصنف، منها: "الدر المنثور" في التفسير، و"تفسير الجلالين"، و"الإتقان في علوم القرآن"، "الأشباه والنظائر" في العربية، و"الأشباه والنظائر" في الفروع الشافعية، "طبقات الحفاظ"، "طبقات المفسرين"، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، "تدريب الراوي شرح كتاب النووي"، "الجامع الصغير" في الحديث وغير ذلك الكثير. توفي بمصر سنة ٩١١هـ. انظر "حسن المحاضرة" للسيوطي: ٣٣٥/١، "الضوء اللامع": ٦٥/٤ برقم٢٠٣، "القبس الحاوي" للشماع: ٣٢٩/١ برقم٣٤٨، "شذرات الذهب": ٥١/٨، "البدر الطالع": ٣٦٧/١ برقم٢٢٩، "الأعلام": ٣٠١/٣.

[2]- انظر "الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع" للسيوطي: ص٢٦٥-٢٦٨، وانظر أيضا ما قاله القرطبي في هذا الموضوع في تفسيره (سورة يوسف، الآية١٠٠): ٢٢٥/٩.

وقال ابن القيم ناقلاً قول السدي في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ البقرة: ٥٨: (السجود بمعنى الركوع، وأصل السجود الانحناء لمن تعظمه، فكل منحن لشيء تعظيماً له فهو ساجد، قاله ابن جرير وغيره، قلت: وعلى هذا فانحناء المتلاقيين عند السلام أحدهما لصاحبه من السجود المحرم، وفيه نهي صريح عن النبي ﷺ) (إغاثة اللهفان: ١٠٦٣/٢).

المسألة الثانية: مظاهر الانحراف المتعلقة بالصيام:

الصورة الأولى: الصيام بهدف تخفيف الوزن:

ذكرنا في المطلب الأول منزلة الصيام في الشريعة الإسلامية ومظاهره عند التتر، ورأينا من خلال السؤال رقم٦ الوارد في الاستبانة رقم٢ "العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح" أن نسبة ٧٥،٦ % من المجيبين يرون أن أغلبية الشعب التتري يلتزم بالصيام في شهر رمضان المبارك، حتى - أحياناً- نرى أناساً يصومون رمضان وهم لا يصلون!

وأريد أن أقف هنا وأشد انتباه القارئ إلى وجود بعض الناس ممن يصوم ولكنه لا يصلي، فهؤلاء- حسبَ ظني والله أعلم- على أنواع ثلاثة:

١ - شخص يريد أن يُسلم فيبتدئ إسلامه بالصيام في شهر رمضان المبارك؛ فإن رمضان يكسر ذلك الحاجز النفسي الذي كان يمنعه من مباشرة الأعمال التعبدية، فالآن مع حلول هذا الشهر المبارك يستشعر ذلك الجو الأخوي الذي يعيشه الصائمون في العالم الإسلامي بأكمله حيث يزدادون إيماناً وتقوى ويحرصون على الصلوات في المساجد ويصلون التراويح فيها ويشاركون في الإفطارات الجماعية فيتشجع هذا الإنسان للصيام مع المسلمين ويكون ذلك خطوة أولى من خطواته في مسيره الإسلامي، نسأل الله أن يثبتنا عليه.

٢ - شخص مسلم ولكنه يتهاون في الصلاة ويعتذر عنها بقلة الوقت وانشغاله بحقوق الأسرة والعمل، وينسى أن حقوق الله على الناس أولى، وحتى لو وجد وقتاً وتذكر الله في حين من الأحيان بسبب من الأسباب يجد نفسه لا يعرف تفاصيل الصلاة ويؤخر تعلمها إلى أجل غير مسمى. وأكثر هؤلاء يقولون: سأصلي إذا انتهيت من عملي الفلاني، أو مشروعي الفلاني، أو إذا تقاعدت. وما ذلك إلا بسبب الجهل وضعف الإيمان: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥! ولكنه في نفس الوقت لا يجد عذراً لترك الصيام فيصوم مع المسلمين ومع أهل بيته.

٣ - شخص يدعي الإسلامَ ويرى أن في الإسلام نفعاً للبشر حيث ينظم لهم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى العبادات ينظر إليها نظرةً ماديةً؛ فيقتنع بشرعية الزكاة لكونها نظاماً مالياً يعود نفعه للمجتمع: للفقراء منهم والمساكين، ويقتنع

بشرعية الصلاة لكونها حركات رياضية يعود نفعها للجسم، وكذلك الصيام يقتنع به وربما يصوم أحياناً لأغراض بدنية كإراحة المعدة وتخفيف الوزن. وهذه الصورة بين الصائمين موجودة بالفعل، ويؤكد عليها بعض الإخوة المجيبين على أسئلة الاستبانة. لننظر مدى وجودها من خلال الجدول التالي:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение صورة الظاهرة العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...	مدى وجود هذه الظاهرة сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
7	держание поста в целях похудения الصيام بهدف تخفيف الوزن	2,3	6,8	22,5	68,4

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٧.

من خلال هذا الجدول نرى أن نسبة ٦٨,٤ % من المجيبين يرون عدم وجود هذه الصورة، بينما نسبة ٢٢,٥ % منهم يرون أن وجودها قليل.

وقد لاحظ وجود هذه النسبة القليلة في المجتمع التتري أحد الأئمة المعاصرين، حيث قال: (إن بعض الناس يقولون: إن الصوم يخلص البدن من الرواسب المتراكمة عبر الشهور جراء الأكل المتواصل. ولكن إذا كان هو مقصدنا من الصوم فلا يكون فيه أجر إذ لا يكون عبادة. نعم، إن الصيام يطهر أبداننا، ولكن يجب أن يكون مقصدنا الأساسي هو التعبد خالصاً لوجه الكريم)[1].

ولكن ما بال الذين يرون أنها في المجتمع متوسطة الانتشار (وهم ٦,٨ % من المجيبين)، أو كثيرة الانتشار (وهم ٢,٣% من المجيبين)!؟ ولعل هؤلاء ضموا إلى جوابهم المسلمين الذين تصحب نياتِهم الصالحةَ نيةُ التخفيف على المعدة والتقليل من الوزن، وإلا فلا يتصور أن يصوم أغلب مسلمي التتر بمحض نية تخفيف الوزن - والله أعلم. أما إذا كان الأمر- كما ذكرت- في الأصل هو التعبد بالصوم مع اصطحاب هدف تخفيف الوزن فهذا قد يوجد بالفعل في المجتمع التتري بل في كل مجتمعات العالم الإسلامي، ولكن يلاحظ في هذه الصورة حالتان اثنتان:

[1] - **"التقويم التتري المسلم عن عام ١٩٩٩م": عن يوم ١٠ ديسمبر.**

١ – أن يصوم الشخص لله، ولكنه – أيضاً– يريد بصيامه هذا تخفيف وزنه ويتشجع للصيام بسبب ذلك. فهذا قد يحصل كثيراً ولا ينتبه له المسلم مع أنه مخل بكمال إخلاصه![1] فيجب على الأئمة في المساجد خاصة والمسلمين في نصحهم بعضهم بعضاً عامةً أن ينبهوا الصائمين على الإخلاص في نياتهم حتى لا يشوبها ما يخل بشرط قبول أعمالهم أو يقلل من أجورهم. ومخالطة النية الفاسدة تكون على الدرجات، فلعلّ بعضها يكون أفسد من الأخرى؛ فيكون بعضها مزيلاً للإخلاص تماماً وبعضها يكون منقصاً له مقلّلاً للأجر. ولكن لا بد أن نفرق بين هذه الحال والحال الثانية الآتية الذكر:

٢ – أن يصوم الشخص لوجه الله تعالى وفي نفس الوقت هو يدرك تلك الفوائد التي أوجدها الله في الصيام ومنها فوائد بدنية، فيصوم صيام المخلصين – من غير أن ينوي بالصوم تخفيف الوزن– ويفرح بمعرفة فوائد الصيام موقناً بحكمة الله، عالماً بأن الله هو العليم بخلقه، الحكيم في أفعاله وتصرفاته، فيكون ذلك من تمام إخلاصه في صيامه وتمام شكره على إنعام الله على خلقه. والله أعلم.

الصورة الثانية: تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام:

من صور الانحراف في الصيام ما يصدر من بعض مسلمي التتر من تخصيص بعض أيام السنة بالصيام كتخصيص يوم الخامس عشر من شهر شعبان وغيره. فهذا الصيام مع أنه ليس مشروعاً في الشريعة الإسلامية إلا أن بعض أئمة التتر يحثون عليه من المنابر في خطبهم وبالأقلام في مقالاتهم. أذكر هنا على سبيل المثال قول رئيس القضاة في تتارستان إذ يقول في أشهر الدوريات "التقويم التتري المسلم": (إن ليلة البراءة — على عكس ليلة القدر– معروفة محددة؛ فهذا الذي يميزها عن ليلة القدر! وهي ليلة قبول الدعاء؛ فلذا كان من المطلوب أن تستقبل ليلتها بصيام نهارها)[2].

وقد تكلم صاحب مقالة أخرى في "التقويم التتري" عن فضل صيام شهر شعبان وذكر أن الإكثار من الصيام في هذا الشهر من السنة النبوية، وهذا حق، ولكنه بعد ذلك حث على صيام يوم النصف من شعبان خاصةً؛ حيث قال: (من أقام تلك الليلة ثم صام يومها لن يرد

[1]– وقد سبق الكلام مع ذكر قول ابن رجب في وإرادة عرض من الدنيا في أنواع العبادات، انظر: ص١٠٣.

[2] – "التقويم التتري المسلم عن عام ١٩٩٩م/ ١٤٢٠هـ": يوم ٢١نوفمبر/ ١٣ شعبان.

الله دعاءه).

والقول الصحيح في تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام أنه بدعة لا أصل له. إن صيام شهر شعبان ثابت في الصحيحين، فعن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: (**ما رأيت النبي ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان**)[1]. ولعل الحكمة من إكثار الصيام في هذا الشهر هو حبه ﷺ أن يرفع عمله وهو صائم، كما ورد ذلك في الحديث عن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- قال: قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال ﷺ: ((**ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم**))[2].

ولعل ذلك- أيضاً- من باب التمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط، فيكون شعبان كالمقدمة لرمضان فيه ما في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان و ترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن.[3]

أما تخصيص يوم من أيام شعبان أو ليلة من لياليه بشيء من العبادات فيحتاج إلى دليل. وقد ورد في تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام حديث: ((**إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها**))[4] ولكنه حديث ضعيف بل موضوع، فلا تقوم به الحجة. لكن إذا صامه الإنسان على أنه من أيام البيض (وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر) التي يسن صيامها من كل شهر، فهذا لا بأس به إذا صامها في شعبان كما يصوم في غيره من الشهور. والله أعلم.

---

[1] – أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم شعان: ص٣١٦ برقم ١٩٦٩، ومسلم في كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان: ص٤٧١ برقم ٢٧٢١ (١١٥٦).

[2] – أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ – بأبي هو وأمي – وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك: ص٣٦٧ برقم٢٣٥٧، وأخرجه أحمد في مسنده: ٨٥/٣٦ برقم٢١٧٥٣، وقال المحقق: إسناده حسن. وحسنه الألباني، انظر الموضع المذكور من سنن النسائي في طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

[3] – ذكر ذلك الحافظ ابن رجب في "لطائف المعارف"، الفصل: وظائف شهر شعبان: ص٢٥٨.

[4] – سبق تخريجه في ص٣١٣.

المسألة الثالثة: مظاهر الانحراف المتعلقة بالذبح:

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣، أمر الله – عز وجل- رسوله الكريم ﷺ أن يكون مقصده في عباداته كالصلاة والذبح وفي تصرفاته طيلة حياته وعند مماته إرادة وجه الله وطلب رضاه. وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله عز وجل.[١]

إذاً الذبح -كما هو واضح من خلال هذه الآية ومن خلال ما سبق في مسألة مظاهر التوحيد المتعلقة بالذبح – من أعظم العبادات، ولا يجوز صرفها إلا لله وحده، وعلى هذا فإن الذبح لغير الله شرك!

وهذا النوع من الشرك يكاد لا يوجد في بلدنا – ولله الحمد. ولمعرفة مدى وجوده في المجتمع التتري ننظر إلى نتائج الاستبانات في الجدول التالي:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение **صورة الظاهرة في العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...**	**مدى وجود هذه الظاهرة**			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
10	заклание животных с именем «святых». الذبح بأسماء "الأولياء"	0,8	0,8	13,6	84,8
11	заклание животных на могилах. الذبح عند القبور	0,8	0	7,7	91,5

الاستبانة رقم ٢/ رقم السؤال–١٠ و ١١.

من خلال الاستبانة نرى أن الذبح لغير الله يكاد لا يوجد في المجتمع التتري، إذ أجاب ٨٤,٨ % من المجيبين بأن الذبح بأسماء الأولياء والصالحين لا يوجد مطلقاً، بينما أجاب ١٣,٦ %من المجيبين بأنه إن وجد فبنسبة ضئيلة[٢].

وكذلك ظاهرة الذبح عند القبور شبه معدومة عند التتر، ويؤكد هذه المعلومة نسبة ٩١,٥ % من المجيبين الذين أجابوا بأنها لا توجد في بلدنا- ولله الحمد.

---

[١] – **انظر "المحرر الوجيز" لابن عطية في تفسير سورة الأنعام: ٣٦٩/٢.**

[٢] – **لم ألتفت إلى نسبة ٠،٧ % في خانة المجيبين بـــ"كثير" و"متوسط" إذ تساوي هذه النسبة شخصاً واحداً من ١٣٥ (مائة وخمسة وثلاثين) مجيباً. فأعتبره شاذاً مخالفاً للجميع فيكون إما خطأً أو سهواً.**

ورغم هذه النتائج المثبتة لعدم انتشار الانحراف في مسألة الذبح اليوم، فإننا نجد أن علماء التتر السابقين كانوا يولون المسألة اهتماماً كبيراً ويحذرون من الوقوع في مثل هذه الشركيات، فمن أهم المؤلفات التي تذكر حكم الذبح عند القبور أو الذبح باسم المشايخ هو "شرح جوامع الكلم" للإمام رضاء الدين فخر الدين التتري، فقد قال في كتابه القيم- نفع الله به المسلمين في بلادنا: (إن الذهاب إلى قبور أناس يزعمون أنهم من الأولياء ثم الاستمداد بهم وترك الأموال على قبورهم ليس من الأمور عديمة الفائدة فحسب، بل هي من أشد البدع ضرراً؛ فإن اعتقاد البعض في بعض المقبورين بأنهم أولياء الله ثم ذبح القرابين المنذورة عند قبورهم وطلب العون منهم لمخالفة صريحة لأمر الله سبحانه وتعالى)[١].

وهناك حالة أخرى أشار إليها بعض العلماء أحب أن أذكرها للفائدة، وهي أن البعض قد يذبح عند قبر شيخ أو إمام أو ولي – على حد زعمهم- وإذا أنكرت عليهم قال: إني أذبح باسم الله! فما المحظور في ذلك؟ الجواب أن مقرِّب الذبيحة هنا أحد اثنين: إما أنه يريد التقرب والتعبد إلى الميت بهذه الذبيحة ولو باسم الله؛ فهذا شرك، وإما أنه يعتقد أن هذا المكان أقرب للإجابة؛ فهذا بدعة ووسيلة للشرك، وقد يكون شركاً إذا اعتقد أن صاحب القبر يؤثر في الله ويجعله يقبل دعاءه بسبب شفاعته. فكل الأمور محذور: إما شرك وإما وسيلة إليه!

ولكن هناك صورة أخرى من مظاهر الانحراف المتعلقة بمسألة الذبح وهي إراقة دم الأنعام في الأماكن التي لا يشرع الذبح فيها كالذبح على أطلال مدينة بلغار التاريخية والذبح في المكان المسمى بــ"خوجالار طاوي". ولم يكن الذبح فيها ممنوعا ابتداءً وإنما بعدما تحولت هذه الأماكن إلى مزارات وأعياد.

ولنرى مدى وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري نلقي نظرة على الجدول التالي:

رقم السؤال	намаз, пост, жертвоприношение **صورة الظاهرة في العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...**	مدى انتشار الظاهرة في المجتمع التتري			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
12	заклание животных на Булгаре. الذبح على أطلال مدينة بلغار	4,7	14,0	10,0	71,3
13	заклание животных на месте «Худжалар тавы». الذبح في مكان "خوجالار طاوي"	5,6	8,0	12,0	74,4

الاستبانة رقم ٢/ السؤال رقم١٢، ١٣.

[١] – "شرح جوامع الكلم": ص٢٤١، وانظر أيضاً ص١٧٧، وص٣٧٧ وغيرها كثير من كتابه النافع.

من خلال نتائج الاستبانة نجد في السؤال رقم (١٢) أن نسبة ٧١,٣ % من المجيبين قالوا بعدم وجود الذبح على أطلال مدينة بلغار، ونفس النسبة تقريباً وهي ٧٤,٤ % من المجيبين قالوا في السؤال رقم (١٣) بعدم وجوده في المكان المسمى بـــ"خوجالار طاوي"! بينما يرى الآخرون وهم ٢٨,٧ % من مجموع المجيبين في السؤال رقم (١٢) أن هذه الظاهرة موجودة وإن كان يرى البعض منهم (وهم يمثلون ١٠,٠ % من مجموع المجيبين) أنها قليلة الوجود. وكذلك ٢٥,٦ % من مجموع المجيبين في السؤال رقم (١٣) يرون أن هذه الظاهرة أيضاً موجودة في المكان المسمى بـــ"خوجالار طاوي" وإن كانت نسبة منهم (وهم المتمثلون في ١٢,٠ % من مجموع المجيبين) يرون أن وجودها قليل.

وهذه النتائج تبين لنا أن ظاهرة الذبح في هذه الأماكن تتمتع بالوجود في المجتمع التتري ولو لم يكن لها انتشار واسع. بل أنا شخصياً أعرف من نذر أن يذبح شاته هناك قائلاً: إذا شفيت سأذبح شاة في "خوجالار طاوي".

وحكم هذه الظاهرة أنها محرمة لنهي الشريعة عن تخصيص هذه الأماكن بالعبادة!
وبيان ذلك فيما يلي:

إذا كان الشخص يتوسل إلى الله بالذبح في هذا المكان معتقداً بأن الذبح هنا أرجى لقبوله عند الله؛ فهذا جهل وضلال ليس من الشريعة الإسلامية في شيء، بل قبول القربان كأي عبادة من العبادات مبني على أمرين: الأول/ متابعة الشريعة في الهيئات والكيفيات والكميات، والثاني/ أن يكون العمل خالصاً لوجه الكريم لا يريد به إلا رضاه.

فإذا كان الأمر كذلك، فهل عمله هذا يرضي ربه؟ هل هو موافق لتعاليم السنة النبوية وهل هي خالصة لله؟

الجواب: لا بد من بيان حال المتقرب بذبيحته في مثل هذه الأماكن. فله أربعة أحوال:

١ – شخص أتى لزيارة هذه الأماكن التاريخية بقصد التنزه وتذكر تاريخ أجداده المسلمين فأو لم بذبح شاة.

٢ – شخص يتقرب بذبيحته إلى الله راجيا ثوابه معتقداً بأن هذه الأمكنة أولى بالقبول.

٣ – شخص يتقرب بذبيحته إلى أهل هذه الأماكن المقبورين وإن لم تظهر قبورهم معتقداً فيهم الوساطة بينه وبين الله.

٤ - شخص يتقرب بذبيحته إلى أهل هذه الأماكن المقبورين وإن لم تظهر قبورهم معتقدا أنهم هم الذين بإمكانهم أن يقضوا حاجاته.

أما الحالتان: الثالثة والرابعة، فهما من أنواع التوسل غير المشروع ولا شبهة في كونهما شركاً منهياً عنه في القرآن والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ الزمر: ٣، وأيضاً فإن ذبائحهم مما أهلّ لغير الله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ المائدة: ٣، أي ما ذبح لغير الله تعالى وقصد به صنم أو بشر من الناس كما كانت العرب تفعل وكذلك النصارى، فهذا كله محرم وشرك كبر؛ لأن الذبح عبادة من أجلّ العبادات، فصرفها لغير الله شرك.

أما في الحالة الثانية عندما يتقرب شخص بذبيحته إلى الله راجيا ثوابه معتقداً بأن هذه الأمكنة أولى بقبول العبادات فيها، فالأماكن على نوعين:

أحدها: الأماكن التي يعبد فيها لغير الله كالمكان الذي يسمى بـ"خوجالار طاوي"، فإنه تمارس فيه عبادة غير الله، بل يوجد هناك جدول لزيارة هذا المكان: فيوم للمسلمين، ويوم آخر للنصارى، ويوم للمجوس، وأيضاً يوجد بالمكان منبع الماء الذي يعتقدون قداسته وقدرته الشفائية. فهذا كله كافٍ للزجر عن زيارة هذا المكان بله النذر والذبح فيه!

فعن ثابت بن الضحاك، قال: (نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبى ﷺ فقال: إنى نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبى ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»)[1]. فالشاهد في هذا الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» استفسر النبي ﷺ هل المكان الذي نذر أن يذبح فيه خالٍ من الشركيات وعبادة غير الله والأعياد الجاهلية أم لا، فلما تبين أنه ليس هناك شيء من ذلك

[1] - الحديث: صحيح، وقد تقدم تخريجه في ص٢٦٤.

أذن له رسول الله ﷺ في الوفاء بما نذر من الذبح. فمكاننا هذا لا يخلو عن الشركيات، إذاً تكون ممارسة أي عبادة فيه ممنوعةً.

ثم إن اعتقاد فضل هذا المكان وأنه أرجى لقبول العبادة فيه يحتاج إلى دليل شرعي، وليس في الشريعة الإسلامية شيء من الأماكن له فضل إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية المتعبرة كالمساجد الثلاثة[1]، ولا المنابع لها فضل غير منبع زمزم عند الكعبة المشرفة!

وعلى هذا يكون الذبح في المكان المسمى بـ"خوجالار طاوي" بدعة منكرة ووسيلة إلى الشرك.

الثاني: الأماكن التي لا يعبد فيها غير الله كأطلال مدينة بلغار التاريخية، ولكن يمارس فيها بعض الأعمال البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان كشد الرحال إليها، وأداء الحج فيها، والطواف بمنارة المسجد القديم فيها، فرُبَّ شخص يذبح في هذا المكان معتقداً بأنه أرجى لقبول ذبيحته لكون هذا المكان أول بقاع تلك البلاد إسلاماً وقد قتل في الدفاع عنها عدد كبير من المسلمين وأهرقت بها دماء كثير من الشهداء.

فنقول إن الذبح في هذا المكان على قسمين:

الأول/ إن اعتقد في هذا المكان شيئا من القداسة فحرام.

الثاني/ إن لم يعتقد في المكان شيئا إلا أنه أتى إليه من باب التنزه والتعرف على تاريخ أجداده الأولين، فهذا حكمه أنه مكروه لسد الذريعة. والله أعلم.

[1]- **وقد ثبت في الشريعة الإسلامية فضل المساجد وبعضها لها خصوصية مثل المساجد الثلاثة ومسجد قباء ومن الأماكن الفاضلة الثابتة مشاعر الحج في مكة: منى، وعرفة، ومزدلفة.**

المبحث الثاني

البـــــدع العـــــملية

فيه مطلبان:

المطلب الأول : حقيقة البدعة.

المطلب الثاني: مظاهر البدع العملية عند التتر وحكمها.

المطلب الأول

حقيـــــقة البدعـــــــة

المسألة الأولى: تعريف البدعة لغة:

البدعة: مصدر من (بَدَعَ).[1] وأصل هذه المادة في لغة العرب يرجع إلى معنيين اثنين:

أحدهما: الاختراع على غير مثال سابق:

ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١١٧، أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، ويقال هذا أمر بديع أي: الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٩، أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال فلان بدع في هذا الأمر أي أوّل لم يسبقه أحد.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ الحديد: ٢٧، أي: اخترعوها من قبل أنفسهم، ويقال: فلان أبدع وابتدع وتبدع، أي: أتى بأمر جديد، واخترع أو أحدث لا على مثال.

ثانيهما: التعب والكلال:

يقال أبدعت الإبل إذ بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال. ومنه قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: إنه أُبدع بي فاحملني، فقال: ((**ما عندي**))، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: ((**من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله**))[2].

---

[1] – انظر "مقاييس اللغة": ٢٠٩/١، – دار الكتب العلمية – إيران، وانظر مادة ب–د–ع في "لسان العرب": ٢٢٩/١، و"المصباح المنير": ص٢٨، و"مختار الصحاح": ص٢٦، وغير ذلك من كتب اللغة.

[2] – أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فضل إعانة الغازي: ص٨٤٧ برقم٤٨٩٩ .

وهذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول؛ لأن معنى أبدعت الإبل أي: بدا عليها التعب جديداً بعد أن لم يكن بها.

المسألة الثانية : تعريف البدعة شرعاً:

فيها عدة مقاصد:

الأول: القيود الثلاثة للبدعة.

الثاني: التعريف الشرعي للبدعة.

الثالث: العلاقة بين البدعة والمصلحة المرسلة.

الرابع: أنواع البدعة.

الخامس: تفاوت البدعة في الحكم.

وبيان هذه المقاصد فيما يلي:

المقصد الأول: القيود الثلاثة للبدعة:

وردت في السنة المطهرة أحاديث نبوية فيها إشارة إلى المعنى الشرعي للفظ البدعة، فمن خلال هذه الأحاديث سوف نستخلص قيود البدعة ثم التعريف- إن شاء الله.
أما الأحاديث فهي:

١ - حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه- وفيه قوله ﷺ: ((...**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**))[١].

٢ - حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- وفيه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: ((**إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**))[٢].

٣ - حديث عائشة - رضي الله عنها- وهو قوله ﷺ: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[٣].

٤ - وفي رواية: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**))[٤].

فهذه الأحاديث الأربعة إذا تأملناها نجدها تدل على حقيقة البدعة في نظر الشارع المحددة بثلاثة قيود:

---

[١] - أخرجه أبو داود في سننه في حديث طويل وفيه قصة: ص٨٣٢ برقم٤٦٠٧، والترمذي نحوه في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ص٦٠٣ برقم٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه نحوه في باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ص٢٠ برقم٤٢، وأخرجه أحمد: ٣٧٣/٢٨ برقم١٧١٤٤ وقال المحقق: صحيح. وصححه الألباني في "الإرواء": ١٠٧/٨ برقم٢٤٥٥.

[٢] - أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه في كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة؟: ص٢٦٠ برقم١٥٧٨، وهو عند مسلم - دون لفظ "وكل محدثة بدعة" ولفظ "وكل ضلالة في النار"- في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة: ص٣٤٧ برقم٢٠٠٥ (٨٦٧).

[٣] - أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود: ص٤٤٠ برقم٢٦٩٧، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور: ص٧٦٢ برقم٤٤٩٢ واللفظ له.

[٤] - أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور: ص٧٦٢ برقم٤٤٩٣.

١ -الإحداث.

٢ -إضافة هذا الإحداث إلى الدين أو إلى قصد التدين أو التقرب.

٣ -عدم استناد هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص أو عام.

أما القيد الأول- وهو الإحداث- فالدليل عليه قوله ﷺ: ((**من أحدث**)) وقوله ﷺ: ((**وكل محدثة بدعة**)).[1] والمراد بالإحداث: الإتيان بالأمر الجديد المخترع الذي لم يُسبق إليه أو إلى مثله، وسواءٌ أُحدِث ابتداءً أولَ مرة إذْ لم يسبقْه مثيل - وهذا هو الإحداث المطلق- أم أُحدِث ثانياً بعد اندثار؛ وهذا هو الإحداث النسبي[2].

فبالتالي يدخل في مراد الإحداث كل مخترع: مذموماً كان أو محموداً، في الدين كان أو في غيره.

وبهذا القيد خرج ما لا إحداث فيه في الإسلام أصلاً:

- منه فعل الشعائر الدينية كالصلوات المكتوبة، وصيام شهر رمضان؛

- ومنه الإتيان بشيء من الأمور الدنيوية المعتادة كالطعام واللباس ونحو ذلك.

ولما كان الإحداث قد يقع في شيء من أمور الدنيا وقد يقع في شيء من أمور الدين تحتم تقييد هذا الإحداث بالقيدين الآتيين :

أما القيد الثاني - وهو أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين (أو قصد التدين أو التقرب) - فالدليل على هذا القيد قوله ﷺ : ((**في أمرنا هذا**))، والمراد بأمره ها هنا دينه وشرعه، وقد ورد في بعض ألفاظ الحديث: ((**من أحدث في ديننا** ...)).[3]

فالمعنى المقصود في البدعة أن يكون الإحداث من شأنه أن ينسب إلى الشرع ويضاف إلى الدين بوجه من الوجوه. وبهذا القيد تخرج المخترعات المادية والمحدثات الدنيوية مما لا

---

[1] - "قواعد معرفة البدع" لمحمد الجيزاني: ص٢٠.

[2] - المرجع السابق: ص ٢٠.

[3] - انظر "جامع العلوم والحكم" : ١/١٧٦، ١٧٧.

صلة له بأمر الدين؛ فهذه لا تكون بدعة، اللهم إلا إن فعلت على وجه التقرب[1] وكانت ذريعة إلى أن يظن أنها من الدين.

أما القيد الثالث– وهو ألاّ يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص ولا عام– فالدليل على هذا القيد: قوله ﷺ "**ما ليس منه**" وقوله ﷺ: "**ليس عليه أمرنا**" .

وبهذا القيد تخرج المحدثات المتعلقة بالدين مما له أصل شرعي عام أو خاص. فمما أحدث في الدين وكان مستنداً إلى دليل شرعي عام هو ما ثبت بالمصالح المرسلة، مثل جمع الصحابة للقرآن. ومما أحدث في الدين وكان مستنداً إلى دليل شرعي خاص هو إحداث صلاة التراويح جماعة في عهد عمر – رضي الله عنه– فإنه قد استند إلى دليل خاص.[2]

وبالنظر إلى المعنى اللغوي للفظ الإحداث صح تسمية الأمور المستندة إلى دليل شرعي بـــ"**محدثات**" أو "**مبتدعات**" إن كانت هذه الأمور قد ابتدأت مرة ثانية بعد أن هجرت أو جهلت، فهو إحداث أو ابتداع نسبي.

وقد جاء في هذا المعنى قول عمر – رضي الله عنه: (نعم البدعة هذه)[3]، وقول غيره من الأئمة، كقول الإمام الشافعي: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم)[4].

---

[1] – والمقصود بهذا الكلام أن البدع لا تدخل في الأمور العادية أو المعاملات إلا من الوجه العبادي فيها، فإذا ألحق المكلف حكماً شرعياً بعمل عادي وقصد به القربة– وهو في الحقيقة ليس كذلك– فقد ابتدع!

[2] – فإن صلاة التراويح ليست بدعة في الشريعة بل سنة بقول الرسول ﷺ وبفعله، فقد صلاها في الجماعة في أول شهر رمضان ثلاث ليال ولم يخرج إليهم في الرابعة وقال لما أصبح: ((أما بعد: فإنه لم يخفَ عليّ مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها))، فإنه ﷺ لولا خوف الافتراض لخرج إليهم، وقد زال خوف الافتراض بموته ﷺ فانتفى المعارض، إذاً استند عمر على دليل شرعي خاص.

والحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان: ٣٢٢ برقم ٢٠١٢، وبلفظ آخر أيضاً: ((قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خسيت أن تفرض عليكم)) في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب: ١٨١ برقم١١٢٩، ومسلم كلا اللفظين في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح: ص٣٠٨ برقم١٧٨٣ (٧٦١) وبرقم ١٧٨٤ (٧٦١).

[3] – أخرجه البخاري: ص٣٢٢ برقم ٢٠١٠.

[4] – أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" : ١١٣/٩.

إذاً، فقد عرفنا أن كل إحداث دل على صحته وثبوته دليل شرعي لا يسمى – في نظر الشرع – بدعة وإن صح تسميته بذلك لغةً، وكل إحداث لم يدل على ثبوته دليل شرعي سمي في الشرع بدعة، وهو الذي أخذ الاتصاف في حديث الرسول ﷺ بالضلالة دون الإحداث والابتداع اللغويين؛ فإن البدعة اللغوية لا يلازمها وصف الضلالة والذم، ولا الحكم عليها بالرد والبطلان.

قال ابن رجب- رحمه الله تعالى: (فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، و لم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين منه برئ)[1].

وقال أيضاً : (المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة)[2].

فيفهم من ذلك أن ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية. فمن ذلك قول عمر – رضي الله عنه: (نعمت البدعة) عندما رأى الناس يصلون التراويح في المسجد مجتمعين على إمام واحد.

أما قول الرسول ﷺ: ((**كل بدعة ضلالة**))، فمراده البدعة الشرعية التي أحدثت من غير دليل لها من الشرع: لا خاص ولا عام. فهذا الذي فهمه السلف الصالح.

يقول ابن حجر- رحمه الله: (والمراد بقول الرسول ﷺ: ((**كل بدعة ضلالة**)) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام)[3].

المقصد الثاني: التعريف الشرعي للبدعة:

يمكننا مما سبق تحديد معنى البدعة في الشرع بما اجتمعت فيها القيود الثلاثة المتقدمة، ولعل التعريف الجامع لهذه القيود أن يقال: البدعة هي :

{ما أحدث بقصد التدين وليس له دليل عام ولا خاص من الشريعة}.

---

[1] – "جامع العلوم والحكم" : ١٢٨/٢.

[2] – نفس المرجع: ١٢٧/٢.

[3] – "فتح الباري": ٣١٢/١٣ عند شرحه للحديث برقم٧٢٧٧.

وبعبارة أوجز : {ما أحدث للتدين من غير دليل}.[1]

وهناك تعريف مشهور رجحه الشاطبي[2]، وهو:

(**البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية**)[3].

وهذا التعريف صحيح موافق لأدلة الشريعة ومتفق مع أصولها وقواعدها ومقاصدها،[4] وهو أيضاً يجمع في نفسه القيود الثلاثة متقدمة الذكر، فبالتالي يكون معنى تعريف الشاطبي: ما اخترع من فعل أو ترك بقصد القربة لله تعالى، مما ليس له أصل في الشريعة سواء كان ذلك في العقائد أو الأحكام أو في العبادات أو العادات.[5]

ويلاحظ الشاطبي في تعريفه للبدعة أنها "تضاهي" — ولا بد- الأمورَ الشرعيةَ، ويقول إن البدعة لا معنى لها إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وهو في الحقيقة ليس بمشروع[6].

أما مضاهاة البدعة للمشروع فمن ثلاث جهات:

الأولى/ من جهة مستندها؛ إذ البدعة لا تخلو من شبهة أو دليل موهوم. فالبدعة تستند إلى دليل يظن أنه دليل صحيح[7]،كما أن العبادة المشروعة تستند – ولا بد- إلى دليل صحيح.

---

[1] – انظر "قواعد معرفة البدع": ص٢٤ بتصرف.

[2] – الشاطبي، هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. توفي سنة ٧٩٠هـ. من كتبه "الموافقات في أصول الفقه" و"الاعتصام". "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية": ١/٣٣٢ برقم٨٥٦، "الأعلام": ١/٧٥.

[3] – "الاعتصام" للشاطبي: باب في تعريف البدع وبيان معناها: ١/٢٧.

[4] – انظر "حقيقة البدعة وأحكامها" لسعيد الغامدي: ١/٢٥٦.

[5] – المرجع السابق : ١/ ٢٦٢.

[6] – "الاعتصام": ٢/٣٧١.

[7] – وهذا الدليل لا يخلو أن يكون واحداً من نوعين: إما أدلة عامة مطلقة، مع وجود ما يقيد هذا الإطلاق فلا يلتفتون إلى هذا التقييد؛ أو أدلة خاصة واهية يظنونها صحيحة.

الثانية/ من جهة هيئة العبادة المشروعة وصفتها، من حيث الكم أو الكيف أو الزمان أو المكان، أو من حيث الإلزام بها وجعلها كالشرع المحتم.

الثالثة/ من جهة نية المتعبد بها؛ فإنها تعمل بقصد التقرب إلى الله.

المقصد الثالث: العلاقة بين البدعة والمصلحة المرسلة:

التبس على كثير من الناس أمر البدعة بالمصلحة المرسلة[1] مما أدى بهم إلى اعتقاد حسن بعض المحدثات في الدين محتجين بالأعمال والفتاوى التي انبنت على الاستصلاح في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم كالأئمة وغيرهم وليست من الابتداع في شيء، اللهم إلا في التسمية اللفظية والاعتبار اللغوي.

ولوجود هذا اللبس والخلط بين البدعة والمصلحة المرسلة من الضروري بيان الفوارق بينهما ويتم ذلك من خلال عرض وجوه الاتفاق و الافتراق بينهما.

أولاً: وجوه اجتماع البدعة والمصلحة المرسلة:

١ أن كلاً من البدعة والمصلحة المرسلة مما لم يعهد وقوعه في عصر النبوة؛ فهما من الأمور الحادثة، إلا أنه ربما وجدت بعض البدع – وهذا قليل – في عصره ﷺ كما ورد ذلك في النفر الثلاثة الذين جاؤوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ.

٢ أن كلاً من البدعة وما ثبت بالمصلحة المرسلة لا دليلَ خاص على اعتباره من جهة الشرع، أما الأدلة العامة المطلقة، فهي غاية ما يمكن الاستدلال به فيهما.

٣ كل منهما ظاهره الحسن والمصلحة، فكل من أحدث بدعة يزعم أن فيهما مصلحة للمسلمين، ويقول شيخ الإسلام: (إن الناس لا يحدثون شيئاً إلا لأنهم يرونه مصلحة، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين)[2].

---

[1] – **المصلحة المرسلة في تعريف الأصوليين هي: الأوصاف التي تلائم تصرفات الشارع ومقاصده، ولكن لم يشهد لها دليل معين من الشرع بالاعتبار أو الإلغاء، ويحصل من ربط الحكم بها جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الناس. وسميت "مرسلة" لعدم وجود ما يوافقها أو يخالفها في الشرع: أي أرسلت إرسالاً وأطلقت إطلاقاً. انظر على سبيل المثال: "أصول الفقه الإسلامي" لوهبة الزحيلي: ٢/٧٥٧.**

[2] – **"اقتضاء الصراط المستقيم": ٢/٥٩٤.**

وقد سببت وجوه التشابه والاجتماع اختلاط أحكام المصالح بالابتداع اختلاطاً كبيراً على كثير من المنتسبين للعلم، مما جعلهم يطلقون على كثير من البدع المحدثة أنها "مصالح" أو يعدونها من باب "المصالح المرسلة". إذاً لا بد من معرفة وجوه الافتراق بينهما حتى يسهل التفريق بينهما:

ثانياً: وجوه الافتراق بين البدعة والمصلحة المرسلة:

١ - تنفرد البدعة في كونها لا تكون إلا في الأمور التعبدية، بخلاف المصلحة المرسلة؛ فإن عامة النظر فيها إنما هو فيما عقل معناه على التفصيل، وهذا يوجد في العادات والمعاملات؛ لأن العقول البشرية - في الجملة- تهتدي إلى معرفة حِكَم وعلل وأوصاف ومعاني العادات والمعاملات التي شرعها الشارع والتي سكت عنها. أما العبادات فلا يعقل معناها على التفصيل وفيها تكون البدع. أما دخول البدع في العادات والمعاملات، فإنها يدخلها الابتداع من جهة ما فيها من التعبد لا بالإطلاق.

٢ - وتنفرد البدعة بكونها مقصودة بالقصد الأول لدى أصحابها بخلاف المصلحة المرسلة؛ فإنها مقصودة بالقصد الثاني دون الأول، فهي تدخل تحت باب الوسائل لا من المقاصد؛ لأنها إنما شرعت لأجل التوسل بها إلى تحقيق مقصد من مقاصد الشريعة، ويدل على ذلك أن هذه المصلحة يسقط اعتبارها والالتفات إليها شرعاً متى عارضتها مفسدة نتجت منها، فمن غير الممكن — حينئذ- إحداث البدع من جهة المصالح المرسلة.

٣ - وتنفرد البدعة بكونها مناقضة لمقاصد الشريعة، بخلاف المصلحة المرسلة؛ فإنها -لكي تعتبر شرعاً- لا بد أن تندرج تحت مقاصد الشريعة وأن تكون خادمة لها وإلا لم تعتبر.

٤ - وتنفرد المصلحة المرسلة بأن عدم وقوعها في عصر النبوة إنما كان لأجل انتفاء المقتضي لفعلها، أو أن المقتضي لفعلها كان قائماً، ولكن وجد مانعٌ يمنع منه، بخلاف البدعة، فإن عدم وقوعها في عهد النبوة كان مع قيام المقتضي لفعلها وتوفر الداعي وانتفاء المانع.

والحاصل أن المصالح المرسلة إذا روعيت شروطها كانت مضادة للبدع مباينة لها، فيمتنع جريان الابتداع من جهة المصلحة المرسلة، لأنها – والحالة كذلك- يسقط اعتبارها ولا تسمى إذ ذاك مصلحة مرسلة بل تسمى إما مصلحة ملغاة أو مفسدة.[١]

المقصد الرابع: أنواع البدع:

تنقسم البدعة بحسب متعلقاتها إلى أقسام عديدة تختلف باختلاف النظر إليها وإلى معتنقيها.

فبالنظر إلى البدعة ولوازمها ومجالاتها نجد أنها تنقسم إلى نوعين:

١ -نوع في الأقوال والاعتقادات.

٢ -نوع في الأفعال والعبادات.

والثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني[٢] فمثال الأول في الأقوال بدعة الأوراد المحدثة وفي الاعتقادات: بدعة الرافضة والخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية، ومثال الثاني : في الأفعال لبس الصوف عبادة وعمل المولد، وفي العبادات: الجهر بالنية في الصلاة، والآذان في العيدين[٣].

وتنقسم البدعة بالنظر إلى ذاتها إلى حقيقية وإضافية:

فالحقيقية لا تستند إلى دليل معتبر ولا إلى شبه دليل، لا في الجملة ولا في التفصيل، أما الإضافية فلها نوع تعلق بالدليل الشرعي.

---

[١] – انظر "الاعتصام" للشاطبي، باب في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان: ٣٨٦/٢–٣٩٠، و"اقتضاء الصراط المستقيم": ١٠٢/٢–١٠٥، "حقيقة البدعة وأحكامها": ١٨٧/٢–١٨٩، و"البدعة والمصالح المرسلة" لتوفيق الواعي: ٣٥٩–٣٦٧، و"المصالح المرسلة" للشنقيطي: ص٢١، و"الإبداع في مضار الابتداع" لعلي محفوظ: ٨٩–٩٧، و"تحذير المسلمين عن الابتداع في الدين": ص١٢٨–١٣٣.

[٢] – مجموع الفتاوي: ٣٠٦/٢٢.

[٣] – "أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية" لأحمد الحليبي: ص٥٧، وانظر "مجموع الفتاوى": ٢٣٢/٢٢–٢٣٤.

والحقيقية قد تنفرد عن العمل المشروع وقد تتصل به، أما الإضافية فملتصقة بالعمل المشروع، ومتداخلة معه في غالب أحوالها. وسيتضح هذا المعنى من خلال التعريف وضرب الأمثلة لكل من النوعين.

أما البدعة الحقيقية: قد عرّفها الشاطبي – رحمه الله بأنها: (هي التي لم يدل عليها دليل شرعي: لا من كتاب، ولا من سنة، ولا إجماع، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، ولا في الجملة، ولا في التفصيل، ولذلك سميت بدعة؛ لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق، وإن كان المبتدع يأبى أن ينسب إليه الخروج عن الشرع، إذ هو مدّعٍ أنه داخل بما استنبط تحت مقتضى الأدلة!

لكن تلك الدعوى غير صحيحة لا في نفس الأمر ولا بحسب الظاهر. أما بحسب نفس الأمر فبالعرض[١]، وأما بحسب الظاهر، فإن أدلته شبه، ليست بأدلة إن ثبت أنه استدل وإلا فالأمر واضح)[٢].

وأما البدعة الإضافية: فقد عرّفها الشاطبي أيضاً، حيث قال: (هي التي لها شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلق، فلا تكون من تلك الجهة بدعةً.

والأخرى: ليس لها متعلق، إلا مثل ما للبدعة الحقيقية (أي أنها شبه وليست أدلة).

فلما كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي (البدعة الإضافية)، أي: أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة؛ لأنها مستندة إلى دليل[٣]، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء.

والفرق بينهما من جهة المعنى: أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه، لأن الغالبَ وقوعُه في التعبديات لا في العاديات المحضة)[٤].

---

[١] – أي بعرضها على الأدلة.

[٢] – "الاعتصام" باب في أحكام البدع الحقيقية والإضافية: ٢١٩/١. وانظر "حقيقة البدعة وأحكامها": ٧/٢.

[٣] – لكنه عام.

[٤] – "الاعتصام": ج١/ص٢١٩.

وعليه فإن البدعة الحقيقية أعظم وزراً؛ لأنها هي التي باشروها بغير واسطة، ولأنها مخالفة محضة، وخروج عن السنة ظاهر، كالقول بالقدر والتحسين والتقبيح، والقول بإنكار خبر الواحد، وإنكار الإجماع، وإنكار تحريم الخمر، والقول بالإمام المعصوم وما أشبه ذلك.

أما الإضافية فمعناها أنها مشروعة من وجه ورأي مجرد من وجه آخر؛ فلم تناف الأدلة من كل وجه[1]. وهذا النوع من البدعة هو مثار الخلاف بين المتحدثين عن السنن والبدع، وله أمثلة كثيرة، منها:

صلاة الرغائب وهي اثنتا عشرة ركعة من ليلة الجمعة الأولى من رجب بكيفية مخصوصة، وقد قال العلماء : إنها بدعة منكرة قبيحة وكذا صلاة النصف من شعبان، وهي مائة ركعة بكيفية خاصة،[2] وغيرها من الصلوات المبتدعة. ووجه كون مثل هذه الصلوات بدعة إضافية أنها مشروعة باعتبار، وغير مشروعة باعتبار آخر، فأصل الصلاة أنها مشروعة، ولكن ما عرض لها من التزام الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة بدعة؛ فهي مشروعة باعتبار ذاتها، ومبتدعة باعتبار ما عرض لها.

ومنها قول المؤذن: "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله" عقب الأذان مع رفع الصوت بهما وجعلهما بمنزلة ألفاظ الأذان؛ فإن "الصلاة والسلام" مشروعان باعتبار ذاتهما، ولكنهما بدعة باعتبار ما عرض لهما من الجهر، وجعلهما بمنزلة ألفاظ الأذان.

ومنها الاستغفار والتسبيح عقب الصلاة على هيئة الاجتماع ورفع الصوت؛ فإن الأذكار عقب الصلوات لذاتها سنة، وباعتبار هيئتها: من اجتماع الذاكرين ورفع الصوت بدعة.

وغير ذلك من الأعمال التي لها شائبتان؛ بحيث تكون مشروعةً باعتبار وغير مشروعة باعتبار آخر. وبالتالي فإن المبتدع بدعة إضافية يتقرب إلى الله بعمل مشروع وغير مشروع في نفس الوقت والواجب أن يكون التقرب بمحض المشروع، فالمبتدع بدعة إضافية قد خلط عملاً صالحاً بسيئٍ وهو يرى أن الكل صالح. وبالتالي فإن من ينكر البدع المذكورة إنما ينكرها بالاعتبار الثاني وهو جملة الابتداع.

---

[1] – انظر " الاعتصام": ج١/ص١٢٩–١٣٠ بتصرف.

[2] – "الموسوعة الفقهية الكويتية": ٣٢/٨، أما كلام العلماء في بدعية صلاتي رجب وشعبان فتقدم.

المقصد الخامس: تفاوت البدعة في الحكم:

البدع متفاوتة في رتبها:

فمنها ما هو كفر صريح كبدعة الجاهلية التي نبّه عليها القرآن، وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال وما أشبه ذلك مما لا شك في أنه كفر صريح.

ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر، أو اختلف هل هي كفر أم لا، كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة.

ومنها ما هو معصية واتفق على أنها ليست بكفر، كبدعة التبتل، والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

فهذه البدع –كما نرى– ليست في رتبة واحدة.[1]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله تعالى– أن البدعة تكون باطلاً على قدر ما فيها من مخالفة للكتاب والسنة وابتعاد عن متابعة السلف، فهي ليست باطلاً محضًا، إذ لو كانت كذلك لظهرت وبانت وما قُبلت، كما أنها ليست حقاً محضاً لا شوب فيه، وإنما تشتمل على حق وباطل وعلى هذا يكون بعضها أشد من بعض ويكون أهلها على درجات: منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة.[2]

فهذه البدع ليست خطورتها في نسبة واحدة، بل هي على درجات: بعضها شرك وكفر صريح وبعضها دون ذلك، وهي كالذنوب التي فيها ما هو كبير وفيها ما هو صغير، فكذلك البدع؛ فيها الكبير وفيها الصغير، ولكن يجب أن يُعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تبين كونها بدعة،[3] فليس في البدع –كما يتوهم البعض– ما تعتريها

---

[1]– انظر : "علم أصول البدع" علي الحلبي الاثري، الفصل الثاني: ص٣٠.

[2]– "أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام" أحمد الحليبي: ص٥٨، وأصل كلام ابن تيمية في "درء التعارض": ١/٢٠٩.

[3]– انظر "حجة النبي" للألباني: ص١٠٣، وانظر: "علم أصول البدع": ص٣٢.

أحكام التكليف الخمسة، حيث يكون منها ما هو مستحب أو ما هو واجب،[1] ولا أنها على قسمين اثنين: محرمة ومكروهة؛ لأن هذا لا يتوافق مع وصف النبي ﷺ للبدعة بالضلالة! إذ كيف يمكن أن يُثاب أو يُحمد أو لا يُذم ولا يأثم فاعل الضلالة![2] والضلالة –كما هو معلوم– ضد الهدى؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ الزمر: ٣٦ – ٣٧، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ البقرة: ١٦، وأشباه هذه الآيات التي وردت فيها المقابلة بين الهدى والضلال.

والبدع كلها تشترك في وصف الضلالة، وهذا الوصف ملازم لها غير منفك عنها وهو شامل لأنواعها كلها –كما جاء في الحديث عنه ﷺ: ((**كل بدعة ضلالة**))[3]. فإن "الكلية" في قوله ﷺ هنا تؤكد لنا أن جميع البدع يقتضي التأثيم والتهديد والوعيد، وهي خاصية المحرم حيث يُذَمّ ويُعاقَب فاعلُها.

وخلاصة الأمر في هذا المبحث أن يقال: (كل عمل بلا اقتداء، فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء)[4].

---

[1]– قد رأى ذلك بعض علماء السلف ومنهم العلامة العز بن عبد السلام– رحمه الله– حيث قال في "قواعد الأحكام في مصالح الأنام": (البدعة: فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة) ٣٣٧/٢، وقد اعتمده كثير ممن جاء بعده كالنووي في "تهذيب الأسماء واللغات": ٢٢/٣، والزركشي في "المنثور في القواعد": ٢١٩/١، وابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثية": ص٢٧٠، والسخاوي في "الفتح المغيث": ٢٢١/٢، ١٤٦/٣، ثم بسط القول في ذلك– على منوال العز– القرافي المالكي في "الفروق" (١٣٣٣/٤–١٣٣٥)، ثم على منواله نسج صاحب "تهذيب الفروق": ٣٤٥/٤–٣٤٩، ولكن مع جلالة قدر هؤلاء، فإن صنيعهم هذا لا يصمد أمام نقد المتأملين فيه. انظر "حقيقة البدعة وأحكامها": ٣٥٤/١.

[2] – علما بأن المكروه هو: ما كان تركه أولى من فعله، أو هو ما طلب الشارع من المكلف تركه لا على وجه الحتم والإلزام... وحكم المكروه أن فاعله لا يأثم وإن كان ملوماً، وأن تاركه يمدح ويثاب إذا كان تركه لله. انظر "الوجيز في أصول الفقه" لعبد الكريم زيدان: ص٤٥، "الوجيز في أصول الفقه" لوهبة الزحيلي: ص١٣٣.

[3] – جزء من الحديث وقد سبق تخريجه في ص٣٣٣.

[4]– "مدارج السالكين": ١٠٥/١.

المطلب الثاني

مظاهر البدع العملية عند التتر وحكمها

تقدم في المطلب الأول[1] أن البدعة تنقسم بحسب متعلقاتها إلى أقسام عديدة تختلف باختلاف النظر إليها وإلى معتنقيها، أما بالنظر إلى البدعة ولوازمها ومجالاتها فنجد أنها تنقسم إلى نوعين:

١- نوع في الأقوال والاعتقادات.

٢- نوع في الأفعال والعبادات.

فمثال النوع الأول في الأقوال بدعة الأوراد المحدثة، وفي الاعتقادات بدعة الرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية.[2] وهذا النوع من البدع ليس محلُها مطلبنا.

أما النوع الثاني من البدع- بالنظر إلى لوازم البدعة ومجالاتها- فبدع في الأفعال والعبادات، ويقال لها: "البدع العملية".

وهذه البدع تشمل البدع في العبادات والبدع في الأفعال غير العبادات، وهي التي يقال لها: "العادات"[3].

قال شيخ الإسلام: (العبادات يصلح بها دين المرء، والعادات يحتاج إليها المرء في دنياه، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع. أما العادات، فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله- إلى أن قال- وهذه قاعدة عظيمة نافعة، وإذا كان كذلك، فنقول: البيع، والهبة،

---

[1] - ص٣٤٠.

[2] - تقسيم البدعة إلى نوعين بهذا الاعتبار من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر "مجموع الفتاوى": ٣٠٦/٢٢.

[3]- قال ابن تيمية: (... إن أعمال الخلق تنقسم إلى: عبادات يتخذونها ديناً، وينتفعون به في الآخرة أو في الدنيا والآخرة (*ويدخل فيها الاعتقادات، والأقوال، والأعمال*)، وإلى عادات ينتفعون بها في معاشهم) ٨٦/٢، وقد يفصل في معنى كلمة "الأفعال" بذكر أقسام الأمور العادية من العادات والعقود والمعاملات، وقد يجعل كلها في مضمون اسم واحد ويطلق عليها جميعاً العادات أو العاديات. ويستفاد في هذا الموضوع من "حقيقة البدعة وأحكامها": ١١٢/٢-١١٣.

والإجارة وغيرها هي من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم: كالأكل والشرب واللباس؛ فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة، فحرمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لا بد منه، وكرهت ما لا ينبغي، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها)[١].

حيث تقدم الكلام عن مظاهر البدع في العبادات - وذلك ضمن المبحث الأول من الفصل الثالث الذي تكلمنا فيه عن مظاهر التوحيد ومظاهر الانحراف في العبادات كالصلاة، والصوم، والذبح، وغير ذلك من العبادات - فلن نعيد الكلام في ذلك مرة أخرى. واقتضت الحال الآن أن نركز كلامنا على البدع في العادات.

قال الإمام الشاطبي: (الأمور المشروعة تارة تكون عبادية، وتارة عادية، فكلاهما مشروع من قبل الشارع، فكما تقع المخالفة بالابتداع في أحدهما تقع في الآخر)[٢].

وقال في موضع آخر: (أفعال المكلفين- بحسب النظر الشرعي فيها- على ضربين:
أحدهما: أن تكون من قبيل التعبدات.
والثاني: أن تكون من قبيل العادات. ...وقد ثبت فى الأصول الشرعية أنه لابد فى كل عادي من شائبة التعبد)[٣] لكونه مقيداً بأوامر الشرع إلزاماً أو تخييراً أو إباحة.[٤]

وقال الحافظ ابن رجب: (فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله، فعمله باطل مردود عليه- إلى أن قال- كمن تقرب إلى الله بسماع الملاهي، أو بالرقص، أو بكشف الرأس في غير الإحرام...)[٥].

قال صاحب "حقيقة البدعة وأحكامها": (فما أُلحقَ من أحكامٍ شرعيّةٍ بالأمور العادية بقصد القربة من الله وهو ليس كذلك في الشريعة فهو بدعة... ومثال البدعة في العادات جعل لباس معين، أو لون معين، أو طعام معين قربةً إلى الله تعالى، وهو ليس كذلك في الشرع. ... فإن البدع لا تدخل في الأمور العادية إلا من الوجه العبادي فيها، فإذا أَلحَقَ

١- "مجموع الفتاوى": ٢٩/١٦-١٨.
٢- "الاعتصام": ٣٤٤/٢.
٣- إلى هنا كلام الشاطبي في "الاعتصام": ٣٤٩/٢.
٤- وهذه الزيادة من "شرح تهذيب الاعتصام" للشاطبي: ٤٤/١، و"حقيقة البدعة وأحكامها": ٣٠٥/١.
٥ - "جامع العلوم والحكم": ص٥٧.

المكلَّفُ حكماً شرعياً بعمل عادي وقصد به القربة وهو في حقيقته ليس كذلك فقد ابتدع)[1].

أما مظاهر البدع في العادات عند التتر، فيمكن أن نذكر ضمنها الأمور التالية:

١- البدع في الأعياد، فالموضوع لا يخلو من بعض الانحرافات التي يقع فيها بعض أهل تتارستان، وهو الاحتفال ببعض أعياد لم يشرعها الله ولا رسوله، ولم يحتفل بها لا الصحابة ولا مَن بعدهم. فمن هذه الاحتفالات ما هو خاص بالمسلمين كالاحتفال بعيد المولد النبوي، فهذا العيد وأمثاله يحرم لبدعيته إذ اتخذ وسيلة يتقرب بها إلى الله من غير وجود أمر الشارع عليه، ومنها ما هو في الأصل مأخوذ من أهل الديانات الوثنية كعيد النيروز الفارسي؛ فالاحتفال به محرم للتشبه بالكفار أولاً ثم لبدعيته إذ أضيف له صبغة دينية، حتى صار في بعض الأحيان يحتفل به على أنه عيد إسلامي!

٢- البدع في التداوي، فالتداوي بالوسائل الجائزة أمر مشروع، ومنه التداوي بالأسباب المادية كالحبوب والأشربة، ومنها ما هو من نوع الرقى التي بها يعالج الإنسان بدنه ويحصن بها نفسه. والضابط في الرقية أن تخلو من الشرك، وهذا يستلزم أن تكون بما يفهم كلامه. ومظاهر هذه أنواع التداوي موجودة في المجتمع التتري. وهذا أمر طيب، ولكن الأمر يصبح خطيراً إذا تجاوز المشروع إلى استخدام ما لا يصلح ليكون وسيلة في التداوي والتحصن كابتكار بعض التمائم والعلاّقات الشركية و اعتقاد نفعها في العلاج أو الوقاية من الشر، ومن هذا الباب أيضاً أنواع التطير.

٣- بدع الجنائز، فإن موت الأقارب واتباع جنازتهم ودفنهم مما يذكر الإنسان بالآخرة ويحثه على الاستعداد ليوم الرحيل، ولكن بعض مسلمي تتارستان يشتغلون في مثل هذه المناسبات ببعض البدع وممارسة ما لم يشرع في الإسلام من وضع "جواب- ناما" مع المقبور، وإقامة المآتم في اليوم الثالث من موت الشخص وسابعه وأربعينه وعند انقضاء السنة، وغير ذلك مما لا أصل له لا في الكتاب ولا في السنة.

٤- بدع الزيارات، إن المظاهر الشرعية للزيارات موجودة لدى التتر كزيارة المقابر لتذكر الآخرة وللدعاء بالمغفرة لصاحب القبر، وزيارة المساجد الثلاثة، والتزاور في مناسبات

---

[1] - "حقيقة البدعة وأحكامها": ص٣٠٣، ٣٠٥.

الأعياد. ولكننا قد نجد في المجتمع التتري من يخالف الهدي النبوي في هذا الباب ويقوم بزيارت بدعية وشركية إلى بعض المقابر وإلى بعض المنابع معتقداً قداستها، مع أنه لا قداسة في الإسلام إلا ما قدسه الله تعالى.

هذا، وغيره من مظاهر العادات التي وقع فيها بعض الانحرافات.

وحيث إن مظاهر البدع في العادات عند التتر و بيان حكمها سيرد ضمن الفصول القادمة، لذا سأكتفي هنا بالذي ذكرت خشية التكرار.

المبحث الثالث

الأعيـــــــــــاد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأعياد الشرعية و مظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف في الأعياد و حكمها.

المطلب الأول

الأعياد الشرعية و مظاهرها عند التتر

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: العيد في اللغة:

قال الجوهري (ت/٣٩٣هـ) في "الصحاح": (العيد: واحد الأعياد، وإنما جمع بالياء – وأصله الواو– للزومها في الواحد، ويقال: للفرق بينه وبين أعواد الخشب. وقد عيّدوا، أي شهدوا العيد)[١].

وقال ابن فارس (ت/٣٩٥هـ) في "مقاييس اللغة": (العِيد: كلُّ يومِ مَجْمَع. واشتقاقُه من عاد يَعُود، كأنَّهم عادُوا إليه. ويمكن أن يقال لأنَّه يعود كلَّ عامٍ[٢]. وهذا عندنا أصحُّ. وقال غيره– وهو قريب من المعنيين– إنّه سمِّي عيداً لأنَّهم قد اعتادوه. والياء في العِيد أصلها الواو، ولكنها قلبت ياءً لكسر العين)[٣]. وقيل بعبارة أخرى: (وكان الأصل في العيد العَوْد؛ لأنه من عاد يعود عَوداً، فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها صارت ياءً)[٤].

---

١ – "الصحاح" للجوهري: ص٧٥٣.

٢ – وهنا نجد عند الأزهري (ت: ٣٧٠) زيادة قيدٍ، حيث قال: (وقيل: سُمِّي العِيد عِيداً؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدَّد). انظر "تهذيب اللغة" الأزهري: ٣/١٣٢–١٣٣.

٣ – "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس: ٤/١٨٣. وانظر و"تهذيب اللغة" الأزهري: ٣/١٣١، و"الصحاح" للجوهري: ص٧٥٣، و"لسان العرب": ٤/٤٥٩–٤٦٠.

٤ – "الزاهر فى معانى كلمات الناس" لأبي بكر محمد الأنباري: ١/٢٩١، وانظر أيضا قوله عند الأزهري في "تهذيب اللغة": ٣/١٣٢.

وقال ابن سيده[1] (ت/٤٥٨هـ) في "المحكم": (والعِيدُ: ما يَعْتادُ من نوب وشوق وهم ونحوه. والعِيدُ: كل يوم فيه جمع. واشتقاقه من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه. وقيل: اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه. والجمع أعياد، لزم البدل، ولو لم يلزم لقيل أعوادٌ)[2].

وقال الفيروزآبادي (ت/٨١٧هـ) في "القاموس المحيط": (والعيد بالكسر: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن ونحوه، وكل يوم فيه جمع)[3].

وفي "المعجم الوسيط": (العيد: ما يعود من هم أو مرض أو شوق أو نحوه، وكل يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة أو حبيبة)[4].

وفي "معجم لغة الفقهاء": (العيد: يوم الاحتفال بمناسبة ذكرى سارة. وأحد العيدين: يوم الفطر، والآخر يوم الأضحى)[5].

(وقال النحويون: يوم العيد معناه: يوم يعود فيه الفرح و السرور. والعيد عند العرب: الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن).[6]

فكما نراه في هذه التعريفات، فإن كلمة العيد عُرِّفت عند البعض بلوازم اليوم الذي يعتاده الناس، كقولهم بأنه كل يوم فيه جمع، أو بأنه يوم الاحتفال بمناسبة ما، أو بأنه يوم الفرح أو الحزن.

وقد يكون العيد خاليا من هذه اللوازم كلها، بل راجعاً إلى أصل اشتقاقه اللغوي فيكون هو ما يعودون إليه من الأمكنة أو ما يعود إليهم من الأزمنة.

وهذا الاستعمال نجده أحياناً في النصوص الشرعية، مثل حديث علي بن الحسين- رحمه الله: (أنه رأى رجلا يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه،

---

[1] - ابن سيده، هو: الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل (وقيل اسم أبيه أحمد، وقيل محمد) المعروف بابن سيده المرسي؛ كان إماماً في اللغة والعربية، حافظاً لها وقد جمع في ذلك جموعاً، منها "المحكم" في اللغة، و"المخصص" في اللغة أيضاً وهو كبير، وغير ذلك. وكان هو وأبوه ضريرين، توفي سنة ٤٥٨هـ، وعمره ستون سنة أو نحوها. انظر "وفيات الأعيان": ٣٩٨/٦، "سير أعلام النبلاء": ١٤٤/١٨، "بغية الوعاة": ١٢١/٢.

[2] - "المحكم" لابن سيده: ٣٢٢/١.

[3] - "القاموس المحيط": ص٣٠٢. وانظر "تاج العروس" للزبيدي: ٤٣٨/٨.

[4] - "المعجم الوسيط": ٦٣٥/٢.

[5] - "معجم لغة الفقهاء" الطبعة الثانية: ص٢٩٤. وفي الطبعة الأولى هو: يوم الاحتفال بمناسبة ذكرى حدث هام.

[6] - "الزاهر فى معانى كلمات الناس": ٢٩١/١.

وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: ((**لا تتخذوا قبري عيدا...**)).[1].

وقوله: "فيدخل فيها فيدعو، فنهاه" هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً. ولأجل ذلك منع مالك وغيره، أن يفعل ذلك عند القبر كل ساعة، خوفاً من أن يكون ذلك نوعاً من اتخاذ القبر عيداً.[2]

ويعجبني – في هذا المقام- تعريف العيد للعلامة ابن القيم- رحمه الله- حيث قال: (العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد. فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية. فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها بعيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر)[3].

---

[1]- **أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي بن حسين بن علي: ١٧٧/٥ برقم٧٦٢٤، ومتن الحديث بتمامه: ((لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي، فإن صلاتكم وتسليمكم يبلغني حيثما كنتم))، أما المتن قد أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة، أول كتاب المناسك، باب زيارة القبور: ص٣٥٣ برقم٢٠٤٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٠٣/١٤ برقم٨٨٠٤، وقال محقق المسند: إسناده حسن، وصححه الألباني (انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود في الطبعة المزودة بأحكامه).**

[2] – **انظر "اقتضاء الصراط المستقيم"- فصل في الأعياد المكانية المبتدعة: ٢٤١/١٨. وقال المناوي في "فتح القدير": (معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد... وقيل: العيد ما يعاد إليه، أي: لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي) ٢٦٣/٤ برقم٥٠١٦.**

[3] – **"إغاثة اللهفان"- فصل ومن ذلك اتخاذها عيدا، والعيد ما يعتاد مجيئه وقصده: ١٨٠/١. وقال ابن القيم في "تهذيب سنن أبي داود" في شرح قوله ﷺ :((لا تجعلوا قبري عيدا)) أنه نهي لهم أن يجعلوه مجمعاً كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة. انظر "تهذيب سنن أبي داود" ضمن كتاب "عون المعبود" لآبادي: ٣٢/٦ شارحا الحديث برقم٢٠٢٦.**

المسألة الثانية: المقصود بالأعياد الشرعية:

المقصود بالأعياد الشرعية هي أعياد المسلمين الثلاثة: عيدان حوليان: الأضحى والفطر، وعيد أسبوعي يوم الجمعة.

أما عيد الأضحى وعيد الفطر فأصل شرعيتهما حديث أنس- رضي الله عنه- قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ((**ما هذان اليومان؟**))، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: ((**إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر**))[1].

فعيد الأضحى: وهو اليوم العاشر من ذي الحجة هو أعظم أعياد المسلمين، ويسمى بيوم الأضحى ويوم النحر لما يقدمه المسلمون فيه من الأضاحي وينحره الحجاج من الهدي.[2] وقد سماه الله – أيضاً- بيوم الحج الأكبر في كتابه الكريم: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ التوبة: ٣، وهذا بالنسبة إلى الحجاج؛ لأن معظم أعمال الحج ومناسكه تؤدى فيه، كذبح القرابين، وحلق الرؤوس، ورمي الجمار، والطواف بالبيت والسعي.[3]

وقد تعلق بهذا العيد شرف الزمان وحرمة المكان، وأيضاً فقد سمي اليوم قبله – وهو يوم عرفة- عيداً لأهل الموقف، وكذلك الأيام الثلاثة بعده – وهي أيام التشريق- هي داخلة في أيام العيد حكمه جار عليها في كثير من الأحكام لجواز التضحية وتحريم الصوم واستحباب التكبير وغير ذلك.[4]

---

[1] – أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين: ص١٩٥ برقم١١٣٤، ونحوه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب(١): ص٢٥٧ برقم١٥٥٦، وأحمد: ٢١٢/٢٠ برقم١٢٨٢٧، والحاكم في مستدركه: ٤٣٤/١ برقم١٠٩١، وقال: صحيح على شرط مسلم، والبغوي في "شرح السنة": ٢٩٢/٤ برقم ١٠٩٨، وقال: هذا حديث صحيح، وصحح إسناده الحافظ في "الفتح" كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد: ٥٧٠/٢ تحت رقم الحديث٩٥٠، وصححه الألباني في "الصحيحة": ٣٤/٥ برقم٢٠٢١.

[2] – انظر "الفقه الإسلامي" وهبة الزحيلي: ٣٦٢/٢.

[3] – انظر "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم: ٥٤/١–٥٦.

[4] – انظر "شرح النووي على مسلم": ٤٢٣/٣ و"مرقاة المفاتيح" لملا علي القاري: ٥٤٩/٥.

قال ابن رجب إنه يشرع في هذه الأيام التكبير من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق؛ فإن هذه أيام العيد، كما في حديث عقبة بن عامر، عن النَّبيّ ﷺ قالَ: ((**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**))[1].

أما **عيد الفطر**، فهو أول يوم يفطر فيه الناس بعد انقضاء شهر رمضان الكريم، وهو أول يوم من شهر شوال. ويقال أن أول عيد شرع هو عيد الفطر، وأنه في السنة الثانية من الهجرة، وإنه أول عيد صلى فيه رسول الله ﷺ.

و لم يزل يواظب ﷺ على هذين العيدين حتى فارق الدنيا.[2]

وعيد ثالث ولا رابع لها: **عيد الجمعة**؛ لقوله ﷺ: ((**إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم، إلا أن تصوموا قبله أو بعده**))[3].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل، وإن كان عنده طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك**))[4].

إن الأعياد من جملة الشعائر الدينية، ولكل أصحاب ملة ودين أعياد يفرحون فيها ويمرحون، ويظهرون فيها شعائرهم، ويتميزون بها عن غيرهم. فالأعياد من الشعائر المميزة للشرائع، فلا وجه لإثباتها إلا بتوقيف من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، وعليه فلا يجوز

---

[1] – **أخرجه أبو داود، أول كتاب الصيام، باب صيام أيام التشريق: ص٤٢٤ برقم٢٤١٩، والترمذي كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الوم في أيام التشريق: ص١٩٠ برقم٧٧٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه النسائي، باب النهي عن صوم عرفة: ص٤٦٥ برقم٣٠٠٤، وأحمد في مسنده: ٦٠٥/٢٨ برقم١٧٣٧٩، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في "الإرواء": ١٣٠/٤ برقم٩٦٣/٧.**

[2] – **انظر قول الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير": ٧٩/٢.**

[3] – **أخرجه أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه: ٣٩٥/١٣ برقم٨٠٢٥، والحاكم: ٦٠٣/١ برقم١٥٩٥، وابن خزيمة: ٣١٦/٣ برقم٢١٦٢. وقال محقق المسند: إسناده حسن.**

[4] – **سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة: ص١٩٧ برقم ١٠٩٨. وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب": ٤٤٢/١ برقم٧٠٧.**

اختصاص يوم ما باحتفال زائد، ولا تعيين ليلة ما بفضل وقيام، أو بقعة ما بزيارة ونوع من العبادات فيه مع اعتقاد استحباب ذلك إلا بنص شرعي صحيح[١].

ولذا يجب على المسلمين الاعتناء بما شرع لهم من الأعياد الشرعية تعبداً بها وإظهاراً للشعائر الإسلامية، وترك ما عداها من الأعياد الجاهلية. لننظر الآن إلى مدى تمسك الشعب التتري بالأعياد المشروعة، مستعينين في ذلك بجـــدول نتائج الاستبانات التي تم توزيعها في تتارستان.

المسألة الثالثة: مظاهر الأعياد الشرعية عند التتر:

شهد أحد أكبر المستشرقين الروس المنصّرين في بداية القرن العشرين بطرس زنامينسكي[٢] في كتابه "تتر قازان" بأن أهم أعياد التتر هي أهم أعياد المسلمين عامةً: عيد الفطر الذي يسبقه شهر الصوم، وعيد الأضحى الذي يلي الأول بعد شهرين.[٣]

لننظر إلى جـــدول نتائج الاستبانات المبينة لمدى انتشار هذين العيدين عند الشعب التتري ومدى تمسكهم بها اليوم:

رقم السؤال	Празднования صورة الظاهرة في الأعـــــــــياد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
19	участие в праздниках Курбан-байрам и Фитр-байрам الاحتفال بالأعياد: الفطر و الأضحى	**67,4**	**24,3**	**3,8**	**4,5**

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم١٩.

يبين هذا الجدول أن العيدين الأضحى والفطر ينالان من قبل الشعب التتري اليوم اهتماماً كبيرا؛ حيث أجاب ٦٧,٤ % من المجيبين بأن ظاهرة الاحتفال بالعيدين تمارس بشكل واسع في تتارستان، بينما أشار ٢٤,٣ % من المجيبين بأن مدى قوة شعبية هذين

١ – انظر "السنن والمبتدعات في العبادات" ص :١٣٦-١٣٧.

٢ – سبقت ترجمته في ص٢٩١.

٣ – "تتر قازان" لبطرس زنامينسكي: ص٢١.

العيدين على مستوى متوسط، وقد رأى ٣,٨ % من المجيبين أنه قليل من يشارك في العيدين ويحتفل بهما.

إن الأعياد-كما ذكرنا- من الشعائر الدينية، ولذا كانت محارَبة من قبل السلطات الشيوعية الملحدة، ولكن الآن – بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط هذا النظام الطاغي- بدأ الناس يرجعون إلى الدين، وأول ما يتمسكون به هو معالم الدين وشعائره، ومن هذه المعالم الأعياد. ولما كان هذا التوجه من الشعب التتري نحو الدين ولما كانت هذه الرغبة في إثبات كيانهم الديني المسلم لاحظت الحكومة ضرورة إفرادها عن باقي أيام السنة وجعلها أيام عطلة رسمية. ففي عام ١٩٩٢م صدر قانون حول أيام العيد وأيام الذكرى في جمهورية تتارستان الذي ينص على جعل أعياد المسلمين أيام عطلة رسميةً تماشياً مع تقاليد وعادات أهل البلد ونظراً لأهميتها الاجتماعية والسياسية لدى الشعب التتري.[١]

أما أيام الجمع فرغم أنها في روسيا ولا سيما في تتارستان ليست من أيام العطلة الأسبوعية، نجد المساجد في صلاة الجمعة تمتلئ بالمصلين- ولله الحمد. هذه الظاهرة صارت واضحة في السنوات الأخيرة[٢]؛ فكلما يزيد الناس وعيا دينيا يصبح التزامهم بالأعياد وبالعبادات أكثر فأكثر.

ولكن مع هذا فإن الأمة الإسلامية التترية -إلى الآن- ليست على المستوى المطلوب من التدين؛ فإن هناك عدداً كبيراً من أبناء التتر لم يزالوا مهملين أمر الدين؛ فلا يلتزمون بالصلوات ولا يشاركون المسلمين في الأعياد. فلعل هذا هو معنى جواب ٤,٥ % من المجيبين -في الاستبانة- الذين يرون بأن ظاهرة الاحتفال بالأعياد لا توجد في المجتمع التتري.

ولكني أعود وأقول إن الوضع الديني في تتارستان يتحسن يوماً بعد يوم، وفجر الإسلام الصادق قادم بإذن الله، ولكن يجب على كل مسلم في تتارستان أن يعي دوره في هذه الحياة، ويعي دوره في هذه المرحلة من الصراع بين الحق والباطل؛ فإن كلاً منهم راعٍ

[١] – انظر قانون جمهورية تتارستان الصادر عن ١٩ فبراير عام ١٩٩٢ تحت الرقم ١٤٤٨-١٢ حول أيام العيد وأيام الذكرى في تتارستان/ الفقرة السادسة. نشر هذا القانون في جريدة "التتريا السوفياتية" الإصدار الخمسون عن ١٢ مارس عام ١٩٩٢م.

[٢] – وهذا مشاهد عياناً وواضح لكل من حضر صلاة الجمعة في مدن جمهورية تتارستان.

وكل مسئول عن رعيته، فيجب عليهم جميعاً أن يقوموا بواجبهم تجاه أقربائهم وجيرانهم وأصدقائهم وزملائهم من الدعوة إلى الإسلام وإلى الالتزام بشعائره.

وأقول إنه إن كانت دعوة الروس إلى الإسلام أمراً مهماً، فإنه يتحتم علينا – بطريق أولى- بذل أقصى جهودنا في رفع الوعي الإسلامي بين أبناء المسلمين في الجمهوريات الإسلامية أولاً.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف في الأعياد وحكمها

لقد انحرف بعض المسلمين في تتارستان في هذه الشعيرة الدينية حيث مارسوا أعياداً لم يشرعها الله ورسوله ﷺ. وهذه الأعياد غير المشروعة يمكن تقسيمها-في رأي- إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أعياد لها تعلق بمواسم الدين الإسلامي.

الثاني: أعياد ليس لها تعلق بمواسم الدين الإسلامي ولكنها من تقاليد الشعب التتري المسلم.

الثالث: أعياد ليس لها تعلق لا بمواسم الدين الإسلامي ولا تعلق بتقاليد الشعب التتري بل هي محض أعياد الكفار.

أما النوع الأول:وهو الأعياد التي لها تعلق بمواسم الدين الإسلامي،

فمنها:

١ - الاحتفال بالمولد النبوي.

يتم الاحتفال بمولد النبي ﷺ - عند من يرى جوازه- في يوم الثامن أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول.[1]

ونتائج الاستبانات الموزعة في تتارستان تبين مدى انتشار هذه الظاهرة. لننظر إلى الجدول التالي:

رقم السؤال	празднования صورة الظاهرة في الأعـــــــــيـــــاد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
22	Празднование «Маулида» пророка Мухаммада الاحتفال بمولد النبي ﷺ	17,2	32,0	28,4	22,4

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٢٢.

---

[1] **- اتفق العلماء على أن النبي ﷺ ولد عام الفيل في شهر ربيع الأول يوم الإثنين، ولكنهم اختلفوا في تعيين اليوم من الشهر على نحو سبعة أقوال، أشهرها أنها ليلة ١٢من هذا الشهر، ثم الثامن منه. والغريب أن هذا الاختلاف يحكيه أصحاب المواليد أنفسهم! انظر على سبيل المثال "مقالات الكوثري": ص٤٧٦.**

يرى ١٧,٢ % من المجيبين على الاستبيان أن ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي منتشرة في تتارستان بشكل واسع، بينما يرى ٢٢,٤ % منهم أنها لا توجد في المجتمع التتري أصلاً. وقد أشار ٢٨,٤ % من المجيبين بأنها إن وجدت فانتشارها قليل، بينما أشار ٣٢,٠ % منهم أنها متوسطة الانتشار.

ويظهر من خلال هذا الجدول أن الاحتفال بمولد النبي المصطفى ﷺ هو مما افتتن به بعض أهل تتارستان. ويشهد لذلك - أيضاً- بعض المؤلفات[١] التي يؤيد أصحابها فكرة إحياء هذه الظاهرة اليوم على أرض تتارستان، وتعظيم ذلك اليوم بإقامة الحفلات الجماعية والندوات وتخصيصه بالفرح والسرور وإقامة الولائم والتزاور معتقدين أن ذلك من الحقوق التي يجب أن يؤديها كل مسلم تجاه النبي ﷺ حباً له وشكراً لله تعالى على إرساله إلى الناس رحمة لهم! وأما من لم يفعل ذلك فقد جفا!

أما الحكم على هذه الظاهرة، فبالتالي:

قبل أن نرد على مؤيدي الاحتفال بالمولد النبوي، لا بد من مقدمة تبين وجوب محبة النبي ﷺ في الإسلام ثم بيان مدى حب الصحابة له ﷺ وبيان حقيقة المحبة وبماذا تتحقق. فنقول وبالله التوفيق:

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين الذي لا يتم إيمان أحد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

قد أثبت الله تعالى محبة رسوله ﷺ مع محبته سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤.

[١] - **على سبيل المثال: "عيد المولد عند التتر" مسعودة شمس الدين. "معلومات تاريخية في حق عيد المولد" عالجان بارودي.**

قال القاضي عياض في شرح هذه الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ...)[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ الأحزاب: ٦...))[2].

وكذلك قوله ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**))[3]. وغيره من النصوص الشرعية الدالة على وجوب محبة النبي ﷺ.

وعلى هذا سار السلف الصالح من القرون المفضلة وغيرها. فقد كان الصحابة الكرام- رضي الله عنهم- هم خير الأمة، وكانوا أشد الناس محبة لرسول الله ﷺ وأكثرهم تعظيماً له؛ فقد سئل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: (كان – والله- أحب إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ)[4].

بل كانوا يؤثرونه على حياتهم؛ فهذا زيد بن الدثنة[5] – رضي الله عنه- لما أرادت قريش قتله حضروه وفيهم أبو سفيان، فقال قائل منهم: يا زيد أنشدك الله، أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمدا عندنا مكانك نضرب عنقه؟ فيقول: لا، والله، ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه بشوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي؛ فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد له.[6]

---

[1] -"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض: ٥٦٣/٢.

[2] – أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، ص٨٤٠ برقم٤٧٨١.

[3] – سبق تخريجه في ص١٢٦.

[4] – "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى": ٥٦٨/٢.

[5] – زيد بن الدثنة بن معاوية الأنصاري صحابي جليل شهد بدراً وأحداً، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون مع خبيب بن عدي فباعوهما من قريش فقتلا بمكة. انظر "الإصابة في تمييز الصحابة": ٥٠٠/٢ برقم٢٩٠٥، "صفة الصفوة" لابن الجوزي: ٢٠٩/١ برقم٨٠.

[6] – أخرجه ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى": ٤٣/٢.

وأعجب من ذلك أنهم – رضوان الله عليهم- كانوا يحرصون حتى على بصاقه ﷺ، (فما تنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده)[1].

هكذا أمرتنا الشريعة بحب النبي المختار المبعوث رحمة للعالمين، وهذه المحبة وهذا التعظيم تبعٌ لمحبة الله وتعظيمه سبحانه وتعالى، فهي من تمام محبة مُرسِله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لحب الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله.[2]

فإذا كانت محبة النبي ﷺ من محبة الله، فهي قربة إليه سبحانه وعبادة له، وكل عبادة يريدها الله تعالى ويرضاها من العبد هي ما ابتغي به وجه الله وكان موافقاً لما ورد في كتابه العظيم وفي سنة نبيه الكريم ﷺ. إذ من لوازم محبة النبي ﷺ موافقة الشرع باتباع السنة في جميع أنواع العبادات.

قال ابن تيمية: (وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته و اتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان)[3].

والآن لننظر هل الاحتفال بالمولد موافق لأمره ﷺ أم لا؟

فنقول إن النبي ﷺ لم يحتفل لا بمولده هو، ولا بمولد أقاربه، ولا بمولد الأنبياء قبله، ولم يأمر بالاحتفال بمولده بعد مماته. لم يحصل شيء من ذلك ولم ينقل عنه في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف ولا موضوع!

ولما توفي ﷺ توفي وهو بين أحب الناس إليه وخير الأجيال وهو أحب الناس إليهم وهم يحبونه أكثر ممن سواهم ومع ذلك لم يقيموا أربعينية ولم يحتفلوا بذكرى ولادته ﷺ لتخليد ذكراه مع أنه لم يغب عن بال أحدهم أو بعضهم أو بالهم جميعاً التفكير في ذلك عند

---

[1] – ذكر البخاري هذا الجزء من الحديث الطويل عن المِسْوَر بن مخرَمة ومَروان في كتاب الوضوء مستهلاً به باب البصاق والمخاط ونحوه في الثوب: ص٤٤، وأخرجه كاملاً في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصلحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: ص٤٤٧-٤٥٠ برقم٢٧٣١، ٢٧٣٢.

[2] – انظر "جلاء الأفهام" ابن القيم: ص٢٠٥.

[3] – "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٢٤/٢.

موته ﷺ أو بعد مرور أيام أو عام على موته. كل ما فعلوه هو الصدق والإخلاص في اتباعه واقتفاء أثره.[١] فلو كان هذا الفعل لم يفعله السلف مع قيام المقتضي وانتفاء المانع فهل نجرؤ على فعله فكأننا – وحالتنا هذه- نقول إنه غاب عن بالهم وعن بال الرسول هذا الخير وهذه الفضيلة وقد أكمل الله لنا دينه وأتم علينا نعمه، وقد بلّغ الرسول رسالته وأدى أمانته. فلو كان في الاحتفال بالمولد خير محض أو راجح لكان الصحابة في أداء حقوق الرسول أسرع منا[٢]؛ إذ كيف يفوقم هذا الخير ولا يفوقم حتى بصاقه- بأبي هو وأمي!

ثم يقال لهؤلاء المحتفلين بالمولد إن الاحتفال به أمر محدث (لم يُنقل عن أحد من السلف في القرون الثلاثة المفضلة، وإنما حدث بعد)[٣]. (وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المعظم مظفر الدين كوكبري[٤])[٥] "الذئب الأزرق" التركماني[٦] في القرن السابع

---

[١] – "العقلية الإسلامية وفكرة المولد، ٣- عن التربية والمجتمع":٤٤-٤٥، وانظر "بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور" لأحمد السلمي: ص ٢٧٦.

[٢] – إلى هنا انظر "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٢٣/٢.

[٣] – هذا قول السخاوي نقله محمد الشامي في كتابه: "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد":٤٣٩/١.

[٤] – مظفر الدين كوكبري، هو:سلطان الدين المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني. وكانت ولادته سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة.كان كريم الأخلاق، كثير التواضع، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة، لم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة. زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي. انظر "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان: ٢٩٠/٢-٢٩٣، و"سير أعلام النبلاء": ٣٣٤/٢٢-٣٣٧ برقم٢٠٥، وانظر أيضاً "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" الباب الثالث عشر في أقوال العلماء في عمل المولد الشريف:٤٣٩/١.

[٥] – "الحاوي للفتاوى" لجلال الدين السيوطي: ١٨٢/١. وانظر "معلومات تاريخية في حق عيد المولد" عالمجان بارودي: انظر المقالة في مجلة "الدين والأدب" باللغة التترية عن عام ١٩٠٦م العدد ٢، وعن عام ١٩١٦م العدد ٣، والعدد ٥. وانظر "عيد المولد عند التتر" مسعودة شمس الدين: ص١٤.

[٦] – وصفه الكوثري بالذئب الأزرق، فهي ترجمة حرفية عن اللغة التركية لاسمه المركب من كلمتين "كوك" و"بوري" ، ثم إنه كان ينتمي إلى قبيلة كانت راية أجدادهم هي الذئب الأزرق. أما بالنسبة إلى المولد فقد انتهى الكوثري إلى الاعتراف بأن الملك المظفر صاحب إربل كان يراعي الخلاف حول المولد النبوي بين العلماء؛ فكان يحتفل بالمولد في الثامن في عام وفي الليلة الثانية عشرة في عام آخر. انظر "مقالات الكوثري": ٤٧٩.

الهجري[1]. فلا يستطيع أحد أن يقول إن هذه البدعة حدثت في عهد الأئمة الأربعة فينسب إلى أحد الأئمة بله إلى الصحابة الكرام!

قال ابن تيمية: (ومع اختلاف الناس في مولده ﷺ فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف –رضي الله عنهم– أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص)[2].

ثم من الحق أن نقول إن في اتخاذ المولد النبوي تشبها بالنصارى الذين اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر لهم.

قال ابن تيمية: (وإنما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً، أو اليهود، وإنما العيد شريعة، فما شرعه الله اتبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه)[3].

ثم إن هذا الإحداث ليس مشابهة للكفار ومخالفاً للنصوص فقط، بل مخالف للعقل كذلك؛ فإن يوم ميلاده هو يوم موته أيضاً ﷺ، فعن أبي قتادة الأنصاري– رضي الله عنه– أن النبي ﷺ سئل عن صوم الاثنين، فقال: ((**ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه**))[4] و عن عائشة أن أبا بكر قال لها: (في أي يوم مات رسول الله ﷺ)، فقالت: (في يوم الاثنين)[5]؛ فليس الفرح بأولى من الحزن على موته ولو كان الاحتفال خيراً لسبقنا إليه الصحابة – رضوان الله عليهم– والتابعون.

---

[1] – وقيل أن أول من ابتدع الاحتفال بالمولد النبوي هم العبيديون (المسمون غلطا بالفاطميين) في مصر في القرن الرابع الهجري. انظر "الخطط المقريزية" لتقي الدين المقريزي: ٣٤٧/٢، وانظر "البدع الحولية" لعبد الله التويجري: ١٤٣/١. و"الانحرافات العقدية والعلمية"/ علي الزهراني: ٣٨٣/١.

[2] – "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٢٣/٢.

[3] – نفس المصدر.

[4] – أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين، والخميس: ص٤٧٧ برقم ٢٧٤٧ (١١٦٢).

[5] – أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٦٤/٤١ برقم٢٥٠٤٩، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وخلاصة القول أن نقول إن الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة في الدين ومشابهة للنصارى واستهانة بالعقول! فمن يريد أن يبدي محبته للرسول فبالمشروع؛ لأن المحب لمن يحب مطيع.

٢ – الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

ورد في "التقويم التتري المسلم" كلام عن إحياء ليلة الإسراء والمعراج، ونصه: (إن ليلة سبع وعشرين من شهر رجب: هي ليلة الإسراء والمعراج، وهي ليلة عظيمة، فقد اتخذها اليوم كثير من الدول المسلمة عيدا رسمياً؛ وذلك لأن هذا العيد متعلق بمعراج نبينا محمد ﷺ إلى العلو عبر السماوات السبع. وحدث ذلك ليلة ٢٧ من شهر رجب. وهذا حري بنا أن نحيي هذه الليلة بإقامة الصلاة في اثنتي عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين. يُقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة بسورة الإخلاص عشر مرات. يمكن إيصال اثنتي عشرة ركعة إلى مائة ركعة. وبعد الصلاة: تقرأ فاتحة الكتاب أربع مرات ويقال: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" مائة مرة، ثم يقال: "أستغفر الله العظيم وأتوب إليه" مائة مرة)[١].

هكذا نص ما ورد في التقويم التتري المسلم عن يوم ٢٦ من شهر رجب عن عام ١٩٩٧م، و لم يزل بعض المؤلفين التتر يحثون من خلال كتاباتهم، ومواعظهم، وخطبهم على إحياء ليلة ٢٧ من رجب معتقدين أنها ليلة الإسراء والمعراج وأنها تستقبل بإحيائها من تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وتخصيصها بذكر قصة الإسراء والمعراج، والصلاة على النبي ﷺ والدعاء.[٢]

الجدول التالي يبين مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التتري:

---

[١] – "التقويم التتري المسلم" عن يوم ٢٦ من شهر رجب عن عام ١٩٩٧م.

[٢] – انظر "فضائل الشهور والليالي المباركة" مطبعة الإيمان القازانية: ص٢٦، وانظر "التقويم التتري المسلم" عن عام ٢٠٠٠م يوم ٢٦ رجب، وكذلك التقويم لبقية السنوات إلى يومنا هذا فإنها لا تفوت فرصة التبريك على الناس بليلة المعراج.

رقم السؤال	празднования صورة الظاهرة في الأعـــــــــياد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
20	Праздн -е «Ночи Вознесения» (Исра ва Миградж). **الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج**	8,9	26,6	40,3	24,2

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم٢٠.

يتبين من خلال نتائج الاستبانة الموضحة في الجدول أعلاه أن هذه الظاهرة لم تَنَل شهرة بين التتر، إذ أجاب ٢٤,٢ % من المجيبين بأنها لا توجد أصلاً في تتارستان، ويرى ٤٠,٣ % منهم أنها إن وجدت فوجودها قليل، بينما يرى ٨,٩ % من المجيبين أنها تطبق بشكل واسع.

ورغم أن هذه الظاهرة لم تتمتع بشعبية واسعة في تتارستان – ولله الحمد- لا بد من ذكر حقيقة أمرها وبيان حكمها والرد على شبهتها رجاءَ إفادة من يطلع على هذه الرسالة بحثاً عن الجواب في هذه المسألة.

حكم هذا العيد والمشاركة فيه:

إن الإسراء والمعراج من أعظم الحوادث التاريخية التي وقعت في صدر الإسلام، والإيمان بهما واجب بنص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ الإسراء: ١.

وقد ورد في صحيح مسلم: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((**أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه.** قال: **فركبته حتى أتيت بيت المقدس.** قال: **فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء.** قال: **ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل– عليه السلام– بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل – عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:**

محمد. قيل: وقد بعث إليه؟! قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية...) إلى آخر الحديث[1].

فأهمية هذه الليلة في الإسلام واضحة؛ لما اشتملت على الإسراء والمعراج الآيتين من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ، وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل، وعلى قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه،[2] إلا أنها لم تخصص بشيء من التعظيم والاحتفال بها.

بل إن هناك خلافاً كبيراً بين المؤرخين وأهل السير في تعيين ليلة الإسراء. ومع أن أغلب اعتقاد الناس أنها ليلة ٢٧ من رجب فإن الخلاف قائم حتى في تحديد السنة التي وقعت فيها هذه الحادثة، فكيف تحديد الشهر واليوم![3]

هذه الليلة التي حدث فيها الإسراء والمعراج لم ياتِ فيها أحاديث صحيحة تعيّنها، وكل ما ورد في تعيينها غير ثابت عن رسول ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في عدم معرفة الناس لها.

وحتى لو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات و لم يجز لهم أن يحتفلوا بها لعدم ورود الأمر بالاحتفال بها، ولأن الرسول ﷺ وأصحابه – رضوان الله عليهم- لم يفعلوا ذلك، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه النبي ﷺ إما بالقول أو بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، و لم يفرطوا في شيء من الدين، بل هم أسبق الناس إلى كل خير، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الإسلام لم يغفله النبي ﷺ و لم يكتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله.[4]

---

[1] – **رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات: ص٨٢ برقم٤١١ (١٦٢).**

[2]– **انظر "التحذير من البدع" لابن باز: ص١٧.**

[3] – **انظر "المعارف" لابن قتيبة: ص١٥١، و"شرح النووي على مسلم"، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات: ٤٦٤/١، و"تبيين العجب بما ورد في شهر رجب" لابن حجر: ١١.**

[4] – **انظر "التحذير من البدع" عبد العزيز بن باز: ص١٩–٢٠.**

أما الروايات التي يُستنَد إليها في إثبات مشروعية إحياء ليلة الإسراء والمعراج، فمنكرة:

منها: ((**من صلى ليلة سبع وعشرين من رجب اثنتي عشر ركعة... ثم أصبح صائماً حط الله عنه ذنوب ستين سنة**)) هذا حديث منكر[1].

ومنها: ((**من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل بالرسالة**)) وهذا أيضاً حديث منكر[2].

قال الحافظ ابن حجر: (لم يرد في شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء معين منه، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ)[3].

وقال الإمام ابن القيم: (وكل حديث في ذكر صوم رجب، وصلاة بعض الليالي فيه، فهو كذب ومفترى)[4].

وعليه فإن الاحتفال بليلة السابع والعشرين وتخصيص هذه الليلة بأنواع العبادات كالصلاة والصيام وقراءة قصة الإسراء والمعراج بدعة محدثة في الدين.

---

[1] – أخرجه ابن حجر بسنده من حديث ابن عباس في "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب" وحكم عليه بالوضع: ٣٢، وانظر "تنزيه الشريعة" لابن عراق الكناني: ٢/ ٩٠، و"الآثار المرفوعة" للكنوي: ٦١/١.

[2] – رواه الخطيب البغدادي عن أبي هريرة موقوفاً في "تاريخ بغداد": ٢٨٤/٨ برقم٤٣٩٢، وابن حجر في "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب"وبين حكمه: ٤٤–٤٥، وانظر أيضا في حكم الحديث "الباعث على إنكار البدع والحوادث": ص٧١، ومجموع الفتاوى: ٢٥/ ٢٩٠.

[3] – "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب": ص١١.

[4] – "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" لابن القيم: ص٦٦، وانظر "لطائف المعاريف فيما لمواسم العام من الوظائف": ص٢٢٨، وقد ذكر كلام أهل العلم في ذلك صاحب "السنن والمبتدعات": ص ١٢٤–١٢٧.

وأما النوع الثاني، فهو: الأعياد الشعبية التترية:

وأقصد بذلك تلك الأعياد التي ليس لها تعلق بمواسم الدين الإسلامي ولا تسمى أعياداً دينيةً، وإنما هي من التقاليد أو العادات التي اعتادها الشعب التتري المسلم من قديم الزمان. فمنها ما يأتي:

١- الاحتفال بعيد "سابان طُويْ" الشعبي:

يقول المستشرق زنامينسكي في وصف أعياد التتر المسلمين: (احتفظ التتر عبر عصور قديمة بعيد "سابان طوي". كلمة "سابان" تعني: حراثة، وكلمة "طُي" تعني: عيد. يحتفل بهذا العيد في فصل الربيع بعد ذوبان الثلوج عن السهول، ويتضمن مسابقات الجري والمصارعة وسباق الخيل، وألعاباً أخرى يرافقها ولائم ويستمر ذلك أسبوعاً من الجمعة إلى الجمعة)[1].

ويقول أحد المؤرخين المعاصرين: (كثير من الباحثين يربط هذا العيد بموسم الحرث والزراعة في فصل الربيع، ولكن يلاحظ أن مضمون هذا العيد لا يعبر عن ذلك، وإنما يسمع له صدىً لما كان عليه أجدادهم من الحياة البرية المتنقلة. ولعل هذا العيد كان يحتفل به من أيام القبيلة الذهبية)[2].

إذا كان الناس يحتفلون بهذا العيد بمناسبة أعمال الزراعة في الربيع، ولم يكن هناك يوم محدد من أيام التقويم بل الأمر كان متعلقاً بالظروف الجوية ومدى استعداد التربة الزراعية لبدء أعمال الحرث والزرع. لكن اليوم يحتفل بعيد "سابان طُي" بمناسبة انتهاء هذه الأعمال وذلك في بداية فصل الصيف.[3]

والجدول التالي يبين مدى انتشار هذا العيد ومدى مشاركة الشعب التتري فيه:

---

[1] – "تتر قازان": ص٢١.

[2] – "مقالات في تاريخ الثقافة الدينية لأجداد الشعب التتري" غامرجان دولتشين: ص٨٧.

[3] – انظر "شعبي التتري" رمضان عبد اللطيف: ص١٤٨. وانظر الموقع الرسمي لجمهورية تتارستان: http://www.tatar.ru/?node_id=2480

رقم السؤال	празднования صورة الظاهرة في الأعـــــــــــياد	мدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
28	празднование «Сабантуя». الاحتفال بعيد "الحرث" الشعبي التتري	53,7	7,5	15,7	23,1

الاستبانة رقم٢/ رقم السؤال ٢٨.

أجاب ٢٣,١ % من المجيبين على الاستبانة بأن هذا العيد لا يحتفل به، وهذا بدوره يدل على أن هناك من لا يعتد بهاذا العيد وربما يراه بدعة وانحرافاً عن الدين خاصة لو وضعنا في عين الاعتبار ما يحصل في هذا العيد وأمثاله من المنكرات الشرعية من الاختلاط وتناول المسكرات والأغاني الماجنة والتبرج والسفور. بينما ترى البقية وهم ٧٦,٩ % من المجيبين أن هذا العيد موجود وما زال مطبقاً في المجتمع التتري، لا سيما أن ٥٣,٧ % منهم يرون كثرة انتشاره وممارسته.

أما حكم إنشاء هذا العيد أو المشاركة فيه:

فنقول في الحكم عليه بأن الاحتفال بهذا العيد منكر يحرم على المسلم المشاركة فيه. ويرجع ذلك إلى الأمور التالية:

- لأن هذا الاحتفال أصبح عادة تعود بعود السنة، والشريعة لم تشرع للمسلمين غير الأعياد الثلاثة المعروفة، بل منعت غيرها بقوله ﷺ كما ورد في حديث أنس المتقدم[١].
- إن هذا اليوم الذي يحتفلون فيه بعيد "سابان طُوي" ليس من الأيام التي تعظمها الشريعة الإسلامية أصلاً، وما جرى فيها من حادثة أو سبب أو مناسبة لا يبرر اتخاذ هذا اليوم عيداً! فإنه قد وقع في السيرة النبوية المطهرة ما هو أهم وأعظم شأناً من هذه المناسبة كهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وحادثة صلح الحديبية، وفتح مكة المكرمة، ثم الفتوحات الإسلامية الأخرى فلم يتخذها النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده ولا التابعون عيداً.

---

[١]- وهو قوله ﷺ: ((إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر))، وقد تقدم تخريجه في ص٣٤٦.

قال ابن تيمية: (وإنما العيد شريعة فما شرعه الله اتُّبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه)[١].

- إن هذا العيد وإن لم يحتفل به اليوم كعيد ديني فإن جذوره – كما يذكره بعض الباحثين- ترجع إلى أصول مجوسية، ففي بداية الأمر كان يقصد بهذا الاحتفال التقرب إلى إله الزراعة متوسلين بذلك إلى رفع الحصاد.[٢] فإذا كان الأمر كما ذكر؛ فإن هذا العيد منهي عنه بنص الحديث، فعن ثابت بن الضحاك، قال: (نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»)[٣]. الشاهد في هذا الحديث قوله ﷺ : «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». فلو كان المكان الذي قصده الصحابي من الأمكنة التي يعيّد فيها أهل الجاهلية لنهاه ﷺ، وكذلك لو كان نفس العيد من عادات الجاهلية فهو أيضاً داخل تحت النهي. قال أحد أئمة التتر المعاصرين مقراً بهذا: (يفهم من هذا الحديث عدم جواز التشبه بالمشركين في أعيادهم)[٤].

- حتى إن سلمنا بأن هذا العيد لم يكن في زمن من الأزمان عيداً مجوسياً قط، فإنه يكون منهياً عنه لما يرتكب فيه من المنكرات من الاختلاط وتناول المسكرات والتبرج والسفور.

يقول أحد التتر الكاتبين في ثقافة شعوب روسيا المختلفة واصفاً هذا العيد منبهراً بقوة تأثيره على الناس: (تصبح تعاليم الدين ضعيفة في هذا اليوم أمام هذا الحفل العظيم.

---

[١] – "اقتضاء الصراط المستقيم": ١٢٣/٢.

[٢] – انظر الموقع : www.tatar.ru/?node_id=2480، و http://ru.wikipedia.org/wiki/sabantuy.

[٣] – حديث صحيح، وتقدم تخريجه في ص٢٦٤.

[٤] – "قل هو الله أحد": ص٧٧.

ويعجز تدينهم في هذا اليوم عن السيطرة على الشباب، فهم يفرحون بالعيد، ويتسابقون، ويرقصون، ويغنون، ويتبادلون النظرات والهدايا، ويتعرف الشباب على البنات...)[1].

وقد كان لارتكاب المنكرات أثناء هذا العيد الشعبي وجود في القرون الماضية؛ فلذا نجد أن بعض المفتيين -كعبد السلام بن عبد الرحيم[2]- وبعض الأئمة كانوا يرسلون إلى بعض القرى خطابات ناصحة للالتزام بآداب الإسلام، وبعضهم يفتي ويمنع الاحتفال بمثل هذه الأعياد.[3]

يقول تاج الدين يالشيغول في كتابه الشهير "رِسالاءِ عزيزاه" بعد ما ذكر ما في هذا العيد من المنكرات: (هذا حرام محض! لعنة الله على أول من فعله، وليأكل التراب من يقول بحلاله!)[4].

وهذه الحال من ارتكاب المنكرات نجدها اليوم أثناء الاحتفال بعيد "سابان طُي"، بل الأمر أشد؛ بل صار يحضر الاحتفال التتر وغير التتر، المسلمون وغير المسلمين، ومع جهل المسلمين بتعاليم دينهم وضعف التزامهم بها صار الأمر بعيداً عن الالتزام بأبسط قواعد الأخلاق، بله تعاليم الشريعة!

فإقامة هذا العيد أو المشاركة فيه من المنكرات في الدين.

٢- الاحتفال بعيد "النيروز":

كلمة "النوروز" أو "النيروز" كلمة فارسية، تعني: اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية عند الفرس المجوس، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية.

---

[1] - "شعبي التتر": ص١٥٢.

[2] - عبد السلام بن عبد الرحيم التتري (١٧٧٤م- ١٨٤٠م) مفتٍ ثانٍ من يوم تأسُّسِ الإدارة الدينية في روسيا أيام الحكم القيصري قبيل الثورة الشيوعية. انظر "مفتي عبد السلام" لمسعود عين الدين: ص٣، "تاريخ النظارة الدينية وترجمة المفتيين" عبد الحق صديقوف: ص١٦.

[3] - انظر "الإسلام لدى تتر فولغا من قرن ٩م إلى قرن ١٩م" نائل غريب: ص٣٢، و"عن مُلّاوات المسلمين" قوبلوف: ص١٩.

[4] - "رسالاء عزيزاه" تاج الدين يالشيغول: ٢/٢٦٣.

وعيد النيروز أكبر الأعياد القومية للفرس.[1] وحقيقته أنه يوم عيد فارسي مجوسي من أعظم أعياد عَبَّاد النار. يقال : إن أول من اتخذه جمشيد أحد ملوك الفرس الأُول.

إذاً، فالاحتفال بالنيروز من أعياد الملحدين، وتقليدهم لا يجوز شرعاً، فلا يجوز للمسلم أن يحضر تلك الاحتفالات، ولا يشاركهم فيها بشيء، ولا يعينهم ولا يهنئهم عليها.

ورغم أن الاحتفال بهذا العيد تشبّه صريح بالمجوس، ونحن أمرنا ألا نتشبه بالكفار عموماً بقوله ﷺ: ((**من تشبه بقوم فهو منهم**))[2]، فإننا نهينا –أيضاً– عن هذا العيد بخصوصه بنص حديث رسول الله ﷺ، فعن أنس– رضي الله عنه– قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ((**ما هذان اليومان؟**))، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: ((**إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر**))[3].

قال شراح الحديث: هما يوم النيروز ويوم المهرجان[4].

وفي "فيض القدير": (الحديث يفيد حرمة التشبه بهم في أعيادهم؛ لأنه لم يقرهم على العيدين الجاهليين ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، وقال: "أبدلكم"، والإبدال يقتضي

---

[1] – انظر "المعجم الوسيط" لمجمعة اللغة بالقاهرة: ص٩٦٢، "تاج العروس" الزبيدي: ٣٤٩/١٥، "الموسوعة العربية العالمية"– مادة "الإيران": ٤٦٧/٣.

[2] – أخرجه أبو داود عن ابن عمر– رضي الله عنهما، أول كتاب اللباس، باب في لباس الشهرة: ص٧٢١ برقم٤٠٣١، ورواه أحمد مطولاً عنه: ١٢٣/٩ برقم٥١١٤، وقد جوَّد ابن تيمية حديث أبي داود في "اقتضاء الصراط المستقيم": ٢٦٩/١ وقال: (هذا إسناد جيد)، وقال ابن حجر في "فتح الباري":٣٣٤/١٠: (أخرجه أبو داود بسند حسن). وانظر أيضا كلام أهل العلم في درجة الحديث في "الإرواء" للألباني: ١٠٩/٥ برقم١٢٦٩، و"مسند الإمام أحمد" محققاً بإشراف عبد الله التركي: ١٢٣/٩–١٢٧.

قال ابن تيمية في شرح هذا الحديث: (أقلُّ أحوالِه أن يقتضي تحريمَ التشبه، وإن كان ظاهره يقتضي كفرَ المتشبِّهِ بهم)، "اقتضاء الصراط المستقيم": ٢٧٠/١.

[3] – حديث صحيح وتقدم تخريجه في ص٣٥٣.

[4] – "فيض القدير شرح الجامع الصغير": ٦٦٨/٤ برقم٦١٠٦.

وأما المهرجان فالظاهر بحكم مقابلته بالنيروز أن يكون أول يوم الميزان وهما يومان معتدلان في الهواء لا حر ولا برد ويستوي فيهما الليل والنهار، فكأن الحكماء المتقدمين المتعلقين بالهيئة اختاروهما للعيد في أيامهم وقلدهم أهل زمانهم لاعتقادهم بكمال عقول حكمائهم، فجاء الأنبياء وأبطلوا ما بنى عليه الحكماء. قال الطيبي: ونهي عن اللعب والسرور فيهما، أي في النيروز والمهرجان. انظر "عون المعبود" للعظيم آبادي: ٣٤١/٣.

ترك المبدل منه إذ لا يجتمع بين البدل أو المبدل منه، ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا في ترك اجتماعهما)[1].

وللأسف فإن هذا العيد مع كونه فارسيَ الأصل ومجوسيَ الديانة ومنهياً عنه في الشريعة، فإنه موجود في المجتمع التتري على عادة الأقوام التركية؛ فإن كثيراً منهم يعتبرون هذا العيد عيدهم وعيد آبائهم، كما يذكره التقويم التتري المسلم![2]

والجدول أدناه يؤكد لنا وجوده عند التتر ويرينا مدى انتشاره بينهم:

رقم السؤال	празднования الأعـــــــــياد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
29	празднование Науруз-байрама. الاحتفال بعيد "النيروز"	19,2	23,1	26,9	30,8

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم٢٩.

نرى أن ٣٠,٨ % من المجيبين على الاستبانة يعتقدون عدم وجوده في المجتمع التتري، بينما يرى الآخرون وهم ٦٩,٢ % من المجيبين أن هذه الظاهرة موجودة، بل أشار ١٩,٢ % منهم إلى أن هذا العيد يمارس بشكل واسع بين التتر.

وهذا يدل على ضعف إيمان هؤلاء وجهلهم بأمور الدين وإلا فكيف استطاع الشيطان أن يستحوذ على نفوس هؤلاء مع أن العيد لا يمت للتتر لا بجنس ولا بدين، إذ هو فارسي أصلاً ومجوسي ديانةً ومنهي عنه شريعةً.

فيحرم على كل مسلمي تتارستان الإقامة والمشاركة في مثل هذا العيد، ويجب العمل لإزالته من المجتمع بتوعية الناس وبيان حقيقته في غير موسمه، وبالعكس بالسكوت عنه وعدم رواج خبره في موسمه.

وإنما أدرجت هذا العيد ضمن النوع الثاني لكونه مشتبهاً على كثير من الناس أنه من الأعياد الشعبية التترية. والله أعلم.

---

[1] – **"فيض القدير" المناوي: ٦٦٩/٤ عند شرح الحديث برقم٦١٠٦.**

[2] – **انظر "التقويم التتري المسلم" الأعوام التالية: ١٩٩٤م– ٢٠٠٤م عن يوم ٢١ مارس.**

النوع الثالث: أعياد ليس لها تعلق لا بمواسم الدين الإسلامي ولا بتقاليد الشعب التتري بل هي محض أعياد الكفار.

في هذه الفقرة سنتكلم عن النوع الثالث وهو – كما تقدم بيانه في العنوان- من الأعياد التي لا علاقة لها بمناسبات دينية إسلامية ولا بتقاليد الشعب التتري، وإنما هي من الأعياد المستوردة من الثقافات الغربية الكافرة أو هي مما قرر من قبل الدولة السوفيتية فيحتفل بها رسمياً. فالاحتفال بمثل هذه الأعياد للمسلمين حرام إذ هي مخالفة للشريعة وتشبه بالكفار واضح.

من المهم هنا أن أذكر أن هذه الأعياد يزرع الحب لها وحب الاحتفال بها في قلوب الشعب من الصغر في المدارس الحكومية، حيث تقام فيها الولائم بمناسبة حلول العيد الفلاني أو العلاني، وتقدم الهدايا، وتقام برامج ترفيهية وبعض هذه الأيام تكون أيام إجازات رسمية.

وسنذكر أهم هذه الأعياد، ومدى انتشارها وشعبيتها في المجتمع التتري من خلال الجداول المبينة في الاستمارات التي تم توزيعها في تتارستان:

١ – الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية:

عيد رأس السنة الميلادية هو اليوم الأول من شهر يناير من كل عام، وهذا العيد من أكبر وأهم الأعياد في دولة روسيا كلها. يُمنح شعب روسيا بمناسبتها إجازة رسمية أسبوعاً كاملاً، ولهذا العيد شعائر يقيمونها كل عام من تنصيب أغصان شجرة سنوبر في بيوتهم وفي الميادين وحضور "سانتا كلاوس" الروسي إلى المحافل حاملاً الهدايا وغير ذلك من الأعمال والاعتقادات التي أصلها من صنع الديانة النصرانية الباطلة.[1]

حتى لو قيل بأن هذا العيد قد تخلى عن أي طابع ديني، فإن طقوس هذا العيد والنظام الذي يجري عليه الاحتفال به بقي على نمط الديانات والمعتقدات الكفرية، ثم إن هذا العيد مسنون من قبل أهل الجاهلية التي أمرنا بمخالفتهم، فهذا العيد ليس من أعياد المسلمين وهذا وحده كافٍ في تحريمه، فلا يجوز الاحتفال به، ولا تبادل التهانئ به، ولاإبداء الفرح والسرور به، بل يجب إغفاله وتهميشه في ذلك اليوم.

---

[1] – انظر "أعياد الكفار وموقف المسلم منها": ص٤٣.

ولنرَ مدى تأثر مسلمي تتارستان بهذا العيد اليوم من خلال الجدول المذكور أدناه:

رقم السؤال	празднования الأعـــــــــياد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
25	празднование «Нового года». الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية	49,3	14,9	12,7	23,1

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٢٥.

من خلال الجدول نرى أن هذا العيد يتمتع بشعبية كبيرة لدى الشعب التتري حيث أجاب ٤٩,٣ % ممن وزعت عليهم الاستبانات بأنه كثيراً ما يحتفل به في تتارستان، وأجاب ١٤,٩ % منهم بأنه متوسط الانتشار، ويرى ١٢,٧ % بأنه إن وجد فوجوده قليل.

بينما أشار ٢٣,١ % من المجيبين بأن المسلمين في تتارستان لا يحتفلون بهذا العيد! وهذا القول على مصداقية قوية عندي حيث صار كثير من المسلمين اليوم- بعد ما فتح مجال تعلم الدين وممارسة شعائره- يعرفون حكم الأعياد ويرفضون تسربها إلى بيوتهم، ولله الحمد.

٢ – الاحتفال بعيد المرأة العالمي:

ويقام هذا العيد في الثامن من شهر مارس. جاء الاحتفال بهذه المناسبة على إثر عقد أول مؤتمر للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، والذي عقد في باريس عام ١٩٤٥م، وفيه يحتفل عالمياً بالإنجازات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للنساء.[١] يمنح الشعب الروسي في هذا اليوم إجازة رسمية يكرمون فيه النساء ويبرون بالأمهات ويقدمون لهن هدايا والتهاني علامة على الحب والاحترام.

وفي الجدول التالي نرى أن بعض مسلمي تتارستان تأثروا بثقافة الملحدين واتخذوه عيداً يحتفلون به ويخصصون ذلك اليوم لقضاء طلبات نسائهم. لننظر مدى وجود هذا التأثر في أبناء مسلمي تتارستان:

---

[١]– انظر الموقع: http://ar.wikipedia.org/wiki/ عيد_المرأة_العالمي .

رقم السؤال	празднования الأعـــــــــياد	мадى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
26	празднование «8-го марта». **الاحتفال بعيد المرأة العالمي**	49,3	15,7	9,0	26,0

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٢٦.

نرى من خلال الاستبانة أن ٤٩,٣ % من المجيبين يرون وجود هذه الظاهرة بشكل كثير، و١٥,٧ % يرون أن انتشاره ليس كثيراً وإنما متوسط، ويرى ٩,٠ % أن هذه الظاهرة إن وجدت فوجودها قليل.

بينما يرى ٢٦,٠ % من المجيبين على الاستبانات أن هذه الظاهرة غير موجودة بين المسلمين في المجتمع التتري، وهذا الكلام يتوجه نحو العوائل الملتزمة بالدين التي استطاعت أن تتحرر من عرى المبادئ الشيوعية الباطلة.

أما المؤيدون لهذا العيد فشبهتهم في ذلك أن هذا اليوم لا يخالف مبادئ الإسلام بما فيه من تكريم المرأة وتقديم الهدايا؛ فإن المرأة مكرمة في الإسلام وكذلك التهادي من مبادئ الإسلام: ((**تهادوا تحابوا**))[1].

ونقول لهؤلاء ولجميع من يجهل حكم هذا العيد:

لا يجوز للمسلم أن يتخذ هذا اليوم عيداً وأن يحدث فيه شيئاً من شعائره؛ كإظهار الفرح والسرور، وتقديم الهدايا والزهور وما أشبه ذلك.

فالواجب على المسلم أن يقتصر على ما حدده الله تعالى ورسوله ﷺ في الإسلام من العبادات والأعياد، فالأعياد من باب العبادات وإن لم يقصدوا بالأعياد المحدثة التقرب إلى الله، فلا يزيدوا على الأعياد الموجودة ولا ينقصوا منها. بل على المسلمين جميعاً أن يفتخروا بدينهم ويعتزوا بمبادئه ولا يتبعوا ثقافات غيرهم: لا المغضوب عليهم ولا الضالين. بل المرأة في الشريعة لأحقُّ من أن يحتفى بها يومًا واحدًا في السنة، بل الأمهات منهن لهن حقوق على

[1]– الحديث أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" عن أبي هريرة – رضي الله عنه: ٢٠٨/١ برقم٥٩٤ وقد ذكر الزيلعي الحديث بمخارجه وبطرقه وشواهده في "نصب الراية"، كتاب الهبة، الحديث الأول: ١٢٠/٤–١٢٣، وقال ابن حجر عن إسناد البخاري: إسناده حسن، انظر "التلخيص الحبير": ٦٩/٣ برقم١٣١٥، وحسنه الألباني في "الإرواء": ٤٤/٦–٤٨ برقم١٦٠١.

أولادهن عظيمة من رعايتها والاعتناء بها، وأن يقوموا بطاعتها في غير معصية الله عز وجل في كل زمان ومكان.

٣ – الاحتفال بعيد ميلاد الشخص:

الاحتفال بعيد ميلاد الشخص وخاصة عيد ميلاد الأطفال أو اليوبيلات عند كبار السن أمر اعتدناه من أيام الشيوعية. لننظر مدى وجوده بين مسلمي تتارستان من خلال الجدول التالي:

رقم السؤال	празднования الأعـــــــــــياد	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
24	празднование дни рождений, юбилеев. **الاحتفال بعيد الميلاد الشخصي واليوبيلات وغير ذلك**	38,1	23,9	14,9	23,1

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم٢٤.

نجد من خلال المعلومات المبينة في الجدول أن ٢٣,١ % ممن وزعت عليهم الاستبانات أشار إلى عدم وجود الاحتفال بهذه الأعياد، بينما أشار ٧٦,٩ % منهم بوجوده، بل قال ٣٨,١ % من المجيبين بانتشاره انتشاراً واسعاً.

فحكم الاحتفال بمثل أيام ميلاد الأشخاص واليوبيلات وغيرها من الأعياد الفردية أو المشتركة بين اثنين كعيد الحب[١] بين الزوجين أو الخليلين، وعيد الصداقة، وعيد يوم التعارف وإقامة اليوبيلات لمثل هذه المناسبات البرونزية والفضية والذهبية (وتختلف أوقاتها باختلاف الأفراد ومناسباتهم) بما يتخللها من المأكولات والمشروبات وإشعال الشموع بعدد سنين

---

[١] – **هناك عيد يحتفل به في ١٤ فبراير ويسمى بعيد الحب، أصله من أثينا وروما وهو من الأعياد الوثنية يدعو إلى إزالة حواجز الحياء والحشمة وإلى التقدم نحو الغرائز والشهوات. وهذا العيد بما فيه من المنكرات والفواحش مرفوض حتى عند أهل الديانات الأخرى. وهذا العيد صار ينتشر في روسيا (ولا سيما في تتارستان) ويدخل المدارس؛ فإذا لم ينتبه له وجهاء الناس فسوف يغتر به الشباب من الروس والتتر من المسلمين وغير المسلمين مما يعود على المجتمع بأكمله بالفساد الأخلاقي. انظر المقالة "لماذا لا يحتفل المسلمون بعيد الحب؟" في الموقع باللغة الروسية: http://www.islamnews.ru/news-9798.html 16.02.2008 .**

العمر وإطفائها؛ كل هذا من باب التشبه بالكفار وبدعة محدثة لم يفعله من هو خير منا من سلف هذه الأمة- ولو خلا المجلس مما يوجب التشبه بهؤلاء الكفار وعَمِل بما لا يُعمَل به إلا عند المسلمين من قراءة القرآن، والنصح، والوعظ، ومراعاة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، فإن كان لا يجوز هذا في حق خير البرية المصطفى ﷺ ففي حق غيره أولى ألا يحتفل به؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك و لم يشرعه لأمته، وهكذا أصحابه — رضي الله عنهم- لم يفعلوه، وهكذا سلف الأمة من بعدهم في القرون المفضلة لم يفعلوه، والخير كله في اتباعهم.[1]

والله أعلم بالصواب.

[1] - انظر "أعياد الكفار وموقف المسلم منها": ص٥٥، و"فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء": ٨٤/٣. وانظر أيضاً "عماد الإسلام" باللغة التترية لــعبد الرحمن شاكر جان حميد الله: ٣١، وقد ذكر فيه بعض الأحكام المتعلقة بأعياد الكفار ومشاركة المسلمين فيها.

المبحث الرابع

التداوي و الرقى و التمائم و التطير و السحر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في التداوي و الرقى

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في التداوي والرقى و التمائم و التطير و السحر و حكمها

المطلب الأول

مظاهر التوحيد في التداوي و الرقى

إن التداوي في الشريعة الإسلامية ليس أمراً خاليا عن الاعتقاد، فإنه قد تتخلله أمور يصبح التداوي بها شركاً بالله، وقد تتخلله أمور يكن التداوي بها موافقاً لتوحيد الله الذي هو المتفرد بالشفاء.

المسألة الأولى: ضوابط الرقية الشرعية:

وليكون التداوي موافقاً للشريعة لا بد أن يكون بما أحله الله من الأسباب، وأن يكون بالتوكل على الله والاستعانة به، فبهذين الضابطين يكون العلاج موافقاً للتوحيد وأرجى للشفاء.

أما الضابط الأول، فالدليل عليه:

ما ورد عن أم سلمة مرفوعاً وعن ابن مسعود موقوفا: ((**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**))[1].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث.[2]

---

[1] – أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أم سلمة مرفوعا بقصة: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز، فدخل النبي ﷺ وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالت: أن ابنتي اشتكت، فنبذنا لها هذا، فقال النبي ﷺ: ((إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام)): ٤/٢٣٣ برقم١٣٩١. والبيهقي في سننه، جماع أبواب ما لا يحل أكله وما يجوز للمضطر من الميتة وغير ذلك، باب النهي عن التداوي بالمسكر: ٩/١٠ برقم٢٠٢٣٥، ولفظه: ((...فيما حرم عليكم))، وغيرهما. وذكره البخاري في صحيحه معلقاً موقوفاً على ابن مسعود، كتاب الأشربة، باب شراب الحلواء والعسل: ص٩٩٥، ووصله عبد الرزاق في المصنف، باب التداوي بالخمر: ٩/٢٥٠، رقم ١٧٠٩٧ عن الثوري عن منصور عن أبي وائل عنه به. وقال السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص١٩٩ ح٢٣٤): (أخرجه أحمد في "الأشربة" والطبراني في "الكبير" وابن أبي شيبة في "مصنفه" وآخرون من طريق منصور...ثم ذكر طرقاً أخرى، وقال: وطرقه صحيحة ولذا علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم)، وصحح إسناده إلى ابن مسعود الألباني في "الصحيحة": ٤/١٧٤ برقم١٦٣٣.

[2] – أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة: ص٦٩٥ برقم٣٨٧٢، والترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسُمّ أو غيره: ص٤٦٢ برقم٢٠٤٥، وابن ماجه في كتاب الطب، باب النهي عن الدواء الخبيث: ص٥٧٩ برقم٣٤٥٩. وأحمد في المسند: ١٣/٤١٦، برقم٨٠٤٨، ورواه الحاكم في "المستدرك": ٤/٤٥٥، برقم٨٢٦٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والدواء الخبيث هو الخمر بعينه بلا شك فيه. وحكم الألباني على الحديث بالصحة، انظر المواضع المذكورة من السنن في الطبعة المزودة بأحكامه. وقال محقق المسند: إسناده حسن صحيح.

وقد سأل النبيَّ ﷺ أحدُ الصحابة عن الخمر، فنهاه ﷺ، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال ﷺ: ((**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**))[1].

أما الضابط الثاني وهو كون المتعالج متوكلاً على الله، مستعيناً به، راجياً شفاءه منه وحده، فالدليل عليه:

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على أن الشفاء من أمر الله، وأنه – سبحانه- هو رب الناس الذي يذهب البأس ويشفي شفاءً لا يغادر سقماً، وأن الإنسان وإن استعمل الأسباب المشروعة في المعالجة فإن الشفاء لا يكون إلا بإذنه سبحانه وتعالى، فهو الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه.

فمن أدلة القرآن ما قاله الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ ﴾ الشعراء: ٧٨ – ٨٠، والشاهد من الآيات قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾، ووجه الاستشهاد أن المؤمن يلزمه إيمانه بربوبية الله تعالى وبأنه سبحانه هو الخالق الهادي الرازق الشافي؛ بأن يؤمن بتوحيد الألوهية الذي منه التوكل عليه والاستعانة به في أموره كلها لا سيما في التعالج وطلب الشفاء.

ومن الأحاديث ما ورد من دعائه ﷺ إذا أتى مريضا أو أتي به، حيث كان يقول: ((**أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي؛ لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**))[2].

وكذلك قوله ﷺ: ((**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواءٌ الداءَ برأ بإذن الله تعالى**))[3].

فالشاهد من هذه الأحاديث أن الشافي هو الله، وأن الشفاء معلق بإذنه سبحانه وتعالى.[4]

---

[1] – **أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر وبيان أنها ليست بدواء: ص٨٨٦ برقم٥١٤١ (١٩٨٤).**

[2] – **متفق عليه، رواه البخاري من حديث عائشة– رضي الله عنها، كتاب المرض، باب دعاء العائد للمريض: ص١٠٠٥ برقم٥٦٧٥، وفي مواضع أخرى من صحيحه (انظر: ٥٧٤٣، ٥٧٥٠)، ومسلم، كتاب السلام (الطب)، باب استحباب رقية المريض: ص٩٧٢ برقم٥٧٠٧ (٢١٩١) بلفظ: ((...واشف أنت الشافي...)).**

[3] – **صحيح مسلم، كتاب السلام (الطب)، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي: ص٩٧٧ برقم٥٧٤١ (٢٢٠٤).**

[4] – **انظر "آداب مهنة الطب": ٧/٢.**

مما يلزمنا أن نَكِلَ نتائج العلاج إليه وحده. وهذا الأمر قد تكلمنا عنه في الفصل الثاني في مبحث التوكل؛ فلذلك نكتفي هنا بما كتبناه هناك، ولنركز كلامنا في هذا المطلب على ما يتم به التداوي من الأسباب المشروعة وبالذات الرقى الشرعية التي فيها الآيات القرآنية والأدعية الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة، واستعمال ماء زمزم، والحبة السوداء وزيتها.

ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه التطبيقات العلاجية - التي وردت في السنة النبوية- في المجتمع التتري (أو في أي مجتمع آخر) من المظاهر التي تدل على اقتناع المسلم بدينه وثقته بربه وارتباطه بالقرآن والسنة وتقديسه لهما[1]. لا سيما أن ممارسة التداوي بالرقى تقوي إيمان العبد وتزيد من حسناته من جهة ذكر الله، ودعائه، والتوكل عليه، والاستعانة به؛ ومن جهة الاتباع للمأثور النبوي، والتعبد به، ففيه الهدى والفلاح.[2]

وقد استحسنت أكاديمية العلوم بجمهورية تتارستان كتاب أحد الباحثين التتر "العادات الإسلامية والصحة في المجتمع التتري" وأوصت وزارة التربية في تتارستان بإضافته إلى البرنامج الدراسي كمرجع إضافي لطلاب المدارس الثانوية، يقول فيه مؤلفه: (إن التداوي بالرقى في أوساط الشعب التتري كان واسع الانتشار من قديم الزمن، وأغلبها مأخوذ من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية)[3].

ومظاهر هذا التداوي موجودة في المجتمع التتري إلى اليوم- ولله الحمد- وقد تم رصدها بواسطة الاستبانات التي وزعت على بعض أهل تتارستان. تُبيّن نتائجُها مدى انتشارها في البلد، وذلك من خلال الجداول التي سوف أعرضها، ولكن قبل ذلك أريد أن أذكر بعض الصور للرقية الشرعية التي وردت عن النبي ﷺ، ومن ذلك:

المسألة الثانية: رقية المريض بالقرآن:

ذهب جمهور العلماء إلى جواز قراءة القرآن بقصد التداوي[4] وتكون بقراءة المريض على نفسه أو بقراءة الراقي على المريض. والدليل على مشروعية ذلك:

[1] – انظر "الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بظاهرة التداوي بالقرآن" لصالح سليمان عبد العظيم: ٦/١.

[2] – انظر "موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى" للقرضاوي: ص١٥٨.

[3] – "العادات الإسلامية والصحة في المجتمع التتري" لـــألمـــاز صابر: ص١٦.

[4] – انظر "الموسوعة الفقهية الكويتية"/ تعويذ/ الاستشفاء بالقرآن: ٢٨/١٣.

الآيات الدالة على كون القرآن شفاء للمؤمنين، كقول الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء: ٨٢، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤.

ومعنى هذه الآيات أن الله تعالى نزّل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب مِنَ الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برُقْيتها به[1].

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((**من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله**))[2] يشمل الاستشفاء به للمرض الجسماني والروحاني.[3]

قال المناوي: (القرآن هو الدواء، أي: من الأمراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوة والمعاد وكالأخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لأنواعها وحث على اجتنابها ومن الأمراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الإخلاص وفراغ القلب من الأغيار وإقباله على الله بكليته وعدم تناول الحرام وعدم الآثام واستيلاء الغفلة على القلب فقراءة من هذا حاله مبرئ للأمراض وإن أعيت الأطباء)[4].

فالقرآن شفاء للقلوب والأبدان.

وقد ورد عن ابن مسعود – رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: ((**عليكم بالشفائين: العسل والقرآن**))[5].

---

[1]– "التفسير الميسر": ص٢٩٠.

[2]– وأخرجه الثعلبي بإسناده مرفوعا من حديث رجاء الغنوي، وقد أورد إسناده الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري": ٢٨٨/٢ برقم٧٢٥. وقال صاحب "كنز العمال": أخرجه الدارقطني في "الأفراد" عن أبي هريرة (٩/١٠ برقم٢٨١٠٦). وفي إسناده أحمد بن الحارث الغساني وهو ضعيف، قال ابن أبي حاتم في ("الجرح والتعديل": ٤٧/٢ برقم٣٢): متروك الحديث، وذكره الألباني بالضعف الشديد في مواضع من "الضعيفة": ٢٨٤/١ برقم١٥٢.

[3]– تفسير حقي: ١٩٥/٥. وانظر تفصيل المسألة في "مجلة مجمع الفقه الإسلامي" العدد٧: ٦٤٨/٣–٦٤٩.

[4]– "فيض القدير": ٧٠١/٤ برقم٦١٨٧.

[5]– أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الطب، باب العسل: ص٥٧٧ برقم ٣٤٥٢، والبيهقي في "شعب الإيمان": ٥٢١/٥ برقم٢٣٤٥، وفي السنن الكبرى: ٥٦٨/٩ برقم٢٠١١٤ وقال: (رفعه غير معروف والصحيح موقوفٌ). وفيه: برقم٢٠١١٥ عنه موقوفا أن القرآن شفاءٌ لما في الصدور خاصةً. وانظر "الضعيفة" لألباني (٢٣/٥ برقم١٥١٤)، وقد صحح أثر ابن مسعود موقوفاً.

وعن علي- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((**خير الدواء القرآن**))[1].

ومن الأدلة البارزة في كون القرآن شفاءً من أمراض الأبدان ما ورد عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ؟ فإن سيد الحى لديغ أو مصاب؟ فقال رجل منهم: نعم. فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب؛ فبرأ الرجل، فأُعطِي قطيعا من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبى ﷺ. فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له. فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب. فتبسم وقال: ((**وما أدراك أنها رقية؟**))، ثم قال: ((**خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم**))[2].

والخلاصة أن القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وليس كل أحد يؤهَّل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تامٍ، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.[3]

المسألة الثالثة: رقية المريض بالأدعية:

من صور الرقية المشروعة قراءة الأدعية على المريض لفعله ﷺ حيث كان يرقي المرضى بقوله: ((**أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي؛ لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**))[4].

وأحسن أن تكون هذه الأدعية بالمأثور عن النبي ﷺ ثم عن الصحابة، فعلماء السلف. وذهب جمهور العلماء أن ما عدا ذلك من الأدعية فلا بد أن تكون باللسان العربي أو بما

---

[1] - أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الطب، باب الاستشفاء بالقرآن: ص٥٨٥ برقم٣٥٠١، وضعفه الألباني في "الضعيفة": ٩٣/٧ برقم٣-٩٣.

[2] - أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطي في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب: ص٣٦٣ برقم٢٢٧٦، ومواضع أخرى من صحيحه (انظر: ٥٠٠٧، ٥٧٣٦، ٥٧٤٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار:٩٧٥ برقم ٢٢٠١، واللفظ لمسلم.

[3]- "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم: ٣٢٢/٤.

[4] - سبق تخريجه في ص٣٧٤.

عرف معناه من غيره حتى لا يلتصق بها شيء من الشركيات والبدعيات.[1]

ويدل على مشروعية الرقية بالأدعية بالشرط المذكور ما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: ((**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**))[2].

المسألة الرابعة: النفث في الرقية:

ومنه النفث على المريض وهو النفخ مع قليل الريق[3]، أو التفل، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية ذلك. ومنه قصة رقية اللديغ بالفاتحة – التي ذكرناها قبل قليل– وقد ورد في رواية البخاري: (**فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ**)[4].

وقد اختلف في محل التفل في الرقية: أ يكون قبل القرآءة أم بعدها؟ ولا مانع من وقوع ذلك في حالة القراءة وقبلها وبعدها؛ لورود ما يدل على جواز ذلك، ولكن الذين يفضلون أن يكون النفث أو التفل بعد القراءة يعللون ذلك بحصول بركة القراءة في الريق الذي يتفله ثم في الجوارح التي يمر عليها الريق.[5]

قال القاضي عياض: (وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية والذكر الحسن كما يتبرك بمقالة ما يكتب من الذكر والأسماء الحسنى)[6].

وقال ابن أبي جمرة[7]:

---

[1] – ومن المهم في هذه الرقية وفي غيرها من الرقى الشرعية – بل وفي كل عمليات التداوي بما فيها التداوي بالأسباب المادية– أن يعتقد صاحبها أن الرقية مجرد سبب لا تأثير له إلا بتقدير الله تعالى. انظر شروط الرقية الشرعية في شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقى: ٤٠٤/٧، و"الفتح" لابن حجر، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات: ٢٤٠/١٠، و"شرح السنة" للبغوي: ١٥٩/١٢، وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية: ٩٧/٢٣. و"أحكام الرقى والتمائم" للسحيمي، المبحث شروط جواز الرقى: ص٣٦.

[2] – رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي: (كنا نرقي في الجاهلية...) ، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا: ص برقم٢٢٠٠.

[3]– النفث هو: النفخ مع قليل الريق. انظر "النهاية في غريب الحديث والأثر"، باب النون مع الفاء: ص٩٢٩.

[4] – صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب: ص١٠١٣ برقم٥٧٣٦.

[5] – قال به ابن أبي جمرة ("بهجة النفوس في شرح مختصر صحيح البخاري": ٢٢٩/٢)، ونقل عنه هذا المعنى شراح الحديث، انظر– مثلا– "فتح الباري" عند شرح قوله "فانطلق يتفل":٥٧٦/٤، و"عون المعبود":٣١٤/١٠.

[6] – انظر "إكمال المعلم بفوائد مسلم": ١٠١/٧، والمفهم: ٥٩١/٥.

[7]– ابن أبي جمرة، هو: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي، الأندلسي، أبو محمد من علماء الحديث، مالكي، توفي بمصر سنة ٦٩٩هـ. انظر "البداية والنهاية": ٦٨٩/١٧، "نيل الابتهاج":ص٢١٦، "الأعلام": ٨٩/٤.

(الأظهر أنه بعد القراءة)[1].

وكذلك الرقية في الماء لا بأس بها، وذلك بأن يقرأ في الماء ويشربه المريض، أو يصب عليه؛ فقد روى أبو داود في سننه أنه ﷺ قرأ في ماءٍ لثابت بن قيس بن شماس ثم صبه عليه[2]، ولدغت النبيَ ﷺ عقربٌ وهو يصلي، فلما فرغ قال: ((**لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره**))، ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها ويقرأ: (قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس)[3]، وكان السلف يفعلون ذلك[4]،

---

[1]- انظر "بهجة النفوس في شرح مختصر صحيح البخاري" لابن أبي جمرة: ٢/٢٢٩.

[2]- الحديث هو: (عن يوسف بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ أنه دخل على ثابت بن قيس وهو مريض، فقال: ((اكشف البأس، رب الناس، عن ثابت بن قيس بن شماس))، ثم أخذ تراباً من بطحان فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، وصبه عليه. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى: ص٦٩٧ برقم ٣٨٨٥، والنسائي في "عمل اليوم والليلة": ص٢٩٤ برقم١٠٢٥ بدون لفظ "ثم نفث عليه بماء"، وابن حبان في صحيحه: ٤٣٣/١٣ برقم٦٠٦٩ بلفظ "فجعله في قدح فيه ماء فصب عليه". والحديث ضعيف لضعف يوسف بن محمد بن ثابت، فلم يوثقه إلا ابن حبان. انظر قول المحقق في الموضع المذكور من كتاب صحيح ابن حبان، و"سلسلة الأحاديث الضعيفة" للألباني: ٥٦/٣ برقم ١٠٠٥.

[3]- أخرجه الطبراني عن علي في "الصغير": ٢٣/٢، وقال الهيثمي في "المجمع": إسناده حسن (١١٤/٥)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" بنحوه: ٣٩٩/٧ برقم٢٤٠١٩، وقال الألباني: حديث صحيح ("الصحيحة": ٤٧/٢ برقم٥٤٨).

[4]- ورد عن أبي معشر عن عائشة أنها كانت لا ترى بأساً أن يعوذ في الماء ثم يصب على المريض، كما في مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الطب، باب١٥: ٦٠/١٢ برقم٢٣٩٧٥، ولكن الخبر فيه انقطاع؛ لأن أبا معشر زياد بن كليب الحنظلي الذي في السند قال عنه ابن حجر بأنه ثقة من السادسة، وقال عن الطبقة السادسة بأنها طبقة عاصروا الخامسة ولكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة. انظر تقريب التهذيب (٨٢، ٣٤٨).

وقد ورد عن وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه في الماء، ويقرأ فيه آية الكرسي وذوات "قل"، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله. كما ورد ذلك في مصنف عبد الرزاق (١٣/١١ برقم١٩٧٦٣).

وفي "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٤٤٠/٢) أن صالح بن الإمام أحمد قال: ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء، فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك. ونقل عبد الله أنه رأى أباه يعوذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه. قال ابن القيم- رحمه الله: (لقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة؛ آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مراراً ثم أشربه، فوجد بذلك البرء التام، ثم صِرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غايةَ الانتفاع. "الطب النبوي" لابن القيم: ص١٤٨.

وغير ذلك من الآثار، كما يستفاد في الموضوع برسالة علمية "أحكام الرقى والتمائم" للسحيمي: ص٦٢-٦٦.

فلا بأس به.[1]

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ مبيناً حكم النفث في الماء للرقية: (المقصود أن إيصال الرقية والقراءة بالنفخ "النفس" في الماء – ثم يسقاه المريض أو يصب عليه– فهذا لا بأس به لفعل السلف له، ولا ينكر؛ لأن له أصلاً في السنة.

ولكن كلما كانت الرقية مباشرة بدون وسائط كثيرة كانت أفضل. ولهذا قال الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – ورفع درجته في الجنة : كلما قرب الوقت كان أنفع وكلما كانت الوسائط أقل كان أنفع)[2].

المسألة الخامسة: المسح باليد على المريض أثناء الرقية:

فعن عثمان بن أبي العاص الثقفي[3]– رضي الله عنه– أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: ((**ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: "باسم الله" ثلاثا، وقل سبع مرات: "أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"**))[4].

فالشاهد من الحديث أنه يستحب وضع يده على موضع الألم، والإتيان بالدعاء المذكور.[5]

وعن عائشة– رضي الله عنها– قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـــ"قل هو الله أحد" وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من

---

[1]– انظر "مجموع فتاوى ابن باز" للشيخ عبد العزيز ابن باز: ٥٢/١، و"مجلة البحوث الإسلامية" من فتاوى ابن باز: العدد ١٦٢/٤٠.

[2]– "مجلة الدعوة"، العدد ١٦٨٣ ذو القعدة ١٤١٩ هـــ: ص ٢٢.

[3]– هو:عثمان بن أبي العاص الثقفي، أبو عبد الله، صحابي، نزيل البصرة. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله ﷺ على الطائف. ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية، وقيل سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين، وكان هو سبباً في منع ثقيفا عن الردة. انظر:"الإصابة" لابن حجر: ٣٧٤/٤–٣٧٣.

[4]– أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم، مع الدعاء: ص٩٧٦ برقم٥٧٣٧.

[5] – "شرح النووي على صحيح مسلم": ٤٢٤/٧.

جسده). قالت عائشة: (فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به).[١]

وعنها- رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان، مسحه بيمينه، ثم قال: ((**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**))[٢].

وقال الإمام النووي: (قولها: "كان رسول الله ﷺ اذا اشتكى منا انسان مسحه بيمينه ثم قال: ((**أذهب البأس**...)) " إلى آخره، فيه استحباب مسح المريض باليمين).[٣]

والآن ننظر إلى الجدول المبين مدى انتشار ظاهرة الرقية الشرعية في المجتمع التتري:

رقم السؤال	лечение от сглазов, заклинания, приметы и др. **صورة الظاهرة في التداوي والرقى والسحر**	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
31	чтение аятов Корана и заклинаний, упомянутых в достоверных хадисах в целях исцеления от болезней. **التداوي بالآيات القرآنية وبالرقى الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة**	**35,7**	**34,0**	**25,6**	**4,7**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٣١.

نرى من خلال هذا الجدول أن ظاهرة التداوي بالآيات القرآنية وبالرقى الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة موجودة في المجتمع التتري. رغم أن ٤,٧ % من المجيبين على الاستبانات يرون عدم وجودها في تتارستان، إلا أن ٩٥,٣ % من مجموع المجيبين يرون وجودها، بل أشار ٣٥,٧ % منهم أنها كثيرة الانتشار.

---

[١] – أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الطب، باب النفث في الرقية: ص ١٠١٥ برقم٥٧٤٨، وروى مسلم عنها نحوه في صحيحه، في كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات و النفث: ص٩٧٣ برقم٥٧١٤، ٥٧١٥ (٢١٩٢).

[٢]– متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى: ص١٠١٥ برقم٥٧٥٠، ومسلم ولفظ عائشة له، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: ٩٧٢ برقم٥٧٠٧ (٢١٩١).

[٣]– صحيح مسلم بشرح الامام النووي:٧/٤١٥.

وكذلك سوف نرى في الجدول التالي ظاهرة أخرى مما له صلة بالطب النوي، وهي ظاهرة التداوي بالحبة السوداء وبماء بزمزم في أمراض بدنية وفي علاج العين والسحر. وهذه الظاهرة الموجودة في المجتمع التتري لها أصل في الشريعة الإسلامية:

فقد ورد أن النبي ﷺ قال في ماء زمزم: ((**ماء زمزم لما شرب له**))[1].

وفي حديث آخر مرفوعاً: ((**ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم**))[2].

وقال ابن القيم- رحمه الله: (وقد جربت أنا وغيري الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله)[3].

أما الحبة السوداء، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((**في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام**))[4].

وهذان الشيئان: الحبة وماء زمزم مع كونهما شفاءين بحد ذاتهما، فقد تُقرأ الآياتُ القرآنيةُ في ماء زمزم أوفي زيت الحبة ليشربه المريض أو بمسح موضع ألمه. فإنه إذا ثبت

---

[1]- أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم: ص٥١٨ برقم٣٠٦٢، وأحمد في مسنده: ١٤٠/٢٣ برقم١٤٨٤٩، وغيرهما من طرق عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً، وعبد الله بن المؤمل ضعيف (تهذيب التهذيب: ٤٦/٦ رقم٨٦)، لكنه توبع بإبراهيم بن طهمان عند البيهقي في "الكبرى" (٣٣١/٥ رقم١٠١١٧)، وبحمزة بن حبيب الزيات عند الطبراني في "الأوسط" (١٣٩/٤ رقم٣٨١٥). وقد نقل السخاوي في "المقاصد" (ص٥٦٨) كلام ابن حجر في الحديث: (إنه باجتماع طرقه يصلح للاحتجاج به وقد جربه جماعة من الكبار، فذكروا أنه صح)، وحسنه ابن القيم في "الزاد" (٣٦١/٤)، ومال السيوطي إلى تصحيحه في "الحاوي للفتاوى" (٣٤٠/١)، وقال محققو المسند: حديث محتمل للتحسين (١٤٠/٢٣)، وقال الألباني في "الإرواء" (٣٢٤/٤): الحديث حسن لغيره بالنظر إلى حديث معاوية الموقوف عليه، فإنه في حكم المرفوع.

[2]- أخرجه عن أبي ذر أبو داود الطيالسي في مسنده: ٢٣٧/١ برقم٤٥٩، والبزار في "البحر الزخار": ٣٦١/٩ برقم٣٩٢٩، واللفظ له، وزاد الطيالسي: (إنها مباركة، وهي طعام...). وقال الهيثمي: ورجال البزار رجال الصحيح ("مجمع الزوائد": ٢٨٦/٣)، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب": ٤٠/٢ برقم١١٦٢.

[3]- "زاد المعاد": ٣٦١/٤.

[4]- متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء: ص١٠٠٧ برقم٥٦٨٨، وعن عائشة نحوه برقم٥٦٨٧، وأخرجه مسلم، كتاب السلام (الطب)، باب التداوي بالحبة السوداء: ص٩٨١ برقم٥٧٦٦ (٢٢١٥).

عندنا جواز النفث في الماء العادي ليرقى به المريض، فإن حكم القراءة على ماء زمزم وزيت الحبة السوداء لا يختلف عن الماء العادي، فلا تمنع.

قال ابن القيم- رحمه الله: (لقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة؛ آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مراراً ثم أشربه، فوجد بذلك البرء التام، ثم صِرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غايةَ الانتفاع)[1].

والآن ننظر إلى الجدول لنرى مدى وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري:

رقم السؤال	лечение от сглазов, заклинания, приметы и др. صورة الظاهرة التداوي والرقى والسحر	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
32	использование воды «зам-зам», «черного тмина», в общем лечении и от сглаза и сихра. علاج الأمراض والعين والسحر بماء زمزم والحبة السوداء.	22,9	32,1	31,3	13,7

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٣٢.

وقد أشار ١٣,٧ % من المجيبين على السؤال رقم٣٢ من الاستبانة إلى عدم وجود هذه الظاهرة، بينما يتأكّد من خلال إجابة ٨٦,٣ % من مجموع المجيبين وجودها؛ حيث قال ٣١,٣ % بأن وجودها قليل، و٣٢,١ % قال بالتوسط، ورأى ٢٢,٩ % أن هذه الظاهرة كثيرة الانتشار في تتارستان.

كما سبق أن أشرنا، فإن وجود مثل هذه التطبيقات الشرعية للعلاج في المجتمع يدل على ارتباط الشعب بآثار السلف الصالح وارتباطه بالوحيين: القرآن والسنة، وعلى تقديسهما وثقته بالحلول المقترحة فيهما، وهذا مهم خاصة في ظل الظروف التي عايشتها روسيا بأكملها من الإلحاد ومحاربة الديانة وترويج فكرة مادية الحياة.[2]

---

[1]- "الطب النبوي" لابن القيم: ص١٤٨.

[2] – أقصد بذلك أن الشيوعية تقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء. وقد ورد تعريف حسن للشيوعية في الموسوعة الميسرة: (الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس و إنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة (١٩١٧م) بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيرا...) "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": ٢/ ٩١٩.

المطلب الثاني

مظاهر مخالفة التوحيد في التداوي و الرقى و التمائم و التطير والسحر و حكمها

قد تكلمنا في المطلب الأول عن مظاهر التوحيد في مسألة التداوي والرقى وما يقي به الإنسان صحته، إلا أن هناك بعض المظاهر المخالفة للتوحيد في هذا الباب تقع من بعض أهل تتارستان.

المسألة الأولى: المخالفات في الرقية:

تتمثل هذه المخالفات في استعمال أدعية غريبة مما لا يعلم معناها، فأحياناً تكون بنطق الكلمات وأحياناً تكون بكتابتها، فإذا كتبت فإنها تكتب بالأحرف العربية أو مخلوطة بالطلاسم، والرموز، والأشكال الهندسية، والأرقام الحسابية. وحقيقة هذه الرقى أنها من أعمال السحرة والمشعوذين الدجالين الذين يستعملون طرقاً شتى لإيهام الناس والتلبيس عليهم بأنهم إنما يعالجون مرضاهم بالرقى الشرعية؛ فهم يظهرون على زائريهم الورع والتقوى، بل تجدهم يبدأون أعمالهم هذه بالبسملة ويكتبون بعض أدعيتهم مخلوطةً بالأحرف العربية، فينخدع بهم الجهلة من الناس- والله المستعان.

ومن أمثلة تلك لرقى ما ورد في التقويم التتري المسلم: (من دعا بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله سِيلْ، بسم الله سَلْسِيلْ، بسم الله سَلاسِلْ" وقى نفسه من كل شر)[1].

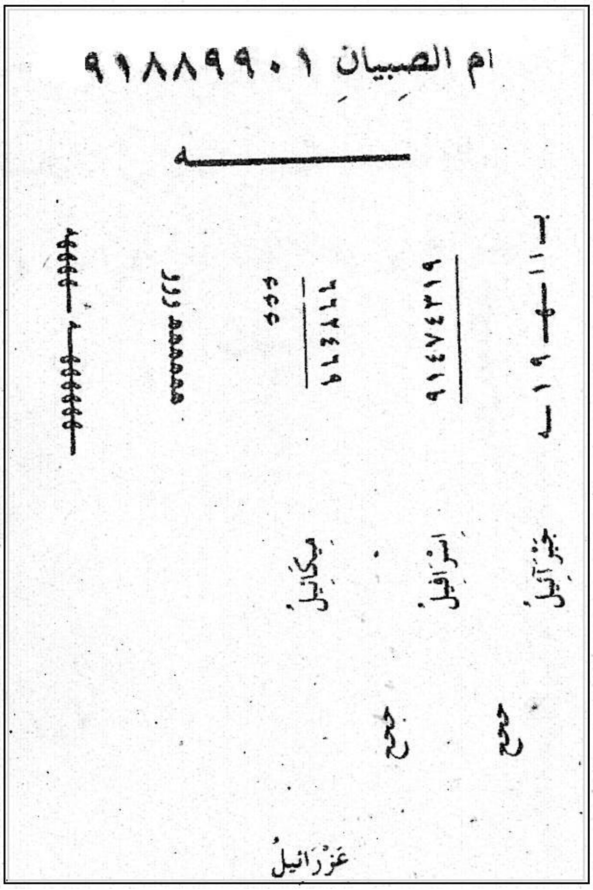
ومن ذلك ما ورد في الكتيب الصغير المسمى بـــ"كتاب كول- كول جهان": (من أراد أن يبطل السحر الذي أصابه فليقرأ: " بسم الله الرحمن الرحيم. كول، كول جهان الأوسط، كول، كول جهان الآخر، كول كول جهان جملةً وبحق قاموغ كول، كول. وبحق سبعة كول، كول وبحق سبعين ألف كول. قاموغ كول...) إلى آخر هذه الخزعبلات السحرية[1].

---

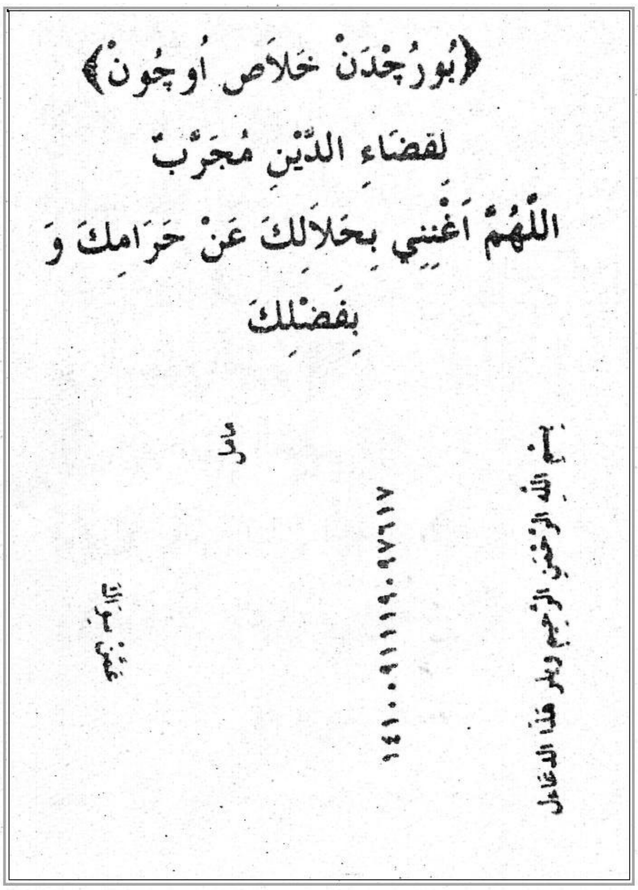
[1] – "التقويم التتري المسلم عن عام ٢٠٠٠م" يوم ٢١ أكتوبر.

[1] – "كتاب كول–كول جهان": ص٦–٧، وغيرها من الكتيبات من هذا النوع الذي يطلق عليها كلمة "رَدْ نامَهْ" بمعنى كتاب رد العين والسحر.

وكذلك هناك نماذج أخرى من هذا النوع، وقد صورت ما وجدته في إحدى الكتيبات المطبوعة بإشراف أحد مسئولي الإدارة الدينية في تتارستان- مع لأسف[1]:



الصورة رقم ١



الصورة رقم٢.

هذه الصور[2] أمثلة لبعض الأدعية التي تستخدم في الرقى وفي غيرها مما يرجون رفع البلاء به أو دفعه، وقد رأينا أنها مكتوبة بما لا يفهم معناها من الأسماء والأرقام والجمل التي يتلاعب بها السحرة ويحتالون على الناس؛ فهي محرمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل هذه الأدعية: (هذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب ؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقي به فضلا عن أن يدعو به ولو عرف معناها وأنه صحيح لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية)[1].

[1] – تتم طباعة مثل هذه الكتيبات في مطبعة الإيمان وتكاد تكون هي المصدر الوحيد لنشر مثل هذه البدعيات والسحريات.

[2] – انظر الكتيب "حزب البحر" من نشريات دار الإيمان بمدينة قازان: الصورة رقم١ ورقم٢: ص٣، ٢.

[1] – مجموع الفتاوى: ٢٤/٢٨٣.

وقال في موضع آخر: (وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية، فيها ما هو شرك بالجنّ. ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك)[١].

المسألة الثانية: تعليق التمائم:

والتمائم هي: شيء يعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شيء كان.[٢]

قال ابن الأثير: التمائم جمع تميمة، كانت العرب تعلقها يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام. وسميت التميمة بهذا الاسم لأنهم كانوا يعتقدون أنها من تمام الدواء والشفاء. وإنما جعل حكمها شركاً لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.[٣]

ومثال التمائم التي يعلقونها: كتعليق الخرزات في عنق الطفل أو عقد الخيط في يده أو في رجله، أو تعليق مخلب ذئب أو نحو ذلك مما لا يعد من الأسباب الشرعية في علاج الأمراض واتقاء الآفات.

وهذه الظاهرة رصدت مدى انتشارها في تتارستان من خلال الاستبانات. ونتائج ذلك الاستبيان موضحة في الجدول التالي:

رقم السؤال	лечение от сглазов, заклинания и др. **صورة الظاهرة التداوي والرقى والسحر**	مدى وجود هذه الظاهرة сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
38	оберегание детей от джинов, сглазов, порчи посредством ножниц под подушкой или ниточки на руке или ножке ребёнка. **عقد الخيط في يد الطفل أو رجله، أو وضع المقص تحت وسادته لحفظه من الجن والعين والسحر.**	**12,0**	**13,6**	**15,8**	**58,6**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٣٨.

[١] – ومجموع الفتاوى: ١٣/١٩.

[٢] – انظر الصحاح للجوهري: ص١٣٠، ولسان العرب: ٣١٢/١. و"تهذيب رسالة الشرك ومظاهره للميلي" لسعد الحصين: ص٨٧. والمعلق يكون خرزةً أو ودعة أو مخلباً أو ورقةً فيها تعاويذ أو آيات قرآنية.

[٣] – انظر "النهاية" لابن الأثير: ص١١٢. ومعنى التميمة الذي ذكره يفهم من قوله ﷺ: ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له)) الآتي ذكره.

نرى من خلال الجدول أن ٥٨,٦ % من المجيبين أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة في تتارستان، وأشار ١٥,٨ % منهم أنها إن وجدت فوجودها قليل، بينما يرى ١٣,٦ % من المجيبين أنها متوسطة الانتشار، وقال ١٢,٠ % منهم إنها كثيرة الانتشار.

وهذا يدل على أن ظاهرة لبس التمائم ليست واسعة الانتشار- ولله الحمد، ولكنها موجودة، وهذا العمل محرم لما ورد عن أبي بشير الأنصاري- رضي الله عنه- أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، **فأرسل رسولاً أن (لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت)**.[1]

وعن عقبة بن عامر الجهني- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**))[2]،

وعنه أيضاً مرفوعاً: ((**من علق تميمة فقد أشرك**))[1].

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: ((**من تعلق شيئاً وكل إليه**))[2].

---

[1] – أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس و نحوه في أعناق الإبل: ص٤٩٦ برقم٣٠٠٥، ومسلم نحوه في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير: ص٩٤٦ برقم ٢١١٥.

[2]– أخرجه أحمد في المسند: ٦٢٣/٢٨ برقم ١٧٤٠٤، والحاكم في مستدركه، كتاب الطب: ٢٤٠/٤ برقم٧٥٠١ (٤/٢١٦)، وقال: حديث صحيح، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقى والتمائم: ٤٥٠/١٣ برقم٦٠٨٦، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، باب فيمن يعلق تميمة أو نحوها (١٠٣/٥): رجاله ثقات. وقال المنذري في "الترغيب": إسناده جيد (٣٠٦/٤)، وقال الألباني: ضعيف لجهالة خالد بن عبيد، انظر "سلسلة الأحاديث الضعيفة": ٤٢٧/٣ برقم ١٢٦٦. ولكن للحديث متابعة عن ابن لهيعة عند ابن عبد الحكم في "فتوح مصر وأخبارها" (رقم الحديث ١٣٢). و قال محقق المسند: حديث حسن، وهذا الإسناد ضعيف لجهالة خالد بن عبيد المعافري. قلت: ولعل ضعف الحديث خفيف يستأنس به في النهي عن التعليق، وقد استشهد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: الباب السابع. وقد فصل في تخريج الحديث وحسنه أسامة العتيبي محقق "تيسير العزيز الحميد": ٣٦٠/١.

[1]– أخرجه أحمد في مسنده: ٦٣٦/٢٨ برقم١٧٤٢٢. والحاكم في "المستدرك"، كتاب الطب: ٢١٩/٤. وقال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات. انظر "مجمع الزوائد": ١٠٣/٥. وقال شعيب الأرنؤوط عند تحقيقه لحديث أحمد: إسناده قوي. وصححه الألباني في "الصحيحة": المجلد الأول/القسم الثاني/ص٨٨٩ برقم ٤٩٢.

[2]– سبق تخريجه في ص١٦٨.

وكذلك ورد عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة من صفر، فقال: ((**ويحك ما هذه؟**))، قال: من الواهنة. فقال: ((**أما إنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا**))[1].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة، أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

هذه الأدلة تبين لنا بوضوح تحريم التمائم وكونها شركاً، وأنواع هذه التمائم الشركية كثيرة، سأذكر بعضها مما رأيته في المجتمع التتري بنفسي أو رصدته في الاستبانات التي تم توزيعها في تتارستان.

فمنها تعليق الخيوط على الأولاد بربطها في أيديهم أو أرجلهم؛ ومنها ما يفعله بعض الناس من تعليق العين المصنوعة[2] في البيوت أو في السيارات وعلى ملابسهم أو على الأيدي والأعناق حماية من العين والسحر.[3]

ومن التمائم المحرمة ما يصنعه بعض الناس من وضع المقص تحت وسادة الطفل[1] أثناء نومه في الليل ظناً منهم أن ذلك يحمي الطفل من الجن. وربما اعتقد فاعله بأن الجن يخافون

---

[1] – رواه أحمد في المسند: ٢٠٤/٣٣ برقم ٢٠٠٠٠، وابن ماجه دون لفظ: ((فإنك لو مت...))، كتاب الطب، باب تعليق التمائم: ص٥٨٩ برقم٣٥٣١، وغيرهما من طرق مبارك بن فضالة عن الحسن البصري عن عمران بن حصين. وإسناد الحديث ضعيف لضعف المبارك وعنعنته (مجمع الزوائد ١٠٣/٥، وتهذيب التهذيب ٢٨/١٠) وللانقطاع الحاصل بين الحسن وعمران بن حصين، وقد توبع المبارك (عند الحاكم في المستدرك ٢٤٠/٤ برقم٧٥٠٢، وعند ابن حبان ٤٥٣/١٣ برقم٦٠٨٨ وغيرهم) ولكن ليس فيما روي ما يزيل علة العنعنة والانقطاع، بل وضعف الرواة، بل يدل بعض الروايات على علة أخرى وهي الوقف. وقد ذكر الألباني الحديث في "السلسلة الضعيفة": ١٠١/٣ برقم١٠٢٩. وقد صحح الحديث ابن حبان، والحاكم، وحسن إسناده البوصيري في "مصباح الزجاجة": ١٤٠/٣، ومحمد بن عبد الوهاب في "كتاب التوحيد"، وقد توسع في تخريجه صاحب تحقيق "تيسير العزيز الحميد" فيستفاد منه: ٣٥٤/١، وعلى كل حال، فالحديث يستأنس به في الموضوع.

[2] – وهذه العين تصنع من الفخار وتلون بلونين الأبيض والأزرق الغامق على شكل مدوّر. وهذه الظاهرة حدثت قريباً إذ جاءت من تركيا فهي كثيرة الاستعمال هناك.

[3] – ولمزيد من أمثلة لتمائم والعزائم انظر أيضاً: "معجم العزائم والتمائم في اللغة التترية" على موقع الإنترنت: www.planetadisser.com/work/work_61555.html (Лексика заговоров и заклинаний в тат. Языке)

[1]– هذه وإن لم تكن مما يعلق، فإنها من التمائم لوجود العلة الجامعة بينهما وهي طلب النفع ودفع الضر من غير الله، والله أعلم.

من المقص، فهذا الاعتقاد باطل ويكون عمله من البدع المنكرة لا أصل لها في السنة ولا في كلام السلف، ولا هي من الأسباب المشروعة في وقاية الإنسان من الجن والشيطان.

فهؤلاء الذين يتخذون هذه التمائم والحلقات والخيوط ونحوها للحماية من العين أو لرفع البلايا أو دفعها، فإنهم يقعون تحت معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الزمر: ٣٨.

المسألة الثالثة: تعليق التمائم من القرآن:

أما إذا كان المعلق من القرآن، فقد رخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه وجعله من المنهي عنه.[1] فهذا وإن لم يكن منتشراً على نطاق واسع في تتارستان، فإنه غير قليل، وهذا الذي نشاهده من خلال الجدول الآتي:

رقم السؤال	лечение, сглазы, заклин-ия, приметы и др. صورة الظاهرة التداوي والرقى والسحر	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
37	ношение на груди или в сумочке аятов Корана с целью получить пакровительство Аллаха. **لبس آيات القرآن أو الاحتفاظ بها في المحفظة رجاء رعاية الله**	**28,0**	**25,8**	**9,1**	**37,1**

الاستبانة رقم٢ / السؤال رقم٣٧.

نرى من خلال هذا الجدول أن ٣٧,١ % من المجيبين يرون عدم وجود هذه الظاهرة في تتارستان، بينما يرى ٦٢,٩ % من مجموع المجيبين وجوده، وهذا مشاهد عياناً. و وصف عمل هذه الظاهرة هكذا: أن تُكتبَ أو تُطبعَ بعض السور أو الآيات في أوراق صغيرة ثم توضعَ في قماشة أو جلدة فتخاط فيها ثم تعلق.

[1]- **انظر تفصيل المسألة في "تيسير العزيز الحميد" مع تحقيقه لأسامة العتيبي: ٣٧٨/١-٣٨٠.**

فقد رأى بعض السلف عدم جواز تعليق الآيات القرآنية، ومنهم ابن مسعود — رضي الله عنه، قال أحمد: (وكان ابن مسعود يكرهه كراهةً شديدة جدّا)[1].

وكذلك ورد عن إبراهيم النخعي[2]، قال: (كانوا يكرهون التمائم كلها: من القرآن وغير القرآن)[3].

وقد يُمنع تعليق شيء من القرآن لما تتعرض له الآيات من الإهانة كذهاب لابسه إلى دورات المياه، وكذلك قد يمنع لمحظور آخر وهو أنّ لابسه لا يدري ما بداخل الخرقة؛ فقد لا يكون بها القرآن أصلاً وإنما يكون بها بعض المكتوبات السحرية المنهية عنها. وحتى لو كانت هناك آيات قرآنية، فإن الأمر قد يفضي إلى الشرك إذا اعتقد صاحب هذه التميمة أن لهذه الورقة تأثيراً حقيقةً؛ فإن لابسه- شيئاً فشيئاً- يرتبط قلبه بهذه الخرقة المخيطة، فإذا نسيها- مثلا- في البيت لسبب من الأسباب، فإنه يفتقد رعاية الله ويستشعر بأنه صار مجرداً عما يحميه، وذلك مصداقاً لقوله — عليه الصلاة والسلام: ((**من تعلق شيئاً وكل إليه**))[4]. فبذلك يتخلى عن التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، و يكون اتكاله على الأوراق المعلقة في عنقه. فبالتالي يكون هذا النوع من التمائم وسيلة إلى الشرك وذريعة إليه، وما كان موصلاً إلى المحرم فهو أيضاً محرم، لأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد والغايات[1].

---

[1] – أورده ابن القيم في "الطب النبوي": ص٣١٧. وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم عن عبد الله: أنه كره تعليق شيء من القرآن (المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الطب، باب٧: ٤٢/١٢ برقم٢٣٩٣٠).

[2]– إبراهيم النخعي، هو: أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن عمرو النخعي، من الأعلام، تابعي جليل، فقيه، محدث، أدرك عائشة وأنساً- رضي الله عنهما- وروى عن علقمة ومسروق وغيرهم. ذكره الحاكم وغيره من المدلسين. توفي سنة ٩٦هـ متوارياً من الحجاج ودفن ليلاً، ويقال أنه لم يكن في جنازته إلا سبعة رجال. انظر: "التدوين في أخبار قزوين" للرافعي: ٨٨/١، "الكاشف" للذهبي: ٢٢٧/١ برقم٢٢١، "سير أعلام النبلاء": ٥٢٠/٤ برقم٢١٣، "وفيات الأعيان": ٢١/١، "أسماء المدلسين" للسيوطي: ٢٧/١.

[3] – المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الطب، باب٧: ٤٢/١٢ برقم٢٣٩٣٣. الضمير في "كانوا" يعود إلى كبار التابعين من أصحاب ابن مسعود لأنهم قرناء إبراهيم النخعي. انظر "القول المفيد على كتاب التوحيد" لابن العثيمين: ١٩٠/١، و"إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" لصالح الفوزن: ١٥٤/١.

[4] – سبق تخريجه في ص١٦٨.

[1]– راجع ص١١٥.

المسألة الرابعة: إتيان السحرة والمشعوذين:

ومما يخالف التوحيد في مسألة التداوي والرقى والتمائم الذهابُ إلى العرافين والمشعوذين والسحرة بقصد العلاج عندهم، ولقصد معرفة ما بهم من مشاكل صحية، وهل بهم سحر أو عين. وقد أوضحت نتائج الاستبانات مدى وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري:

رقم السؤال	лечение, сглазы, заклин-ия, приметы и др. **صورة الظاهرة في التداوي والرقى والسحر**	**مدى وجود هذه الظاهرة** сильно **كثير**	 средне **متوسط**	 слабо **قليل**	 отсутств **لا يوجد**
35	обращение к знахарям, гадалкам и пр. для избавления от невзгод, сглаза, порчи и др. **الرجوع إلى المشعوذين والعرافين والسحرة لحل السحر والعين ونحوه**	**15,0**	**24,1**	**13,5**	**47,4**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٣٥.

نرى من خلال الجدول السابق أن ٤٧,٤ % من المجيبين على الاستبانات يرون عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، بينما يرى ٥٢,٦ % من مجموع المجيبين أنها موجودة وإن اختلفوا في مدى انتشارها، فقال ١٣,٥ % من المجيبين إنها قليلة الانتشار، و قال ٢٤,١ % إنها متوسطة الانتشار، وقال ١٥,٠ % إنها كثيرة الانتشار.

هذه النتائج تشير إلى ضرورة بيان حكم هذه الظاهرة وتحذير الناس مما هم فيه من المحاذير الشرعية، فإن السحر في الإسلام شرك وكفر بالله وهو من الموبقات السبعة؛ يستحق ممارسه أن يحكم عليه القاضي بالقتل لما ورد من أمر رسول الله ﷺ بذلك:

أما حكم السحر في الإسلام:

فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((**اجتنبوا السبع الموبقات**))، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: ((**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**))[1].

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب وما للوصي أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمالته: ص٤٥٨ برقم٢٧٦٦ وفي مواضع أخرى من صحيحه، ومسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب الكبائر واكبرها: ص٥٣ برقم٢٦٢ (٨٩).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: ((**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه**))[١].

أما حكم الساحر في الإسلام:

فعن جندب الخير الأزدي- رضي الله عنه- مرفوعاً: ((**حد الساحر ضربه بالسيف**))[٢].

وعن بجالة بن عبدة[٣]- رحمه الله- قال: (جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة... فقتلنا في يومٍ ثلاثةَ سواحرٍ)[٤].

وعن حفصة- رضي الله عنها- أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت،[٥]

هذا حكم السحر والسحرة في الإسلام، ولشدة فتنتهم وعظم جرمهم كان مجرد الذهاب إليهم معصية؛ فقد روي عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**من أتى**

[١] – رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة: ص٦٣٠ برقم٤٠٧٩، وقد ضعفه الألباني. انظر تعليقه في الموضع المذكور من سنن النسائي– الطبعة المزودة بأحكامه.

[٢] – رواه الترمذي في سننه، كتاب الحدود عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حد الساحر: ص٣٤٦ برقم١٤٦١، وقال: (...والصحيح عن جندب موقوفا، والعمل على هذا (الحكم) عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نرَ عليه قتلاً). ووصححه الألباني موقوفا، انظر تفصيل الحكم على الحديث في "الضعيفة" للالباني: ٦٤١/٣ برقم١٤٤٦.

[٣]– بجالة بن عبدة التميمى ثم العنبرى البصرى، كاتب جزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، من كبار التابعين من الثانية، ثقة، روى له البخاري وأبو داود، والترمذي والنسائي. توفي في حدود الثمانين للهجرة. انظر "تهذيب الكمال" للمزي: ٨/٤ رقم٦٣٧، "تهذيب التهذيب": ٤١٧/١ رقم٧٧١، "الوافي للوفيات": ٤٧/١٠ رقم٢١٧٠.

[٤] – أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أخذ الجزية من المجوس: ص٥٤٦ برقم٣٠٤٣، والإمام أحمد في مسنده: ١٩٦/٣ برقم١٦٥٧، واللفظ لأحمد. وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصححه الألباني. انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود– الطبعة المزودة بأحكامه.

[٥] – روى مالك في "الموطأ" عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة قتلت جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فأمرت بها فقتلت. "الموطأ": كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، ص٦٢٨ برقم١٥٨٥. ورواه عبد الرزاق من وجه آخر، وفيه: (فأمرت بها عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فقتلها، فأنكر ذلك عثمان بن عفان، فقال له ابن عمر: ما تنكر على أم المؤمنين، امرأة سحرت واعترفت!) "مصنف عبد الرزاق": ١٨٠/١٠ برقم ١٨٧٤٧.

عرافاً، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلةً))[1].

هذه عقوبة من ذهب إليهم لمجرد السؤال ولو بدون تصديق، أما إذا صدقهم فيما يقولون بأي وجه كان، فإن فعله يكون أنكر والعقوبة عليه أشد لما جاء عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (**من أتى كاهنا أو عرافا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ)[2]. أما

ظاهرة الذهاب إلى هؤلاء المشعوذين والكهان والسحرة في المجتمع التتري فموجودة، وهذا الأمر ملاحظ على النساء – في الغالب- وعلى بعض من تداوى بطرق معتادة في المستشفيات ولم يجد حلا لمشكلته وشفاءً لمرضه، فيراجع هؤلاء الناسُ السحرةَ لمعرفة ما بهم من الأمراض ورجاء أن يحلوا مشاكلهم الصحية ظناً منهم أن بهم سحرا.

فحتى إن كان ظنهم صحيحاً في كونهم مسحورين، فذهابهم إلى السحرة والكهان لحل سحرهم محظور في الشريعة- كما تبين، فهو قادح في توحيدهم، مدمر لدينهم؛ لما لدى هؤلاء السحرة والكهنة وفي أفعالهم من الدجل والشرك الصراح.

فلذا، إذا ابتلي المسلم بمرض من الأمراض التي سببها العين أو السحر، ففي معالجة مرضه أو حل سحره أو عينه طريقان، وهما — كما ذكرهما ابن القيم رحمه الله- كالتالي:

أحدهما: حل السحر بسحر مثله، وهو من عمل الشيطان، لما ورد عن جابر- رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة[1] التي كانت تستخدم في الجاهلية من حل السحر بمثله، فقال: ((**هي من عمل الشيطان**))[2].

---

[1] – أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان: ص٩٩٠ برقم ٥٨٢١ (٢٢٣٠).

[2] – أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ: ٣٣١/١٥ برقم٩٥٣٦، وقال محققه: حديث حسن، وأخرج نحوه بزيادة أبو داود في السنن، كتاب الكهانة والتطير، باب في الكهان: ص ٧٠١ برقم٣٩٠٤، ابن ماجه في سننه مع الزيادة، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض: ص١٢٣ برقم٦٣٩. وصححه الألباني في "الإرواء": ٦٨/٧ برقم٢٠٠٦.

[1] – النشرة حل السحر عن المسحور. انظر "غريب الحديث" لابن الجوزي: ٤٠٨/٢، و"إعلام الموقعين" لابن القيم: ٣٦٩:٤. وقال ابن الأثير: وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما يخامره من الداء؛ أي: يكشف ويزال. "النهاية": ص٩١٥. وانظر تعريف النشرة في "التمهيد لشرح كتاب التوحيد" لصالح آل الشيخ: ص٣٢٩.

[2] – أخرجه أحمد في مسنده: ٤٠/٢٢ برقم ١٤١٣٥، وأبو داود في سننه عن أحمد بن حنبل بسنده في كتاب الطب، باب في النشرة: ص ٦٩٥برقم ٣٨٦٨. وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود– طبعة مكتبة المعارف. وقال محقق المسند: إسناده صحيح.

والثاني: حل السحر بالأدعية الشرعية والأدوية المباحة، فهذا جائز بل مستحب.[1]

أما إذا كان التداوي من السحر وأعراضه بالذهاب إلى الساحر، فإن ذلك مناقض للتوحيد!

وبيان ذلك فيما يلي:

قال أحد المشايخ شارحا هذين النوعين من حل السحر: (النشرة الجائزة هي ما كانت بالقرآن، أو بالأدعية المعروفة، أو بالأدوية عند الأطباء، ونحو ذلك، فإن السحر يكون عن طريق الجن ويحصل منه- حقيقة- إمراض في البدن.

فنوع من السحر يكون في البدن من حيث تغيير في العقل والفهم. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يعالَج بالمضادات التي تزيل ذلك السحر، فمما يزيله: القرآن الكريم- وهو أعظم ما ينفع في إزالة السحر- وكذلك الأدعية، والأوراد، ونحو ذلك مما هو معروف من الرقى الشرعية.

ونوع من السحر يكون في البدن، أي: من جهة عضوية، فهذا أحيانا يعالج بالرقى من الأدعية والقرآن، وأحيانا يعالج عن طريق الأطباء العضويين، لأن السحر- كما سبق- يمرض حقيقة، فإذا أزيل المرض أو سبب المرض، فإنه يبطل السحر؛ ولهذا قال ابن القيم في آخر الكلام: "والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة، فهذا جائز"؛ لأنه يحصل منه المرض، وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يعالج بما أذن به شرعا من الرقى والأدوية المباحة.

أما القسم الثاني من النشرة- وهي التي من أنواع الشرك- أن يُنشَّر عنه بغير الطريق الأول، بل بطريق السحر، فيحل السحر الأول بسحر آخر الذي لا ينعقد أصلا إلا بتقرُّبِ الساحر للجني، أو بأن يكون الجني يخدم الساحر الذي يشرك بالله دائما. فالسحر لا بد فيه من إزالة سببه وهو خدمة شياطين الجن للساحر، وهذا لا يمكن إلا للجن، فإن الساحر الثاني الذي ينشر السحر ويرفع السحر لا بد أن يستغيث أو أن يتوجه إلى بعض جنه في مراجعة أولئك الجن الذين عقدوا هذا السحر بأن يرفعوا أثره.

---

[1]- **"فتاوى إمام المفتين ورسول رب العالمين" لابن القيم: ص٢٠٨، وانظر "زاد المعاد" له، فصل في هديه ﷺ في علاج السحر: ٤/١١٦.**

فعلى هذا لا يكون السحر من حيث العقد والابتداء إلا بالشرك بالله، ومن حيث الرفع والنشر -كذلك- لا يكون إلا بالشرك بالله)[1] - والله المستعان.

فعلى المؤمن بالله واليوم الآخر أن يتقي الله، ويجتنب الطرق الشركية في معالجة نفسه، ويلتزم في معالجته الطرق الشرعية من الأدوية المعروفة في الكتب الطبية والأدعية الواردة في السنة النبوية. وليعلم المتعالج أن الله هو خالق كل شيء، وهو سبحانه خالق السحر وهو قادر على نقضه وإبطاله، وما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه الدواء.

المسألة الخامسة: التطير:

وهناك نوع آخر من المخالفات في التوحيد وهو ما يفعله البعض من الأسباب التي يتقي بها الإنسان- في ظنه- شره الذي يخافه أو يتوسل بها- أيضاً في ظنه- إلى الخير الذي يرجوه، وهو التطير (أو يقال الطيرة).

من حيث اللغة، فالتطير مصدر، والطيرة اسم، ومعناها التشاؤم بالشيء، أو الاستدلال من طيران الطائر أو حركة غيره، أو من رؤية شيء أو سماع صوته على ما سيحصل للإنسان، (وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإن طار يميناً، كان له حكم، وإن طار شمالاً، كان له حكم، وإن طار أماماً، كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه، كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أخذاً من اسم الطير، وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب، ثم تعداه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حد الكهانة)[1].

وقد عرّف النبي ﷺ كلمة الطيرة بقوله: ((**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**))[2]، فهو التشاؤم أو الاستبشار بالشيء بحيث إذا رآه الإنسان أو حصل له هذا الشيء يصده عن العمل

---

[1] - من كتاب "التمهيد لشرح كتاب التوحيد" لصالح بن العبد العزيز آل الشيخ: ص٣٢٧-٣٢٨، بتصرف.

[1] - "صبح الأعشى" القلقشندي: ٣٩٩/١.

[2] - أخرجه أحمد في مسنده: ٣٢٧/٣ برقم١٨٢٤. وقال محققوا المسند: إسناده ضعيف. قلت: ولكن المعنى صحيح وله أصل في الحديث الصحيح الذي سيأتي قريباً؛ فلذا يستأنس به في الموضوع.

أو يدفعه إليه. وهذا منهي عنه في الشريعة الإسلامية فقد نهى النبي ﷺ أن تصد الطيرة العبدَ عما أراد؛ لما ورد في الصحيح أنه ﷺ قيل له: يا رسول الله، أمورا كنا نصنعها في الجاهلية؛ كنا نأتي الكهان. قال: ((**فلا تأتوا الكهان**)). قال: قلت: كنا نتطير. قال: ((**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**))[1].

هذا من حيث التعريف اللغوي للتطير وماهيته وآثاره من الإمضاء أو الرد، وحكم هذا العمل – كما بينه النبي ﷺ – نوع من الشرك، وقد قال ﷺ: ((**الطيرة شرك، الطيرة شرك– ثلاثاً– وما منا إلا...، ولكن الله يذهبه بالتوكل**))[2].

قد جعلت الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله.[3]

وعن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**))، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: ((**أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إلـه غيرك**))[1].

و هذا الشرك يختلف نوعه على حسب ما يعلق بالقلب، فكذلك الطيرة إن اعتقد الإنسان أن لها تأثيراً في الخلق والإيجاد فهي شرك أكبر، وإن عمل بموجب ما تطير به من غير اعتقاد ذلك بل مع علمه أن الموجد هو الله وأن هذا من الأسباب فهو شرك أصغر.

---

[1] – **الحديث أخرجه مسلم في صحيحه مطولاً عن معاوية بن الحكم السلمي، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة: ص٢١٨ برقم ١١٩٩ (٥٣٧).**

[2]– **أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن مسعود، كتاب الطب، باب في الطيرة: ص٧٠٢ برقم٣٩١٠، والترمذي في سننه، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الطيرة: ص٣٨٠ برقم١٦١٤، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة: ص٥٩٠ برقم٣٥٣٨، وأخرجه أحمد في مسنده: ٢١٣/٦ برقم٣٦٨٧، وفي: ٢٥٠/٧ برقم٤١٩٤، وقد صححه الألباني في "الصحيحة": م٢/١ ص٧٩١ برقم٤٢٩. وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عيسى بن عاصم وهو ثقة.**

[3] – **انظر "نيل الأوطار" للشوكاني: ٣٦٨٢/٨ عند شرحه للحديث برقم٣٢١١.**

[1] – **رواه أحمد: ٦٢٣/١١ برقم ٧٠٤٥، وحسنه محققو المسند. وقال الهيثمي: وفيه ابن أبي لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف. انظر "مجمع الزوائد": ١٠٥/٥.**

قال صاحب "عون المعبود"[١] في شرح قوله ﷺ: ((**الطيرة شرك**))، (أي: لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا؛ فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركا خفيا، ومن اعتقد أن شيئا سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال، فقد أشرك شركا جليا)[٢].

فكما أن الطيرة شرك بالله تعالى، فكذلك هي أيضاً نوع من السحر؛ لأنها تتضمن ادعاءَ علم الغيب، وكذلك لأن فيها تعلقاً بغير الله، ولأنها ترد الشخص مثل السحر، فالمسحور يمنعه أن يرده قول الكاهن أو فعل الساحر أو غيرها، والمتطير يرده التشاؤم بالطيور بأصواتها أو ممرها، أو بملاقاة إنسان أعرج أو أعمى، أو غير ذلك.[٣]

أما ظاهرة التطير في المجتمع التتري، فهناك بعض الصور منها كالتشاؤم برؤية القطة السوداء، وبسماع صوت البومة، أو نعبة الغراب[٤]، أو التشاؤم بالرقم ثلاثة عشر سواءً كان ذلك في أيام الشهر أو في عدد طبقات العمارة أو غير ذلك، أو كتطير أحدهم بعدد وقوقات الوَقْوَاق[١]، أو كقول أحدهم إذا حُكَّت يده اليمنى بأن هذا يدل على الربح، وإذا حكت اليسرى؛ على الخسارة وغير ذلك من هذا النوع.

فإن نتائج الاستبانات تساعدنا في معرفة مدى انتشارها في تتارستان، وذلك من خلال الجدول التالي:

---

[١] – هو: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، من أهل "عظيم آباد" في الهند. عالم بالحديث. صاحب تصانيف، منها كتاب "عون المعبود شرح سنن أبي داود". ولد سنة ١٢٧٣ وتوفي سنة ١٣٢٩هـ. انظر "الأعلام": ٦/٣٠١.

[٢] – "عون المعبود": ٣٢٣/١٠ عند شرحه للحديث برقم٣٩٠٦.

[٣] – انظر "الطيرة والفأل" رسالة جامعية لسعاد محمد السويد: ص١٧٣. و انظر في بيان وجه كون الطيرة من السحر "التمهيد" لصالح آل الشيخ: ص٣٠٧.

[٤] – نعبة الغراب صوته. انظر: "معجم مقاييس اللغة": ٤٤٨/٥، و"القاموس المحيط": ص١٣٩.

[١] – الوقواق: اسم طائر ينتمي إلى إحدى مجموعات الطيور المتشابهة التي توجد في معظم أنحاء العالم. وصوته وقواق ووَقْوَقة من وقوق يوقوق. ويمثل بصوته في دقات ساعات الوقواق الشهيرة. انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٣٣/٢٧.

رقم السؤال	лечение, сглазы, заклин-ия, приметы и др. صورة الظاهرة التداوي والرقى والسحر	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
39	присутствие поверий связанных с черной кошкой. **التشاؤم بالقطة السوداء**	**20,5**	**18,9**	**12,9**	**47,7**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٣٩.

أشار ٤٧,٧ % من المجيبين على الاستبانة أن ظاهرة التطير بالقطة السوداء أو التشاؤم بها غير موجودة في المجتمع التتري، بينما يرى ٥٢,٣ % من مجموع المجيبين أن هذه الظاهرة موجودة وإن اختلفوا في مدى انتشارها.

هذه نتائج لصورة واحدة من التطير والتشاؤم بالأشياء؛ فإني قد استعملت في الاستبانة أشهر صور التشاؤم وهي التشاؤم بالقطة السوداء، وهي الصورة التي تعبر عن مدى انتشار ظاهرة التطير في المجتمع بشكل عام. مع العلم بأن هناك من – ربما – لا يتطير بالقطة وإنما يتطير بأشياء أخرى؛ فلذا لو أجرينا الاستبيان على بقية الصور ثم جمعنا النتائج، فإن نتائج ذلك الاستبيان– كما أتوقعه – ستشير إلى نسبة أرفع، والله أعلم. ولذا أرى أن الاستدلال بوجود التشاؤم بالقطة السوداء على وجود التشاؤم والتطير بصفة عامة صحيح وموضوعي.

فهذه الأشياء وأمثالها نهى عنها الإسلام؛ لأنها تتنافى مع اختصاص علم الله بالغيب، وتتنافى مع كون الأسباب لا تستقل بالتأثير. فإن الاعتقاد بأن غير الله يعلم الغيب علما يقينيا شاملا كفر بما جاء في القرآن الكريم خاصا بذلك، ومن مارس هذه الأعمال ينسحب حكمه على من يلجأون إليه لمعرفة الغيب؛ فهم في مخالفة الهدي النبوي سواء: ((**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له**))[1]، أما من ذهب إلى هؤلاء الدجالين وصدقه فقد كفر معهم، ومن لم يصدقهم فقد ارتكب إثما عظيما ينقص من إيمانه، ولا يقبل الله صلاته أربعين يوماً.

---

[1] – **أخرجه البزار: ٥٢/٩ برقم ٣٥٧٨ من حديث عمران بن حصين مع الزيادة، والطبراني في "الكبير": ١٦٢/١٨ برقم ٣٥٥، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة. انظر "مجمع الزوائد": ١١٧/٥. وذكره الألباني في "السلسلة الصحيحة": ٢٢٨/٥ برقم ٢١٩٥، وقال: وبالجملة فالحديث حسن، بل هو صحيح بالشواهد، والله أعلم.**

المبحث الخامس

الجـــــــــنائـــــــــز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مظاهر التوحيد في الجنائز

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الجنائز و حكمها

المطلب الأول

مظاهر التوحيد في الجنائز

أفرد العالم الجليل ابن القيم – رحمه الله- فصلا كاملا في هدي النبي ﷺ في الجنائز، والصلاة عليها، واتباعها، ودفنها، وما كان يدعو به للميت في صلاة الجنازة وبعد الدفن، وتوابع ذلك، وقال:

(كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي مخالفاً لهدي سائر الأمم مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت. وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفاً يحمدون الله، ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة، والرحمة، والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره، والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا.

فأول ذلك: تعاهده في مرضه، وتذكيره الآخرة، وأمره بالوصية والتوبة، وأمر من حضره بتلقينه شهادة "أن لا إله إلا الله" لتكون آخر كلامه، ثم النهي عن عادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث والنشور من لطم الخدود وشق الثياب وحلق الرؤوس ورفع الصوت بالندب والنياحة وتوابع ذلك.

وسن الخشوع للميت، والبكاء الذي لا صوت معه، وحزن القلب. وكان يفعل ذلك ويقول: ((**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**))[1].

وسن لأمته الحمد، والاسترجاع، والرضى عن الله، ولم يكن ذلك منافياً لدمع العين وحزن القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه، وأعظمهم له حمداً، وبكى مع ذلك يومَ موت ابنه إبراهيم رأفةً منه، ورحمة للولد، ورقة عليه والقلب ممتلئ بالرضى عن الله

[1] – جزء من الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ "إنا بك لمحزونون": ص ٢٠٨–٢٠٩ برقم١٣٠٠٣، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك: ص١٠٢٢–١٠٢٣ برقم٦٠٢٥ (٢٣١٥).

عز وجل وشكره، واللسان مشتغل بذكره وحمده... فإنه ﷺ أعطى العبودية حقها؛ فاتسع قلبه للرضى عن الله ولرحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمة ورأفة، فحملته الرأفة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضى والحمد)[1].

وإليكم بيان بعض هذه المظاهر الموافقة لعبودية الله في الجنائز لدى مسلمي تتارستان:

لننظر إلى الجدول التالي:

رقم السؤال	обряды связанные с усопшими صورة الظاهرة في الجنائز	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
40	совершение омовения усопшего по правилам шариата. **غسل الميت حسب الشريعة الإسلامية**	73,3	21,4	0,8	4,5

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٤٠.

نرى في هذا الجدول أن المجتمع التتري يلتزم في تجهيزات الميت اللازمة لدفنه طريقة إسلامية حيث أشار ٩٥,٥ % من المجيبين على الاستبانة إلى أن التتر يقومون بغسل أمواتهم حسب الشريعة الإسلامية ولله الحمد؛ فقال ٧٣,٣ % منهم أن ذلك يحصل بكثرة، وقال ٢١,٤ % بالتوسط، و يرى ٠,٨ % منهم القلةَ. بينما يرى ٤,٥ % من المجيبين عدم تطبيق هذا الأمر في المجتمع، وهذه الإجابة غريبة لم أجد لها بياناً غير الذهول من بعض المجيبين أو عدم فهمهم للسؤال!

وكذلك نشاهد نفس الصورة في أداء الصلاة على الجنازة، حيث يثبت الجدول التالي نتائج قريبة من نتائج الجدول السابق:

رقم السؤال	обряды связанные с усопшими صورة الظاهرة في الجنائز	**مدى وجود هذه الظاهرة**			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
41	совершение джаназа-намаза над усопшим. **أداء صلاة الجنازة**	**75,6**	**18,9**	**3,1**	**2,4**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٤١.

[1] - "زاد المعاد": ٤٧٩/١-٤٨٠.

نرى من خلال هذا الجدول أن ٩٧,٦ % من المجيبين يؤكدون التزام الشعب التتري بأداء صلاة الجنازة على موتاهم؛ فقال ٧٥,٦ % منهم بوجود هذه الظاهرة بكثرة، وقال ١٨,٩ % بالتوسط، و٣,١ % بالقلة، بينما يرى ٢,٤ % من المجيبين عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري.

ويظهر جليا من خلال الجدولين السابقين اهتمام الشعب التتري بطقوس متعلقة بالأموات. بل صارت هذه الأمور في أيامنا هي الشعار الدال على انتماء الناس إلى الدين الإسلامي؛ فتجد شخصاً لم يصلِّ طيلة حياته، ولا يرضى لنفسه إلا أن يأتي يوم وفاته مُلاّ من المسجد ويغسله في بيته ويصلى عليه ويدفن في مقبرة المسلمين، أو إذا مات أبواه يأتي هو بمُلاّ من المسجد حتى يغسلهما ويصلي عليهما ويدفنهما في مقابر المسلمين.

وهذه الصورة بحد ذاتها مشكلة مثيرة للنقاش: هل يجوز دفن هؤلاء في مقابر المسلمين أم لا؟ وهذه المسألة مبنية على بيان حال هذا المرء: هل يعتبر- وحالته كهذه- مسلماً أو كافراً؟

قال أحد الأئمة في بيان من هذه حاله: (إذا كان منكراً للصلاة فلا يصلى عليه؛ لكونه كافراً بذلك)[١].

وكذلك من مظاهر اتباع الهدي النبوي في الجنائز أنهم إذا جاؤوا يدفنون موتاهم يعملون اللحد ويضعون المقبور على جنبه الأيمن مستقبل القبلة[٢]. وهذه الكيفية هي طريقة السلف والخلف، وهو ما اتفق عليه الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة[٣]، وهو شعار السنة، وعليه جرى عمل أهل الإسلام من عهد النبي ﷺ. فلذلك لما اكتشف علماء أرخيولوجيا مقابر قديمة في منطقة حوض فولغا وجدوها معمولة على طريقة المسلمين مما دلّ على أن أغلب الشعب البلغاري في منطقة حوض فولغا أسلم في عهد ملكهم ألمس خان لما أعلن إسلام دولته رسمياً عام ٩٢٢م.

---

[١] – "كيف يودع الميت" إدريس علاء الدين: ص٢٨.

[٢] – انظر "كيف يودع الميت" إدريس علاء الدين: صص٣٢.

[٣] – انظر من الكتب الحنفية: "بدائع الصنائع": ٥٢٦/١، "البحر الرائق": ٣٣٨/٢، والكتب المالكية: "البيان والتحصيل": ٢٨٩/٢، و"الذخيرة": ٢٦٧/٢-٢٦٨، والكتب الشافعية: "المجموع": ١٨٣/٥، و"مغني المحتاج": ٣٧٩/١، والكتب الحنبلية: "المغني": ٣٧٩/٣.

يقول أحد المؤرخين المعاصرين: (حسب نتائج الحفريات الأثرية فإن مقابر البلغار من القرن السابع إلى العاشر يغلب عليها الطابع الوثني ومقابرهم من القرن العاشر فصاعدا تكون بالطابع الإسلامي)[١].

ومن مظاهر التوحيد وموافقة الهدي النبوي في الجنائز ما يفعله التتر من الدعاء لمن يموت منهم، وهذا الذي نراه في نتائج الجدول التالي:

رقم السؤال	обряды связанные с усопшими صورة الظاهرة الجنائز	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
42	совершение дуа над усопшим: الدعاء للأموات والجنائز	74,4	17,8	5,5	2,3

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٤٢.

أشار ٩٧,٧ % من مجموع المجيبين على الاستبانة إلى وجود ظاهرة الدعاء للميت يوم وفاته أو دفنه، بل يرى ٧٤,٤ % منهم أن هذا الأمر منتشر في المجتمع التتري كثيراً. ويلاحظ أن هذه العبادة لا يفرّط فيها من التتر حتى الذين يهملون أمر الصلاة وغيرها من الواجبات في الدين!

ومن المظاهر الحسنة فيما يتعلق بالجنائز هو: الإسراع بالجنازة وعدم تأخيرها في الدفن، وكذلك الإنصات والتفكر فيما هم صائرون إليه. وهذا موافق لما جاء عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((**أسرعوا بالجنازة، فإن كانت صالحة قربتموها إلى الخير، وإن كانت غير ذلك كان شرا تضعونه عن رقابكم**))[١].

وعن إبراهيم النخعي- رحمه الله- أنه كان يقول: (انبسطوا بالجنائز ولا تدبوا دبيب اليهود والنصارى)[٢].

---

[١] – **انظر "التتر:رواية مشهورة عن تاريخ الشعب التتري" ضمير إسحاق:٢٠.**

[١] – **صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة: ص٢١٠ برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم: ص٣٨٠ برقم٢١٨٨ (٩٤٤) واللفظ لمسلم.**

[٢] – **أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٤٤١/٣ برقم ٢٦٤٩.**

وهذه الموافقة للهدي النبوي والمخالفة لدبيب اليهود والنصارى متحققة لدى التتر وقد لاحظها أحد المستشرقين وذكرها في كتابه قائلاً: (هم -أي: التتر- يخرجون الميت على القوائم الأربعة ولا يستخدمون التوابيت، ويسرعون بالجنائز)[1].

ورغم وجود هذه المظاهر الموافقة للهدي النبوي في الجنائز، هناك بعض المخالفات على مستويات مختلفة من الانتشار، سيأتي ذكرها وبيان حكمها في المطلب القادم- إن شاء الله.

[1] - "تتر قازان": ص٢٣.

المطلب الثاني

مظاهر مخالفة التوحيد في الجنائز و حكمها

هناك بعض المخالفات في مسألة الجنائز عند التتر أذكرها تنبيها عليها وبياناً للصواب فيها، فمنها:

الظاهرة الأولى: وضع "جواب ناما" مع المقبور:

مما لا يتفق مع الهدي النبوي في الجنائز ما يفعله بعض المسلمين من وضع "جواب ناما" مع المقبور في قبره، وهو ورقة فيها أجوبة على أسئلة الملكين في القبر عن الرب والدين والنبي؛ يضعونها مهتمين بالمقبور، مشفقين عليه، تسهيلاً ومساعدةً له في هذا الامتحان! إذ من أجاب عليها يوسع له قبره ويروح له فيه، ومن لم يعرف الجواب يضيق عليه قبره و يعذب فيه.[١] وقد يضعون هذه الورقة في يد المقبور وقد يضعونها في فمه.[٢]

لننظر إلى الجدول لنرى مدى انتشار هذه الظاهرة:

رقم السؤال	обряды связанные с усопшими صورة الظاهرة في الجنائز	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
44	Погребение вместе с мертвым листочка «жавап нама», где написаны ответы на вопросы ангелов Мункара и Накира. **دفن الميت مع ورقة"جواب ناما" التي فيها أجوبة على أسئلة المنكر والنكير**	**4,7**	**8,6**	**16,4**	**70,3**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٤٤.

نرى من خلال الجدول أن ٧٠,٣ % من المجيبين أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، بينما يرى ١٦,٤ % منهم أنها موجودة ولو نادراً، ويرى ٨,٦ % منهم أنها متوسطة الانتشار، ويرى ٤,٧ % منهم أنها كثيرة الانتشار[٣].

---

[١] – وذلك كما في الحديث الذي سيأتي ذكره قريباً.

[٢] – انظر "تتر قازان" زنامينسكي: ص٢٣.

[٣] – انظر "التقويم الديني لعام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ": يوم ٢٨ أبريل مقالة لأحد الأئمة التتريين اليوم سلمان فريد حيث يرى جواز ذلك.

والحاصل أن هذه الظاهرة وإن كانت منتشرة قبل عشرات السنين[1] حتى وجد هناك من كان يشتغل بطباعة "جواب نما" ويتاجر بها لانتشار هذه الظاهرة في أوساط الناس وقبولهم لها[2]، لكنها اليوم بدأت "تفقد شعبيتها" ولا يكاد يُسمع عنها- ولله الحمد، وهذا الذي أدلى به معظم من شملهم الاستبيان، وذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود الدعاة الغيورين على حفظ السنة وأئمة المساجد وطلبة العلم الذين هم على درجة من العلم والوعي. ومما يدل على ذلك ما ورد في "التقويم الديني التتري"، حيث ورد فيه سؤال في حق هذه المسألة، ونصه: (إننا كثيرا ما نسمع عن عدم مشروعية وضع "جواب ناما" مع المقبور، ولكن لماذا- إذاً- تباع هذه الأوراق في بعض المساجد؟) أجاب عليه أحد أئمتنا مشكوراً بالجواب التالي: (ما أكثر ما يبيعه الناس اليوم، داخل المسجد أو خارجه! فنجد بعض المسلمين يبيعون حتى الخمر ولحم الخنزير؛ وليس هذا دليلاً على جواز تعاطيهما، فهم يتّجرون بالمحرم، ويتعدون حدود الله، فسوف يلقون ما يستحقونه من الجزاء. أما "جواب ناما"، فلا يجوز وضعه في القبر مع الميت؛ إذ ليس هذا من الإسلام في شيء، فهو لم يوضع لا للنبي ولا للصحابة؛ إنها بدعة أحدثت في الأيام المتأخرة)[1].

الحكم على هذه الظاهرة:

إن سؤال الملكين أمر حقيقي ثابت بالسنة النبوية الصحيحة، فعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ إبراهيم: ٢٧، قال: ((**في القبر إذا قيل له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟**))[2].

---

[1] – انظر ملاحظات المستشرق زنامينسكي في كتابه "تتر قازان": ص٢٣.

[2] – أخبرني بذلك أحد المسؤولين في الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان الإمام المحتسب المشرف على منطقة زيلينودولسك حضرة عبد الحميد بن عبد الرؤوف زينة الله.

[1] – "التقويم التتري المسلم عن عام ٢٠٠٣م" يوم ٢٩ مارس/٢٦محرم.

[2] – سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام: ص٧٠١ برقم٣١٢٠. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن الترمذي– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

وقد ورد ذكر اسمي الملكين في حديث آخر أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة مرفوعاً، كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عذاب القبر: ص٢٥٣ برقم١٠٧١، وقال الترمذي: حديث حسن غريب،=

وفي صحيح البخاري عن أنس- رضي الله عنه- أنّ النبي ﷺ قال: ((**العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**))[1].

وأخرج الإمام أحمد امتحان القبر بتفاصيله، فعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: ((**استعيذوا بالله من عذاب القبر**)) مرتين أو ثلاثا، ثم قال: ((**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت- عليه السلام- حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون بها، فلا يمرون – يعنى: بها- على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في**

=وحسنه الألباني في "الصحيحة": ٣٧٩/٣ برقم١٣٩١. وورد عن ابن عباس موقوفاً عند الطبراني في ("الأوسط":١٣٠/٣-١٣١ برقم٢٧٠٣)، حيث قال: (اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر منكر ونكير)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. "مجمع الزوائد" (٥٤/٣)، لذلك قال الألباني: (ثبت ذكرهما باسميهما) انظر تحقيقه لـــ"الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات": ص١١٤.

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال: ص٢١٣ برقم١٣٣٨ وانظر أيضاً الحديث برقم١٣٧٤، وأخرجه مسلم في صحيحه مختصراً، كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه: ص١٢٤٣ برقم٧٢١٦ (٢٨٧٠).

الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز و جل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك؛ هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وما لي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠، فيقول الله عز و جل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا. ثم قرأ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك؛ هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة))[1].

هذا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ ونحن نؤمن به ونستعد لهذا الامتحان في الدنيا بقراءة القرآن وتعلم السنة وتطبيقهما في أعمالنا وأقوالنا، أما "جواب ناما" فلا أصل له في العقيدة الإسلامية ولا فائدة فيها إذ لا مجال للميت للاستفادة منها أو من أي شيء آخر إلا ما كان عليه في الدنيا من العمل الخالص لله وحده. بل لو استطاع هذا المقبور- فرضاً- أن يفتح الورقة لما استطاع أن يقرأها كما لا يستطيع المنافقون أن ينطقوا الأجوبة الصحيحة ولو كانوا ينطقونها في الدنيا[1]؛ ينسيهم الله.

فعمل مثل هذه الأوراق وتزويد المقبورين بها من البدع المبنية على جهل الناس بأحوال الآخرة.

وكذلك يظهر في هذا العمل تشبه ببعض المجوس القدماء الذين كانوا يدفنون مع بعض موتاهم بعض الأشياء التي يحتاجونها — حسب اعتقادهم- في حياتهم ما بعد الموت من السلاح والفرس والزوجات.[2]

وهذا كله لا ينبغي في الشريعة الإسلامية، بل هناك أمور نافعة دلت عليها السنة النبوية المطهرة من تلقين الموتى عند الاحتضار بكلمة الشهادة "لا إله إلا الله" تذكيراً لهم إن كانوا

---

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤٩٩/٣٠ برقم١٨٥٣٤، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

[1] – كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري: ((وأما المنافق أو الكافر، فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس...)) وسبق تخريجه في ص٤١٤.

[2] – انظر "رحلة أحمد بن فضلان": ص١٥٩.

مسلمين[1]، ودعوة لهم إن كانوا مشركين[2]؛ فإنَّ مَنْ كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" دخل الجنة.[1] فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. آمين.

الظاهرة الثانية: المآتم في اليوم الثالث من الموت وسابعه وأربعينه:

من البدع والمخالفات في أمور الجنائز ما يقوم به أهل الميت من المآتم في يوم ثالثه وسابعه وأربعينه. والمآتم في هذه الأيام عبارة عن اجتماع الأقارب والجيران في بيت الميت، حيث يقوم أهل الميت بعمل الولائم وتوزيع الصدقات على الحاضرين؛ فيقوم أحد ممن يدير الاجتماع بوعظ الناس وحثهم على الاتعاظ بالموقف، ثم يقرأ الحاضرون القرآن بالدور، ثم يدعون للميت ويهبون ثواب القراءة والصدقات له. فهذه المآتم لما فيها من البدع والشبه تحتاج إلى بيان حكمها.

ولننظر أولاً إلى الجدول التالي؛ لنرى مدى انتشار هذه الظاهرة في تتارستان:

رقم السؤال	обряды связанные с усопшими **صورة الظاهرة** **الجـــــنائـــــــز**	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
48	Проведение поминок на3-ий день со дня кончины, а затем на 7-ой и 40-ой. **المآتم يوم الثالث والسابع والأربعين من الموت**	**57,7**	**11,5**	**10,8**	**20,0**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٤٨.

---

[1] – **كما في الحديث: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله: ص٣٦٩ برقم٢١٢٣ (٩١٦).**

[2] – **كما فعله رسول الله ﷺ بعمه أبي طالب وبغلام الأنصار، حيث عرض عليهما الإسلام، فأسلم الغلام ومات مسلماً، ولم يسلم عمه. حديث الغلام أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام: ص٢١٦ برقم: ١٣٥٦. وحديث أبي طالب رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت "لا إله إلا الله": ص٢١٧ برقم ١٣٦٠.**

[1] – **كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" دخل الجنة)) أخرجه في كتاب الجنائز، باب في التلقين: ص٥٦١ برقم٣١١٦، وأحمد في مسنده: ٣٦/٣٦٣ برقم٢٢٠٣٤. وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه. وقال محقق المسند: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.**

نرى من خلال الجدول أن ٢٠,٠ % من المجيبين يرى عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، بينما يرى ٨٠,٠ % من مجموع المجيبين وجودها، وقد أشار ٥٧,٧ % منهم أنها منتشرة بكثرة في تتارستان، وقال ١١,٥ % منهم بتوسط انتشارها، وقال ١٠,٨ % أنها قليلة الانتشار.

والحاصل أن هذه الظاهرة منتشرة في تتارستان، فالمسألة تحتاج إلى التحليل والنظر إلى حكمها. ومما يؤكد ضرورة ذلك وجود عديد من المؤلفات التي تستحسن هذه الظاهرة التي صارت عادة أو –كما يقولون- بدعة حسنة لدى الشعب التتري. حتى قال البعض: (إن إقامة المآتم في اليوم الثالث من الوفاة، وسابعه، وأربعينه من السُّنَّة. وكذلك الاجتماع وذكرى الميت بعد انقضاء السَنَة من المستحبات ولا يجب)[1].

وبعد تأمل مؤلفات هؤلاء الذين يستجيزون إقامة بدعة المآتم وجدهم يستدلون لقولهم بالتالي:

١- هذه العادة جاءتنا عبر تاريخنا الإسلامي عن طريق الآباء. فهم حفظوا لنا ديننا وكانوا يلتزمون بإقامة العبادات حتى في أصعب أيام تاريخهم.[2] حتى قال أحدهم: (عادة المآتم في اليوم الثالث بعد الموت والسابع والأربعين من العادات القديمة لدى التتر، وكانت موجودة حتى قبل مجيئ الإسلام. والعادة إذا لم تخالف الشريعة فإنها لا تترك خاصة أن هذه المآتم مع التغير صارت أشبه ما يكون بمجالس القرآن، وقد تكون هذه العادة باقيةً من شرع الأنبياء القدماء الذين أرسلوا إلى التتر! فبالتالي لا يمكن القول بأن هذه العادة من المحدثات في الدين)[3].

٢- هذه المآتم لا تخالف روح الإسلام؛ إذ ليس فيها إلا خير، فهي عبارة عن تذكر الآخرة، وقراءة القرآن، وتوزيع الصدقات، وإهداء ثواب هذه الأعمال للميت.[4]

[1] – **"العادات الإسلامية" فريد ياحين و فائز إسكندر: ٥٣.**

[2] – **انظر "لنفرح أرواح أمواتنا": ص٤.**

[3] – **وانظر "إعانة أرواح الأموات" ولي الله يعقوب: ص١٦.**

[4] – **انظر "لنفرح أرواح أمواتنا": ص٦.**

٣- إذا لم يكن هناك دليل لجواز إقامة هذه المآتم، فإنه لا يوجد دليل على منعها.[١]

٤- هناك دليل على جوازها وهو حديث رسول الله ﷺ: ((**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها...**))[٢].

٥- نستنبط جواز المآتم من عموم جواز التعزية، فالتعزية من السنة.

٦- إقامة مثل هذه المآتم بعمل الوليمة، وجمع الناس، وقراءة القرآن تساعد في تجاوز هذه الأيام بروح التآلف وعدم الشعور بالوحدة.[١]

٧- إقامة هذه المآتم فرصة قيمة لجمع الناس ووعظِهم ونشرِ تعاليم الإسلام.[٢]

الرد على هذه الشبه:

أما الشبهة الأولى: فهي باطلة، بل فيها كلام لا يصدر إلا عن جاهل بالدين ومقاصده. وفي الحقيقة هي ليست شبهة واحدة، بل مركبة من عدة شبهات، وللرد عليها سأورد كلا منها ثم أبين بإذن الله بطلانها ومخالفتها للشريعة:

أولا- كون هذه العادة من عادات الآباء ليس مبرراً لممارستها واتخاذها ديناً، فكلامهم "**هذه العادة جاءتنا عبر تاريخنا الإسلامي عن طريق الآباء**" شبيه باحتجاج الكفار بدين آبائهم حين أرسل الله إليهم رسله ليدعوهم لتوحيد الله وعبادة الله وحده لا شريك له، فكانوا يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الزخرف: ٢٣، فلم يكن احتجاجهم بدين آبائهم عذرا لهم في ذلك.

ثانيا- قولهم " **والعادة إذا لم تخالف الشريعة، فإنها لا تترك خاصة أن هذه المآتم مع التغير صارت أشبه ما يكون بمجالس القرآن**"، نجيب على ذلك بأنه ليس كل عادة تكون معتبرة؛ فالفقهاء حين نصوا على حجية قاعدة "**العادة محكمة**" بينوا أنها معتبرة

---

[١] - انظر المرجع السابق: ص٢٠.

[٢] - سبق تخريجه في ص٢١٧.

[١] - مضمون النقطتين: الخامسة والسادسة موجود في كتاب "لنفرح أرواح أمواتنا": ص١٩.

[٢] - انظر "الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية في تتارستان في نهاية القرن العشرين" رفيق محمدشين: ص١٤٨.

بشروط، ففي شرح هذه القاعدة يقول الشيخ مصطفى الزرقا[1]: (إن العادة عامة[1] كانت أو خاصة[2] تجعل حكما لإثبات حكم شرعي لم ينصّ على خلافه بخصوصه... ثم قال: فالمراد بها حينئذ ما لا يكون مغايرا لما عليه أهل الدين والعقل المستقيم... ثم نقل- رحمه الله- كلام ابن عابدين، أن العادة إحدى حجج الشرع فيما لا نص فيه[3])[4].

يتبين من خلال هذا أن العادة تكون معتبرة بشروط وضوابط، وليس على الإطلاق، فمن هذه الشروط:

١- أن لا يرد نصٌّ يخالف تلك العادةَ، أو ألا تخالف العادةُ نصاً شرعياً.

٢- أن تكون العادة مطردة أو غالبة في البلد مع كونها لا تخالف ما عليه أهل الدين والعقل المستقيم.

وبالنظر إلى هذين الشرطين يتضح أن إقامة تلك المآتم من البدع المحدثة في الشريعة، وليست من العادات المعتبرة؛ لأن حقيقة هذه العادة أنها مخالفة للشريعة، وبيان مخالفتها للدين فيما يلي:

١ - كان السلف الصالح يرون الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام من المنكر. وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على منع هذه المآتم، قال الطرطوشي[5] في كتاب "الحوادث

---

[1]- مصطفى الزرقا، هو: مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقا الحلبي، ولد بحلب سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، تلقى العلم الشرعي عن كبار علماء حلب. تفوق في العلوم العصرية، باشر التدريس والتأليف في وقت مبكر من عمره، وقد ساعدته ذخيرته من الدراسة القانونية على عرض الفقه بأسلوب عصري جديد. من مؤلفاته: "الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد"، و"فتاوى مصطفى الزرقا". شارك في كتابة الموسوعة الفقهية الكويتية، كان عضواً في المجمع الفقهي ومستشاراً فقهياً في شركة الراجحي، وقد منح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤، تقديراً لإسهاماته في مجال الدراسات الفقهية. كان من منهجه أنه ليس له فتوى شفهية بل كلها موثقة. توفي سنة ١٤٢٠. انظر مقدمة الكتاب "شرح القواعد الفقهية": ص١٧، و منتدى الحوار الإسلامي في الإنترنت: http://al7ewar.net/forum/showthread.php?t=4354

[1]- أي: مطردة أو غالبة في جميع البلدان.

[2]- أي: ببعض البلدان.

[3] - انظر كلام ابن عابدين في كتابه "رد المحتار": ٢٦٠/٩.

[4]- "شرح القواعد الفقهية" لمصطفى الزرقا: ٢١٩/١.

[5]- الطرطوشي، هو: محمد بن الوليد القرشي الفهري، أبو بكر الطرطوشي الإسكندري، الإمام الحافظ من فقهاء المالكية. ولد سنة ٤٥١ هـ في بلدة طرطوشة بشرقي الأندلس، سكن الإسكندرية وتوفي هناك. صحب أبا=

والبدع": (فأما المآتم فممنوعة بإجماع العلماء... والمأتم هو الاجتماع في الصبحة، وهو منكر لم ينقل فيه شيء، وكذلك ما بعده من الاجتماع في الثاني والثالث والسابع والشهر والسنة فهو طامة)[1].

٢ – بل الإجماع على منع المآتم وارد عن الصحابة! ففي خبر صحيح عن جرير بن عبد الله البجلي[1]– رضي الله عنه– قال: (كنا نعُد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة)[2].

وقوله "**كنا نعد**"، هذا بمنزلة رواية إجماع الصحابة – رضي الله عنهم– أو تقرير النبي ﷺ؛ وعلى الثاني فحكمه الرفع، وعلى التقديرين فهو حجة. وبالجملة فهذا عكس الوارد، إذ الوارد أنه يصنع الناسُ الطعامَ لأهل الميت، فاجتماع الناس في بيتهم حتى يتكلفوا لأجلهم الطعام قلب لذلك، وقد ذكر كثير من الفقهاء أن الضيافة لأجل الموت قلب للمعقول؛ لأن الضيافة حقها أن تكون للسرور لا للحزن.[3]

يفهم مما سبق أن المآتم لم تكن من هدي رسول الله ﷺ ولا من هدي صحابته الكرام– رضوان الله عليهم، كما ذكر ذلك ابن القيم قائلاً: (ولم يكن من هديه ﷺ أن

=الوليد الباجي وغيره، وعنه أخذ القاضي عياض وأبو بكر ابن العربي وغيرهما. له تآليف مفيدة، منها: كتاب "الحوادث والبدع"، و"رسالة في تحريم جبن الروم" وغيرها. توفي بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ. انظر "وفيات الأعيان" لابن خلكان: ٣٥٥/٢، "سير أعلام النبلاء": ٤٩٠/١٩، و"حسن المحاضرة": ٤٥٢/١، "الأعلام": ١٣٣/٧.

[1] – "الحوادث والبدع" للطرطوشي: ص ١٣٧.

[1] – جرير البجلي، هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر البجلي، صحابي شهير، وكان جميلاً، قال عمر: (هو يوسف هذه الأمة)، وقد قدمه عمر في حروب العراق، سكن بعد ذلك الكوفة، وأرسله علي رسولاً إلى معاوية، ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقيسيا حتى مات سنة ٥١ هـ وقيل بعدها. انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر: ٥٨١/١–٥٨٣ برقم ١١٣٩.

[2] – أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام: ص٢٨٢ برقم ١٦١٢، وأحمد في مسنده: ٥٠٥/١١ برقم٦٩٠٥، واللفظ لأحمد. وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن ابن ماجه– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه، وصححه محقق المسند. وانظر كلام رضاء الدين بن فخر الدين التتري في معنى هذا الأثر في كتابه "شرح جوامع الكلم": ص٤٨٢.

[3] – انظر تعليق شعيب الأرنؤوط على مسند أحمد: ٥٠٦/١١ وقد عزا هذا القول إلى السندي. وذكر قوله محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجة: ص٢٨٣. وانظر أيضاً قول الشوكاني في "نيل الأوطار": ٢١٣٧/٥.

يجتمع للعزاء)[1]، بل هي من أمر جاهلية، كما روى ذلك عبد الرزاق في مصنفه عن سعيد ابن جبير- وهو من كبار التابعين- قال: (ثلاث من أمر الجاهلية: النياحة، والطعام على الميت، وبيتوتة المرأة عند أهل الميت ليست منهم)[2].

٣ - أنها مع مخالفتها للإجماع ففيها أيضا تشبه بالنصارى، لأنها من عاداتهم. وهذا الذي نشاهده في هذه الأيام القريبة ونسمعه في قنوات الأخبار كيف تودع روسيا بابا الكنيسة الأرثودكسية أليكسي الثاني وما تعمله النصارى من مأتم كبير لمرور أربعين يوماً من وفاته.[1] فهل نتشبه بالنصارى وقد أمرنا بمخالفتهم!

ثالثاً- أما قوله بأنه لا يمكننا أن نقول ببدعية هذه العادة، لأنها "**قد تكون باقيةً من الأنبياء القدماء الذين أرسلوا إلى التتر**"، فنقول:

١ - إننا لا نسلم بأنها من دين الأنبياء قبل الإسلام، إذ ليس هناك دليل معتبر يدل على ذلك غير الافتراضات الشخصية، فمتى كانت هي حجة في إثبات أحكام الدين!

٢ - وحتى لو افترضنا كونها مما بقي من دين نبي من الأنبياء القدماء، فإن العلماء اختلفوا في شرع من قبلنا: هل هو شرع لنا أم لا؟ ولكن كلهم متفقون على أن شرع من قبلنا إذا خالف شريعتنا فليس شرعاً لنا، وإنما موطن الاختلاف فيما إذا عرفنا أنه لا يخالف ديننا، بمعنى أنه لم يرد في شريعتنا ما يأمر به ولا ما ينهى عنه، ولم يعلم أنه نُسِخَ.[2]

أما مسألتنا هذه فلا خلاف فيها، فإن عادة المآتم حتى لو تحقق أنها شرع من قبلنا، فإنها لا تكون شرعاً لنا باتفاق العلماء؛ لأن إقامتها — كما بينا فيما سبق- تخالف الإسلام.

أما الشبهة الثانية: وهي أن "هذه المآتم لا تخالف روح الإسلام، إذ ليس فيها إلا الخير، فهي عبارة عن تذكر الآخرة وقراءة القرآن ...."، فنقول في الرد عليها:

أولا: بينا فيما سبق أنها تخالف روح الإسلام.

---

[1] - "زاد المعاد": ٥٠٨/١.

[2] - **مصنف عبد الرزاق: ٥٥٩/٣ برقم٦٦٨٨.**

[1] - **انظر: http://news.mail.ru/society/2293489 مقالة بعنوان "أربعون يوماً بدون بطريق".**

[2] - **ينظر: "شرح المنار" لابن ملك الحنفي: ص ٤١٤، و شرحه لزين الدين العيني: ص ٢٥١، و"شرح مختصر المنار" لعلي القاري: ص٣٨٢-٣٨٣، و"روضة الناظر": ص١٥٧، ومختصر ابن الحاجب: ١١٧٨/٢-١١٨٥.**

ثانيا: لا يسلم أنه ليس فيها إلا الخير، بل فيها مفاسد، منها مخالفتها للشريعة، والاختلاط بين الرجال والنساء، وإحراج لأهل الميت؛ حيث يتكلفون في إقامة هذه المآتم بمبالغ هم بحاجة إليها، فيصرف فيها جهود وأموال لإطعام الناس مع أن الأصل أن يُصنع الطعام لأهل الميت. فكيف تنقلب الموازين ويدّعى أن ذلك من روح الإسلام! ففي سنن ابن ماجه من حديث أسماء بنت عميس، أنها قالت: لما أصيب جعفر رجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: ((**اصنعوا لآل جعفر طعاما، فإنه قد أتاهم أمر شغلهم**)).[1]

فيتبين بهذا أن هذه المآتم فيها شر ومفسدة. وكونها فيها بعض خير لا يدل على جوازها.

ثالثا: إن العلماء نصّوا على تحريم الاجتماع وإقامة هذه المآتم، فإليك بعض كلامهم في بيان تحريمها:

قال الشافعي- رحمه الله في "الأم": (وأكره النياحة على الميت بعد موته وأن تندبه النائحة على الانفراد، لكن يعزى بما أمر الله عز وجل من الصبر والاسترجاع، وأكره المأتم وهى الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المؤنة)[2].

ويقول الإمام النووي- رحمه الله- في "المجموع شرح المهذب": (وأما الجلوس للتعزية فنص الشافعي، والمصنف[3]، وسائر الأصحاب على كراهته، ... قالوا: يعني بالجلوس لها أن

---

[1]- **أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميت: ص٥٦٥ برقم٣١٣٢، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت: ص٢٣٧ برقم٩٩٨، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت: ص٢٨٢ برقم١٦١١، وحسنه الألباني؛ انظر المواضع المذكورة من السنن- طبعة مكتبة المعارف المزوّدة بأحكامه.**

[2]- **"الأم": ٦٣٨/٢.**

[3]- **يقصد به الشيرازي صاحب "المهذب في الفقه"، وهو: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر، مفتي الأمة في عصره. ولد في فيروزآباد (بفارس) سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٣م، وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها، عاش فقيرا صابرا. له تصانيف كثيرة، منها: "التنبيه"، و"المهذب في الفقه"، و"التبصرة" في أصول الشافعية، و"طبقات الفقهاء" وغيرها. توفي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٤م. انظر: "سير أعلام النبلاء": ٤٥٢/١٨ برقم ٢٣٧، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي: ٤٨٠/٢ برقم٣٥٧.**

يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم، فمن صادفهم عزاهم ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها)[1].

وجاء في "المغني" لابن قدامة: (يكره الجلوس للتعزية)[2].

وقال ابن الهمام الحنفي- رحمه الله- في "فتح القدير": (ويجوز الجلوس للمصيبة ثلاثة أيام وهو خلاف الأولى، ويكره في المسجد، وتستحب التعزية للرجال والنساء اللاتي لا يفتنّ لقوله ﷺ: ((**من عزّى أخاه بمصيبة كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**))[1] ، ... ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت؛ لأنه شرع في السرور لا في الشرور، وهي بدعة مستقبحة)[2].

أما الشبهة الثالثة: وهو قولهم: "حتى لو لم يوجد دليل على جواز إقامة هذه المآتم، فليس هناك دليل على منعها".

فالجواب عليها:

إننا بينا فيما سبق أن هناك أدلة، وأوردناها لبيان تحريم إقامة المآتم.

أما الشبهة الرابعة: وهي قولهم: "هناك دليل على مشروعية إقامة المآتم، وهو حديث النبي ﷺ: ((**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...**)) الحديث[3].

فالجواب عليها:

---

[1]- "المجموع" للنووي: ١٩٨/٥-١٩٩.

[2]- "المغني": ٤١٠/٢.

[1]- أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً: ص٢٨١ برقم ١٦٠١، بلفظ: ((ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبة إلا...)) به، والبيهقي نحوه مع زيادة في أوله في "السنن الكبرى": ٩٥/٤، رقم ٧١٨٨، وفي "الشعب": ٢٩٣/١٦ برقم٨٨٤٠، وغيرهم من حديث عمرو بن حزم، وقال ابن عراق الكناني في "تنزيه الشريعة": (أخرجه ابن ماجه وحسنه النووي، وقال البيهقي في "الشعب" (٣٠٠/١٦): هو أصح شيء في الباب) ٣٦٨/٢، وحسنه الألباني في "الإرواء": ٢١٦/٣ برقم٧٦٤، و"الصحيحة": ١/١ ص٣٧٨ برقم١٩٥.

[2]- "فتح القدير" للسيواسي: ١٠٢/٢.

[3]- سبق تخريجه في ص٢١٧.

ليس المقصود من الحديث أن يُخترع ويبتدع في الدين ما لم يكن منه، كما يقوله كثير من أهل البدع، وهم في الحقيقة إما لا يعرفون حقيقة معناه بسبب عدم اطلاعهم على الحديث وعلى سبب وروده، وإما أنهم يعرفون كل هذا، لكن الهوى هو الذي يدفعهم إلى الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث التي فيها نوع اشتباه على بعض الناس.وعلى كل حال سنورد أولا الحديث كاملا كما أورده الإمام مسلم في صحيحه، ثم نبين من خلال كلام الفقهاء والمحدثين معنى الحديث و ننظر: هل يدل على ما يريده أهل الأهواء أم لا؟

فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي[1] النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر. فتمعر[2] وجه رسول الله ﷺ لِما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا، فأذَّن وأقام فصلى، ثم خطب، فقال: ((﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ **– إلى آخر الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[3]، والآية التي في الحشر: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾[4]، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره – حتى قال– ولو بشق تمرة**)). قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: ((**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء؛ ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**))[5].

---

[1]– جاء قوم مجتابي النمار، معناه: لابسيها. وكل شيء قطع وسطه فهو مَجُوب ومُجَوَّب، وبه سمي جيب القميص. "النهاية في غريب الحديث" باب الجيم مع الواو: ص١٧١.

[2]– تمعر وجهه، أي: تغير، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون. "النهاية" باب الميم مع العين: ص٨٧٥.

[3]– سورة النساء: ١.

[4]– سورة الحشر: ١٨.

[5]– أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه في ص٢١٧.

قال أبو إسحاق الشاطبي- رحمه الله: (فتأملوا أين قال رسول الله ﷺ: **((من سن سنة حسنة))**، **((ومن سن سنة سيئة))**، تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه، حيث أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ حتى قال: **((من سن في الإسلام سنة حسنة...))** الحديث، فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابي، وهو العمل بما ثبت كونه سنة، وإن الحديث مطابق لقوله في الحديث الآخر: **((من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي...- إلى قوله- ...من ابتدع بدعة ضلالة))**[1]، فجعل مقابل تلك السنة- الابتداع، فظهر أن السنة الحسنة ليست بمبتدعة وكذلك قوله ﷺ: **((ومن أحيا سنتي فقد أحبني))**[2])[3].

وقال صاحب "تحفة الأحوذي": (قوله ﷺ: **((من سن في الإسلام سنة حسنة...))**، أي: أتى بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين... **((ومن سن في الإسلام سنة سيئة...))**، أي: طريقة غير مرضية لا يشهد لها أصل من أصول الدين)[4].

وقال صاحب "تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم": (قوله ﷺ: **((من سن في الإسلام سنة حسنة كان لها أجرها وأجر من عمل بها))**، فهذا فعل من الأفعال المحمودة لم يكن الفاعل سبق إليه، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد به الشرع، لأنه ﷺ قد غبطه ثواب ذلك وقد أتبعها عليه السلام بضدها في **((من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها))**، وهذا في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ. وقول عمر- رضي الله عنه- حول صلاة التراويح: (نعمت البدعة)، هذا في حيز المدح؛ لأنه فعل من

---

[1]- أخرجه الترمذي في سننه عن كثير بن عبد الله وهو ابن عمر بن عوف المزني، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ص٦٠٣ برقم ٢٦٧٧، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه: ص٥٤ برقم٢١٠، وغيرهما من حديث كثير بن عبد الله. والحديث لا يصح؛ لأن كثير بن عبد الله متروك. انظر "العلل المتناهية":١/١٣٥. وحكم الألباني على الحديث بالضعف؛ انظر الموضعين المذكورين من السنن- الطبعة المزودة بأحكامه.

[2]- جزء من الحديث الذي أخرجه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ص٦٠٣ برقم ٢٦٧٨ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وضعفه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن الترمذي- الطبعة المزودة بأحكامه.

[3]- الاعتصام ١/١٣٨.

[4]- "تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي": ٧/٣٦٥.

أفعال الخير وحرص على الجماعة المندوب إليها وإن كانت لم تكن في عهد الخليفة قبله، فقد صلاها رسول الله ﷺ جماعة، وإنما قطعها إشفاقاً من أن تفرض على أمته، وكان عمر ممن نبه عليها وسنها على الدوام، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة على ما ورد به النص من رسول الله ﷺ)[1].

أما الشبهة الخامسة: وهي قولهم: "يؤيد مشروعية إقامة المآتم عموم جواز التعزية، فالتعزية من السنة".

فالجواب عليها:

إننا نقر بأن التعزية من السنة[1]، لكن على الوجه الذي ورد عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح، فالتعزية المشروعة هي الاسترجاع والتصبر بخلاف المآتم التي فيها اجتماع وجلوس عند أهل الميت، فهذا خلاف ما ورد عن النبي ﷺ والسلف الصالح، فإنهم هم الذين كانوا يجهزون طعاما لأهل الميت[2]، فضلا عن أن يجتمعوا عندهم.

أما الشبهة السادسة: فهي قولهم "إقامة هذه المآتم فرصة لجمع الناس ووعظهم ونشر تعاليم الإسلام".

فالجواب عليها:

يفهم من هذه الشبهة أنهم يجعلون هذه الاجتماعات وسيلة من وسائل الدعوة. فبناء على هذا نقول: إن الوسائل أنواع، منها وسيلة مشروعة ومباحة، ومنها وسيلة محرمة، ومنها وسيلة مختلف فيها بين الإباحة والتحريم[3]. فإذا كانت وسائل الدعوة متنوعة باعتبار الحكم الشرعي وباعتبار ما يختلط بها من حلال أو حرام، يتعين علينا أن نبين حكم كل وسيلة.

---

[1]- "تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم" للحميدي: ١/١٣٧-١٣٨.

[1]- وقد تقدم ذكر الحديث: ((من عزى أخاه بمصيبة كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة)) مع تخريجه.

[2]- وقد تقدم ذكر الحديث: ((اصنعوا لآل جعفر طعاما، فإنه قد أتاهم أمر شغلهم)) مع تخريجه.

[3]- ينظر "المدخل إلى علم الدعوة": ص ٢٨٦-٢٩٣.

أما الوسائل التي جاء القرآن بها فلا شك في مشروعيتها، مثل القول، والكتابة، والتعليم، والجهاد، وغير ذلك، وما سكت عنه فالأصل فيه الإباحة[1].

وأما الوسائل التي جاء الشرع بمنعها فمحرمة، وهذا واضح.

تبقى الوسائل المشوبة بالحلال والحرام، فيبحث العالم أو طالب علم عن حكمها ويرجح أحد الأقوال بدليله في كل مسألة من تلك المسائل[1].

وأما الاجتماعات في المآتم، فقد سبق أن قررنا تحريم مثل هذه الاجتماعات أصلاً، فهل مجرد دعوة الناس ووعظهم فيها يجعلها مباحة!؟ مع أن هناك- ولله الحمد- وسائل كثيرة مباحة متنوعة لدعوة الناس إلى الخير. فليس هناك ضرورة لجمع الناس في هذه المآتم، بل في استغلال هذه المآتم البدعية للدعوة والوعظ والإرشاد مفاسد، منها:

١- أن الداعي يتثبط عن الدعوة ولا يحرص أن يدعو الناس ويعلمهم، إذ إن الناس يجتمعون في هذه المآتم شهريا.

٢- أنه يرى في هذه المآتم منكرات- ولا بد- من الاختلاط وتبرج النساء ولا ينكر عليها.

٣- أن في هذا إقرارا لهم على إقامة هذه المآتم البدعية. وحتى لو لم يقر الداعية بنفسه، فإن مجرد حضوره لمثل هذه المآتم يوهم الناس بأنها مشروعة، حتى ظن بعض الناس أن الدين كله محصور في مثل هذه المناسبات: المآتم، والأنكحة، وتسمية المواليد التي يحضرها أهل المسجد من الأئمة والدعاة ويجمعون الصدقات فيها ويدعون رافعين الأيدي لأهل بيتها ثم ينصرفون. وظنهم هذا ما نشأ إلا لأنهم لم يروا للأئمة دوراً غير هذا. وهذا يؤكد صحة النقطة الأولى.

فالخلاصة: أن جمع الناس في مثل هذه المآتم ودعوتهم وصنع الطعام لهم فيها لا يجوز، لما في ذلك من المخالفةِ للشريعة الإسلامية والمفاسدِ المترتبة عليها، والله أعلم.

---

[1]- ينظر "المدخل إلى علم الدعوة": ص ٢٩٠، بتصرف.

[1]- ينظر المصدر السابق: ص ٢٩١-٢٩٢.

الظاهرة الثالثة: قراءة "يس" على الأموات:

أما قراءة سورة "يس" على الأموات، فهذه الظاهرة منتشرة عند التتر، وتدل على ذلك نتائج الاستبانة المبينة في الجدول التالي:

отсутств لا يوجد	слабо قليل	средне متوسط	сильно كثير	обряды связанные с усопшими صورة الظاهرة في الجنائز	رقم السؤال
مدى وجود هذه الظاهرة					
10,8	9,2	21,5	58,5	чтение суры «Ясин» над усопшим. قراءة "يس" على الميت	45

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٤٥.

نرى من خلال الجدول أن ١٠,٨ % من المجيبين أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة في المجتمع التتري، بينما يرى ٨٩,٢ % من مجموع المجيبين أنها موجودة، بل يرى ٥٨,٥ % منهم أنها موجودة بكثرة.

والحقيقة أن هذه الظاهرة لها ثلاث صور منتشرة في تتارستان، وهي:

- أن يُقرأ "يس" على المحتضر قبل أن يموت.
- أن يقرأ "يس" على الميت بعد الدفن في المقبرة.
- أن يقرأ "يس" على الأموات في المآتم اليوم الثالث بعد الموت والسابع والأربعين وغيرها.[١]

ويستدل المجيزون لذلك بحديث: ((**اقرؤوا "ياسين" على موتاكم**))[٢]، وهذا الحديث

---

[١]– وهذه الصور الثلاثة مشهورة معروفة تطبق في تتارستان، وقد أكد وجودها بعض الأئمة التتر أثناء مقابلة شخصية أو اتصال هاتفي، ومنهم: ملا عبد الحميد زينة الله إمام المسجد في المنطقة الغربية في تتارستان وملا نياز مينأحمد إمام المسجد في المنطقة الشرقية في تتارستان.

[٢]– الحديث أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت: ص٥٦٢ برقم٣١٢١، وابن ماجه في السنن نحوه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضِرَ: ص٢٥٧ برقم ١٤٤٨، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة: ٣٩٤/٩، برقم١٠٨٤٦، وأحمد في المسند مطولا: ٤١٧/٣٣ برقم٢٠٣٠١، وابن حبان في صحيحه: ٢٦٩/٧ برقم٣٠٠٢، وغيرهم من طريق ابن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان – وليس النهدي– عن أبيه عن معقل بن يسار مرفوعاً، إلا النسائي وابن حبان، فإنهما قالا: عن أبي عثمان عن معقل، فأسقطا أباه. وأبو عثمان المذكور في السند ليس هو بالنهدي التابعي الثقة، كما جاء مصرحا في أكثر الروايات، بل هو أبو عثمان السَّلِّي، وهو وأبوه مجهولان.

تكلم فيه العلماء، فقد أعلّوه بالاضطراب والوقف والجهالة.[1]

و لم يثبت عن الرسول ﷺ ولا عن صحابته الكرام أنهم قرؤوها على ميت سواءً محتضراً كان مشرفاً على الموت أو بعد مفارقة الروح جسده، وسواء كانت سورة "يس" أو "الفاتحة" أو غيرهما من القرآن.

وعدم ثبوت فعل النبي ﷺ يدل على أنه ﷺ لم يفعل هذا مع أموات المسلمين، بل تركه وتركه أصحابه من بعده مع قيام المقتضي للفعل، والشفقة للميت، وعدم المانع عنه. فهل يعقل أن يترك الرسول ﷺ شيئاً نافعاً لأمته يعود عليها بالرحمة و لم يقرأها على الميت ولا مرة واحدة طول حياته؟! الجواب: لا، بل الثابت في هذا ما كان يقوله ﷺ: ((**لقنوا موتاكم: "لا إله إلا الله"**))[1]، أي: ذكروا من حضره الموت شهادة ألا إله إلا الله لتكون آخر كلامه.[2] وكذلك ما ثبت من قوله ﷺ لأصحابه عند فراغه من دفن الميت: ((**استغفروا لأخيكم وسَلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل**))[3].

أما قراءة "يس" في المآتم فيعتريها إشكالان اثنان:

أولاً: إن إقامة هذه المآتم وحضورها تعد بدعة منكرة بحد ذاتها.

---

[1]– قال ابن حجر في التلخيص (٢/١٠٤ برقم٧٣٤): أَعَلَّهُ ابن القطان بالاضطراب، وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان السَّلِّي وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربيِّ عَن الدارقطني أَنَّهُ قال: هذا حديث ضعيف الإِسناد مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث. انتهى.

ينظر: "تهذيب الكمال" للمزي: ٧٤/٣٤، و"البدر المنير" لابن الملقن: ١٩٣/٥، والسلسلة الضعيفة" للألباني: م١٢/٢ ص٧٨٣ برقم٥٨٦١.

[1]– أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى "لا إله إلا الله": ص٣٦٩ برقم٢١٢٣ (٩١٦).

[2]– انظر "شرح النووي على صحيح مسلم": ٤٦٠/٣.

[3]– صحيح، أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان– رضي الله عنه، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت: ص٥٧٩ برقم٣٢٢١، والحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، كتاب الجنائز: ٥٢٦/١ برقم ١٣٧٢ (٣٧١/١). وصححه الألباني؛ انظر الموضع المذكور من سنن أبي داود– طبعة مكتبة المعارف المزودة بأحكامه.

ثانياً: قراءة القرآن وإهداؤها للأموات أمر لم يرد النص في مشروعيته- كما تقدم[1]- فليس وصول ثواب القراءة للأموات أمراً يمكن الجزم به، بل المشروع والذي يطمئن إليه النفس هو ما ورد به النص، ولا شيء أنفع للأموات من الدعاء والاستغفار[2]، لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ إبراهيم: ٤١، ولما ورد عن النبي ﷺ من بيان ما يلحق الإنسان بعد وفاته من المنفعة، حيث قال: ((**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**))[1]، فأقرت منفعة الأحياء للأموات بالدعاء والاستغفار.

---

[1]- تقدم الكلام في هذا الموضوع بشيء من التفصيل في المبحث الأول من الفصل الثاني: ص٢١٣.

[2]- كما ذكر ذلك عن ابن عيينة، راجع ص٢١٤.

[1]- رواه الجماعة غير البخاري وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً، فأخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: ص٧١٦ برقم٤٢٢٣ (١٦٣١)، وأبو داود في كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت: ص٥١٢ برقم٢٨٨٠، والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول الله ، باب في الوقف: ص٣٢٥ برقم١٣٧٦، والنسائي في كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت: ص٥٦٨ برقم٣٦٥١، واللفظ للترمذي.

المبحث السادس

الزيـــــــــــــارات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الزيارات الشرعية و مظاهرها عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الزيارات و حكمها.

المطلب الأول

الزيارات الشرعية و مظاهرها عند التتر

أولاً: المقصود بالزيارات:

الزيارة في اللغة: هي القصد، وفي العرف: قصد المزور إكراماً له واستئناساً به[1]. أما المقصود بالزيارات في بحثنا فهو قصد المقابر والمساجد والبقع والسفر إليها بنية التقرب[2].

ثانياً: الزيارات الشرعية:

النوع الأول من الزيارات الشرعية: زيارة المقابر:

أما زيارة المقابر زيارةً شرعيةً فيقصد بها السلام على الميت والدعاء له بالمغفرة والرحمة[3]، و تذكر الموت و الاخرة. وهي سنة رغب النبي ﷺ أمته فيها من غير شد الرحل إليها.

قال شيخ الإسلام: (فالزيارة الشرعية فيها القيام بحق الخالق سبحانه وتعالى، وبحق المزور، وبحق الإنسان نفسه؛ ففيها توحيد الله وهو حق الله كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ: ((**أتدري ما حق الله على عباده؟**))، قال: الله ورسوله أعلم. قال: ((**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**))[4]، وحق المزور الدعاء له كالصلاة على جنازته، وذلك لزيادة الرحمة، والإحسان، والرضوان، والزائر يحصل به من الأجر والثواب على عبادة الله والإحسان إلى عباده ما يستحقه لقيامه بحق الله وحق خلقه)[5].

---

[1] – "المصباح المنير": ١/ ٢٦٠.

[2] – ويدخل في ذلك الحج والعمرة؛ لأنهما من باب الزيارات التي جعلت في الشريعة للقصد المخصوص. انظر "تاج العروس" :١٣/ ١٣٠، ٥/ ٤٦٧، و"تهذيب اللغة" أبواب العين والراء: ٢/ ٣٨١، والحاء والجيم: ٣/ ٣٨٨.

[3] – "الرد على المنطقيين" لابن تيمية: ص٥٧٩.

[4] – أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار: ص٤٧٢ برقم٢٨٥٦، وفي مواضع أخرى من صحيحه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً: ص٣٦ برقم١٤٣ (٣٠).

[5] – انظر "قاعدة عظيمة" لابن تيمية: ص١١٠.

وقال أيضاً: (فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه، قال الله تعالى في المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨٤، فنهى نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون. فلما نهى عن هذا وهذا؛ لأجل هذه العلة وهي الكفر دل على انتفاء هذا النهي عند انتفاء هذه العلة. ودل تخصيصهم بالنهي على أن غيرهم يصلى عليه ويقام على قبره، إذ لو كان هذا غير مشروع في حق أحد لم يخصوا بالنهي، و لم يُعلَّل ذلك بكفرهم.

ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المؤمنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة، فكان النبي ﷺ يصلي على موتى المسلمين وشرع ذلك لأمته، وكان إذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره، ويقول: ((...**سلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل**))[1]. وقد كان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد، ويعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: ((**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم**))[2].

والأحاديث في ذلك صحيحة معروفة.

فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم، وهي غير الزيارات المشتركة التي تجوز في قبور الكفار، فكما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أنه قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: ((**استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكركم الموت**))[3]. فهذه الزيارة التي تنفع في تذكر الموت تشرع ولو كان المقبور كافراً، بخلاف الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين.[4]

---

[1] – حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في ص٤٣٠.

[2] – رواه مسلم من حديث بريدة– رضي الله عنه– في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها: ص٣٩٢ برقم٢٢٥٧ (٩٧٥).

[3] – رواه مسلم في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه– عز وجل– في زيارة قبر أمه: ص٣٩٢ برقم٢٢٥٩ (٩٧٦).

[4] – "التوسل والوسيلة": ص٤٧، ٤٨. بتصرف بسيط.

النوع الثاني من الزيارات الشرعية: زيارة المساجد والسفر إليها:

ثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**))[1]. حتى إن أبا هريرة سافر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، فقال له بصرة بن أبي بصرة الغفاري[2]: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس**))[3]. فهذه المساجد شرع السفر إليها لعبادة الله فيها بالصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف؛ والمسجد الحرام مختص بالطواف لا يطاف بغيره. وما سواه من المساجد إذا أتاها الإنسان وصلى فيها من غير سفر كان ذلك من أفضل الأعمال، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ((...**إن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يؤذِ يحدِث**))[4].[5]

هذا هو الهدي النبوي في الزيارات باختصار، ولننظر الآن إلى مظاهرها عند التتر.

---

[1] – أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: ص١٩٠ برقم١١٨٩، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة: ص٥٨٤ برقم٣٣٨٤ (١٣٩٧).

[2] – بصرة بن أبي بصرة الغفاري، وأبوه أبو بصرة: حميل (وقيل جميل) بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار، وقد اختلف في اسم بصرة واسم أبيه ولكليهما صحبة، سكن الحجاز وشهد فتح مصر وسكن فيها وتوفي فيها. "تهذيب التهذيب": ٤٧٣/٤ برقم٨٧٦، "الاستيعاب": ص١٨٩ برقم٥٨٦، "أسد الغابة": ٥٥٣/١.

[3] – هذا الحديث مع القصة أخرجه النسائي، كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة": ص٢٣٣-٢٣٤ برقم١٤٣٠، وأحمد في مسنده: ٢٦٧/٣٩ برقم٢٣٨٤٨، وابن حبان في صحيحه: ٧/٧ برقم٢٧٧٢. وصححه الألباني في "الإرواء": ٢٢٦/٣ برقم٧٧٣، وصححه محققو المسند.

[4] – أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق: ص٨٢ برقم٤٧٧ وفي مواضع أخرى من صحيحه، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الصلاة المكتوبة في جماعة وفضل انتظار الصلاة وكثرة الخطا إلى المساجد وفضل المشي إليها: ص٢٦٧ برقم١٥٠٦ (٦٤٩). وهذا اللفظ للبخاري.

[5] – "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: ٣٣٢/٢٧-٣٣٣. بتصرف وتعديل في نص الحديث.

ثالثاً: مظاهرها عند التتر:

– مظاهر الزيارة الشرعية للقبور:

أما مظاهر زيارة القبور الشرعية، فلعل الجدول التالي يساعدنا في معرفة مدى وجودها عند التتر:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест صورة الظاهرة في الـزيــــــــارات	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
53	посещение мест погребения родственников. زيارة قبور الأقارب	33,8	40,8	16,2	9,2
59	посещение кладбищ для поклонения там Аллаху. زيارة القبور للتعبد لله هناك	1,6	7,0	16,2	75,2

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٥٣ ورقم٥٩.

يبين لنا السؤال رقم٥٣ من الاستبانة رقم٢ في فصل "الزيارات" مدى وجود زيـــارة المقابر أصلاً، وكون هذه الزيارات لقبور الأقارب يبين أنها ليست شركية مثـــل الزيـــارات لقبور الأولياء التي سنتحدث عنها في المطلب الثاني من هذا المبحث (وهو مظاهر الانحـــراف في زيارة القبور)، ولا من النوع البدعي كزيارة القبور لأجل التعبد لله ظناً بأنها أقرب للقبول هناك.

من خلال النظر إلى هذا الجدول نجد أن التتر يقومون بزيارة مقابر أقاربهم، حيث قال ٣٣,٨ % من المجيبين على الاستمارة أن ذلك يحصل عند التتر بكثرة، بينمـــا أجـــاب ٤٠,٨ % منهم بالتوسط، وأجاب ١٦,٢ % منهم أن التتر قليلاً ما يقومون بزيارة مقـــابر أقاربهم. بينما يرى ٩,٢ % من المجيبين أن الناس لا يقومون بزيارتها أصلاً.

ومن خلال النظر إلى السؤال رقم ٥٩ الوارد في الجدول المذكور أعلاه نجد أيضـــاً أن نتائج الإجابات تؤكد لنا أن زيارة التتر للقبور – في الغالب– من نوع الزيارات الشـــرعية وليس للتعبد غير المشروع هناك– ولله الحمد؛ إذ أشار ٧٥,٢ % من المجيبين على الاستبانة أن مقصود الزائرين التتر ليس هو التعبد غير المشروع أبداً. وأشار ١٦,٢ % منهم أن ذلك إن وجد فوجوده قليل جداً. والبقية القليلة قالوا بوجود هذه الظاهرة في المجتمـــع التتـــري،

حيث أشار ٧,٠ % منهم إلى كونها متوسطة الانتشـــار، و١,٦ % إلى كونهـــا كـــثيرة الانتشار.

هذه النتائج مبشرة وسارة- ولله الحمد، وهذا في المجمل، وإلا فهناك بعض الانحرافات يتخلل هذه الزيارات لدى بعض مسلمي تتارستان، بعضها من نوع الشركيات وبعضها من نوع البدعيات المبنية على بعض الأدلة غير المعتبرة في الشرع كأحاديث ضـــعيفة أو أقـــوال مرجوحة، وسوف نطّلع على هذه الانحرافات في المطلب الثاني من هذا المبحث – إن شـــاء الله.

- **مظاهر الزيارة الشرعية للمساجد:**

من الزيارات الشرعية عند التتر زياراتهم للمساجد الثلاثة المنصوص عليها في الأحاديث النبوية والسفر إليها، وهي: المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبـــوي في المدينـــة المنورة، والمسجد الأقصى في فلسطين المحتلة- حررها الله من أيدي اليهود الكفرة.

وهذه الزيارات تتحقق أثناء سفر حجاج التتر إلى بلاد الحرمين لأداء مناسك الحـــج والعمرة[1].

ولعل الجدول التالي يساعدنا في معرفة مدى وجود هذه الظاهرة عند التتر:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест **صورة الظاهرة في الزيـــــــــارات**	**مدى وجود هذه الظاهرة**			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يوجد**
50	Совершение поездок на Хадж в Мекку **شد الرحال إلى مكة لأداء الحج**	**36,6**	**27,6**	**13,7**	**22,1**

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٥٠.

إنّ نتائج هذا الجدول تبين مدى انتشار ظاهرة السفر بقصد أداء الحـــج والعمـــرة إلى المقدسات الإسلامية: المسجد الحرم والمسجد النبوي، حيث نرى أن ٢٢,١ % من المجيبين

[1] – **أما السفر إلى المسجد الأقصى، فمتعذر في الوقت الحاضر.**

على هذه الاستبانة أشاروا إلى عدم وجود هذه الظاهرة. وهذه النسبة — في الحقيقة — نسبة كبيرة لا يستهان بها في تحليل الواقع، وفي رأيي أن هذه النسبة صحيحة وموضوعية؛ لأن هناك من التتر من لا يفكّر أصلاً في أداء الحج ولا يضعه هدفاً مستقبلياً إذا قدر عليه مالياً وصحياً! ولكن الوضع في هذا المجال يتحسن سنة بعد سنة، وذلك مع انتشار الدعوة الإسلامية ورفع الوعي الديني بين الناس، لا سيما مع توفير الخدمات اللازمة لتيسير السفر للحجاج التي صارت تقدمها الإدارة الدينية في تتارستان؛ حيث وجد قسم خاص بالإدارة يهتم بمسألة تحجيج الراغبين في أداء مناسك الحج والعمرة وإكمال الإجراءات المطلوبة لذلك. والنتيجة نشاهدها في الأعداد المتزايدة من الحجاج، فمثلا: قبل خمس سنوات كان عدد الحجاج من جمهورية تتارستان لا يجاوز أربعمائة حاج، أما اليوم فقد أصبح عددهم يزيد عن ألفين سنوياً- ولله الحمد- مع أن عدد الراغبين لا يزال في ازدياد؛ فقد بدأ الناس يفكرون ويتجهزون للحج بكامل عوائلهم.

بعد هذا الكلام حول مظاهر الزيارات الشرعية لنرَ ما يعتري المجتمع التتري من الانحرافات في هذا الموضوع، وذلك في المطلب التالي- إن شاء الله.

المطلب الثاني

مظاهر مخالفة التوحيد في الزيارات و حكمها

المسألة الأولى: المخالفات في زيارة المقابر:

ذكر ابن تيمية أن زيارة القبور ولوكانت قبور الأنبياء والصالحين لأجل طلب الحاجات منهم، أو دعائهم والإقسام بهم على الله، أو ظن أن الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت، فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق أئمة المسلمين، و لم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك.[1]

إذا، فإنَّ زياراتِ القبورِ المخالِفَةَ للشرعِ يمكن تقسيمها بالنظر إلى مقاصد زائريها – كما اتضح من كلام ابن تيمية– إلى ثلاث حالات:

١ لأجل الدعاء أو الصلاة أو أي عبادة أخرى عند قبورهم ظناً أن ذلك أفضل وأقرب للقبول منه في المساجد والبيوت، فهذه بدعة منكرة وضلال باتفاق أئمة المسلمين، و لم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك حتى مع قبر النبي ﷺ.

٢ لأجل الإقسام بهم على الله كالمتوسل بجاههم أو حقهم، فهذه بدعة محرمة ووسيلة إلى الشرك.

٣ لأجل طلب الحاجات من أصحابها أو دعائهم أو الاستغاثة بهم، أو لجعلهم واسطة يتوسلون به إلى الله، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

بعدما قسمنا الزيارات المخالفة للشرع إلى ثلاث حالات، لنرَ مدى وجود كل حالة منها في المجتمع التتري على حدة، وذلك فيما يلي:

الحالة الأولى: يتبين مدى انتشار هذه الحالة بين الزائرين للقبور بالنظر إلى النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

---

[1] – **انظر "مجموع الفتاوى": ٤٧١/١٧، وانظر بيان حالات الزائرين للقبور في "بدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجنائز والقبور والتعازي" أحمد السلمي: ص٢٢٠. "الإجماع العقدي": ٣/١.**

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест صورة الظاهرة في الـزيــــــــــارات	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
59	посещение кладбищ для поклонения там Аллаху. زيارة القبور للتعبد لله هناك	1,6	7,0	16,2	75,2

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم٥٩.

نرى من خلال الجدول أن أغلب المجيبين على سؤال "ما مدى انتشار ظاهرة زيارة القبور للتعبد؟" يرون أنها لا توجد في المجتمع التتري، وليس فيهم من يمارس أنواعاً من العبادات ليتقرب بها إلى الله هناك، وهم ٧٥,٢ % من المجيبين، ولكن البقية المتمثلة في نسبة ٢٤,٨ % يرون وجودها ولو كان أغلبهم – وهم ١٦,٢ % - يرون وجودها قليلاً.

فهذه القلة التي أُثبتت في الجدول يقال لهم في بيان انحرافهم:

إن تمييز مكان دون آخر من حيث قبول الأعمال فيه وتخصيصه بالعبادات رجاء قبولها يحتاج إلى دليل من الشارع إذ هو من أمر العبادة التي أصلها المنع حتى يرِد الدليل على مشروعيته.

وأيضاً، فإن ذلك العمل فيه تشبه بعبّاد الأصنام؛ قال ابن القيم بعد ذكره لحديث "اتخاذ القبور مساجد": (إن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشابهة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإذا نهى عن ذلك، أي عن الصلاة بعد هذين الوقتين سدا لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلى، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل منها في المساجد مما هو محادة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم)[١].

فهذه بدعة منكرة وضلال باتفاق أئمة المسلمين و لم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك حتى مع قبر النبي ﷺ.

وهذه الظاهرة إذا حصلت فكثيراً ما تحصل عند زيارة قبور الأولياء المزعومين. ونتائج الاستبانات تشير إلى أن هناك من يقيم زيارات إلى قبور الأولياء. لننظر إلى مدى انتشار هذا الأمر من خلال الجدول التالي:

[١] – **"إغاثة اللهفان": ١/٣٥٤.**

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест صورة الظاهرة في الزيـــــــــــارات	مدى وجود هذه الظاهرة			
		отсутств لا يوجد	слабо قليل	средне متوسط	сильно كثير
58	посещение мест захоронения «святых». زيارة قبور "الأولياء"	57,0	23,4	15,6	4,0

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٥٨.

نرى أن هذه الزيارة موجودة في المجتمع التتري. رغم أن ٥٧,٠ % من المجيبين أشاروا إلى عدم وجودها، فإن البقية منهم وهم يمثلون نسبة ٤٣,٠ % من مجموع المجيبين يرون وجودها، منهم: نسبة ٢٤,٤ % قالوا بقلة وجودها، ونسبة ١٥,٦ % قالوا إن وجودها متوسط الانتشار، ونسبة ٤,٠ % قالوا بكثرة الانتشار.

إذن؛ فوجود هذه الظاهرة قليل، ومع ذلك فإنها موجودة، ولا بد أن ننتبه لهؤلاء المسلمين ونتصدى لما يفعلونه أثناء هذه الزيارات من المنكرات بالنصح والإرشاد.

الحالة الثانية: وهي الزيارة لأجل الإقسام بأصحاب القبور على الله هناك كالمتوسل بجاههم أو حقهم، فهذا الذي لم أر ولم أجد وجوده أثناء زيارة المقابر، وإنما التوسل بجاه النبي أو بجاه أحد المشايخ الصالحين موجود على ألسنة الناس ولكنه لم يختص بزيارة المقابر ولا بغيرها وإنما من اعتادها يقولها في ختام أدعيته كلها. وهذا العمل يدخل في التوسل الممنوع الذي تكلمنا عنه في الفصل الثاني من المبحث.

الحالة الثالثة: أما الحالة الثالثة من هذه الزيارات، وهي ما كان لأجل طلب الحاجات من أصحابها أو دعائهم أو الاستغاثة بهم، أو ما كان لجعلهم واسطة يتوسلون بها إلى الله؛ فهذا أخطر أنواع الزيارات؛ إذ هو شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

لننظر إلى الجدول التالي:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест صورة الظاهرة في الزيـــــــــــارات	مدى انتشار هذه الظاهرة			
		отсутств لا يوجد	слабо قليل	средне متوسط	сильно كثير
58	посещение мест захоронения «святых». زيارة قبور "الأولياء"	57,0	23,4	15,6	4,0

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٥٨.

قد سبق تحليل هذا الجدول ورأينا أن زيارة قبور الأولياء – وإن لم تكن منتشرة بين مسلمي تتارستان– لها وجود هناك، وهذا الذي أشار إليه المجيبون على الاستبيان؛ حيث رأى ٤٣,٠ % منهم وجودها وإن اختلفوا في مدى انتشارها.

فهؤلاء الزوار لقبور الأولياء المزعومين على نوعين: إما أنهم يزورونها ظناً منهم بأن هذه الأماكن أرجى لقبول دعائهم وصلاتهم، وهذا الذي ذكرناه في الحالة الأولى من هذه الزيارات، أو يزورونها لمخاطبة أصحاب القبور أنفسهم، وهذا الأمر الذي تكلمت عنه نتائج الجدول التالي:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест الزيـــــــارات	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
60	посещение кладбищ с целью вознесения мольбы к мёртвым. زيارة المقابر لمخاطبة(لدعاء) أصحاب القبور	6,2	16,1	17,7	60,0

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٦٠.

نرى من خلال الجدول أن ٦٠,٠ % من المجيبين على الاستبانات قالوا بعدم وجود هذه الظاهرة، بينما أشار الباقون إلى وجودها، منهم: ١٧,٧ % يرون أنها موجودة ولو على نطاق قليل من الانتشار، و١٦,١ % منهم يرون أن انتشارها متوسط، وأشار ٦,٢ % منهم إلى كثرة انتشار هذه الظاهرة، وهذه النِسَب مورثة للقلق؛ إذ يكون مجموعها على اختلاف بينها في مدى انتشار هذه الظاهرة أربعين بالمائة.

ولعلَّ الذي لمسناه من نتائج الجدول هو من آثار ما كان عليه بعض أجدادنا، ويؤكد وجود هذه الظاهرة لديهم صاحب "تاريخنما بلغار"[1]، إذ يقول: (ويوجد في مدينة قازان القديمة صاحب الكرامات قد دفن هناك، يقولون إن اسمه تاج الدين خوجا. فمن مر بقبره فلا يغفلن أن يكرس له فاتحة الكتاب ويستعين بروحه ويستمدّ به)[2]. وكذلك في الأيام

---

[1] – **"تاريخنما بلغار" هذا باللغة التترية، و معنى هذه العبارة: كتاب تاريخ بلغار.**

[2] – **"تاريخنما بلغار" لتاج الدين يالشيغول: ص ١٨٩. كذلك تجد ذلك في "التواريخ البلغارية" لحسام الدين المسلمي حيث عد عشرات القبور نَسَبَها للأولياء. كما أن حسين بن فيض خان ذكر بعضا من مواضع قبور الأولياء. انظر "مجموعة رسائل حسين بين فيض خان": ص٣٠٤. وينتبه على أن الاستعانة بالأموات والاستمداد بهم من الشرك الأكبر، نسأل الله العافية.**

الأخيرة قد قامت على أيدي بعض العاملين في الساحة الدينية حركة تدعو إلى إحياء التراث الديني بما في ذلك العادات الصوفية والتقاليد المحلية المضاهية للشعائر الدينية، فيروجون في المجتمع مبدأ الأولياء المخالف لمفهومه الشرعي، وزيارة قبور الأولياء والمنابع والصخور المقدسة- والله المستعان.[1]

ولذا قد انتبه لهذه الظاهرة بعض علماء التتر الفضلاء وحذروا منها:

يقول رضاء الدين بن فخر الدين في معرض رده على هذه الظاهرة المنكرة: (قال رسول الله ﷺ: ((**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم**))[2]، يأمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث أقاربه ألا يعتمدوا عليه، وأن يجتهدوا لأنفسهم بأنفسهم. فإذا كان النبي ﷺ يأمر بنته وأقاربه أن يعملوا بأنفسهم ويمنع أن يعتمدوا على غيرهم، وجب على الآخرين بطريق أولى أن يجتهدوا ويؤدوا ما كلفوا به من العبادات بأنفسهم ولا يكلوا أمر قبولها إلى غيرهم. والذين يتخذون بعضَ الناس أولياء بظن من عندهم من غير شهادة الشارع على ذلك، ثم يستعيذون ويستمدون بهم في أمور دنياهم وأخراهم، وجب عليهم أن يفكروا في هذا الحديث ويفهموا كونهم على البطلان وأن عمَلَهم هذا بهتان وكذب وعيب وجناية على الدين، فإذا فهموا هذا وجب عليهم الرجوع عنه)[3].

وقال في كتاب آخر: (لما توسعت حدود الدولة الإسلامية واستولى المسلمون على بلاد الشام وإيران وأراضي الإمبراطورية البزانطية زادت خيرات المسلمين. فلما ملك المسلمون ثروات هذه البلاد كان بإمكانهم أن ينصبوا على قبور الصحابة- رضي الله عنهم جميعاً- أحجارا وأسواراً من حديد، بل كان بإمكانهم أن ينصبوا فيها قصوراً من ذهب! ولكن ورغم المحبة المتبادلة بين الصحابة لم يفعلوا شيئاً من ذلك حتى الأحجار لم يضعوها! لماذا لم يفعلوا ذلك!؟ الجواب معروف لدى الجميع! هم فعلوا ذلك ليطبقوا تماماً على أرض الواقع ما أتى به النبي ﷺ الذي كان يريد حفظ المسلمين من عود الوثنية، حتى لا يضل

[1] – انظر المقالة "الأدب والتصوف التتري" لـــألفينا صبغة الله ضمن كتاب"التصوف في منطقة نهر فولغا: تاريخ وخاصية" بإشراف ولي الله يعقوب ورشاد أميرخان: ص٧٤.

[2] – رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين): ص١٠٨ برقم٥٠٣ (٢٠٥).

[3] – "شرح جوامع الكلم": ص٥٧٢-٥٧٣.

الناس ويعبدوا المقابر ومن فيها. فلهذا الغرض ذاته كان ﷺ يدعو ربه: ((**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[1])[2].

وقال في كتابه الشهير المطبوع والمنتشر في تتارستان: (السبب في مشروعية زيارة القبور هو تذكر الآخرة... وهناك أحاديث عدة تتكلم في حق زيارة القبور والتي تبين أن هذه الزيارات إن كانت بهذا القصد، فإنها تكون مشروعة ومثاباً عليها. ومن المطلوب كذلك أثناء الزيارة إنشاء الدعاء لأهل القبور؛ لأن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كانوا يدعون للموتى أثناء زيارتهم للمقابر.

أما الزيارة لأجل الاستمداد والاستعاذة بهم وطلب الحاجات منهم، فهذا ليس بمشروع، بل ممنوع في الشريعة الإسلامية.

فإذا كان المقصود من الزيارات هو تذكر الآخرة؛ فلا داعيَ إذاً للسفر إلى أماكن بعيدة لزيارة قبور الأولياء والروحانيين!

إن رسول الله ﷺ كرّس حياته في سبيل نشر التوحيد والحفاظ على الأمة من الشركيات وإغوائها بالخرافات، ولكن ما أن انقرض جيل السلف الصالح وتسربت إلينا من الديانات الأخرى عاداتهم ورهبانيتهم ابتلي المسلمون بقبور من ظنوهم أولياءً وجعلوها ملجأً لهم في الشدائد!)[3].

ثم تساءل هذا العالم التتري راداً على من وقع في مثل هذه المخالفات: (هل كان في الإسلام الذي جاء به رسول هذه الأمة ﷺ هذه الأمور؟! هل ورد عنه ﷺ الاستمداد والاستعاذة بالأموات؟! فإن ورد، فمن الذي يرويه من المحدثين، وفي أي أثر من آثار حفاظ الدين الإسلامي!؟

نعم، يجب أن تراعى القبور وتحفظ لها حرمتها، لكن اتخاذها مكاناً للاستمداد بأصحابها الأموات، والذهاب هناك للركوع، والسجود، ورفع الأيدي، والتضرع ليس

---

[1] – رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة: ٣١٤/١٢ برقم٧٣٥٨، وقال محققوه: إسناده قوي. ورواه مالك في الموطأ، باب جامع الصلاة مرسلا عن عطاء بن يسار: ص١١٩ برقم ٤١٤. واللفظ لمالك.

[2] – "ابن عربي" لرضاء الدين بن فخر الدين: ص ٨–٩.

[3] – "شرح جوامع الكلم": ص٢٤٣.

صحيحاً. يجب على كل مسلم أن يعلم ذلك، والذي يعلم يجب عليه أن يعلّم من لا يعلم)[1].

وأقول: جزى الله هذا العالم عن مسلمي تتارستان خير الجزاء على ما قدم من اهتماماته بهذه المسألة وتحذيراته عن الانحرافات فيها؛ فإني — من خلال مطالعتي لمؤلفاته- وجدته محارباً لمثل هذه الشركيات، وقد كان يقول - رحمه الله: (يجب على كل من يحب دينه ويفهم عقيدته أن يقف في وجه هذه البدعة، ويبين حكمها سواءً قُبِل قوله أو لم يُقْبَل، فلا ييأس وليجتهد، فإن ذلك وظيفته)[2].

المسألة الثانية: المخالفات في شد الرحال:

وأقصد بالمخالفة في شد الرحال هنا سفر بعض مسلمي تتارستان إلى أطلال مدينة بلغار القديمة والمكان المسمى بـ"جبل الخوجوات" في موضع مدينة "بيلار" البلغارية القديمة، و"المنبع المقدس" في منطقة أقسوباي في تتارستان.

أولا: زيارة أطلال مدينة بلغار:

أما أطلال مدينة بلغار القديمة فيوجد بها بعض الآثار التاريخية الإسلامية كمنارة المسجد وبقايا من المباني الدالة على وجود الكيان الإسلامي في قديم الزمان في ذلك المكان. يعتبر هذا المكان من الآثار التاريخية المهمة في تتارستان، فبعدما انهارت الشيوعية أقبل التتر إلى إحياء التراث التتري فاهتموا بالآثار التاريخية وبدينهم الإسلامي الذي هو أصل ثقافتهم، وهذا الشيء متوقع ممن يريد أن يثبت كيانه بعد أن كاد يذهب بعد محاولات عديدة ومستمرة من قِبل السلطة القيصرية ثم الحكومة الشيوعية. فاهتماماً بهذا التاريخ وتذكيراً للناس بما كان عليه أجدادنا الأولون من الثقافة والديانة صارت بعض المنظمات الشعبية والدينية (كمساجد) تنظم الرحلات لزيارة بقايا هذه المدينة التاريخية- مدينة بلغار عاصمة الدولة البلغارية القديمة.

---

[1] – "شرح جوامع الكلم": ص٢٤٣. وانظر كلام هذا العالم التتري الفاضل حول هذه المسألة في مواضع أخر من هذا الكتاب: ص١٧٦، ٢٤٠، ٢٨١، ٣٦٠، ٣٧٧، ٣٩٧، ٤٨١ وفي غيره من مؤلفاته.

[2] – "شرح جوامع الكلم": ص ٣٦٠.

ومدى وجود هذه الظاهرة نراه في الجدول التالي:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест الزيـــــــــــارات	мدى وجود هذه الظاهرة сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
54	совершение поездок на руины древнего города Булгар с целью ознакомления с историей татарского народа. **السفر إلى أطلال مدينة بولغار القديمة بهدف التعرف على تاريخ الأجداد**	19,8	29,8	30,6	19,8

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٥٤.

نرى من خلال هذا الجدول أن نسبة المجيبين الذين أشاروا إلى وجود الرحلات لزيارة أطلال مدينة بلغار تساوي ٨٠,٢ % من المجيبين، وهذا الأمر معروف ومشاهد في المجتمع التتري.

ولكن الذي نريد أن نعرفه هو: هل هناك من يعتقد بأن الذهاب إليها من القربات أو يظن أن الدعاء فيها أرجى للقبول؟ تساعدنا في إثبات حقيقة الأمر- أو تقرّبنا إليها- نتائج الاستبانات الموضَّحة في الجدول التالي:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест الزيـــــــــــارات	مدى وجود هذه الظاهرة сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
55	Совершение поездок на руины древнего города Булгар с целью совершения там ряда поклонений. **السفر إلى أطلال مدينة بلغار القديمة بهدف أداء بعض القربات**	6,9	25,4	19,2	48,5

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٥٥.

هذا الجدول يبين أن هناك من يرى أن أطلال مدينة بلغار أرجى لقبول الدعاء أو أي عبادة أخرى، فلذا تجد بعضهم يحرص على الصلاة فيها والتسبيح والطواف بالمنارة.[١] وهذا أمر حاصل ويتأكد بنتائج هذا الجدول؛ حيث أشار ٥١,٥ % من مجموع المجيبين بحصول الزيارة إلى هذا المكان بهدف أداء بعض القربات فيه.

---

[١] – **رأيت بنفسي كيف يطوف بعض الجهلة بالمنارة هناك! وانظر أيضاً المقالة لأحد المشاركين في زيارة بلغار:** **www.tatar.yuldash.com/146.html**

و يظن بعض الناس أن نفس الزيارة لمثل هذه الأمكنة تعتبر قربة إلى الله، وهذا الـــذي نلاحظه بالنظر إلى نتائج الاستبيان الموضحة في الجدول التالي:

رقم السؤال	поездки и посещение святых мест **الزيـــــــــارات**	مدى وجود هذه الظاهرة			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يوجد
56	убеждение в том что посещение города Булгар или места «Худжалар тавы» является богоугодным делом. **يعتقد بعض الناس أن زيارة أطلال بولغار أو "جبل خوجاوات" من القربات**	10,8	20,8	30,0	38,4

الاستبانة رقم٢/ السؤال رقم ٥٦.

وقد أشار ٦١,٦ % من مجموع المجيبين (على اختلاف بينهم في مدى انتشار الظاهرة) إلى وجودِ مَنْ يعتقد أن زيارة بلغار والمكان المسمى بـــ"جبل خوجاوات" تعتبر من القربات! حتى ظن بعض الناس أن زيارتها- ولو مرة واحدة في الحياة- من المستحبات في الدين[١]، بل ينشر بعض الدجالين خرافةً أخرى بأن زيارة بلغار تعدل زيارة مكة، حيث قال مؤلفو البروشور "تاريخ مدينة بلغار": (لتستشعر خاصية هذا المكان لا بد أن تزوره أنت بنفسك وتتمشى على تربتها العتيقة وتصلي على أحجارها المقدسة. قد صدق كبار السن لما قالوا: "ثلاث زيارات لمدينة بلغار تعدل حجة في مكة المكرمة")[٢].

وقال أحد الشعراء التتر معتقدا ذلك:

(من ذهب إلى بلغار مخلصا – Ихлас белян барганнар

رجع على أجر الحج حاصلا – Хадж савабын алалар)[٣].

بل هناك من يروج فكرة "الحج الأصغر" إلى هذه الأمكنة ويرى له مسوّغاً بحجة عدم الاستطاعة المالية للسفر إلى مكة، أو لعدم القدرة الصحية، أو لأسباب سياسية حينما كان السفر إلى خارج روسيا ممنوعاً أو معقداً جداً أيام الشيوعية[٤]. ولا ريب أن هذا ليس

[١] – انظر الملحقات: الاستبانة رقم٢/ الزيارات/ السؤال رقم ٥٧.

[٢] – البروشور "تاريخ مدينة بلغار" ع. خليل: ص٦.

[٣] – "نسيم مدينة بلغار" س.م. علاج الدين: ص٢٢.

[٤] – انظر قول مستشار رئيس الجمهورية حاكيموف: **www.gzt.ru/politics/2002/08/27/120030**.

مسوغا ولا مبرراً لأداء الحج في غير موضعه الشرعي؛ لأن وجوب الحج يسقط عن المكلف أصلاً عند عدم القدرة؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧، وأيضاً، فإن الحج في غير مكة والطواف بغير الكعبة – ولو كان لله- ليس من شعائر الله، بل هو يجمع بين أمور خطيرة: فعل ما لا يرضى به الله، وتشريع ما لم يأذن به الله، والمحادة لأمره وأمر رسوله.

إذا كان الحج والطواف الذي يقوم به بعض زوار بلغار لتعظيم غير الله فهو شرك[١]، وإذا كان لتعظيم الله تعالى فبدعة منكرة، وقد تكون مكفرة مخرجة من الإسلام إذا نزّل نفسه منزلة المشرع حيث يسوّغ لنفسه تشريع ما لم يأذن به الله[٢]؛ لأن الله قد شرع الحجَ إلى البيت فقط: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ آل عمران: ٩٧، والطوافَ ببيته فقط ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ الحج: ٢٩ ، تعظيماً له سبحانه وتعالى.

أما الذين ينادون بـــ"الحج الأصغر" ولا يقصدون بذلك حجاً حقيقياً بل يريدون بهذه التسمية أهدافا اجتماعية: أي يريدون أن يكون ذلك اليوم الذي يجتمعون فيه سبباً لاجتماع كل مسلمي منطقة فولغا في مكان واحد-كما يجتمع مسلمو العالم في مكان واحد- ليتذكروا تاريخهم وليشعروا بوحدتهم، فإن ذلك لا يبرر تسمية هذه الزيارة حجاً؛ لأن في ذلك تمويهاً وتلبيساً على جهلة الناس ومضاهاة للشريعة. وهذا بالتأكيد حرام وذريعة إلى شرك بعض البسطاء من الناس؛ ولذلك نجد بعض الناس اغتر بهذه المقولات والشعارات الملتبسة، وصاروا يعتقدون بجواز أداء أعمال الحج في هذا المكان؛ فترى الزائرين لبلغار يطوفون هناك بـــ"المنارة الصغرى" المتبقية من المسجد الرئيسي القديم، ويصلون، ويتضرعون
في الدعاء، ويذبحون القرابين![٣] إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[١]- والذي ينادي بالحج إلى الأماكن التاريخية المحلية لرفع مكانة المنطقة ورفع مكانة أهلها- وهذا المقصد حتماً ليس لتعظيم الله- فهو حري بأن يسمى أبرهة زماننا تشبيهاً بأبرهة الحبشي الذي نزلت في حقه وأصحابه سورة "الفيل".

[٢]- وقد كَفّر المسلمون الحلاج لما أفتى لمن لم يتمكن من الحج إلى مكة بجواز بناء كعبة بداره ليطوف بها. انظر "البداية والنهاية" (دار هجر- تحقيق د.عبد الله التركي): ٨٣٥/١٤.

[٣] – انظر المقالة لأحد المشاركين في زيارة بلغار: www.tatar.yuldash.com/146.html

وقد انتبه لهذه الفتنة بعض علماء التتر وحذر عنها، فممن تكلم فيها رضاء الدين بن فخر الدين، إذ يقول: (إن رسول الله ﷺ أتى بدين صافٍ عقديا، مناسب لحياة البشر علمياً وفنياً، عملياً وأخلاقياً، لكن ما أن مضى شيء يسير من الزمن بعد عصر الصحابة والتابعين، التصق شيء كثير من الخرافات والأوهام الموجودة عند الأديان والشعوب الأخرى بالدين الإسلامي. وأحدث في الأمة ما يخالف حقيقة الألوهية ويناقض في ذلك النصوص القرآنية من العادات المختلفة والقواعد المصطنعة مما تسبب في ظهور عدد لا يحصى من المذاهب والمسالك المنحرفة، وإلا فلم يكن فيما أتى به رسول الله ﷺ شيء من نصب البنايات والمساجد على القبور، وإشعال القناديل فيها، وذبح القرابين عليها، والنذر لأصحابها، والتبرك بالسفر إلى غير المساجد الثلاثة عموماً، وإلى قبور الأولياء والمنابع المقدسة وجبال الخوجوات خصوصاً، والاستمداد بالأموات وطلب الغوث منهم أوقاتَ الشدة؛ لم يكن شيء من ذلك فيما أتى به رسول الله ﷺ من الدين الإسلامي![1]

وقال أيضا أحد الأئمة التتر الغيورين على العقيدة السليمة: (يحدث أحياناً عندنا في تتارستان وفي غيرها من بقع الأرض بعض الزيارات للأماكن التي سماها الناس- من عندهم- بالأماكن المقدسة، فمنها – مثلاً- ما يقوم بعض الناس من زيارة أطلال مدينة بلغار القديمة حتى وجد من سمى هذه الزيارات حجاً أصغرَ! ومن ذلك تسمية بعض القبور بقبور الأولياء، وبعض المنابع بالمنابع المقدسة[2]، ثم زيارتها رجاء العون والشفاء مما هو بدعة في الدين وشرك مخرج من الإسلام.

والواقع أن لمدينة بلغار مكانة عظيمة في تاريخ التتر وفي تاريخ المسلمين عموماً؛ فلذلك من الضروري أن نعرف هذا المكان ونعرف أهميته، خاصة إذا كان الذين يتعرفون عليه يتعظون بتاريخه ويتذكرون كون أجدادهم مسلمين وكونهم مصلين ويتشجعون للالتزام

---

[1] – "شرح جوامع الكلم": ص٢٨١.

[2] – حتى قام بعض الناس بإعداد وطباعة كتاب- طباعةً فاخرةً- يجمع في طياته ذكرَ جميع المنابع في تتارستان، ويبين موقع المنابع المقدسة منها مع بيان الطقوس المبتدعة التي ألزموا بها أنفسهم عند زيارتها. انظر كتاب "نغمة المنابع الفضية" لإلسيار خير الله.

بالدين؛ فهذه مسألة أخرى، أما كون واحد يشد الرحال إلى أطلال هذه المدينة ويذبح القرابين أو يعمل أي عبادات أخرى على وجه مخصوص، فهذا مما لا يدخل في دائرة الشريعة)[1].

نعم، هذا موقف أئمة التتر في تتارستان- ولله الحمد. وحتى الذين ينظمون رحلات منهم إلى هذه المدينة لا ينظمونها إلا لقصد تعريف الناس بتاريخ أجدادنا المسلمين، ومع ذلك فإني أقول لهؤلاء الأئمة: إن ذهابكم وتنظيمكم للرحلات إلى بلغار لا ينبغي لأسباب:

- لأنكم تنظمون الرحلات من خلال المسجد وهذا يعطي للرحلة طابعاً دينيا.
- ثم إن الذين يذهبون في هذه الرحلة هم أهل المسجد في الغالب وهم من الملتزمين بالدين وواجباته، فأين الذين تريدون أن يتعرفوا على إسلام أجدادهم ويقتربوا إلى الالتزام بدينهم!؟ وبالعكس ذهاب أهل المسجد يعطي كذلك للرحلة طابعاً دينياً.
- ذهاب الأئمة والمؤذنين في هذه الرحلة بجلابيبهم وعمائمهم يعطي طابعا دينياً لهذه الرحلة أيضاً.
- لما اتصفت الرحلة بطابع ديني صارت قريبة من رحلة عبادة، وشد الرحال بقصد التعبد لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة.
- ثم من الملاحظ أن هذه الرحلات تنظم كل عام في نفس الوقت من بداية الصيف، وهذا الأمر يعطي هذه الزيارات حكم الأعياد، والأعياد في الإسلام ثلاثة لا رابع لها- كما تقدم!
- لما اتصفت هذه الرحلات بطابع ديني وأصبحت تؤدى على صورة الأعياد صارت فتنة على بعض الناس وسببا في انحرافهم عن العقيدة السليمة والعمل الصحيح، وأدت إلى حدوث ظاهرة الحج والطواف والنذور والقرابين والتضرع في الدعاء أثناء الزيارة إلى بلغار!

و**الحاصل** أنه لا يجوز تنظيم هذه الرحلات من قبل المؤسسات الدينية، ولا يجوز للأئمة لبس جلابيبهم وعمائمهم في مثل هذه الرحلات، ولا يجوز الإتيان بالمواشي إلى هذا المكان- وإن لم يكن للتقرب، كمن يأتي بمجموعة لمدة يوم كامل فيصطحبون معهم شاة أو أكثر ليطبخوها هناك- حتى لا يفتتن الآخرون ولا يفهموا أن هذا قربان وأن تقديمه جائز في هذا المكان بل ربما يكون أرجى للقبول! ولا يجوز أن يأتوا في كل عام وفي نفس الوقت حتى لا يقعوا في معصية ابتداع عيد جديد. هذا، والله أعلم.

---

[1] - **"التوحيد" لمالك إبراهيم: ص١٠-١١.**

ثانيا: زيارة المكان المسمى بـــ"جبل الخوجاوات":

أما المكان المسمى بـــ"جبل الخوجاوات"، فليس بأقل شأناً من أطلال بلغار في اعتبار بعض الجهلة من الناس؛ وهو يوجد به منبع قديم يزعمون قداسته، وقيل إنه معبد مجوسي[1] من العصور القديمة يُرجعونه إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي. وهو مقدس لدى مختلف الجنسيات، فكما يزوره التتر يزوره الروس، والتشوفاش، والماري[2].

قال مدير المتحف الحكومي للآثار التاريخية والأرخيولوجية[3]: (ويحج إلى هذا المكان كل من المجوس والنصارى والمسلمين. ويعتقد زواره بقوة المنبع الشفائية فيقومون عنده بأنواع من الطقوس التعبدية من الصدقة والنذور وذبح القرابين والتضرع في الدعاء)[4].

بل استفحل الأمر إلى ما هو أقبح؛ لقد اعتنت بهذا المكان إحدى الشركات النفطية المحلية وجعلت من هذا المكان مجمعاً متكاملاً؛ حيث عُبِّدت الطرق، وزُيِّن المكان بأنواع البنايات والمصليات والمسالخ، حتى نُصِبَ فوق "التل المقدس" - وهو مكان التعبد- حجر كبير مصبوغاً باللون الأسود[5]، وقد تم تعيين يوم الأربعاء كيوم مخصص لزيارة المسلمين، وقيل إن هذا اليوم أرجى لقبول الدعاء، أما النصارى فخصص لهم يوم السبت. ولمجوسِ قومِ تشوفاش يوم آخر غير يومي المسلمين والنصارى. وتظهر الآثار المجوسية هناك في كل مكان

---

[1] – اتخذه مجوس البلغار القدماء مكان عبادتهم وتقديم قرابينهم. انظر "دراسات في تاريخ ثقافة الشعب التتري الدينية" / عامرجان دولتشين: ٧٠.

[2] – التشوفاش والماري هما قوميتان مجاورتان للتتر.

[3] – الأرخيولوجيا، أي: علم الحفريات للآثار التاريخية.

[4] – موقع الإنترنت للمتحف: http://g2p.tatar.ru/rus/culture/museums.htm، وانظر "نغمة المنابع الفضية" إلسيار خير الله: ص٢٧ (٢٢–٣٧)، وانظر مقالة لـــ ش. عطاؤللين "الأماكن المقدسة في تتارستان" ضمن"التقويم التتري المسلم" عن عام ١٩٩٧م يوم٢٩ أوغسطس/ ٢٦ ربيع الآخر.

[5] – ولا أشك أن الذين نصبوه تعمدوا كونه أسودَ مضاهاةً بحجر الكعبة، ومن الجدير بالذكر أن مؤلفي كتاب "نغمة المنابع الفضية" بعد أن تكلموا في حق منبع جبل الخوجوات ذكروا بعده مباشرة منبعَ زمزم بمكة المكرمة والحجر الأسود بالكعبة المشرفة، فكأنهم – والعياذ بالله– ساووا بين هذين المكانين ولا مساواة بين مكان التوحيد ومكان الضلال. ويذكر بعض المؤرخين أن هذا التل دفن فيه عدد من المسلمين الذين قتلوا في سبيل الدفاع عن بلدهم أثناء الهجوم المغولي، وهذا يزيد الأمر إشكالاً؛ حيث لا يجوز قصد المقابر للعبادة، ولا السفر إليها لأجل ذلك، ولا اتخاذُها عيداً!

حيث ترى أثناء صعودك إلى التل خرقا كثيرة مربوطة على أغصان الأشجار. فسبحان الله، أي مسلم يأتي إلى هذا المكان ليعبد الله باقتراف أنواع من الضلالات والبدعيات والمنهيات!

فزيارة هذا المكان "المقدس" تجمع في نفسها عدة مفاسد:

- فيها تشبه بالمجوس المشركين. وقد نهى ﷺ عن التشبه بالكفار: ((**من تشبه بقوم فهو منهم**))[1].

- فيها مخالفة صريحة لأمر الشارع في عدم التعبد في مكان يعبد فيه غير الله؛ لأنه محل غضب الله، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾التوبة: ١٠٨، وكذلك ورد في هذا المعنى حديث عن ثابت بن الضحاك- رضي الله عنه- قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: ((**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**)) قالوا: لا. قال: ((**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**)) قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: ((**أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما يملك ابن آدم**))[2]. فالتعبد في هذا المكان بدعة منكرة ووسيلة إلى الشرك.

- فيها محادة الله ورسوله ﷺ بوضع حجر أسود والطواف به، وزعم قداسة المكان وقداسة منبع الماء فيه؛ لأنه تشريع من عند أنفسهم وتغيير لما شرع الله ورسوله ﷺ.

والحاصل أن هذا المكان لا يجوز للمسلم أن يأتي إليه، ولكن من أتى إليه ليأخذ الماء من المنبع فجائز من غير اعتقاد قداسته وبركة فيه، فإذا أتى فلا يمكث هناك، ولا يذبح ولو جائعاً، ولا يظهر الدعاء ولو لله، حتى لا يفتن الجهلةَ وضعافَ النفوس فيظنوا جواز ذلك تقرباً لله في هذا المكان أو تقرباً للأرواح التي تحضر هذا المكان – على حد زعم بعض الدجالين الكذابين اللاعبين على عقول الناس.

---

[1] – سبق تخريجه في ص٣٧٢.

[2] – حديث صحيح، وقد سبق تخريجه ص٢٦٤. والشاهد من الحديث قوله ﷺ ((أوف بنذرك)) بعد ما تأكد عدم وجود وثن يعبد في ذلك المكان، وهذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله معصية.

ثالثا: زيارة "المنبع المقدس" في منطقة آقسوباي:

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال الدجالين الكذابين اللاعبين على عقول كبار السن وجهلة الناس أن شرعوا لزيارة منبع آخر في منطقة آقسوباي قواعد شبيهة بقواعد الحج! ووضعوا له مناسك حتى صنف هؤلاء الدجالون كتابا[1] - ذكروا فيه جل المواضع التي فيها منابع "مقدسة" على أرض تتارستان- بينوا فيه قواعد لحجهم المزعوم — والعياذ بالله- مضاهاة منهم بمكانهم لحرم الله وبمنبعهم لمنبع زمزم، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام.[2] والله المستعان.

فمن وضع هذه التعليمات والقواعد لزيارة المنابع فلا شك في كفره وكفر من كتب ونشر كتابه عارفاً بمضمونه، وكفر كل من أخذ بهذه التعليمات؛ فهم كفار[3] دجالون كذابون أعداء الله ورسوله والمسلمين. لا يسعني أن أقول فيهم إلا كما قال أحد علماء التتر في المفسدين في الأرض: هذا حرام وكفر محض؛ لعنة الله على من ابتدع هذه البدعة، وليأكل التراب من يقول بحلالها![4].

وفي ختام هذا المبحث أحب أن أذكر كلاماً مهماً لمفتي التتر من القرن الماضي رضاء الدين. وكلامه هذا أخاطب به أنا جميع مسلمي تتارستان وأتمنى أن يكون هذا الخطاب قاعدة في وجوه الذين يحيون هذه الأماكن بدعاوى جاهلية، حيث يقول- رحمه الله:

(يوجد لدى التتر قبور الأولياء في منطقة أسترخان وفي منظقة قازان كجبل الخوجوات وفي أماكن أخرى منابع يدعى فيها قداسة، فيحج إليها جهلة من الناس. يقصدها الناس بالزيارة ويقترفون باسم الدين أنواعاً من البدع والسخافات. وحتى في أيامنا اكتشف البعض قرب مدينة أوفا عدة منابع وبنيت عليها بنايات فصار الناس يحجون إليها. وهذا رغم أننا أنفقنا كثيراً من المبالغ في تعليم أبناء هؤلاء الناس البسطاء حفاظاً عليهم من وقوعهم في

---

[1] – هذا الكتاب هو: نغمة المنابع الفضية" لإلسيار خير الله. وهذا الكتاب فخم، غالي الثمن، وقد طبع منه ٥٠٠٠ نسخة. انظر قواعد زيارة منبع آقسوباي المقدس في ص٤٦-٥٧.

[2] – انظر "إغاثة اللهفان": ٣٦٨/١.

[3]– أنبه هنا إلى أن تكفير الأعيان لا يتم إلا إذا تحققت شروط التكفير وانتفت موانعه.

[4] – "رسالاء عزيزاه" تاج الدين يالشيغول: ٢٦٣/٢.

مثل هذه الضلالات؛ أ ما وُزعتْ البياناتُ الموضحةُ لحكم هذه الأمور؟! أ ما صُرفتْ المبالغُ الكثيرة لإحياء السنة في البلد؟!

إني أقول: نعم، نحن نؤيد العناية بآثار تاريخية، وأقوالنا وأعمالنا أكبر شاهد على ذلك، لكننا لا نرضى بتحويل هذه الآثار إلى مقدسات!!! ولا نرضى بأن تعطى هذه الأمور كلها طابعاً دينياً. يجب ألا تتمتع هذه الأماكن إلا بمكانتها التاريخية![1]

إننا نحترم الآثار التاريخية والآثار التي لها تعلق بالقيم الشعبية والثقافية، ونقر بأهميتها، لكن لا يجوز اعتبارها شيئاً مقدَّساً!

هذا هو رأي علماء الدين وغيرهم من علماء الفنون الدنيوية)[2].

آمل أن ينجح طلاب العلم الشرعي- بإذن الله تعالى- في دعوهم المباركة لتبقى هذه الأماكن خالية من الزوار إلا سائحاً يرتاح في ظل أشجارها ويرتوي بماء منابعها. آمين.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين ويوفقهم لاتباع السنة وترك البدعة إنه سميع مجيب.

---

[1]- أن العناية بالآثار التاريخية في كثير من الأحيان كانت هي السبب الرئيس في حصول البلاء في جانب الاعتقاد. فلذا يجب أن ننتبه إلى أن العناية بالآثار التاريخية يشترط فيها ألا تؤدي إلى مفاسد عقدية، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح. فإذا كان إحياء الآثار من باب إظهار الكيان الإسلامي ومعالم الدين الإسلامي في المنطقة فهذه مصلحة، ولكن ينظر في مآلات الأمور؛ هل العناية هذه تؤدي إلى المفاسد العقدية أم لا؟ فسد ذريعة الشرك أصل شرعي وهو أولى بالعناية من العناية بالآثار. فلذا كان النظر إلى مآلات الأمور مهماً وليست المسألة مجرد إحياء مظاهر الكيان الإسلامي. يستفاد في موضوع حكم الإسلام في إحياء الآثار التاريخية من "مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة": ٣/٣٣٤-٣٤٠.

[2] - "ابن عربي" لرضاء الدين: ص٩.

المبحث السابع

الـــــــــولاء و البـــــــــراء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : حقيقة الولاء و البراء في الشريعة و مظاهره عند التتر.

المطلب الثاني: مظاهر مخالفة التوحيد في الولاء و البراء.

المطلب الأول

حقيقة الولاء و البراء في الشريعة و مظاهره عند التتر

المسألة الأولى: الولاء والبراء لغة وشرعاً:

تعريف الولاء:

الوَلاء لغة: مصدر (ولي)، ويطلق على عدة معان، منها: المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء والدنو منه، والولي: المحب، والصديق، والنصير، وهو ضد العدو، والموالاة والوَلاية: ضد المعاداة.[1]

والوَلاء شرعاً، هو: محبةُ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام، ومحبةُ أتباعِه المسلمين لأجل إيمانهم، نصرتُهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين.[2]

تعريف البراء:

البراء لغة: مصدر من برِئ، إذا تخلّص، وبرئ إذا تنزَّهَ وتباعَدَ.[3]

قال ابن فارس إن التباعُدَ من الشيء ومزايلته هو أحدُ أَصْلَيْ معنى كلمة (ب ر أ). أحدهما يرجع إلى معنى الخَلْق، ومنه اسمه تعالى "البارئ". ومن الأصل الثاني - وهو الذي يرجع إلى التباعُد من الشيء ومزايلته- البُرْءُ وهو السلامة من المرض، ومن ذلك - أيضاً- البراءةُ من العيب والمكروه.[4]

---

[1] - "مقايس اللغة": ١٤١/٦، "المفردات في غريب ألفاظ القرآن": ٥٣٤، "المصباح المنير": ص٥٥٢، "الكليات": ٩٤٠-٩٤١. ويستفاد من كلام العلامة عبد الله الجبرين ومن المراجع التي ذكرها في كتابه "تسهيل العقيدة الإسلامية": ص٥٦٥.

[2] - انظر: "تسهيل العقيدة الإسلامية": ص٥٦٥، ويستفاد من "كتاب التعريفات" للجرجاني الحنفي: ص٣٥٠-٣٥٧، و"الولاء والبراء" للقحطاني: ص٤٦، ويستفاد من "مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها: دراسة عقدية في ضوء منهج السلف الصالح" لـ د. سليمان الغصن: ص٩، ١٧، ٢٠.

[3] - "لسان العرب": ١٨٠/١.

[4] - انظر "مقاييس اللغة": ٢٣٦/١،

والبراء شرعاً: هو بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى من الأصنام الماديّة والمعنويّة كالأهواء والآراء، وبُغْضُ الكفر بجميع ملله وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه.[1]

فمفهوم الولاء والبراء في الإسلام شامل لمعتقدٍ قلبيٍ وأثره العملي الذي يظهر على الجوارح، فالولاء اللغوي هو الحب القلبي والقرب العملي وكذلك الولاء الشرعي؛ والبراء اللغوي هو التخلص والتنزه العقدي القلبي والتباعد والتنزه الحسي العملي، وكذلك البراء الشرعي المتمثل في البغض القلبي وهو التنزه والتخلص من حب أعداء الدين، والمتمثل في العداوة العملية وهي التباعد عنهم وقطع الصلة معهم وعدم مناصرتهم إلخ.[2]

فالحب والبغض القلبيان أصل، والنصرة والمعاداة العمليان ثمرة دالة على الأصل القلبي.

وذلك التلازم واجب في جميع المعتقدات التي لا يصح تصوُّر استقرارها في القلب دون أن تظهر على جوارح مُعتقِدِها. وعلى قَدْر قوّة استقرارها في القلب وثبوتها تزداد دلائل ذلك في أفعال العبد الظاهرة، وعلى قَدْرِ ضعف استقرارها تنقص دلائلها في أفعال العبد الظاهرة.

ولوجود الفرق بين الأصل والثمرة فالمخالفة في الولاء والبراء تكون على مراتب؛ قد تصل إلى الكفر المناقض للشهادتين، وقد تكون دون ذلك بحسب أنواع المخالفة وأحوالها.[3] فإذا زال هذا المعتقد من القلب- وهو الأصل- بالكلية، زال معه الولاء والبراءُ كُلّه، بل يزول الإيمان كله، فلم يَبْقَ للإيمان أثرٌ على الجوارح، إلا في المنافق، الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر. لأن "الولاء والبراء" ليس أمراً تكليفيًّا منفصلاً عن الأمر بأصل الإيمان؛ لأن الأمر

---

[1] - "الولاء والبراء" لحاتم الشريف: ص٣، وانظر "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة": ص٢٦٥، "تسهيل العقيدة الإسلامية": ص٥٧٣، ويستفاد من "مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها: دراسة عقدية في ضوء منهج السلف الصالح": ص٧٣- ٨٤.

[2]- يراجع في هذا كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية": ٣/٢٩٠، وانظر "مفهوم عقيدة الولاء والبراء": ص٩.

[3]- فالولاء والبراء في أصلهما القلبي الذي هو: المحبة الإيمانية لأهل الإيمان والبغض في الله لأهل الكفر واجب على كل مسلم في كل الأحوال؛ لأن هذا من مقتضى التوحيد وشروط الإيمان، فهذا العمل القلبي الباطني واجب على كل حال. أما مستلزمات أصل عقيدة الولاء والبراء – وهي مظاهرها الواجبة كنصرة المسلمين وكجهاد الكافرين- فهي واجبة بحسب الاستطاعة، فينتبه! فمن ترك الواجب مع قدرته على القيام به كان أثماً عاصياً، ومن تركه لمانع يعذره الشارع به كالعجز به والإكراه، أو مراعاة لمصلحة ظاهرة أعظم كان معذوراً. انظر "مفهوم الولاء والبراء": ص٢٤-٢٥، ٤٢-٤٧ حيث ذكر أقوال المفسرين في ذلك كابن كثير والطبري وابن عطية، والشنقيطي وغيرهم من العلماء.

بالدخول في الإسلام يقتضي حدوثَ معتقد الولاء والبراء في قلب المسلم من ساعة دخوله في الإسلام. [1] لأن من شروط "لا إله إلا الله" محبة هذه الكلمة ومحبة أهلها وموالاتهم، وبغض الكفر ومعاداة أهله.[2]

وهنا من أهمية بمكان أن أنبه القارئ على أن بيان أحكام هذه المسألة وتنزيلها على صورها وتطبيقاتها الواقعية من القضايا الكبار التي لا يحسنها إلا أهل العلم الراسخون في الشريعة، ولا يجوز أن يخوض فيها قليلو العلم، فضلاً عن الجهال وأهل الأهواء، فقد يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول بيهما وبين فهم السنة والقرآن... .[3]

المسألة الثانية: أدلة وجوب الولاء والبراء:

إن عقيدة الولاء والبراء لها مكانة عظيمة في الإسلام وهي من أوثق عرى الإيمان، وهي من حقوق توحيد الله تعالى ومقتضيات الإيمان به ومحبته، يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله، وأن يحب في الله وأن يبغض في الله؛ فيحب المسلمين ويناصرهم، ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. ونصوص القرآن والسنة مستفيضة بالدلالة على وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين، سأذكر بعضاً منها[4]:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المائدة: ٥٥ – ٥٧، ويؤكد الله وجوب معاداة الكفار والتحذيرَ من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من الظلم والضلالة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ

[1] – انظر "الولاء والبراء بين السماحة والغلو": ص٤، "أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة": ص٢٦٥.

[2] – "مفهوم عقيدة الولاء والبراء": ص٢٠.

[3] – انظر "الدرر السنية": ١/٤٦٨–٤٦٩، "مجموع الرسائل والمسائل النجدية: ٣/ ٥–٦.

[4] – وقد ذكر جملة من الأدلة شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ص١٩٠–١٩٢.

ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١.

هكذا يحرم الله لنا أن نتخذ أعداء الله أولياءً لنا، بل حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليهم نسباً:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ التوبة: ٢٣.

وقال أيضاً: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢.

مما يلاحظ في هذه الآية أنها لم تأتِ بنَهْي للمؤمنين عن محبّة الكافرين ومودّتهم لكفرهم، وإنما جاءت الآية بخبرٍ عن واقع، وهو أنه لا وُجودَ أصلاً لمؤمنٍ يُحِبُّ ويوادّ الكافرين لكفرهم.

قال ابن تيمية: (فإن المؤمنين أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله، وأعداء المؤمنين. وقد أوجب الله الموالاة بين المؤمنين، وبين أن ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاة الكفار، وبين أن ذلك منتف في حق المؤمنين، وبين حال المنافقين في موالاة الكافرين)[1].

وهذا التلازمُ بين أصل الإيمان وبين عقيدة الولاء والبراء ممّا تقتضيه الفطرةُ البشريّةُ، كما سبق تأكيده، وليس خاصًّا بالمسلمين. وهذا الواقعُ المشاهد، والتاريخُ القريب والماضي البعيد؛ كل ذلك يحكي الصِّراعَ الدائم بين الأديان والمذاهب المختلفة.[2]

ومما يدل على التلازم بين الإيمان والولاء والبراء أحاديث نبوية كثيرة، منها ما روى ابن عباس- رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: ((**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله**

[1] - "مجموع الفتاوى": ١٩٠/٢٨.

[2] - "الولاء والبراء بين السماحة والغلو":ص ١٦.

والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله))[1].

المسألة الثالثة: مظاهر الولاء والبراء عند التتر:

بعد ما عرفنا المعنى اللغوي والشرعي للولاء والبراء، وبعضَ أدلة وجوبهما، لنرَ مظاهرهما عند التتر:

المظهر الأول: محبة جميع المؤمنين:

محبة التتر لجميع المؤمنين في جميع الأماكن والأزمان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى، وهذه المحبة واجبة على كل مسلم، فقد ورد عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))**[2]. وهذه المحبة للمسلمين ظهرت جليةً عندما انهارت الشيوعية وفتحت الحدود للأجانب وجاء الدعاة من الأتراك والعرب إلى تتارستان لإقامة حلقات القرآن ودورات شرعية تربوية، فرحب بهم الشعب التتري وأبدوا محبتهم لهم بكل إخلاص. يقول أحد المشايخ ممن زار هذه البلاد: (كانوا يتقبلوننا — أثناء التجول في القرى وفي غيرها- بمحبة وفرح شديدين)[3]. وهذه المحبة والشعور بالأخوة تجاه مسلمي العرب والأتراك كانت موجودة دائمة. فمن الشواهد على ذلك ما يلي:

- ما قاله أحد المستشرقين واصفاً التتر: (تتطلع أنظار التتر المسلمين لا إلى موسكو

---

[1] - أخرجه الطبراني ("الكبير": ٢١٥/١١ برقم١١٥٣٧)، بهذا اللفظ عن عكرمة عن ابن عباس به، لكن هذا الإسناد واهٍ، ولكن له شواهد تدل على أن له أصلاً من حديث عبد الله بن مسعود والبراء بن عازب. قال الألباني: والحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل. والله أعلم. انظر "سلسلة الأحاديث الصحيحة": ٣٠٦/٤ برقم١٧٢٨.

[2] - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها: ص٤٤ برقم ١٩٤ (٥٤).

[3] - "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٣١.

وبيترسبورغ[1]، وإنما تتطلع أنظارهم إلى مكة، والقاهرة، واستنبول، ويحكون عنها قصصا مثلما نحن — النصارى- نحكي عن مقدساتنا قصصاً)[2].

- وكذلك أيام حرب روسيا مع الخلافة العثمانية عندما مر جنود الروس بأسرى الأتراك بمنطقة قازان استقبل التتر هؤلاء الأتراك بكل محبة وأخوة كما ينبغي أن يعامل الأخ أخاه الأكبر.[3] وكانوا آنذاك يتابعون أحوال الدولة العثمانية ويتألمون لما يصيبهم من المصائب والأذى ويفرحون بانتصاراتهم ويدعون لهم الله بجميع ما فيه خير لهم. وهذا من المظاهر الصحيحة التي ينبغي لكل مسلم أن يتحلى بها. قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩، وقال النبي ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**))[4].

المظهر الثاني: عدم التشبه بالروس النصارى وعدم تقبلهم لتعلم عاداتهم ولغاتهم:

يقول في هذا الصدد أحد كبار المستشرقين الروس زنامينسكي: (بدأت الحكومة الروسية في نهاية القرن التاسع عشر تُولّي اهتماماً بالغاً بمسألة نشر التعليم بين التتر، فبالتالي أخضعت مدارسهم للمراقبة الحكومية وتحاول إدخال تعلم اللغة الروسية كمادة إجبارية في برامجهم التعليمية. حتى بنت بهذا القصد عدة مدارس حكومية ابتدائية خاصة بالتتر لتعليمهم الروسية. ولكن عامة التتر بأجمعهم إلى الآن يرفضون هذه الفكرة، لا سيما أئمتهم وإن كان بعضهم يتظاهر بالتعاون مع الحكومة)[5].

هكذا كانت حالة التتر المسلمين مع اللغة الروسية، فكان الأئمة يرون عدم جواز تعلم اللغة الروسية وعدم جواز التعاون مع الحكومة في إجبار الشعب التتري على تعلمها لكونها لغة

---

[1]- مدينة بترسبورغ من أهم المدن في روسيا، وتعتبر هي العاصمة الثانية بعد موسكو. بناها القيصر بوطرس الأول. وموقعها على نهر نيفا في شمال غرب روسيا.

[2] – "تتر قازان": ص٥٧. وانظر "إلى أمة الإسلام" ضمن "التراث" لموسى جار الله بيغييف: ص٦٨.

[3] – وذلك عام ١٨٧٧م، انظر "تتر قازان": ص٥٧.

[4] – متفق عليه. أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه: ص٥ برقم١٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير: ص٤١ برقم١٧٠ (٤٥).

[5] – "تتر قازان": ص٣٣.

الكفار ومفتاح الشر وسببا لافتتان الناس بعقائد النصارى وشبههم. كان المسلمون لا يرون جواز تعلمها لأن المنصرين – بعد محاولات فاشلة في تنصير التتر- رأوا أن أنجح الطرق لتنصير التتر هو تعليمهم اللغة الروسية، ثم نشر الثقافة الروسية بينهم. أما بدون لغة التخاطب فلا سبيل للمنصرين في الوصول إلى عقول الناس ونشر ديانتهم. فلذلك بذل الروس جهودهم في نشر اللغة الروسية بين الشعوب الواقعة تحت سيطرتهم إلا أن التتر استعصوا عليهم و لم يتقبلوا تعلم اللغة الروسية مدة طويلة مما كان من الأسباب الرئيسة في بقاء الإسلام - بفضل الله- في بلاد التتر إلى أيامنا هذه.

أما ما حصل من بعض الأئمة من التعاون مع الحكومة في طلب الناس تعلم اللغة الروسية وإرسال الأطفال إلى المدارس المخصصة لذلك، فإنه كان مجردَ إخبارٍ لا حثاً عليها، ولا عن اعتقاد واقتناع بفكرتها وإنما كانوا مكرهين على فعل ذلك.

ربما يقال لماذا هذا التشدد والتعنت؟ فتعلم اللغة ومعرفتها ليس حراماً في الإسلام، بل من تعلم لغة قوم أمن شرهم!

فنقول إجابة على ذلك: إنه كلام صحيح، والقول "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم" مشهور معروف، وهو وإن لم يكن حديثاً – على ما أثبت أهل العلم- فإن معناه صحيح، وبذلك أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية قائلين: (وأما حديث: ((**من تعلم لغة قوم أمن مكرهم**))، فلم نجده فيما اطلعنا عليه من كتب أهل الحديث، ولعله قول بعض السلف، ومعناه صحيح، فإن من تعلم لغة قوم فجالسهم علم ما يتحدثون فيه، فأمن مكرهم به. وأما ما يقتضيه من الترغيب في تعلم اللغات الأجنبية، فإنه مشروع عند الحاجة؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لسان اليهود[1]؛ ليكون واسطة مأمونة موثوقة

[1]- وقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود: (حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه) في كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد؟: ص١٢٣٩ برقم٧١٩٥. وقد أخرجه أيضاً أبو داود والترمذي وغيرهما عنه بلفظ آخر، وفيه ذكر السبب وهو عدم الأمن من مكرهم، ونصه: قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: ((إني والله ما آمن يهود على كتابي))، فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته (أي عرفته)، فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه. رواه أبو داود، أول كتاب العلم: ص٦٥٦ برقم٣٦٤٥، والترمذي مثله في سننه، كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تعليم السريانية: ص٦١١ برقم٢٧١٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بينه وبين اليهود في نقل كلامه إليهم وكلامهم إليه)[1].

فيتضح من كلام اللجنة الدائمة أن تعلم اللغات أمر مشروع عند الحاجة، لكن علماء التتر كانوا يرون أن اللغة الروسية - وإن كانت هناك حاجة في معرفتها- فإن ضررها وخطرها كان أرجح من الفائدة، إذ كانت باباً وحيدا للمنصرين؛ فلذلك كان التتر يعيشون منعزلين عن الروس وأكثرهم لا يعرفون الروسية خاصة النساء، حتى كانوا يتخوفون من هذه اللغة خشية أن يتنصروا.[2]

وقال في شأن تعلم الروسية ودخول الأولاد التتر في المدارس الحكومية الروسية أحد المؤرخين التتر المشهورين ملا مراد رمزي: (إن التتر كانوا يعادونها لكونها محل كفر وفسوق وفجور وضلال وإضلال وإفساد أخلاق)[3].

أما اللغات غير اللغة الروسية فما كانوا يرون بأساً في تعلمها البتة. فلذا نجد الكثيرين منهم كانوا يحافظون على تعلم اللغة العربية وعلى لغات الشعوب الإسلامية الأخرى كالتركية والفارسية. فهذه اللغات بالذات كانت وسيلة لتحصيل العلوم الشرعية وكانت الكتب الإسلامية تدرس بهذه اللغات. وكذلك كثير من علماء التتر كان يكتب مؤلفاته باللغة العربية وهي إلى الآن موجودة في المكتبات بعضها مطبوع وبعضها على شكل مخطوط تنتظر الباحثين المعتنين بالتراث التتري الديني.

المظهر الثالث: الاعتزاز بالدين الإسلامي:

قال المستشرق زنامينسكي عن التتر: (يمثل التتر أقوى الجنسيات في المنطقة الشرقية، والتي لا ينصاع أهلها تحت تأثير ثقافة الغالب مهما حاول. يتعامل التتر مع الروس بكل حذر وحيطة خوفاً أن يحاول الروس تنصيرهم وترويسهم.

وإنه لمثير للعجب؛ كيف لهؤلاء التتر أن يعيشوا أكثر من ثلاث مائة سنة مع الروس وتحت سيطرة الروس ومع ذلك لا يتروسون- على عكس الشعوب الأخرى- فحسب، بل

---

[1] - فتاوى اللجنة الدائمة: ٤/٤٣٦.

[2] - انظر "تتر قازان": ص٣٤.

[3] - "وقائع قازان وبلغار وملوك التتار": ٢/١٩١.

يؤثرون من جهتهم تأثيراً عظيماً في الشعوب المجاورة غير الروسية، فينشرون إسلامهم بينهم، فيسلمون ويصبحون مثل التتر!)[1].

يقول مستشرق آخر في هذا المعنى: (إن الدعوة لدى التتر ليست من شأن ملاواتهم فقط، بل يقوم به كل متبع للإسلام... إن التتري ينزعج حتى لمجرد سماعه كلمة "النصرانية"، إنه يود أن يجعل الكل محمدياً. حتى التتريات لا يتأخرن في هذا الأمر عن الرجال وينتهزن كل فرصة للمساهمة في نشر تعاليم الإسلام وتوطيدها بين النساء النصرانيات والمجوسيات. فبالتالي يصير كل التتر رجالاً ونساءً برئاسة أئمتهم يبذلون جهودهم في نشر الإسلام)[2].

ثم يقول هذا المستشرق إن التتر لا يتعايشون مع الروس؛ لأن الروس أنفسهم كانوا يكرهون التتر أشد كره إلى درجة أنهم يفضلون الكلاب عليهم، ويشتمونهم ويسبونهم، وهذا التعامل وهذه النظرة من الروس كانت تجاه التتر فقط! وأسباب ذلك كثيرة نجدها في تاريخ الشعبين المترابط، وهي كذلك كثيرة اليوم. ولعل السبب الرئيس يتمثل في صمود الشعب التتري أمام محاولات الروس في تنصير التتر وترويسهم. إن التتري يعتزّ بكل إخلاص بأصله، وثقافته، وأخلاقه، ودينه الذي يدافع عنه أشد الدفاع، ويكره الروس كرها لا يقل عن كره الروس لهم)[3].

ويقول مستشرق آخر: (تأصلت عداوة التتر تجاه كل ما ليس إسلامياً من خلال القرون، فمن الصعب استئصالها منهم)[4].

المظهر الرابع: عدم موالاة الكفار بإعانتهم على المسلمين:

هذه الموالاة والبراءة كانت تظهر واضحة أيامَ حرب روسيا مع الدول الإسلامية. ففي حرب روسيا مع الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر ثم في بداية القرن العشرين نجد التتر يتضامنون قلباً وقالباً مع إخوانهم المسلمين ويرفضون إعانة الكفار في

---

[1] – انظر "تتر قازان": ص٣٤.

[2] – "حالة التتر المحمديين المعاصرين ونظرتهم تجاه أهل الأديان الأخرى" تقرير بروفيسور ماشانوف في مؤتمر المنصرين عام ١٩١٠م: ص٣، ١٥.

[3] – "تتر قازان": ص٣٤–٣٥.

[4] – " عن الملاوات المحمديين" لــ ي.د. قوبلوف: ص٢٣.

حربهم ضد المسلمين. يقول أحد المستشرقين واصفا تلك الحالة: (كان التتر بمساعدة أغنياء منهم يتهرّبون من الخدمة العسكرية- وكانت إجبارية- بأعداد ضخمة. وعامة التتر كانوا يقولون آنذاك إن وجدانهم لا يسمح لهم بمحاربة الأتراك الذين يتدينون معهم بنفس الديانة)[١]، وهذا الكلام (عن الوجدان) يدل على أن محبة التتر للمسلمين والولاء لهم موجودة في صميم قلوبهم.

وعموما فإن التتر المجندين في الجيش الروسي كانوا مكرهين على الخدمة العسكرية ولم يدخلوا في صفوف جنود الروس بقناعة ورضىً؛ إذ كانوا يعتقدون حرمة ذلك. فبعضهم كان يتهرب، وبعضهم كان يقتل إذا لم يرضَ بإرساله للحرب ضد تركيا، وبعضهم كان ينتقل إلى صفوف المسلمين أثناء المعارك، كما قال أحد الستشرقين: (هناك حالات انتقال الجنود التتر إلى صفوف جيش المسلمين)[٢].

ويقول زنامينسكي مواصلا كلامه: (كان تتر منطقة قازان آنذاك يؤمنون بأن سلطان المسلمين سوف يأتي ويخلصهم من تسلط الروس عليهم. وكان بعض الروس ومنهم القساوسة يسمعون من التتر ثناءً صريحاً نحو بعض انتصارات العثامنة ضد الروس[٣]، وكانوا يسمعون تحذيرات منهم بأن السلطان سيأتي قريباً، وأنه سيقتل الروس)[٤].

وعلى كل حال فإن هذه الأسطر أظهرت لنا ما كان لدى التتر من ولاء للمسلمين وبراءة من الكافرين. كانت هذه حال المسلمين عموما في روسيا أيام حربها مع الدولة العثمانية، قال وزير الخارجية التركية آن ذاك: (إننا لا نشك في مسلمي روسيا، ولا ننسى أنهم كانوا مكرهين في الحرب ضد الدولة العثمانية)[٥]. ولذلك كثرت حالات هرب التتر من الخدمة العسكرية أو حالات الانتقال إلى صفوف الجيش الإسلامي أثناء المعركة.[٦]

---

[١] – "تتر قازان": ص٥٧.

[٢] – "تتر قازان": ص٥٨.

[٣] – كانتصارات الأتراك في حرب ١٩١٤م، انظر "إلى أمة الإسلام" ضمن "التراث" لموسى جار الله بيغييف: ص٥١.

[٤] – "تتر قازان": ص٥٨.

[٥] – انظر لقاء أنوار باشا وزير الخارجية التركية في بداية القرن العشرين مع مفتي التتر عالمجان بارودي في كتابه "الخواطر": ص٩٨.

[٦] – انظر "العادات الإسلامية والصحة" ألماز صابر: ص٦٠-٦١.

وهذه المشكلة قامت مجددةً في أيامنا هذه كذلك؛ لما أقامت روسيا حربها ضد الشعب المسلم في جمهورية الشيشان. وهذه المشكلة تصدر لها بعض الحركات الاجتماعية التترية وخرجت إلى الشوارع في مسيرات طلباً لعدم إرسال شبان التتر المجندين إلى منطقة الشيشان، فرأت حكومة جمهورية تتارستان الذاتية تلك المطالبة من الإنصاف والعدل فبذلت جهودها لإصدار قانون بعدم إرسال المجندين التتر إلى مثل هذه المناطق، وفي ذلك – لا شك– مراعاة لمشاعرهم الدينية الموافقة لعقيدة الولاء والبراء في الشريعة الإسلامية[1].

هذه بعض المظاهر الصحيحة للولاء والبراء في الإسلام، والآن ننتقل إلى المظاهر المخالفة لعقيدة الولاء والبراء، وذلك في المطلب التالي من هذا المبحث.

[1] – انظر الموقع : http://www.kcn.ru/tat_ru/politics/pan/index.php?tbut=18&sod=4

المطلب الثاني

مظاهر مخالفة التوحيد في الولاء و البراء

تكلمنا فيما مضى عن الولاء والبراء الموافق للشريعة الإسلامية وذكرنا بعض مظاهر ذلك عند التتر، والآن نأتي إلى المظاهر المخالفة للتوحيد، ونلخصها فيما يلي:

المظهر الأول: الرضى بكفر الكافرين:

الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة. ويتضح هذا الأمر في كونه ولاءً للكفار أنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية.[1]

وهذا يظهر عند كثير من المسلمين الذين لم يزالوا بعيدين عن تعاليم الدين الإسلامي، فإن فترة الشيوعية أثرت فيهم أيما تأثير، فهذه ثمراتها إذ لا يدركون أعظم الفوارق بين الأديان: اليهودية والنصرانية والإسلام! فربما تجد إنساناً مسلماً يظنّ بأن النصرانية ديانة سماوية خاصة بالروس، وأن الإسلام خاص بالتتر والكل يؤمن بأن الرب واحد، إذن كلهم – كما يظنه- مؤمنون وأن هذا هو المطلوب من الإنسان!

يقول أحد المشايخ الفضلاء – وفقه الله لما يحبه ويرضاه- ممن زار بلاد التتر ورأى أحوالهم: (عاشت هذه البلاد سبعين عاما عملت فيه الشيوعية مسخاً وإفساداً، وإلغاءً لهويته الإسلامية. وأصبح من أبرز ما يشاهده الإنسان من آثار الحكم الشيوعي: الجهل بالإسلام جهلاً مطبقاً، حتى إن بعض المسلمين هناك يجهلون أن هذا النصراني كافر أم لا؟ ولقد سئلنا أكثر من مرة: هل النصراني يدخل الجنة؟ انظروا كيف يبلغ الجهل بالإسلام هذا المبلغ)[2].

أقول: إن عدم معرفة المسلم حكم الإسلام في الأديان الأخرى مشكلة كبيرة، إذ من الأساسيات الواضحة في الشريعة الإسلامية أن الدين عند الله الإسلام، ولا يقبل الله غيره مهما حسن عمل العامل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

[1] – "الولاء والبراء في الإسلام" لمحمد القحطاني: ص٢٣١.

[2] – "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس" عبد الرحمن المحمود: ص٢٩.

آل عمران: ١٩، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ .

ويؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: ((**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**))[١] .

وقال الإمام النووي معلقاً على قوله ﷺ: ((...**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة**...))، قال: (أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى)[٢] .

فعدم معرفة هذا الحكم مشكلة كبيرة، ولكن هناك مشكلة أكبر وهي أن يصدر من بعض الأئمة ما يدل على عدم إيمانهم بكفر النصارى وعلى الرضى بما هم عليه من الكفر، كما حصل من بعضهم من الدعوة إلى توحيد الصفوف مع النصارى واليهود بحيث يتم جمع المعتقدات الثلاثة وإيجاد حل وسط مُرضٍ للجميع وممارسة الطقوس الدينية في معبد واحد[٣] أو مشاركة النصارى في افتتاح كنائسهم، أو افتتاح المنابع التي يتعبّد عندها الوثنيون وغير ذلك.[٤]

وهؤلاء الذين يفعلون ذلك- على ما استقرأته- على أحوال أربعة:

١- مريضٌ مختل عقلا لا يعلم ما يعمل.

٢- جاهلٌ لا يعرف حكم عمله في الإسلام.

٣- مُكرَهٌ على إظهار محبتهم أو موافقتهم في دينهم.

٤- منافقٌ يظهر إسلامه وبقرارة نفسه يوالي الكفار.

---

[١]- رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، برقم ٢٤٠.

[٢]- "شرح النووي على صحيح مسلم"، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدﷺ : ٤٤٣/١.

[٣]- يلاحظ هنا أن توحيد الصفوف مع أهل الكتاب في مقابل تعنت الشيوعية والملاحدة لا حرج فيه مع المحافظة عل ثوابت الدين، خصوصا مع ضعف المسلمين. أما توحيدهم بحيث يخرج دين جديد مكون من هذه الثلاثة فهذا من الكفر والضلال. أما مشاركة المسلم للكفار في أمورهم الدينية الخاصة بهم فيتراوح حكمه – حسب الحال- بين الكفر والإثم.

[٤] – وقد انتقد هذه الأمور – مشكورا- رسيم حبيب الله في "لا إكراه في دخول الجنة": ص١٧٣- ١٧٥.

أما المختل عقلا فقد رفع عنه القلم، فيجب عزله عن الإمامة حتى يعالج ويشفى لئلاّ يغتر ولا يفتتن به أناس آخرون.[1]

وأما الجاهل، فإن كان الإمام بهذا الجهل فلا يمكن أن يبقى في هذا المنصب، وعلى الإدارة الدينية عزله. أما إذا كان ذلك متعذراً، فالسبيل السليم في هذه الحال هو التعليم، ونشر السنة، والصبر على ذلك مع نصح المسؤولين والتعامل معهم بالحكمة، وأما عامة الناس – وخاصة بعد أن عايشوا الكفر لمدة سبعين عاماً– فيبين لهم الحق ويُدعَون إليه.

أما المكره، أو الخائف، فحاله قد يكون عذراً شرعياً في موالاة الكفار في الظاهر دون الباطن في بعض الأزمان والأماكن، فتكون الموالاة جائزة بقدر الحاجة وبحسب الحالة، ففي الإكراه تجوز الموالاة في الظاهر إلى حد التظاهر بالموافقة في الدين ما دام القلب مطمئناً بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ النحل: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ آل عمران: ٢٨، فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً وإيضاح لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة... و يفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً رغبةً فيهم أنه كافر مثلهم.[2]

ومسألة الإكراه مسألة كبيرة ودقيقة تختلف باختلاف المكرَه، والمكرِه، والمكرَه عليه، ونوع الإكراه، فهي — كما يقوله صاحب "المحرر الوجيز" – من النوع الذي يدخله فقه

---

[1] – حصل ذلك مع أحد كبار الأئمة والدعاة — والله المستعان — وحصلت بسبب ذلك فتن كثيرة.

[2]– تفسير الآية ٢٨ من سورة آل عمران من "أضواء البيان" للشنقيطي: ٢/١٠٠–١١١. ويتلخص من هذا الكلام ما يلي: ١– أن تولي الكفار عمداً واختياراً رغبةً فيهم كفر. ٢– أن موالاة الكفار بسبب الخوف والتقية قد رخص فيها الشرع وأجازها بشرطين: الأول: ألا يتجاوز فيها قدر الحاجة، بل تكون المداراة لهم بالقدر الذي يكف شرهم، والثاني: أن تقتصر الموالاة في الظاهر فقط مع سلامة الباطن من تلك الموالاة، فهو في الباطن كاره لدينهم وحالهم، وإنما يواليهم في الظاهر درءاً لشرهم.

الحال[1]، فتقرير الأحوال وإعطاء أحكامها هي للراسخين في العلم أهل الفقه والدراية والنظر الذين يدركون شروط الإكراه المعتبرة شرعاً، ويحسنون تنزيلها على أحوالها.[2]

ولكن يفرق بين حال الإكراه وحال الخوف، فإن كانت حالُ الخوف تجيز مداراهم في الظاهر بالتحية والهدية والزيارة ونحو ذلك، فإن ذلك لا يجيز إظهار الموافقة على دينهم؛ لأن ذلك كفر لم تجزه النصوص الشرعية إلا حال الإكراه، ففرق بين الخوف والإكراه.[3]

أما إن لم يكن الخوف إلا لغرض من أغراض الدنيا كخوف فقدان المنصب أو خوف فواته شيء من معطيات هؤلاء الكفار فليس بعذر شرعي. فإن هذه الأغراض ليست مما حثّت الشريعة على الحفاظ عليها، فليس ما يخافون عليه من ضرورات الحياة، وإنما ذلك من كماليات حياهم الشخصية التي لا يجوز أن تكون على حساب أصول الدين. ثم، إن موالاة الكفار بالموافقة على دينه ظاهراً لا تجوز إلا مع الإكراه، كما تتفق على ذلك العلماء، فيفعله إبقاءً لمهجته مع كون القلب مطمئناً بالإيمان.[4]

قال ابن تيمية: (وكتمان الدين شيء، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره، بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر، والله تعالى قد فرق بينالمكره والمنافق)[5].

وأما المنافق، فالمنافقون كانوا موجودين في كل الأزمان حتى في زمن النبي ﷺ، أما في أيامنا فوجد بعض الناس ممن نظر إلى الأمور نظرة مادية، فرأى للدين قبولاً في أوساط الناس، فأراد أن يكسب سمعة في الناس واحترامهم، أو رأى الديانة موضع كسب عيشه، فتعلَّمَ بعضَ الأدعيةِ والسورِ، فصار يحضر المجالس والمناسبات ليقرأ قصار السور ويجمع الصدقات، فتحصل من أمثاله مثل هذه الطامات كموالاة الكفار بشتى صورها- والعياذ بالله.

---

[1]- "المحرر الوجيز" لابن عطية: ٥٥/٣.

[2]- انظر "مفهوم عقيدة الولاء والبراء": ص٥٥.

[3]- انظر "الدرر السنية": ١٤١/٨-١٤٢، ٣٦٢.

[4] - انظر تفسير ابن كثير / دار الفكر: ٧١٥/٢، والمهجة، أي: الدم أو الحياة. انظر "لسان العرب": ١٠٣/٦.

[5]- "منهاج السنة": ٤٢٤/٦.

المظهر الثاني: مداهنة الكفار أو الفساق ومجاملتهم على حساب الدين:

هذه المداهنة تحصل عند بعض مسلمي تتارستان، ومن المؤسف أنها تحصل أحيانا من بعض الأئمة والدعاة لغرض دنيوي أو للهوى يتبعه. ومن صور ذلك: المزاح مع الكفار مزاحاً لا يليق بالمسلمين، خاصة إن كانوا من أصحاب المناصب العالية أو الأموال الطائلة، وعدم الإنكار عليهم إذا صدر منهم تصرف غير لائق أخلاقياً أو دينياً، ومن ذلك حب مجالستهم وكتابة الخطابات الرسمية (إذا كان من المسؤولين في الحكومة) بالأدعية التي لا يدعى بها إلا لمسلم وغير ذلك. وكلامنا هنا يتوجه نحو الذين يعملون هذا لا إكراهاً أو خوفاً، ولا مصلحةً دينيةً، وإنما إرادة محض مصالح دنياهم.

فهذه المداهنة قد بين حقيقتها السلف، منهم:

ابن عباس- رضي الله عنه- حيث قال: (المداهنة هي المهاودة فيما لا يحل، والمداراة هي المهاودة فيما يحل)[1].

والقاضي عياض- رحمه الله- حيث قال: (المداهنة المذمومة المحرمة هي بذل الدين لصلاح الدنيا)[2].

وابن حجر- رحمه الله- حيث قال: (المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه)[3].

وقيل: (هي ترك ما يجب لله من الغيرة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتغافل عن ذلك، لغرض دنيوي وهو نفساني؛ لزعم هؤلاء أن المعيشة لا تحصل لهم إلا بذلك، فالمعاشرة والاستئناس مع وجود المنكر والقدرة على الإنكار هي المداهنة)[4].

---

[1] – **ذكره الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان": ٣٧٢/٥، وابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز": ٢٥٢/٥، وغيرهم.**

[2] – **"إكمال المعلم": ٦٢/٨، و"المفهم": ٥٥/٦.**

[3] – **"فتح الباري" لابن حجر: ٦٤٩/١٠.**

[4] – **"الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية": ٢٢١/١، وأصله في "الدرر السنية": ٢١٥/١٤، و ٨/ ٧١.**

فهذه المداهنة التي تم وصفها من أنواع الموالاة المحرمة. قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القلم: ٨ – ٩، وقال أيضاً مبيناً بأن المداهنة من أخلاق اليهود الذين أمرنا بمخالفتهم، ولا سيما فيما استحقوا اللعن بسببه: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المائدة: ٧٨ – ٧٩، فالمداهن بالإضافة إلى تركه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكتسب إثما جديداً وهو إشاعة الفحشاء، والمنكر، والبدعة في المجتمع؛ لأن الفجرة والطغاة، والجهلة والمبتدعة إذا أمنوا من مغبة الإنكار عليهم ازدادوا في خطئهم وضلالهم؛ لأنهم يرون أن الكل يعلم فعلهم ومع ذلك يسكت ولا ينكر عليهم، فيتحمس صنف منهم لمواصلة أفعالهم ظناً بأنهم على الصواب أو يتشجع صنف آخر لممارسة فاحشتهم علما بأن الناس لا يجرؤون على معارضتهم.[1]

المظهر الثالث: تهنئة الكفار بأعيادهم:

وهذا ما يحصل في بلادنا بسبب اختلاط التتر المسلمين بالروس النصارى ومجاورتهم، فيتبادلون التهاني في الأعياد الكفرية كما في كعيد الكريسمس النصراني- مثلاً- وغير ذلك من الأعياد التي لا يجوز للمسلم إقامتها ولا المشاركة فيها ولا تهنئة غيره بها.

وهذا العمل حرام منافٍ للولاء للمسلمين ولأعيادهم والبراءة من الكافرين وأعيادهم. وقد جاء في كتاب طبعته الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان: (ومن الآفات الدعاء بطول العمر والدعاء بإنفاذ الطلبات للكافر أو الظالم؛ فهذا منهي عنه لأنه من الرضا بالمحرم)[2].

---

[1] – انظر "الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية": ١/٢٢٢، و"التقية والمداهنة والمداراة في القرآن الكريم": ص٢٣٧.

[2] – "الطريقة المحمدية": ص١٢٥.

وهذا الحكم منقول- أيضاً- عن ابن القيم- رحمه الله- حيث قال في كتابه "أحكام أهل الذمة": (وأمّا التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تَهْنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قَدْرَ للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبحَ ما فعل، فمن هنّأ عبداً بمعصية، أو بدعة، أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه)[1].

وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حراماً وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم؛ لأن فيها إقراراً لما هم عليه من شعائر الكفر، ورضى به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنّئ بها غيره، لأن الله تعالى لا يرضى بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾ الزمر: ٧ .[2]

[1]- "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: فصل في التهنئة: ١/٤٤١.

[2]- "الخلاصة في فقه الأقليات" علي الشحود: ٧ /٢٢.

الفصل الرابع

أسباب الانحراف في توحيد الألوهية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل بالعقيدة الصحيحة.

المبحث الثاني: تسلط الحكم الشيوعي.

المبحث الثالث: التأثر بالأديان والفرق والمذاهب المنحرفة.

المبحث الرابع: قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي.

المبحث الخامس: التعصب.

مدخل

مما لا يخفى على أحد أنه يوجد لكل أمر حادث أسبابه، وكذلك الانحرافات في توحيد الألوهية لها أسباها. والأسباب على ضربين: سبب قدري أزلي، وسبب كسبي.

أما السبب القدري فنجده في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ يونس: ٩٩، فالله سبحانه وتعالى قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة على إيمان أو على كفر، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ هود: ١١٨، ولكنه سبحانه أراد كوناً – لحكمة تقتضيها هذه الإرادة– أن لا يزال الخُلف بين الناس في أدياهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، فلذلك قال سبحانه في نفس الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ هود: ١١٨ – ١١٩.

فكما أن السبب القدري هو سبب في اختلاف الناس في أدياهم ومللهم، فكذلك هو سبب في اختلاف أهل الدين داخل دينهم في مذاهبهم وآرائهم. إذاً انحراف أهل البدع والأهواء عن الصراط المستقيم وعن العقيدة الصحيحة واختلاف الأمة وتفرقها هو سنة الله في خلقه.[1]

أما المرحومون في هذا الانحراف والاختلاف والتفرق، فهم معتصمون بحبل الله وهم أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا بهم من الدين.[2]

أما السبب الكسبي، فله صور عديدة.

ويرجع الانحراف في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان إلى عدة أسباب رئيسة، أهمها ما يأتي:

١– الجهل بالعقيدة الصحيحة.

---

[1] – انظر "تفسير الطبري" بتحقيق شاكر: ٥٣٤/١٥، "زاد المسير": ١٧٢/٤، "الاعتصام": ١٧١/٢، "حقيقة البدعة وأحكامها": ١٧٣/١.

[2] – انظر تفسير ابن كثير: ٥٨٦/٣.

٢- تسلط الحكم الشيوعي.

٣- التأثر بالأديان والفرق والمذاهب المنحرفة.

٤- قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي.

٥- التعصب.

و تفصيل هذه الأسباب في المباحث الآتية:

المبحث الأول

الجهل بالعقيدة الصحيحة

إن من أعظم أسباب الانحراف في توحيد الألوهية الجهل بالعقيدة الصحيحة، فكل إناء بما فيه ينضح؛ فإذا كان الشخص أو المجتمع عموماً يجهل أمور دينه وبالأخص عقيدته فماذا يتوقع منه أن يعمل؟ هل سيعمل بالسنة، الجواب: لا! لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ولا ريب أنّ الإسلام يحث على التعلم ويعيب على الجهل، فإن أول قول الله تعالى المنزل على رسوله الكريم محمد المصطفى – صلوات الله عليه وسلامه: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[1] صار شعار المسلمين في طلب العلم ونبذ الجهل.

فكلما ابتعد المسلم عن هذا المبدأ وهذا الشعار ابتعد عن الإسلام وتعاليمه، وحينئذ تبدأ البدع والانحرافات في التفشي؛ إذ مع موت السنة تحيا البدعة. فإذا جهل الإنسان أمور دينه أوقعه ذلك في أنواع من الانحرافات من البدع والشركيات.

يقول ابن القيم – رحمه الله– مبيناً أسباب وقوع كثير من الناس في شرك القبور، قال: (أوقعهم في ذلك أمورٌ: منها الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسولَه بل جميعَ الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فقلّ نصيبهم جداً من ذلك، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، و لم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وعصموا بقدر ما معهم من العلم)[2].

وقد ظهر من نتائج الاستبانات بعنوان "**أسباب انحراف بعض مسلمي تتارستان عن الاعتقاد الصحيح في توحيد الألوهية**" التي تم توزيعها على بعض أهل تتارستان مدى تأثير الجهل في الدين :

---

[1] – **سورة العلق: ١.**

[2] – **"إغاثة اللهفان": ٢١٤/١–٢١٥.**

№	Причины الأسبـــــــــــــاب	мدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
2	слабые знания религии. ضعف العلم بالدين	55,9	26,0	10,2	7,9

الاستبانة رقم٣ / الأسباب / السؤال رقم٢.

نرى من خلال هذا الجدول أن ٩٢,١ % من مجموع المجيبين أشاروا إلى أن الجهل بأمور الدين يؤثر في تفشي الانحرافات في توحيد الألوهية؛ منهم من قال بأن تأثيره كثير وهم ٥٥,٩ % من المجيبين، ومنهم من يرى أن تأثيره متوسط وهم يمثلون ٢٦,٠ % من المجيبين، ومنهم من يرى أن تأثيره موجود ولكنه قليل وهم ١٠,٢ % من المجيبين. بينما أشار ٧,٩ % من المجيبين أن تأثير الجهل بالدين لا يؤثر في ظهور الانحرافات العقدية في توحيد الألوهية. ومن الطريف أن وجود هذه النسبة أي ٧,٩ % من المجيبين يُظهِر لنا حقيقة الأمر وهي أن بعض أهل تتارستان لا يدركون أهمية العلم بالدين ومدى تأثيره في ترسخ العقيدة الصحيحة لدى أفراد المجتمع واجتنابهم عما يضادها من الانحرافات.

وإلا فتأثير الجهل في وقوع الأخطاء والانحرافات عن سواء السبيل أمر بدهي. يقول أحد الأئمة في تتارستان: (إنه يوجد في بلدنا عبادات كثيرة تُمارَس من غير أن يكون لها أصل في الشريعة، وإن الجهل هو أول أكبر الأسباب لظهورها)[١].

وقد سبق أن ذكرت كلام أحد المشايخ الذين زاروا بلاد التتر وقد وصف فيه ما أوصل بهم الجهل من سوء الاعتقاد، حيث قال: (وأصبح من أبرز ما يشاهده الإنسان من آثار الحكم الشيوعي: الجهل بالإسلام جهلاً مطبقاً، حتى إن بعض المسلمين هناك يجهلون أن هذا النصراني كافر أم لا؟ ولقد سئلنا أكثر من مرة: هل النصراني لا يدخل الجنة؟ انظروا كيف يبلغ الجهل بالإسلام هذا المبلغ!)[٢].

فمثل هذا الجهل ينبني عليه – بطبيعة الحال- أمور كثيرة مخالفة لتعاليم الإسلام، فصاحب هذا الجهل سوف يخطئ في مسائل عقدية كثيرة حتى في المسائل الأصولية.

---

[١] – "الغيبة، الزنا، عبادات لا أصل لها، الكفار" إدريس علاء الدين: ص٧٢.

[٢] – "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٢٩.

وكذلك من الممكن أن أستشهد على أثر الجهل في عقيدة الناس بمقالة أحد الدعاة في التقويم التتري الديني: (قد تُحدث وكُتب كثيرا في السنوات الأخيرة عن ملة التتر وعن دينهم الإسلامي، لكن القرى تركت جانباً ولم يُعمل فيها ليكون الدين فيها موافقا للقرآن ولتكون حياة أهل القرى اليومية موافقة لروح القرآن... إن مساجد القرى تخلو عن موعظة الناس، ولا تقام فيها محاضرات دينية، ولا يجاوب فيها على أسئلة الناس المهمة حول أمورهم الدينية. حتى الدعاء صار لا يوافق تعاليم الإسلام، حيث يتوسل الداعي فيه بحرمة ملائكة العذاب الذين يكبر حجمهم على ما بين المشرق والمغرب، وبحرمة أرواح غيبوران، ومشايخ الغابات والجبال والسواحل وبأرواح الفتيات السبعة وغير ذلك! وهذا العمل طريق إلى المجوسية والشرك بالله)[1].

وأيضاً بإمكاننا أن نلاحظ ضمن هذا الأصل الكبير أموراً أخرى لها تأثيرها في ظهور الانحرافات في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان، ومنها:

- ضعف إيمان العبد بربه، وهذا يعني عدم معرفة العبد ربه. وهذا يؤثر على أعماله القلبية كالإخلاص لله؛ فالذي لا يعرف ربه كيف يخلص له أعماله! وكالرجاء؛ فالذي لا يعرف ربه وما يجازي به عباده المطيعين من النعيم كيف يرجوه! وكالخوف؛ فالذي لا يعرف ربه وما يجازي به عباده المعرِضين من العذاب كيف يخافه! وكالتوكل؛ فالذي لا يعرف ربه وأن الأمر كله إليه كيف يتوكل عليه! إن هذه العبادات القلبية التي هي أصل توحيد الألوهية لا يمكن أن تصدر ممن لم يعرف الله وما له على العبد من معرفة ربوبيته وتوحيده فيها. فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية بأنواعها: القلبية والقولية والعملية.

وإني على يقين تام بتأثير هذا العامل على ظهور المخالفات في توحيد الألوهية، ولكني مع ذلك عملت الاستبيان لأرى مدى تأثيره من خلال نظرة المجيبين على الاستبانات، فهذه نتائجها:

[1] - "التقويم التتري الديني لعام ١٩٩٩م" عن ٢ أوغسطس/ ٢٠ ربيع الآخر.

№	Причина الأســـــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
1	слабая вера в Создателя. ضعف إيمان العبد بربه	32,0	38,4	14,4	15,2

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم١.

نرى من خلال نتائج الاستبيان المبينة في هذا الجدول أن المجيبين على السؤال الأول من الاستبانة رقم٣ يرون أن الخلل في توحيد الربوبية يؤثر على توحيد الألوهية، حيث أشار إلى ذلك ٨٤,٨ % من مجموع نسب المجيبين: ٣٢,٠ % يرون أنه يؤثر كثيراً، و٣٨,٤ % يرون أن تأثيره متوسط، و١٤,٤ % يرون أن تأثيره قليل، بينما يرى ١٥,٢ % من المجيبين أن عقيدة العبد في الربوبية قوة وضعفاً لا تؤثر على عقيدته الألوهية ولا يمكن أن تكون سبباً في وجود بعض الانحرافات: لا في العبادات القلبية، ولا في القولية، ولا في العملية.

ولكني أعود وأكرر أني لا أشك في تأثير هذا العامل على توحيد الألوهية سلباً وإيجاباً. ويكون ذلك على مصداقية كبيرة- خاصة- بعد ما عايشته بلادنا من تسلط الحكم الشيوعي الملحد على الشعب التتري وعلى جميع الشعوب الواقعة تحت سيطرتها طيلة سبعين عاماً.

وإني لأرى ضرورة ذكر هذا السبب لينتبه له دعاة الإسلام في بلادنا، وفي كل البلاد التي عانت فكرة الشيوعية المبنية على عقيدة الإلحاد، والتي عانت نظرية التطور الدارونية[1]. فإن العالَم – كما يذكر بعض المفكرين – انقسم بعد هذه النظرية قسمين: المؤمنون بوجود الخالق والملحدون المنكرون لوجوده. فلذا علينا في بلادنا أن نضع هذه المسألة نصب أعيننا ولا نتغافل عن جانب الربوبية في دعوتنا إلى الإسلام، فإن الكثيرين ممن تأثر بهذه النظرية يحتاج إلى إثبات الخالق أولاً، ثم إلى بيان أحقيته وحده بالعبادة. والله أعلم.

[1] – نظرية التطور الداروينية تقول بإلغاء فكرة الخالق وتقول بتطور الكائنات البسيطة إلى كائن متكامل الخلقة وهو الإنسان. وصاحب هذه النظرية تشارلز داروين، وله كتاب مشهور في ذلك بعنوان "أصل الأجناس".

المبحث الثاني

تسلط الحكم الشيوعي

إنّ من الأسباب المهمة في وجود الانحرافات في توحيد الألوهية لدى الشعب التتري هو تسلط الحكم الشيوعي مدة سبعين عاماً مهيمناً على كل الشعوب والأقوام الواقعة تحت سيطرتهم.

وفي الاستبيان التالي سؤال عن مدى تأثير تسلط الحكم الشيوعي على وجود الانحرافات العقدية اليوم في توحيد الألوهية. لنرى نتائج ذلك الاستبيان في الجدول التالي:

№	Причины الأسبـــــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
10	влияние коммунизма **تأثير الشيوعية على وجود الانحرافات العقدية اليوم في توحيد الألوهية**	31,0	21,4	28,6	19,0

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم١٠.

نرى من خلال الجدول أن ١٩,٠ % من المجيبين لا يرون تأثير الشيوعية في عقيدة المسلمين وأنها لم تسبب الانحراف في توحيد الألوهية[١]، بينما يرى البقية وهم ٨١,٠ % من مجموع المجيبين أن للشيوعية دوراً في وجود الانحرافات لدى بعض مسلمي تتارستان؛ فيرى ٢٨,٦ % من المجيبين أن التأثير موجود وإن كان قليلاً، ويرى ٢١,٤ % منهم أنه متوسط التأثير، ويرى ٣١,٠ % من المجيبين أن تأثير الشيوعية كان قوياً.

وأنا أقول إن هذا الأمر كان من الأسباب الرئيسة في وقوع كثير من مسلمي روسيا بأكملها في انحرافات عقدية، بل وأكثر من ذلك؛ أدّى هذا السبب إلى بعد الشعوب المسلمة – ومنهم التتر– عن الدين بأكمله! حتى ظن الكثير أن الصواب هو أن الدين خرافة

---

[١] – وهذه الإجابة من هؤلاء المجيبين لا أوافقهم عليها البتة، والظاهر أن هؤلاء لا يعرفون تاريخ الاتحاد السوفييتي وآثاره على الشعوب وثقافاتهم. وقد استسغت مخالفة نتيجة الاستبانة هنا؛ لأنها ليست هنا عبارة عن مظاهر رآها هؤلاء المجيبون وإنما هي عبارة عن تحليل متعلق بعامل تاريخي فيتوقع وقوع الخطأ.

وتخيلات من رجال الدين! وما ذلك إلا تأثراً بما قام به الشيوعيون من الأمور الخطيرة في عملية فرض فكرهم وعقيدتهم على جميع من وقع تحت قبضتهم الإلحادية.

فمن الأمور التي قام بها الشيوعيون في نشر افكارهم ما يلي:

أولا: إلغاء الدين تماماً- إسلاماً كان أو نصرانيةً- واستبداله بالفكر الشيوعي القائم على الإلحاد، المنكر لوجود الله، شعاره: لا إله، والحياة مادة. وقد حمل الناسَ الحزبُ الشيوعي في روسيا على تبني الفكر الشيوعي والالتزام بمبادئه، وعد المخالف لهم عدواً للحزب عدواً للشعب. وأعداء الشعب حقهم أن يقتلوا. ولذا يجد الناظر في تاريخ الاتحاد السوفييتي الشيوعي أن المسلمين في تتارستان وفي غيرها من الجمهوريات الإسلامية جرى لهم أحوال رهيبة ومحن شديدة على أيدي هؤلاء الملاحدة.

قال أحد المشايخ ممن زار روسيا إثر انهيار الاتحاد السوفييتي: (ولا أظن أنه مر على المسلمين في تاريخهم الحديث من المحن ما يعادل ما جرى للمسلمين هناك)[1].

ثانـــياً: قتل المسلمين الذين أبوا إلا أن يبقوا على دينهم، فلذا قتل من المسلمين ملايين، وهذه فتنة عظيمة ومحنة على الناس إذ يكون المسلم أمام أحد خيارين: إما يحيا شيوعياً، وإما يموت مسلماً. وحتى إن اختار الحياة مع إخفاء دينه فكيف يوصل تعاليم ربه إلى أجياله القادمة؟! وحتى إن استطاع البعض أن يحافظ على صلاته ويربي أولاده، فإنّ الأمر- والحالة كهذه- لا بد أن يسير إلى الانتقاص والضعف.

ثالـــثاً: حرص الشيوعيين على تنشئة جيل جديد من الصغار ليتربى منذ نشأته على الأفكار الشيوعية الملحدة. وهذه القضية معروف خطرها يركز عليها أعداء الإسلام في كل مكان، مما يؤكد أهمية تنشئة الصغار وتربيتهم من الصغر تربية إسلامية، والاهتمام بمناهج المدارس في المراحل الأولى.

---

١ - "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٨.

رابعاً: إحكام الهيمنة الفكرية والتعليمية والإعلامية، وجعل اللغة الروسية هي اللغة الرسمية، وهي لغة المدارس ولغة الإعلام والمخاطبات الرسمية، ولم يبقَ بالنسبة للغات المحلية مهمة إلا أن تكون لغة التخاطب فقط.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الحكومة الشيوعية حاولت إبعاد الشعب التتري عن التراث الشعبي الديني ومصادرهم العلمية ليس عن طريق تهميش اللغة المحلية التترية فحسب، بل ألزموا التتر بتغيير الكتابة العربية (التي كانوا يكتبون بها قرابة ألف عام من يوم إسلامهم) إلى الكتابة بالحروف اللاتنية (وذلك عام ١٩٢٧م)، ثم لم يلبث الأمر أن تم تغيير الحروف اللاتنية إلى الحروف الكيريلية (وذلك عام ١٩٣٩م) وهي الحروف المعروفة اليوم بحروف اللغة الروسية. فهذه الخطوة من الحزب الشيوعي كانت خطوة عملية لها آثارها السلبية على المسلمين التتر؛ حيث انقطعت الأجيال الناشئة المتربية على هذا المنهج عن كتب آبائهم وتراث أجدادهم[١]، فحتى إن وجد كتاب ديني في يد مسلم فإنه لا يستطيع قراءته ولا يستفيد من مضمونه ويستنير بنور علمه[٢]. إنا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً: مسح الكيان الإسلامي على نطاق الاتحاد السوفييتي مسحاً كاملاً ومحو آثاره؛ وذلك بقطع جميع الروابط الإسلامية عنهم، وأما العواصم الإسلامية الكبرى، فقد مسخت معالمها الإسلامية مسخاً كاملاً، فهدمت المساجد كلها، وإن بقي منها شيء فقد استخدم كمستودعاتٍ وفصولٍ دراسية لطلاب الموسيقى.[٣] فبالتالي لم يبقَ في قازان عاصمة تتارستان إلا مسجد واحد كان يفتح مرة واحدة في الأسبوع لصلاة الجمعة.

---

[١] – انظر تقرير رئيس قسم تطوير لغات الشعوب القاطنة بجمهورية تتارستان التابع لمكتب وزراء جمهورية تتارستان السيد/ ك.م. منوللين: http://www.tatartele.ru/?q=node/48، وانظر تقرير معهد التاريخ باسم المرجاني بأكاديمية العلوم بجمهورية تتارستان: http://www.tataroved.ru/institut/novhist/publ/10/ .

[٢] – ملاحظة: الكتب الدينية التي حاول بعض المثقفين تحويلها إلى الكتابة الجديدة كانت تمنع طباعتها من قبل لجنة مراقبة المطبوعات الشيوعية، فبالتالي أقصى ما كان الشعب يستطيع قراءته من الكتب الدينية هي كتب الطهارة وما شابهها. انظر: http://rutube.ru/tracks/788216.html.

[٣]– وهذا ما حصل– مثلاً– لمسجد "طاش مسجدي" في وسط مدينة قازان. و بعد انهيار الحكم الشيوعي استرجع المسلمون هذا المسجد– ولله الحمد.

فلذلك بقي الشعب التتري إثر انهيار الشيوعية شعباً مسلماً يجهل أمور دينه. يقول من زار تتارستان آنذاك: (أما العلماء، فهم معدومون هناك، حتى إنك إذا قابلت من يشار إليه منهم، تجده يقول لك: ليس عندي من العلم شيء، ولا يعلم إلا مبادئ بسيطة، ويحفظ قليلاً من القرآن...ورغم هذا المسخ الكامل الذي تعرض له المسلمون في هذه الجمهورية، فإن هناك مظاهر إيجابية، منها: إقبال شديد على الإسلام وحب للتعرف على عقيدته وأحكامه...وحرص المسلمين هناك- وخاصة أئمة المساجد والموجهين منهم- على طلب العلم الشرعي...)[1].

نعم، هذا حال المجتمع الذي بات معزولاً عن تعاليم دينه-لا يعرفه لا عقيدة ولا عملاً- نحو سبعين عاماً. وإذا كان الأمر كذلك فمن المتوقع أن يحدث في هذا المجتمع بعض الأخطاء والانحرافات والبدع. وهذا مؤسف، ولكن ذلك حقيقة لا مفر منها.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان. آمين.

[1] - "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٣٠. وأيضاً، فإن جل الفقرات الخمس مأخوذ من هذا الكتاب.

المبحث الثالث

التأثر بالأديان والفرق والمذاهب المنحرفة

إن الأديان والفرق والمذاهب المنحرفة من الأسباب المؤثرة في قضية توحيد الألوهية لدى مسلمي تتارستان، حيث تؤثر سلبياً وتسبب وجود الانحراف فيه لدى بعضهم.

عندما نتكلم عن الأديان التي أثرت في بعض أهل التتر، فإننا نقصد بذلك الديانة النصرانية التي كانت تبذل قصارى جهدها وتستخدم أبشع الأساليب والوسائل في عملية تنصير التتر المسلمين من يوم استيلاء الجيوش الروسية على قازان عام ١٥٥٢م إلى بداية القرن العشرين إلى أن صدر بتاريخ ١٧ أكتوبر من عام ١٩٠٥م قرار عن "حرية الأديان" مما أدّى إلى وقف استعمال العنف في تنصير المسلمين.

ورغم أنّ الكنيسة لم تنجح في إغواء المسلمين، فإن من نتائج ذلك الصراع الطويل دخول عدد من التتر- وإن كان يسيراً - في النصرانية.

يقول أحد الباحثين: (خلال فترة يسيرة تم تنصير أغلب الشعوب الوثنية. وقد اضطرت أعداد بسيطة من التتر المسلمين أن يقبلوا التعميد النصراني[1] رغبة في التخلص من عنف الكنيسة والحصول على تسهيلات عديدة التي تقدمها لمن يتنصر من المسلمين. ولذلك كانت عملية التنصر بالنسبة لهم أمراً شكلياً)[2]. فلذا نجدهم كلما خفت الأمور طلبوا إعادة كتابة أسمائهم من عداد المسلمين.[3]

ولكن الكنيسة ما كانت تكتفي بأسلوب واحد في عمليات التنصير العنيفة؛ فكانوا يستعملون كل طرق الظلم والإرهاق والإجهاد ضد المسلمين الصامدين على دينهم من فرض الضرائب الباهظة (علما بأن الضرائب كانت تُسقَط عمن تنصر منهم وتُحوَّل على من بقي على إسلامه)؛ وتجنيد شبابهم في الخدمة العسكرية علماً بأن مدة الخدمة كانت إلى أجل

---

[1] – التعميد عند النصارى هو: عبارة عن طقوس نصرانية تجرى على شخص يراد دخوله في النصرانية. انظر قاموس الروسي العربي لـــبوريسوف: ص٣٩١.

[2] – "الإسلام والكنيسة الأرثوذوكسية في حوض فولغا في العصر الثامن عشر: من الصراع إلى التعايش" لفيض الحق إسلاييف: ص١٧٧.

[3] – انظر في تاريخ تنصير التتر، مثلاً: "تتر قازان" لـــزنامينسكي: ص٤٦، ٥٢.

غير مسمى، وإذا انتهت مدة أحدهم كان يُسكَّن بعيداً عن وطنه على الحدود مع البلاد المعادية لروسيا؛ وتشتيت القرى التترية المسلمة وتوزيعهم في القرى الروسية أو تسكينهم في المناطق النائية، ثم تكثير سواد الروس النصارى في أماكن إقامة التتر؛ ومنع التتر من نشر الدعوة المحمدية بين من تنصر من التتر أو القوميات الأخرى؛ ثم تغريب وتكليف بأعمال شاقة لمن مارس الدعوة ونشر تعاليم الإسلام بين الناس؛ وكذلك كثيراً ما كانوا يغرمون المعاندين أو يغربونهم يفرقون بين أفراد أسرهم ويأخذون أولادهم لتربيتهم في عوائل نصرانية أو في كنف كنائسهم، وغير ذلك الكثير مما يحزن قلب المسلم لسماع مثل هذه الأخبار.[1]

كان نتيجة ذلك الطغيان أن وجد بين التتر مجموعة تنتمي اليوم إلى الكنيسة الروسية يطلق عليهم اسم "كراشين- تتر" أي: تتري معمَّد[2]؛ فهم يتكلمون باللغة التترية ولكنهم يتعبدون على طريقة النصارى. وإنه لمن الغريب جداً أن تسمع واحداً يتكلم باللغة التترية ويقول: ربي عيسى؛ فهذا الكلام باللغة التترية يقرع السمع مثل ما يقرع السمعَ نفسُ الكلام الصادر من رجل عربي ينتمي إلى المسيحية! فكما أن العرب كانوا — وما زالوا ولله الحمد- يمثلون الدين الإسلامي، وما يسمع أحد عن دين العرب إلا وينصرف ذهنه إلى الدين الإسلامي، فكذلك التتر؛ فإن كلمة "التتري" في روسيا كانت — ولن تزال إن شاء الله- ترادف كلمة "المسلم".

نعم، إن الكنيسة النصرانية نشطت في تنصير المجتمع التتري قبل استيلاء النظام الشيوعي على كرسي الحكومة الذي لم يرحم أحداً من طرفي الصراع الديني: لا رجال الكنيسة ولا المسلمين. أما بعد سقوط الطغيان الشيوعي احتاج النصارى أنفسهم إلى إنقاذ ديانتهم واسترجاع أنفاسهم، فكما انقطعت أواصر الدين عن المسلمين، فكذلك انقطعت أواصر عقيدة التثليث عن النصارى، فكل منشغل بإرجاع شعبه إلى أصوله الدينية. ومع ذلك فلا يجوز للمسلم أن يتهاون أمام مسألة تنصير أبناء شعبنا التتري، فهناك حملات من دعاة

---

[1] – انظر على سبيل المثال "تنصير التتر: مجموعة الوثائق" تحت إشراف ندوة الشباب التتر. مطبعة الإيمان ٢٠٠٢م.

[2] – حسب الإحصائيات الرسمية عددهم اليوم في تتارستان قرابة ٢٠ ألف تتري. يستفاد من المواقع الرسمية مثل: http://www.archipelag.ru/authors/muhametchin/?library=1227.

التنصير قائمة وقد أضيفت إلى الساحة التنصيرية – بعد فتح المجال أمام ممثلي الديانات بالدعوة- حملات الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها من فرق النصارى كشهود يهواه[1] والآخرين، فكل هؤلاء يطمع في اجتذاب أي واحد بغض النظر عن جنسيته أو قوميته أو انتمائه الديني إلى ضلاله.

يقول أحد الغيورين على الدعوة التنصيرية بين المسلمين: (يجب ألا ننسى وجود خبرة جليلة في نشر رسالة المسيح بين المسلمين... وهذه الخبرة لا يستغنى عنها اليوم... لا بد أن نتعرف على تراث ببواتنا المقدسين في مجال نقاش المسلمين في دينهم والدفاع عن ديننا. لا بد أن نضع في عين الاعتبار أن الوقت الراهن هو أنسب الفترات لنشر رسالة النصرانية بين الشعوب المسلمة؛ وذلك لأن نسبةً كبيرةً من الشباب الذين ترعرعوا في دولة ملحدة وفي ظروف ضَعُفَتْ قبضةُ العادات القومية عليهم، صاروا ينظرون إلى الإسلام بشعور بارد)[2]. وهذا الكلام ليس كلاماً لإحدى الشخصيات المعروفة، ولا لقسيس في كنيسته، أو مفكر روسي معروف في مكتبه، بل لواحد متنكر كتب مقالته في الجريدة، وإنما ذكرت قوله هنا لأنه يبين – في ظني- تماماً موقف النصارى اليوم من جيرانهم التتر، وأنهم يريدون أن ينتهزوا كل الفرص لتنصير المسلمين، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠.

---

[1]– هي منظمة عالمية دينية وسياسية ويمكن اعتبارها فرقةً مسيحيةً، تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن ١٩، وتعمل لحساب اليهود. مؤسسها الراهب تشارلز راسل (١٨٦٢-١٩١٦م). يؤمنون بالكتاب المقدس للنصارى ولكنهم يفسرونه حسب مصالحهم، يؤمنون بيهوه إلهاً وبعيسى رئيساً لمملكة الله. انظر "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": ٦٤٨/٢.

[2]– مقالة في جريدة "موسكو"، انظر الرابط له في موقع الجريدة:

http://www.moskvam.ru/2004/11/missia.htm، والمعلومات الموجودة في المقالة قد استفادها مؤلفها من موقع أحد كبار المنصرين المعاصرين القسسيس دميتري سيسويف، انظر الرابط لموقعه:

http://mission-center.com/islam/orthopol.htm

وإني لا أخاف أن تؤثر اليوم عقائد الكنيسة الروسية الأرثوذكسية في المسلمين الملتزمين بدينهم العارفين لأحكامه، وإنما أخاف على الجهلة و الرعاع.

ثم إني قد عملت استبياناً عن مدى تأثير النصرانية في وجود الانحرافات في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان، ونتائجه موضحة في الجدول التالي:

№	Причина الأسبـــــــــــــاب	сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
9	влияние христианства تأثير النصرانية	16,7	30,2	32,5	20,6

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم٩.

ونرى من خلال الجدول أن المجيبين على هذا السؤال اختلفوا في الآراء، مع أنه قد يخفى تأثير النصرانية على البعض، فقد أشار ٢٠,٦ % من المجيبين بأن النصرانية لم تؤثر في وجود بعض الانحرافات لدى التتر، بينما يرى ٣٢,٥ % من المجيبين أن التأثير السلبي وإن كان قليلاً فإنه موجود، ورأى ٣٠,٢ % أن التأثير متوسط، وقال ١٦,٧ % بكثرة التأثير. إذاً، فــ٧٩,٤ % من مجموع المجيبين يرون أن تأثير النصرانية في الانحرافات العقدية لدى بعض التتر موجود. والذي كتبته في هذا المبحث يؤكد ذلك، إذ وجود جماعة من التتر الكراشين المتنصرين أكبر دليل على ذلك، ثم وجود بعض العادات النصرانية في طقوس دينية لدى بعض التتر المسلمين أيضا يؤيد هذا الرأي، كإقامة المآتم لليوم الثالث من الموت والسابع والأربعين، فهذه العادة ليست من تعاليم الإسلام، وإنما جاءت نتيجة العنف التنصيري الذي استخدمته الكنيسة في روسيا القيصرية، فقد كان المسلمون مضطرين أن يجتمعوا في أيام تجتمع النصارى عادة فيها، لكن التتر كانوا يستغلون هذه الاجتماعات لوعظ الناس وإرشادهم وبيان أحكام دينهم، فبعدما استمرت الأحوال على هذا النمط صارت عادة، فبقيت إلى أيامنا[١]، وظُنّ بها أنها من الدين الإسلامي.

---

١ – انظر "الإسلام في حياة تتارستان الاجتماعية والسياسية" لــرفيق محمدشين: ١٤٧، و"جهاد الشعب التتري" إسحاق لطف الله وفيض الحق إسلاييف: ص ٥٠. طبعة قازان سنة ١٩٩٨م.

فهذا من نتائج العمل التنصيري، ومنه أيضاً ما يمكن أن يحصل للمسلمين بسببه من الأخطاء في مسائل الولاء والبراء، وذلك لكثرة الاحتكاك والاختلاط بهم، أو من التشبه بهم في بعض عاداتهم وأعيادهم- كما بيناه في الفصل الثالث.[1]

أما تأثير الفرق والأحزاب الضالة على توحيد بعض مسلمي تتارستان، فقد حاولت رصد مداها من خلال الاستبيان. لننظر إلى النتائج من خلال الجدول التالي:

№	Причина الأسبـــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
13	присутствие в обществе различных течений, сект, партий и тд. **وجود الفرق والأحزاب الضالة في المجتمع**	35,7	19,0	31,0	14,3

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم١٣.

نجد أن ١٤,٣ % من المجيبين أشاروا إلى عدم تأثير هذا السبب على وجود الانحرافات والخرافات والبدع لدى بعض مسلمي تتارستان، بينما يرى تأثيره ٨٥,٧ % من مجموع المجيبين (على اختلاف بينهم في مدى قوة تأثيره).

ويذكر كثير من المؤرخين التتر والباحثين منهم اليوم أن الذي كان له أثر في عادات التتر وعباداتهم هم الصوفية على الطريقة النقشبندية. و وجود التصوف له تاريخ عريق ممتد إلى أيام قبول دولة بلغاريا الإسلامَ ديناً رسميا لها. فإذا كان كذلك فبطبيعة الحال إن وجود بعض الانحرافات التي يروّجها أصحاب التصوف ليس بمستغرب.

يقول أحد مسؤلي الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان: (خصائص الطبع الشعبي لدى التتر أدى إلى انتشار الطريقة النقشبندية— على كثرة الطرق الصوفية في العالم الإسلامي- في مجتمعهم؛ لأن هذه الطريقة تفضل على الذكر الجماعي الذكر الخفي وبدون تحريك الجسم، وأيضاً- وهذا مهم- يطلب من أصحاب الطريقة الالتزام الشديد بأحكام الشريعة. هذا كله – ومن غير الصدفة- أدى إلى تأصل هذه المدرسة الصوفية بين التتر. ومع ذلك، فإن ثبات التتر الانفعالي(эмоциональная устойчивость) واحترام المنطق والرجوع إلى العقل في اتخاذ القرارات أسهم في عدم انتشار التصوف انتشاراً واسعاً. إنّ تاريخ التتر ما قبل

[1] – **وقد ذكرت أمثلة كل واحد من هذه الصور فيما مضى من المباحث من الفصل الثالث.**

الثورة البولشيفية يظهر لنا أن التصوف كان موجودا فيهم دائماً، لكن لم يكن فكراً مسيطراً على الجميع و لم يكن قط هو الصفة العامة للشعب، وإضافة إلى ذلك، فإن هناك من كان يقف من الصوفية موقف الحذر. نجد ذلك – مثلاً- في رسائل علماء التتر كعبد الرحيم أوتوز إماني ورضاء الدين بن فخر الدين الذين أتوا بنقد صور التصوف المتطرف، مع أنهما لم يرفضا التصوف من أصله)[1].

ويقول رضاء الدين بن فخر الدين: (شاع في الأزمنة الأخيرة في العالم الإسلامي مفهوم "المريد" و"الشيخ". فهؤلاء المريدون الشيوخ ينسبون أنفسهم إلى التصوف ومن هذه الجهة يسمون أنفسهم بأهل التصوف. أنا لا ألوم من درس في المدرسة من الصغر، وجلس يصحح عقيدته، و يتعلم القرآن والسنة، ثم أصبح قادراً على تقويم حاله، فهؤلاء يعرفون بأنفسهم ما عليهم، لكني أقصد الذين يجلسون في القرى والمدن ويقولون إنهم سلموا أنفسهم لمرشديهم يسمونهم "إيشان"[2]. إن الاستسلام للإيشان استسلاماً تاماً أدى إلى ظهور ما يتجاوز كل حدود المنكر من العقائد العجيبة والغريبة، ثم إن هذه العقائد انتشرت من قرية إلى أخرى ومن بيت إلى آخر. ومن ذلك أن الإيشان يعلم الغيب ويعرف ما يفكر فيه مريده، وأنه يتصرف في القضاء والقدر، وأنه يحضر عند موت مريده. ومن ذلك – أيضاً- اعتقادهم أن الذي يقوم بخدمة شيخه تسقط عنه تكاليف العبادة، وأن المريد يجب عليه أن تكون صورة شيخه في وجهه دائماً حتى أثناء الصلاة. وغير ذلك من العقائد والأعمال الباطلة التي يجب ألا تمارس في الإسلام!)[3].

ونرى من خلال كتابات علماء التتر في القرن الماضي ومن خلال كتابات الباحثين المعاصرين أن التصوف كان موجوداً في المجتمع التتري قبل الثورة وكان له أثر ملموس في وجود بعض انحراف لدى بعض المسلمين في المجتمع التتري، وأن الكثير من العلماء التتر-

[1] – رسالة "دين التتر والإسلام النبوي" الواقعة في ٢٨ صفحة لمؤلفه ولي الله يعقوب: ص٢١.

[2] – وقد مر قريباً التعريف بكلمة "إيشان".

[3] – "شرح جوامع الكلم": ص ٢٢١– ٢٢٢.

حتى ممن يستحسن فكرة التصوف- كانوا ينكرون على تلك البدع والخرافات التي سببها بعض شيوخ الصوفية[1]، وكانوا يسمونهم بـــ"الإشانات السود".[2]

أما اليوم فإن هناك من يحاول الدفاع عن الصوفية ويسعى لإرجاعها إلى أوساط الشعب التتري ويرى نفعها في إزالة الجفاء الروحي وأنها تلعب دورا إيجابياً في التأليف بين المسلمين والسلطات الحاكمة[3]، وأيضاً – كما ذُكر في المؤتمر الذي نظمته الإدارة الدينية لمسلمي تتارستان بعنوان "العادات الصوفية لدى التتر"- فإن نشر التوجه الحنفي النقشبندي يسهل مقاومة صور الإسلام الوهابية والإرهابية.[4]

يقول مدير الجامعة الإسلامية الروسية بمدينة قازان: (يمكن اعتبار هذا الموقف من الصوفية- مبدئياً- كموقف رسمي للإدارة الدينية، ومع ذلك لا يجوز أن يندّ عن البال أنه لا يوجد على نطاق الجمهورية كلها من يمثل الطريقة النقشبندية من المرشدين، بل ومن المريدين!)[5].

فنرى أنه لا يوجد للصوفية تأثير قوي اليوم كما كان في القرون الماضية، ولكنه موجود وهو يأتي من الكتب الدينية التي يقرأها اليوم القارئ التتري؛ فإن كثيراً منها من مؤلفات علماء التتر التي أعيدت طباعتها، فيجد فيها القارئ ما يخالف توحيد الألوهية من التوسل غير المشروع كالتوسل بجاه فلان، أو بحرمة سيد علان، أو من النذور عند قبور الأولياء في بلغار، أو إقامة الموالد أو المآتم، وغير ذلك مما كان يمارسه أهل التصوف من التتر قبل الثورة البلشفية، بل أهل التصوف في العالم الإسلامي وإلى اليوم!

---

[1] – انظر رسالة "تحليل وتقويم عقدي لتعاليم الصوفية المبينة في مؤلفات أبرز العلماء المسلمين في روسيا لفترة القرن ١٧- ٢٠" لرسلان طاهر نائب قسم التعليم بالإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان: ص٩.

[2] – انظر "روحانيون التتر اليوم (عام ١٩٢٩م) وأعمالهم" لــنجيب الدوماوي: ص٣٢-٣٤. مطبعة قازان-١٩٢٩م.

[3] – انظر "الإسلام في حياة تتارستان الاجتماعية والسياسية" لــرفيق محمدشين: ١٤٠-١٤٢.

[4] – من الوثيقة التحضيرية المعدة في مؤتمر "العادات الصوفية لدى التتر" عام ٢٠٠٠م من قبل الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان، والوثيقة غير مطبوعة وهي موجودة في أرشيف الإدارة، وذكرها صاحب "الإسلام في حياة تتارستان الاجتماعية والسياسية": ص١٤١-١٤٢.

[5]- "الإسلام في حياة تتارستان الاجتماعية والسياسية": ص١٤٢.

المبحث الرابع

قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي

من الأسباب المهمة في ظهور الانحرافات وانتشارها في توحيد الألوهية قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي. لا شك أن هذا من أسباب بقاء الشعب جاهلاً بأمور دينه وبالأخص عقيدتهم؛ لأن العلماء منبع العلم الشرعي في البلد، فإن لم يكن هناك من يوصل العلوم إلى العباد فكيف يعرفون ربهم وما يجب عليهم ليرضى عنهم! فإن العلماء ورثة الأنبياء مهمتهم إبلاغ الدين إلى الناس، فإن عُدموا أو قَلّوا تضعف الدعوة إلى الله ويقل عدد الذين يستنيرون بنور علمهم.

لننظر إلى مدى تأثير هذا السبب على وجود الانحرافات العقدية في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان، وذلك من خلال نتائج الاستبيان الذي تم إجراؤه على بعض الأئمة والدعاة في تتارستان[١]:

№	Причина الأسبـــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يؤثر**
15	На сколько сильно повлияла нехватка ученых в татарском обществе на появление отклонений от правильной акыды и появление бидъата у некоторых татар с конца 20 века по сегодняшний день? **ما مدى تأثير قلة العلماء في المجتمع التتري على الانحراف عن العقيدة الصحيحة في توحيد الألوهية وعلى ظهور البدع لدى بعض التتر في الفترة ما بعد انهيار الشيوعية إلى يومنا هذا؟**	%١٠٠	%٠	%٠	%٠

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم ١٥.

نرى من خلال هذا الجدول أن الأئمة والدعاة الذين شملهم الاستبيان يرون بالإجماع أن هذا السبب أحد الأسباب الرئيسة التي لها تأثير قوي على ظهور الانحراف في توحيد الألوهية وظهور البدع في المجتمع التتري، مما يلزمنا الاهتمام بتربية الأجيال القادمة تربية

[١] – هؤلاء الأئمة والدعاة تم أخذ المعلومات منهم بالاتصال الهاتفي أو عن طريق رسائل الجوال القصيرة.

تساعد على خروج العلماء منهم. وذلك بتهيئة كل الظروف المطلوبة لذلك، وبتزويدهم بما يلزم من المعطيات التربوية التقنية الحديثة.

تكلمنا في الفقرات الماضية عن مدى تأثير قلة العلماء في المجتمع التتري على وجود الانحراف عن العقيدة الصحيحة في جمهورية تتارستان وعلى ظهور البدع لدى بعض أهلها وانتشارها.

ويدخل في ذلك نكوصُ بعضِ العلماء والأئمة عن واجب التبليغ وضرورة التصحيح للناس كافة، سواء في ذلك الملأ من القوم والعامة، ولا يخفى ما لذلك النكوص من أثر سلبي في تكريس هذه الانحرافات؛ فإن العوام إذا رأوا سكوت علمائهم وأئمتهم عن أمر حسبوا أن ذلك الأمر لا يخالف الشرع، فتمادوا في ممارسته[1]. وأخطر من ذلك ما إذا فسد بعض المنتسبين للعلم والفقه وآثروا الدنيا على الآخرة، فأخذوا يروجون بعض البدع تماشيا مع أهواء بعض كبار القوم أو اتخاذاً من ذلك طريقاً لجمع أموال الناس أو وسيلةً للوصول إلى الرئاسة، فتلك الداهية الدهياء والمصيبة العمياء؛ إذ ماذا يصلح إذا الملح فسد![2]

لننظر إلى مدى تأثير هذا السبب على وجود الانحرافات العقدية في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان، وذلك من خلال نتائج الاستبانات المبيَّنة في الجدول التالي:

№	Причина الأسبـــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
6	бездействие имамов мечетей, проповедников, получающих знание шакирдов по отношению к отклонениям в религии. **عدم إنكار الأئمة والدعاة للبدع**	**28,7**	**30,3**	**23,0**	**18,0**

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم٦.

نرى من خلال الجدول أن ١٨,٠ % من المجيبين أشاروا إلى أن سكوت العلماء وعدم إنكارهم على البدع لم يؤثر على ظهور وتفشي بعض الانحرافات في توحيد الألوهية

[1] – مثلما حصل مع أمر ترميم بعض المنابع في تتارستان وإضفاء صفة الدين عليها حيث حضر بعض الأئمة من علماء البلد حفل الافتتاح مع كبار شخصيات البلد ولم ينكر أحد على ربط المناسبة بالدين.

[2] – انظر كتاب "الغيبة، الزنا، عبادات لا أصل لها، الكفار" إدريس علاء الدين: ص٧٣–٧٤.

لدى بعض مسلمي تتارستان. بينما يرى ٢٣,٠ % من المجيبين أن التأثير موجود وإن كان قليلاً، ويرى ٣٠,٣ % أن هذا السبب متوسط التأثير، ويرى ٢٨,٧ % أن تأثيره قوي.

ومع وجود هذا الاختلاف في آراء المجيبين، فإنه لَمِن الواضح خطورة هذا الأمر، ولا شك أن سكوت الأئمة عن المنكر يسبب فتنة عظيمة في المجتمع وتفشي الانحرافات والبدع والخرافات فيه- نسأل الله أن يعصم طلبة العلم من ذلك.

وقد وصف أحد علماء التتر عبد الرحيم أوتوز إيماني حالة المجتمع التتري وبعض علمائه في بداية القرن التاسع عشر قائلاً: (تغلب على عقيدة بعض أئمتنا وعباداتهم وتعاملاتهم بدعة، وقد تأصلت في مجتمعنا إلى درجة أنها صارت مألوفة. وسبب ذلك كله تهاون بعض علمائنا الذين يجهلون أحكام شريعتهم ويتبعون شهواتهم. فهؤلاء خذلوا أنفسهم أولاً، ثم خذلوا عامة الناس؛ يقعون في أخطاء والناس تتبعهم في ذلك!)[1].

وكلامه هذا ينطبق على جميع من يتصف بزي العلم ولا يبالي بمسؤوليته فيَضل ويُضل، سواءً كان ذلك في زمنه (ما قبل الحكم الشيوعي) أو في زماننا.

وفي رأيي أن هذه الحقائق التي أثبتناها واضحة المعالم حتى من غير إجراء الاستبيان؛ فإن لم يكن في البلد عدد كافٍ من علماء السنة أو كان مستواهم العلمي غير كافٍ لرد الشبهات ونشر السنة، سوف يحل محل السنة بدعة. وإذا كان بعض الأئمة والدعاة — على قلتهم- يسكتون عن إنكار البدع فسوف يزداد الطين بلة.

وقد انتبه لهذه المسألة علماء التتر السابقين، ومنهم مفتي التتر في القرن الماضي رضاء الدين بن فخر الدين حيث قال: (لو كان بيننا اليوم علماء الحق هل كان العالم الإسلامي يفتتن بقبور الأولياء إلى هذه الدرجة!؟ إن قبور الأولياء ما صارت من مجموعة البدع فقط، بل صارت منبع الشرك؛ يرفع بعض الناس منزلتها فوق منزلة الكعبة، يأتيها الناس أفواجاً أفواجاً بغرض الالتجاء إليها والاستنجاد بها. فلو كان بيننا علماء الحق لما انتشرت هذه البدع فينا أو لما وصل الأمر إلى هذا الحد)[2].

---

١ - **"رسالة إرشادية" لعبد الرحيم أوتوز إيماني ضمن "مجموعة رسائل عبد الرحيم أوتوز إيماني البلغاري": ص١٧٢.**

٢ - **"شرح جوامع الكلم": ص٤٣٣.**

ثم، إن عددا من المجيبين على الاستبانة رأى أن من أسباب ظهور وتفشي الانحراف في العقيدة لدى بعض مسلمي تتارستان هو عدم الكفاءة أو ضعف المستوى في تدريس العقيدة سواء كان في المساجد على مستوى الأئمة أو في المدارس على مستوى مدرسين شرعيين[1].

لننظر إلى نتائج الاستبانات حتى نعرف رأيهم في مدى تأثير هذا السبب:

№	Причина الأسبـــــــــــــاب	мда تأثير السبب			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يؤثر**
7	не соответствующий уровень преподавания вероучения в мусульманских учебных заведениях и мечетях. **عدم الكفاءة أو ضعف المستوى في تدريس مادة العقيدة في المدارس الدينية والمساجد**	**24,8**	**32,2**	**18,2**	**24,8**

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم٧.

نرى في الجدول أن نسبة ٢٤,٨ % تمثل الذين لم يروا أن هذا الأمر يمكن أن يكون سبباً في ظهور أو انتشار الانحرافات والبدع لدى بعض مسلمي تتارستان، بينما يرى ٧٥,٢ % من مجموع المجيبين أنه سبب مؤثر وإن اختلفت آراؤهم في مدى تأثيره: فقال ١٨,٢ % منهم أنه قليل التأثير، وقال ٣٢,٢ % إنه متوسط التأثير، ويرى ٢٤,٨ % من المجيبين أنه من الأسباب الرئيسة في ظهور أو تفشي الانحرافات في المجتمع.

ولعل قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي وعدم الكفاءة أو ضعف المستوى في تعليم الناس عقيدتهم في المساجد والمدارس راجع بحد ذاته إلى سبب آخر وهو قرب عهد البلد بالشيوعية؛ فما مضى من انهيار الشيوعية إلا سنوات معدودة، ولا ننسى أن الشعب بأكمله كان معزولاً عن العلم الشرعي وعن فرص تعلم الدين، فكيف ينشأ فيهم أجيال يخرج منه علماء راسخون في العلم الشرعي!

[1] – علما بأن الأئمة والمدرسين في تتارستان كلهم من أهل البلد، أما غيرهم من الإخوة العرب فالظاهر أن سياسة روسيا ما كانت ترحب بهم ليمارسوا الإمامة أو التدريس الديني في روسيا، مع أن النظام الذي اطلعت عليه يسمح بذلك. انظر قانون عن ٢٧سبتمبر عام ١٩٩٧ برقم N 125-Ф3 عن حرية الاعتقاد والمؤسسات الدينية/ بند ٢٠، ونصه مطبوع في "الجريدة الروسية" عن ١ أكتوبر عام ١٩٩٧م عدد ١٩٠.

ومن ذلك أيضاً قلة وجود المؤسسات التعليمية المختصة بتعليم الدين في أيامنا[1] وشبه انعدامها في أيام التسلط الشيوعي، وإنما كانت هناك مدرسة رسمية واحدة في بخارى تلقى فيها بعض الأئمة بعض ضروريات العلم الشرعي، وكان ذلك يتم بإذن ومتابعة من الحكومة الشيوعية. وهؤلاء الأئمة هم الذين تولوا مهمة الإمامة والتعليم إثر انهيار النظام الشيوعي، فما كان في البلد علماء غيرهم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء؛ قد أدوا ما وكلهم الله من المسؤولية في إحياء الإسلام؛ فكانوا هم الأئمة والمعلمين والمشرفين على بناء المساجد وإنشاء المدارس والمربّين والمفتين، قاموا بذلك كله على قدر كفاءاتهم العلمية والمالية والصحية مكرّسين حياتهم لخدمة الإسلام والمسلمين في روسيا. وفقهم الله في الدنيا والآخرة.

ومما يؤثّر سلبياً على عملية الدعوة و التعليم انشغال بعض الدعاة- على قلتهم- عن الدعوة والتعليم والإرشاد والتربية بالبحث عن كسب قوت اليوم.

لنسترشد في المسألة بنتائج الجدول التالي:

№	Причина الأسبــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يؤثر**
14	отвлечённость проповедников от преподавания поиском пропитания. **انشغال الدعاة بكسب قوت اليوم عن الدعوة**	**16,2**	**33,3**	**33,5**	**17,0**

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ السؤال رقم١٤.

نرى من خلال الجدول أن الناس مختلفون في مدى تأثير ذلك على وجود الانحرافات في المجتمع التتري: فقد أشار ١٧,٠ % من المجيبين أن الأمر لا يصلح ليكون سببا مؤثراً في ذلك، وقال ٣٣,٥ % منهم إن انشغالهم بكسب القوت إن كان موجوداً فتأثيره على وجود الانحرافات وتفشي الخرافات في البلد قليل، بينما يرى ٣٣,٣ % من المجيبين أن انشغال الأئمة والدعاة بما يكفون به أهاليهم من العيش يؤثر سلبياً في عملية الدعوة ونشر تعاليم الدين ومحاربة البدع مما يؤدي إلى تفشي البدع والخرافات. وقد أشار ١٤,١ % من المجيبين أن تأثير ذلك قوي ولا بد أن ينتبه له ذوو اليسر وكل من يريد أن يقي المجتمع التتري من مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية. والله أعلم.

[1] – **انظر الاستبانة رقم٢/ الأسباب/ السؤال رقم ٨.**

المبحث الخامس

التــــعـــصــــب

من الأسباب المؤثرة في وجود الانحراف في الدين عموماً وفي توحيد الألوهية خصوصاً التعصب. وهو تعصب الشخص لمذهبه وتعصبه لعاداته، وتقاليد شعبه، ولكل ما اعتاده وألفه.

وحقيقة التعصب – على كثرة صوره- هي اتباع الهوى الذي يعد من أخطر أسباب الانحراف في الدين؛ قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الجاثية: ٢٣، فاتباع الهوى بما يخالف الشرع مِن اتخاذ الهوى إلـــهاً. فهل هناك انحراف أعظم من اتخاذ آلهة من دون الله وعبادتها؟! طبعاً: لا، بل هو عين ما يحذّر منه الإسلام ويحاربه. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: ((**ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع**))[١].

وحتى عابد الصنم؛ من تأمل حاله عرف أنّه ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه؛ إذ نفسه مائلة غالباً إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، فميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى.[٢]

ثم، إن الشخص أو المجتمع عموماً إذا كان معزولاً عن تعاليم دينه لا يعرفه لا عقيدة ولا عملاً، فإن من المتوقع أن يتصرف هذا الشخص برأيه وما استحسنه عقله أو مالت إليه نفسه مجرداً عن رأي الشريعة.

والإنسان إذا استسلم لهوى نفسه وميوله، فإن اتباع الحق يكون صعباً في حالة مخالفته لتلك الميول[٣]. يقول أحد الدعاة التتر اليوم: (منح النفس حريتها بداية الضلال)[٤]،

١– أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف في "المعجم الكبير": ١٢٢/٨ ح٧٥٠٢، وقال الهيثمي في "المجمع" (١٨٨/١): وفيه الحسن بن دينار وهو متروك.

٢ – انظر "إحياء علوم الدين": ٥٦/١، و"تجريد التوحيد المفيد" لتقي الدين أحمد المقريزي (ت٨٤٥هـ): ص٥٣.

٣ – وقد تكلم في هذه المسألة رضاء الدين في "شرح جوامع الكلم"، انظر: ص٤٢٩.

٤ – "الغيبة، الزنا، عبادات لا أصل لها، الكفار" إدريس علاء الدين: ص٧٣.

فلذلك كان من المهم قيد النفس بقيود القرآن والسنة، وعدم اتباع هوى النفس وعدم التعصب لرأي أو مذهب.

يقول رضاء الدين مبيناً هذا المبدأ في الإسلام: (إن رسولنا ﷺ أرانا طريق النجاة قائلاً: ((**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه**))[1]. وقد أمر في أحاديث أخر أن نَعُضَّ على السنة بالنواجذ[2]، وهذا الأمر ليس خاصاً ببعض العصور دون عصور أخرى، ولا ببعض الممالك دون ممالك أخرى، بل عام لجميع الأمة إلى قيام الساعة، وكذلك أئمتنا المجتهدون يقولون من باب النصيحة لمن يتبعهم إن مسلكهم هو اتباع القرآن والسنة، فإذا خالف قولهم نص الحديث فلا يعتبر بقولهم بل ليعمل بالنص)[3].

وقال في هذا الصدد العالم التتري عبد النصير القورصاوي: (قد صح عن الشافعي- رضي الله عنه- أنه قال: إذا صح الحديث عن النبي ﷺ فاتركوا قولي، فإنه مذهبي[4]. وقال علي بن محمد القارئ: وهذا مذهب كل مسلم[5])[6].

ثم يواصل رضاء الدين كلامه ويقول: (أما المتأخرون - خلافا لما ذكرنا- فيقولون واضعين لأنفسهم مثل هذه القاعدة: "إذا خالف قول إمامنا آية من القرآن عملنا بقول إمامنا؛ وإذا خالف قول إمامنا نص الحديث تركنا الحديث بلا اعتبار")[7]! إلى آخر كلام هذا العالم الذي مفاده أن ترك الاستدلال بالحديث والتعصب لرأي شيخ معين أو لمذهب معين

---

[1] - "الموطأ - رواية يحيى الليثي"، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر: ص٦٤٨ برقم١٦١٩.

[2] - وهو حديث العرباض بن سارية، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)). حديث صحيح رواه أبو داود- وهذا اللفظ له- والترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وقد سبق تخريجه في ص٣٣٣.

[3] - "شرح جوامع الكلم": ص٢٨٢.

[4]- انظر "المجموع" للنووي: ١/١٣٤.

[5]- "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" علي القاري: ٨/٢٠٥ عند شرح الحديث برقم٤٣٢٧.

[6] - "الإرشاد للعباد" عبد النصير القورصاوي: ص٤.

[7] - "شرح جوامع الكلم": ص٢٨٢.

أمرٌ مذمومٌ ابتليت به الأمة الإسلامية، وأن سبب هذه الحال المخزية — في رأي هذا العالم- هو التعصب والحمية الجاهلية من قبل بعض العلماء ممن لا يستحق هذه التسمية.[1]

إن التقليد الأعمى للآباء والأساتذة والمشايخ من الأسباب المانعة للالتزام بأقوال راجحة مشهورة.

ومن صور التعصب واتباع ميول النفس كون الشخص أسيراً لعادات قومه أو أسيراً لمصلحته. وهذا ملاحظ على كبار السن خاصة، فإن من شبّ على شيء شاب عليه[2].

و قد نبّه على هذا رضاء الدين، حيث قال: (إذا كان الشباب يتقبلون أفكاراً جديدة بالسهولة، فإن المسنّين يعارضونها؛ لأنهم أصبحوا أسرى لعاداتهم)[3].

هذا كلام المفتي في القرن الماضي، وكلامه هذا منطبق على عصرنا كذلك، فلذا يجب على الدعاة وضع هذا الأمر في حسبانهم.

وقد أشار المجيبون على الاستبانات إلى تأثير هذا الأمر على وجود الانحراف في توحيد الألوهية لدى بعض التتر، فقال أكثر المجيبين على سؤال: "ما مدى تأثير اتباع الهوى والشهوات في وجود الانحراف في توحيد الألوهية والبدع في المجتمع التتري" أن تأثيره قوي. لننظر إلى تفصيل نتائج الاستبيان من خلال الجدول التالي:

№	Причина الأسبـــــــــاب	мера влияния / مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
3	подвластность своим желаниям и страстям. اتباع الهوى والشهوة	53,5	26,0	11,8	8,7

الاستبانة رقم٣/ الأسباب/ سؤال رقم٣.

نرى من خلال الجدول أن ٨,٧ % من المجيبين أن عامل الهوى والشهوات ليس سبباً في وجود الانحرافات في المجتمع التتري، بينما يرى البقية المتمثلة في نسبة ٩١,٣ % أن هذا العامل له تأثير، بل يرى ٥٣,٥ % من المجيبين أن تأثيره قوي. ويرى ٢٦,٠ % أن تأثيره متوسط، ونسبة من المجيبين وهي ١١,٨ % ترى أن تأثيره قليل.

[1] – **انظر نفس المرجع: ص٢٨٣.**

[2] – **مقولة معروفة في لغة العرب.**

[3] – **"شرح جوامع الكلم": ص٤٣٠.**

وهذه النسب تؤكد لنا أهمية هذا العامل ووجوب الانتباه له من قبل الدعاة. والله أعلم.

الفصل الخامس

علاج مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العناية بنشر العلم الشرعي.

المبحث الثاني: العناية بالمساجد والمدارس.

المبحث الثالث: التواصل مع أهل السنة في العالم الإسلامي.

بعد عرض أسباب وجود الانحراف في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان في مباحث الفصل السابق، لا بد في هذا الفصل من بيان وسائل علاج هذا الانحراف، وذلك ليتسنى الحد من انتشاره في المجتمع التتري، و من ثم القضاء عليه — بإذن الله.

وسأتكلم عن وسائل العلاج المهمة من خلال المباحث الثلاثة التالية:

المبحث الأول: العناية بنشر العلم الشرعي.

المبحث الثاني: العناية بالمساجد والمدارس.

المبحث الثالث: التواصل مع أهل السنة في العالم الإسلامي.

المبحث الأول

العناية بنشر العلم الشرعي

لا يشك أحد في فضل العلم عموماً وفي فضل العلم الشرعي خصوصاً؛ قال ابن القيم- رحمه الله: (إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئًا)[1]، وكذلك لا يشك أحد في فضل طلبه وتعليمه؛ إذ ذلك من خير العبادات التي يمكن التقرب بها إلى الله تعالى بعد الفرائض، ونلتمس هذا المعنى في قوله ﷺ: ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**))[2] . فالعلم الشرعي هو العلم الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله تعالى وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص.[3]

ولكي تكون عبادة المرء صحيحة مقبولة لا بد أن يتقدمها العلم بها، قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ محمد: ١٩، فتوحيد الله بعبادته لا يتم تحقيقه إلا بالعلم.[4]

فهذا العلم – بعد أن يُحصَّل- حقه أن يُعمل به ويُنشر. فلذا يجب على كل صاحب علم أن يحرص حرصاً كاملاً على نشر العلم الشرعي المؤصل على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، لاسيما مسائل العقيدة والتوحيد، ولا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع، حتى يعرف الناس الحق من الباطل ويعبدوا الله على بصيرة. فإن العقيدة إذا صحت صح العمل، فالعلم قائد والعمل تبع له[5]؛ فالمجتمع الذي ساد فيه العلم الصحيح وعرف العقيدة الصحيحة والتوحيد الصحيح، وعلم أن المصدر المعتبر في ذلك هو: القرآن والسنة على فهم السلف الصالح لهما؛ تزول منه الانحرافات، والبدع، والخرافات، ويكون إغواؤه وإضلاله

---

[1] – "إغاثة اللهفان": ٦٨/١.

[2] – أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه ص١٠٦.

[3] – "فتح الباري": ١٤١/١.

[4] – انظر "البصيرة في الدعوة إلى الله" لعزيز العنزي: ١٨/١.

[5] – هذه العبارة من "موسوعة الدين النصيحة": ١٠٦/٤.

صعباً- بإذن الله، فمهما يحاول بعد ذلك المبطلون المضلون معه فلن يُقبل منهم ولن تُمكن لبدعتهم.

أما مسألة نشر العلم الشرعي وإزالة الجهل وما نتج عنه من الانحرافات، فلا بد فيها من مراعاة الأمور التالية:

- الرسول ﷺ أسوة في نشر العلم وإزالة مظاهر الانحراف:

قال أحد العلماء المعاصرين مبيناً ضرورة اتخاذ الرسول ﷺ أسوة في علاج مظاهر الانحراف، حيث قال: (إن واقع المسلمين اليوم ليس شرًّا مما كان عليه واقع العرب في الجاهلية حينما بعث إليهم نبينا محمد ﷺ؛ لوجود الرسالة بيننا، وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة على الحق، التي تدعو الناس للإسلام الصحيح: عقيدة، وعبادة، وسلوكًا، ومنهجًا... بناء على ذلك نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم - جميعهم - أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى " لا إله إلا الله "، ويعالجوا واقعهم الأليم بذاك العلاج والدواء نفسه. ومعنى هذا واضح جدًّا إذا تدبرنا قول الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١. فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين)[١].

فكما كان الرسول أسوة لنا في أمورنا كلها الدينية والدنياوية لا سيما في معالجة مشاكل المسلمين، فكذلك هو أسوة في وضع منهج واضح نتبعه في نشر العلم وإزالة الانحراف.

- عدم الملل في نشر العلم الصحيح وإزالة المنكر:

المطلوب في علاج مظاهر الانحراف أن يكل الداعي أو المعلم النتيجة على الله، ولا يمل في نشر العلم الصحيح وإزالة المنكر، بل يجب عليه أن يتحلى بالصبر والأناة.

يقول أحد علماء التتر: (إن إنشاء الأبنية على قبور الشيوخ محبة لهم، ومجاورتها، وإيقاف المبالغ لها، وقصدها من أماكن بعيدة للاستمداد بأرواح هؤلاء المشايخ المقبورين أو

[١] - **"التوحيد أولا يا دعاة الإسلام" للألباني: ص٤، وانظر رسالته هذه في مجلة السلفية، العدد/٤ عام١٤١٩هـ.**

اتخاذهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله؛ إن هذا ليس له في الإسلام أصل. بل العامل لهذه الأمور كالضارب بالفأس على جذور الإسلام. وما الأمر في الحقيقة إلا حيلة ومكر عُمل لسحب أموال بعض المساكين من جهلة المسلمين. فيجب على كل من يحب الدين من المتمكنين فيه أن يقفوا في وجوه هؤلاء الجهلة ويمنعوهم من بدعتهم، فيجب عليهم أن يتكلموا وإن لم يصل كلامهم إليهم، فبذل الجهد في ذلك واجب عليهم، بل ذلك وظيفتهم)[1].

– الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة:

بعد أن ذكرنا أن نشر تعاليم الدين الصحيحة وإزالة البدع والخرافات يحتاج إلى الصبر وطول النفس، لا بد أن نذكر أنه من المهم جداً أن تكون دعوة الناس إلى الخير بالحكمة؛ لتؤتي أكلها، و من الأمثلة على ذلك عدم الإسراع في إصدار الحكم على الناس بله البدء في دعوته الإصلاحية بتبديع الناس وتكفيرهم، وهذا يخص كثيرا طلبة العلم الذين يتخرجون من المؤسسات التعليمية الدينية فيرجعون إلى بلدهم ليباشروا الدعوة والتعليم؛ فإننا – معشر طلاب العلم- إذا رجعنا إلى بلادنا لا بد أن نحرص على دعوة الناس لا على الحكم عليهم.

ومع ذلك فإنه لا يمنع- أثناء بيان العلم الشرعي الصحيح – أن نستخدم منهج المناقشة والجدال بالحسنى انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦، ومن الحكمة أن يكسب الداعي قلوب المدعوين أولاً، ثم – إذا كان لأقواله وقع- ناقشهم في شبههم.

[1]– "شرح جوامع الكلم": ص٣٦٠.

- **استخدام معطيات المجتمع نفسه:**

لا يجوز لمن يريد أن يعالج قضايا مجتمعه أن يعتزله وينطوي في نفسه وفي من اقتدى برأيه أو يقتصر في تعليمه ودعوته على أهل مسجده فقط، بل من المهم أن يصدر صاحب العلم علمه إلى أوسع نطاق، وما أحسن أن يتم ذلك من خلال معطيات المجتمع نفسه: بتدريسه في المؤسسات التعليمية في البلد أو إمامته في المساجد المحلية أو في المجالس الدينية بأساليب مختلفة من: إلقاء المحاضرات، وإقامة الندوات، والدورات، والمخيمات، واللقاءات العامة والخاصة مستخدماً في ذلك كله جميع الوسائل وأحدث التقنيات المطروحة في الساحة من: الإذاعة، والتلفاز، والمجلات، والجرائد، والجوالات، والإنترنت، وغير ذلك من الوسائل الممكنة والمسموح بها شرعاً.

ومن وسائل ذلك: الكتاب الإسلامي، فهو — مع تقدم عالم التكنولوجيا- ما زال أهم وسائل نقل المعلومات إلى أوساط الناس. علماً بأن الشعب الروسي — بإطلاق عام- محب للقراءة، فإن هناك شحاً للكتاب الإسلامي وفجوة لم يسدها كاتب مسلم. فالموجود بالساحة قليل، وحتى هذا القليل أغلبه تراجم من اللغات العربية والتركية. وهذه التراجم تعاني مشكلة دقة الترجمة وسلامتها من الأخطاء اللغوية ومن الركاكة في الجمل.[1] ثم هناك من لاحظ وجود هذا الشح وهذا الطلب، فأراد أن ينتهز الفرصة ليربح بطباعة كل ما يقع في يده من الكتب الدينية، فيطبع لمؤلف صالح وطالح، والحَسَنَ في الأداء والرديءَ، حتى طباعة الشركيات لا تمثل لهؤلاء التجار مشكلة؛ فيطبعونها بدعوى إحياء التراث التتري الديني. وتتميز مطبوعاتهم- في الغالب- بالرُخْص مما يسهل في ترويج بضاعتهم وإن كانت على ورق رديء وبلا غلاف.[2]

ومما يدعو للنظر إلى هذه المشكلة أن نتائج الاستبانات التي تم توزيعها على بعض مسلمي تتارستان دلت على أن وجود المؤلفات التي تقدم للقارئ معلومات خاطئة عن الإسلام لها تأثير في انتشار الانحرافات في المجتمع التتري. وهذه المؤلفات تحتوي على

[1] – **أكتب هذه الكلمات وأنا أشعر بهذه البصمة على نفسي في كتابتي باللغة العربية. نسأل الله السلامة.**

[2] – **انظر مقدمة كتاب "لا إجبار في دخول الجنة" لــرسيم حبيب الله: ص٥.**

شركيات، وبدعيات، وخرافات لا يستطيع القارئ المتجرد عن العلم الشرعي أن يميزها ويحكم عليها بالبطلان فيقرأها ويتقبلها ثقة بالكتاب لكونه دينياً.

№	Причина الأســــــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсутств **لا يؤثر**
5	присутствие литературы, которая предоставляет читателю неправильную информацию об Исламе. **وجود مؤلفات تقدم معلومات خاطئة عن الإسلام**	**36,6**	**30,1**	**19,5**	**13,8**

الاستبانة رقم٣ /الأسباب/ السؤال رقم٥.

نرى من خلال الجدول أن ١٣,٨ % من المجيبين أشاروا إلى عدم تأثير هذا العامل في وجود الانحرافات في المجتمع التتري، بينما أشار ٨٦,٢ % من مجموع المجيبين أن له تأثيراً. ولا يهمني الآن في هذا المبحث مدى تأثيره في وجود الانحرافات في تتارستان، بقدر ما يهمني وجود هذه الظاهرة أصلاً في تتارستان، فكون ٨٦,٢ % من المجيبين أشاروا إلى تأثيره فمعناه أن هذه الظاهرة موجودة بل ومؤثرة.

إذاً، لا بد من العناية بالمسألة.[١]

فانتباهاً لهذه المسألة ورغبةً في إصلاح الوضع مع الكتب، أنشأت الإدارة الدينية قسماً مختصاً بمراجعة المطبوعات الإسلامية، بحيث إذا كانت موافقة على طباعة كتاب معين يختم عليه، ولكن الأمر ما زال يحتاج إلى حلول مناسبة؛ فوجود هذا القسم لا يحسم الموضوع؛ لأنه وحده لا يستطيع أن يراجع جميع ما يراد طبعه، ثم إذا رأى القسم عدم طباعة كتاب معين، فإنه لا يستطيع منع طباعته حسب قانون "حرية الفكر والدين" المتبع في روسيا. فالأمر ليس بيد الإدارة الدينية، فمع أن العمل في حقل الكتب يحتاج إلى تنظيم شامل من تكوين إدارة متكاملة وإيجاد كوادر متكافئة من الكتّاب، والمترجمين، والمراجعين الشرعيين، والمدققين اللغويين، ثم الكاتبين والمصممين على الكمبيوتر، فإن الأمر يحتاج في حله إلى تضافر الجهود واجتماع ذوي الرأي على منهج معين في حل مثل هذه المشاكل.

١ – لاحظ مستشرق زنامينسكي أثراً عظيماً في تثقيف التتر الديني من خلال نشرهم للكتاب الإسلامي في أوساط شعبهم. انظر "تتر قازان": ص٣٠-٣١.

المبحث الثاني

العناية بالمساجد والمدارس

لما كان الاعتناء بنشر العلم الشرعي أمراً ضرورياً كان من الأهمية بمكان إعداد الكوادر المتميزة من المتعلمين والدعاة، فهم عنصر فعال لنشر العقيدة الصحيحة والتحذير مما يضادها، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من العناية بالمساجد والمدارس.

إن دور المساجد في المجتمع المسلم عظيم جداً إذ هي من أكبر معالم الكيان الإسلامي في البلد ودليل على تواجد المسلمين فيه، فلا يستهان بدوره الاجتماعي والدعوي.

ومن المعلوم تاريخياً أنه إثر انهيار الحكم الشيوعي بقيت تتارستان دون مساجد؛ إذ كانت المساجد على مدار سبعين سنة إما تهدم، وإما تحول إلى مستودعات، أو تستخدم في مصالح السلطة الشيوعية الحاكمة. فلما انهار السوفييت وشعر المجتمع التتري بالفراغ الروحي وبالحاجة الماسة إلى إحياء التراث التتري الثقافي منه والديني؛ انبرى لإعادة معالم دينه بما في ذلك المساجد. فاستشعارا لأهمية دور المساجد قرر المؤتمر الذي أقامه المركز التتري الاجتماعي في عام ١٩٨٩م أن يعتني بالمساجد وذلك ببناء مساجد جديدة وباسترجاع ما بقي منها من أيدي الحكومة. فحسب تقريرات ذلك المجلس كان في تتارستان عام ١٩٨٩م ثلاثة وثلاثون مسجداً فقط على نطاق الجمهورية.[١] (ولم تكن آنذك ولا مدرسة واحدة في الجمهورية).

ونرى اليوم بعد مرور عدة سنوات من ذلك التاريخ أن بعض الأهداف قد تحققت فنرى اليوم أن عدد المساجد في مدينة قازان فقط صار اثنين وخمسين مسجداً، وعدد المساجد على نطاق الجمهورية صار ما يقارب ١٣٠٠ مسجد – ولله الحمد، وهذه الأرقام تعتبر أرقاماً خيالية حسب المعايير الروسية المعاصرة.

ولكن ما زال بعض القرى ومناطق تمركز السكان التتريين يحتاج إلى بناء مساجد، ولكن غلاء الأسعار في مواد البناء والأيدي العاملة يؤخر عملية استيفاء هذه المناطق ببناء

---

١ – انظر "لا إجبار في دخول الجنة": ص ١٩٠.

المساجد فيها، ومع ذلك فإن المساجد تنمو يوما بعد يوم نموَ الفطر بعد المطر – ولله الحمد. ومن الملاحظ أن بناءها يقوم – في الغالب– على تبرعات أهل المنطقة.

يقول أحد المشايخ ممن زار تتارستان في بداية التسعينيات مبيناً أن من المظاهر الإيجابية في تتارستان بناء المساجد: (فهناك جهود كبيرة جداً لبناء المساجد، وهذه المساجد غالباً ما يبنيها أصحاب تلك البلاد، فهي مشاريع نابعة من ذوات أنفسهم، والحمد لله أنك لا تكاد تجد قرية إلا وفيها مسجد قد بني الآن أو مسجد تحت البناء، ولا تكاد تجد قرية إسلامية إلا وأهلها حريصون على بناء المساجد، ويلاحظ أن أشد ما يواجهونه الآن بالنسبة لهذه المساجد هو نقص الدعم المادي اللازم لإكمالها، وذلك نظراً لانخفاض قيمة العملة وغلاء الأسعار)[1].

وإن كان دور المساجد في المجتمع المسلم عظيماً، والاهتمام بها أمراً مطلوباً، فإن دور المدارس الإسلامية لا يقل عن المساجد أهميةً، بل يرى أحد الدعاة التتريين أن الهدف الأول في مسيرة إحياء الإسلام في المجتمع التتري ليس هو بناء المساجد بناءً ارتجالياً من غير تفكر في مدى حاجة المنطقة إليها، وإنما في بناء المدارس التي تثقف الشعب وتربِّيهم؛ لأن المصلي إذا استمع مرة واحدة في الأسبوع إلى خطبة الجمعة لن يستفيد كثيراً، وإنما الذين يستفدون بأنفسهم فيُفيدون غيرهم ويسببون في تقدم مجتمعهم هم المسلمون الذين يتلقون العلوم الشرعية ويدرسون الأحكام الدينية.[2]

والسعي إلى إيجاد فرص التعلم الديني للشعب أمر مطلوب، ودور المدارس الإيجابي لا يُنكر أبداً، و لا تعارضَ بين بناء المساجد وبناء المدارس، خاصة وقد قلنا إن المساجد لها دور أساسي من حيث إثبات الكيان المسلم في المنطقة، فهي من معالم الدين الإسلامي وهي أول ما ابتدأ به رسول الأمة ﷺ عند إنشاء دولة الإسلام في المدينة المنورة! ثم – وهذا مهم– إن دور المساجد لا ينحصر في إقامة الصلوات فيها، بل لا بد من إحياء الدور الحقيقي للمسجد في المجتمع من جمع نخبة الشباب في المنطقة ووعظ الناس وتعليمهم من خلال الخطب والمواعظ وإنشاء حلق القرآن وإقامة الندوات والدورات فيه، ومتابعة أحوال المسلمين من

[1] – **"عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٣٣.**

[2] – **انظر "الإسلام في حياة تتارستان الاجتماعية والسياسية": ص١٣٢.**

خلال المسجد وإرسال الدعوات لمن لم يحضر المسجد وترغيبهم في الإسلام والالتزام به... فالأساليب والوسائل التي يستطيع أن يقوم بها المسجد كثيرة، إنما علينا أن نعتني بالمساجد اليوم ليس كَمّاً فقط وإنما كيفاً؛ فلا بد من عمل منظم من إنشاء برامج متكاملة للمساجد من البرامج الدراسية والتربوية يقوم بإنشائها نخبة من طلبة العلم المتميزين ويتم نشرها بواسطة الإدارة الدينية وبأمرها بما يلزم لتطبيقها في المساجد. فهذا ممكن وليس تطبيق الفكرة صعباً مع وجود الكوادر والنية الصافية والإخلاص الصادق.

هذا، وأضيف إلى ما سبق أن كل مسجد في تتارستان -في الغالب- يخصص غرفة أو عدة غرف لإقامة دروس فيه، بل هناك بعض المدارس الكبيرة تقوم على أساس المسجد تتوفر فيها غرف النوم، وقاعات دراسية، وبقية متطلبات الإقامة، و هذا من المزايا الإيجابية.

والمساجد على أي حال تحتاج إلى الإعتناء بها من حيث إعداد البرامج الدعوية التعليمية، ومن حيث إعداد الأئمة المتمكنين من تنفيذها.

و هذه الظاهرة الإيجابية التي تميز بها كثير من مساجدنا لاحظها أحد المشايخ ممن زار تتارستان، إذ يقول: (من المظاهر الإيجابية أيضاً بناء المدارس، وهذه الظاهرة ممتازة جداً إلا أنها قليلة، وفي الغالب تكون هذه المدارس تابعة للمساجد، تجدها بجانبه ملاصقة له، أو على بعد أمتار منه، ويكون في المدارس سكن وصالات للطعام يقوم عليها إمام المسجد وأهل الخير، مع العلم أنهم لا يتلقون أي مساعدة من الجهات الرسمية هناك، وإنما يتلقون المساعدة من بعض المحسنين.

وأحياناً تكون المدارس مستقلة وبعيدة عن المساجد، وهذه المدارس أيضاً قليلة جداً وتحتاج إلى تمويل ضخم)[1].

نستطيع أن نرى أن المجتمع التتري يعاني قلة المؤسسات التعليمية المختصة بتعليم الدين مما يعد من أحد أسباب وجود بعض الانحرافات العقدية في تتارستان. إن الجدول التالي يبين لنا رأي المجيبين في مدى تأثير هذا العامل:

---

[1] – "عبر ودروس من زيارة بلاد الروس": ص٣٥.

№	Причина الأسبـــــــــــاب	مدى تأثير السبب			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсутств لا يؤثر
8	недостаточное количество религиозных учебных заведений. **قلة المؤسسات التعليمية المختصة بتعليم الدين**	**30,3**	**34,4**	**21,4**	**13,9**

الاستبانة رقم٣ / الأسباب/ السؤال رقم ٨.

وقد أجاب ١٣,٩ % من المجيبين أن قلة المدارس الإسلامية لا تؤثر في تفشي الخرافات والبدع في المجتمع التتري، بينما يرى ٨٦,١ % من مجموع المجيبين أن ذلك من الأسباب المؤثرة في تفشي الانحرافات العقدية في المجتمع التتري. ولكن ليست فائدة هذا الجدول في هذا المبحث من الرسالة معرفة مدى تأثير هذا العامل، قدرَ ما هو مفيد لمعرفة مدى حاجتنا للاعتناء بالمؤسسات التعليمية في البلد؛ فإذا كان من الأسباب المؤثرة في تفشي البدع والخرافات في البلد قلة المؤسسات التعليمية المختصة بتعليم الدين؛ فهذا يعني أننا بحاجة ماسة إلى الاعتناء بها.

ويلاحظ أن عدد المؤسسات التعليمية الدينية في تتارستان لا يتجاوز اليوم اثنتا عشرة مؤسسة، منها: الجامعة الإسلامية الروسية، والمدرسة "العثمانية" الثانوية، وعدة مدارس دينية بداخل المساجد مع توفر شروط الإقامة فيها، وعدة مدارس مستقلة عن المسجد، ويدرس بها طلاب من أنحاء تتارستان وبعض مناطق روسيا.[١]

وفي الختام أريد أن أؤكد على أن الاعتناء بهذين الأمرين: المساجد والمدارس، لا يتم بمجرد إنشائها إنشاءً عمرانياً، بل لا بد من الاعتناء بها من حيث توفير البرامج الدعوية والتعليمية الصحيحة والمناسبة المواكبة لمتطلبات الحياة، ومن حيث توفير الكوادر المتمكنة في تنفيذ تلك البرامج.

ويقول في تأكيد هذا المبدأ أحد علماء التتر المشهورين: (إن المدارس ليس شأنها في الجدران! إنما الشأن كل الشأن في عملية التدريس واستمراريته مهما كان! فلو سحبت المدارس من أيدي المسلمين أو هدمت، فليس هذا سبباً ليتوقف التعليم، فالمهم أن يستمر التدريس الديني وتعليم الناس لأحكام دينهم أينما كان وفي أي ظرف كان)[٢].

[١] – انظر الموقع الرسمي للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان: http://www.e-islam.ru/education .

[٢] – انظر "الخواطر": عالمجان بارودي: ص٩٦.

المبحث الثالث

التواصل مع أهل السنة في العالم الإسلامي

إنه من المهم جداً تواصل علماء بلدنا تتارستان وطلبة العلم فيه مع أهل السنة في العالم الإسلامي. ولهذا التواصل أهمية كبرى خاصة في ظروفنا الراهنة التي يمر بها المجتمع التتري. فكما قال أحد الأئمة التتر: (إن الدنيا- بعد سقوط الشيوعية- تغيرت، بحيث نعيش اليوم في زمن يستطيع المسلم في بلادنا أن يتنفس بكل حرية، ولكن... ولكن ما زال ذاك الزمان المظلم يذكرنا بنفسه؛ فإننا نشعر بنقص في أهل العلم الشرعي بين أبناء بلدنا)[1].

وهذا كلام صحيح؛ فإن وجد في البلد بعض الأئمة والمعلمين المتمكنين من العلم الشرعي فإنه لا يوجد أحد وصل إلى درجة من العلم تمكنه من الإفتاء خاصة في قضايا المستجدات، فأكبر علماء البلد اليوم هم الأئمة الذين درسوا بمدرسة "مِيرعَرب" في بخارى أواخرَ أيام الحكم الشيوعي وطلبة العلم من خريجي الجامعات الإسلامية من العالم الإسلامي، كطلاب جامعات المملكة العربية السعودية، ومصر العربية، وتركيا، وتونس، وليبيا وغير ذلك من الدول التي فيها جامعات إسلامية عالمية، وليس فيهم من تخرج في الدراسات العليا بتخصصات دينية إلا اثنين أو ثلاثة! ففي كثير من الأحيان يحتاج هؤلاء العلماء إلى سؤال من هو فوقهم في العلم؛ فهنا تأتي أهمية وضرورة التواصل مع أهل السنة في العالم الإسلامي خاصة العلماء منهم. ثم، إن الإنسان مهما بلغ من العلم – ولو في تخصص معين- فإنه لا يستطيع أن يعرف كل شيء ويجيب على كل شيء، فيحتاج الأمر إلى تضافر الجهود واتصال الأفكار وتواصل العلماء فيما بينهم للبحث عن الأجوبة المقنعة وإيجاد أسلم الطرق في حل القضايا المعاصرة ودرء الفتنة المحدثة[2].

---

[1] – "الخطب والمواعظ" إسحق لطف الله: ص٤.

[2] – انظر مسألة أهمية تضافر الجهود واتصال الأفكار وتواصل العلماء فيما بينهم في "موسوعة الرد على الصوفية" ضمن برنامج "المكتبة الشاملة": ١٦٣/١٠٩.

وإذا نظرنا إلى تاريخ علماء التتر نجد أهم كانوا يرحلون في طلب العلم كثيراً إلى البلاد الإسلامية، فكانوا يستفيدون ويفيدون هناك، ثم إذا رجعوا إلى بلدهم كانوا يتميزون بسعة الاطلاع ورصانة المعرفة ورجحان العلم في الفنون الدينية.[1]

فالتواصل مع العلماء أمر ضروري لنشر تعاليم الدين الصحيحة وقمع البدع المحدثة. وذلك لن يتم إلا إذا كان هذا التواصل مع علماء أهل السنة بالذات، الذين يوثق بعلمهم لاستنادهم على الأدلة المعتبرة، ولغيرهم على السنة المطهرة، ولتحليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فبالتواصل معهم يتحقق قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

ومن بعض وسائل التواصل مع علماء أهل السنة ما يلي:

– إقامة الدورات العلمية الرسمية[2] للعامة وللخاصة من الأئمة والمؤذنين والدعاة وطلبة العلم باستضافة المشايخ المعروفين ممن شهد لهم العلماء بسلامة العقيدة ومتانة العلم وحضور الحكمة.

– إقامة محاضرات ودروس علمية لعلماء أهل السنة عبر قنوات فضائية. ويتم بالتالي: إيجاد صالات مجهزة لذلك في مراكز الدعوة في البلد بالتنسيق مع أحد مراكز الدعوة التي تُبُثُّ مثل هذه المحاضرات في القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت العنكبوتية.

– تزويد الدعاة والأئمة المجيدين للغة العربية بأرقام هواتف بعض المشايخ المستعدين للتعاون بالإجابة على الأسئلة والاستفسارات عبر الهاتف.

– تنظيم وفود مكونة من نخبة الدعاة والمعلمين المجيدين للغة العربية والقيام بزيارة علماء السنة في العالم الإسلامي، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات الإسلامية المقامة لمعالجة قضايا

[1] – انظر "سلسلة المختارات: عبد الرحيم أوتوز إيماني": ص ٢٣.

[2] – أقصد بالرسمية أن تكون هذه الدورات بإذن من الحكومة المحلية وبإشراف الإدارة الدينية المحلية، وهذا في غاية الأهمية!

الأمة الإسلامية للاستفادة من الخبرات النافعة، والتعرف على الشخصيات البارزة وتكوين العلاقة معهم.

- محاولة الحصول على المنح الدراسية لدى الجامعات الإسلامية والعمل على زيادتها، وذلك من الوسائل القوية لعدم انقطاع حبل التواصل مع علماء السنة.

- انتهاز فرصة موسم الحج للتواصل مع علماء أهل السنة من بلاد الحرمين الشريفين وللتعاون معهم في نشر العقيدة الصحيحة وإزالة البدع والخرافات. ويمكن ذلك من خلال إقامة برنامج الدعوة في الحج، حيث يتم التنسيق بين الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان التي تشرف على نشاطات الحجاج وبين الجهات المختصة بنشر الدعوة في موسم الحج كوزارة الشؤون الإسلامية و غيرها. فبالتنسيق معهم يتم تنظيم اللقاءات لنخب المجتمع التتري في مختلف المجالات وبالأخص الأئمة منهم والدعاة والمعلمين مع علماء أهل السنة والجماعة من المملكة العربية السعودية، ويتسنى من خلالها التنبيهُ على بعض الأخطاء في مسائل توحيد الألوهية التي ربما يقع المسلم التتري فيها.

ثم إن مشروع "الدعوة في الحج" لا يقتصر على الأئمة والدعاة ووجهاء القوم، بل تُوَجَّهُ برامجُ المشروع إلى عامة حجاج تتارستان أيضاً؛ فهذا الذي يرجوه كل حاج تتري حيث جاؤوا إلى مكة وهم متعطشون للاستزادة الروحية والمعرفية. فانتهاز هذا الموسم فرصةٌ سانحةٌ لنشر العقيدة الصحيحة وبيان الانحرافات العقدية في توحيد الألوهية، ثم إن هؤلاء الحجاج إذا رجعوا إلى بلادهم يفدون إلى مختلف المناطق، فينتشر العلم في أنحاء تتارستان.

هذه بعض الرؤى حول مسألة التواصل مع أهل السنة والجماعة في العالم الإسلامي لعلاج مظاهر الانحراف لدى بعض مسلمي تتارستان.

وهذا الموضوع على أي حال يحتاج إلى دراسات تحليلية متكاملة ووضع الاستراتيجيات والخطط المستقبلية، ولعله يجد من يتصدى له من المتخصصين بالدعوة ووسائلها.

ثم إني في هذا المقام أريد أن أنبه القارئ إلى أنني لا أعني نقل المناهج الدعوية من بلد إسلامي معين إلى تتارستان، لا! فكل بلد له ظروفه الخاصة به التي يجب مراعاتها في اختيار الكيفيات المناسبة من الوسائل والأساليب في إيصال الدعوة الإصلاحية إلى المجتمع.

فعلى الدعاة في تتارستان أن يعملوا على توطين العمل الإسلامي وتوطين الدعوة الإسلامية، وذلك بإيجاد الكوادر المناسبة للعمل الإسلامي من أهل البلد أنفسهم، وإيجاد المؤسسات واللجان المناسبة المحلية في البلد نفسه، وإقامة المشاريع الإسلامية من نشر العلم الصحيح وإصلاح المجتمع وإزالة البدع من خلال معطيات المجتمع نفسه، وإيجاد مصادر التمويل لتلك المشاريع في البلد نفسه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده جل وعلا وأشكره، وأثني عليه وأستغفره، وأسأله المزيد من فضله ورحمته؛ إنه جواد كريم. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فبعد أن منّ الله تعالى علي بإتمام كتابة هذه الرسالة عن "توحيد الألوهية لدى مسلمي تتارستان" عرضاً ودراسةً في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، أحب أن أقف مع القارئ الكريم على أهم ما توصلت إليه خلال هذا البحث من نتائج وفوائد كانت حصيلة لمسائل كثيرة، فمن ذلك:

أولاً: في مباحث التمهيد:

١- معنى التوحيد شرعاً: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والأسماء والصفات والألوهية.

ومعنى "توحيد الألوهية" أي: استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له. ومن حقق التوحيد دخل الجنة، ومن انحرف عن التوحيد ووقع فيما يضاده من الشرك استحق النار.

٢- معنى كلمة تتارستان. إن كلمة "تتارستان" تعني: بلاد التتر. والشعب المعروف اليوم بالتتر شعب تركي الأصل ولغتهم إحدى لهجات مجموعة اللغات التركية. وأصل هذا الشعب من قومية بولغار القدماء الذين أسسوا دولتهم بولغاريا العظمى على سواحل البحر الأسود الشمالية برئاسة كُبْرات خان (ت: ٤٠هـ/٦٦٠م).

ثم مر تاريخهم بمراحل عدة، هي:

- انقسام دولة بولغاريا العظمى وهجرة فئة منها في نهاية القرن السابع الميلادي نحو الشمال الشرقي على ضفاف نهر فولغا، وإقامة دولة "بولغاريا الفولغا".
- ثم اعتناق دولة بولغاريا الفولغا الدين الإسلامي أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله عام ٣١٠هـ/٩٢٢م.

- ثم سقوط منطقة حوض فولغا بأكملها تحت الهجوم المنغولي (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) ووقوعها ضمن الإمبراطورية الجنكيزية في الجزء الشمالي منها المسمى بـ"القبيلة الذهبية".

- ثم انقسام الامبراطورية الجنكيزية و انفصال كل إمارة منها دولةً مستقلةً، ومنها القبيلة الذهبية التي كان يقال لها "دولة التتر الشمالية". لقد أسلم تتر الشمال في زمن إمارة بركت خان، وقويت شوكتهم في عصر أوزبك خان (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤٢م)، و لم تشارك تتر الشمال بما فيهم البلغاريون في الاستيلاء على البلاد الإسلامية وفي قتل مسلمي بغداد!

- ثم تفكك القبيلة الذهبية واستقلال منطقة بولغاريا متمثلة بخانية قازان (٧٩٧هـ/١٣٩٥م).

- ثم سقوط قازان عام ٩٦٠ هـ/١٥٥٢م على يد الروس النصارى الذين استعملوا أساليب شتى في إجبار المسلمين على تغيير دينهم وتحويلهم إلى النصراينة.

- ثم قيام الثورة البولشيفية في روسيا سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، وصدور سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م قرار مجلس نواب الحزب الشيوعي بتسمية منطقة قازان بـ"**الجمهورية السوفياتية الاشتراكية التترية**". فبالتالي سمي البولغاريون القزانيون باسم التتر، وسميت أراضيهم ببلاد التتر- تتارستان رسميا وعلناً.

- إن الشعب الساكن في خانية قازان قديما والشعب الساكن في تتارستان حالياً المسمى اليوم بالتتر امتداد للشعب البلغاري. و لم يلتصق اسم التتر بهم خاصة، و لم تسم منطقتهم بـ"تتارستان" أي "أرض التتر" إلا بعد استيلاء الحكم الشيوعي على روسيا.

- وقد تبين لنا أن التتر القدماء هم أحد العناصر التي شاركت في تكوين قبائل المنغول، ومن هنا جاز اطلاق كلمة "تتار" على قبائل المنغول. وليس البلغار القدماء والتتر القدماء والمنغول شيئاً واحداً، بل هم من القبائل قريبة الأصول. والشعب المسمى اليوم بالتتر (أو التتار) قد قام على أساس ذاك الشعب البلغاري التركي الذي يُعتَبر متقاربَ الأصول مع التتر القدماء لا هم نفسهم! ولكن كون التتر استولوا على البلغار وكون بلغاريا عاشت نحو قرنين اثنين تحت ولاية القبيلة الذهبية يجعل القول باختلاط الدماء بعضها ببعض ممكناً، بل من الصحيح أن نقول بأن الشعب المسمى اليوم بـ"**الـتتر**" قد شارك في تكوينه البلغاريون (كالأساس) والقبائل المؤسسة للجيش التتري الذي يشتمل على قومية التتر

القدماء والمنغول والقوميات التركية مثل قفجق وغيرهم والتي تشترك مع البلغار في الأصول واللغة.

ثم كون البلغار حَكَمَهم ملوك من سلالة جنكيز خان مدة من الزمن حتى بعد سقوط القبيلة الذهبية كان من الأسباب المباشرة في إطلاق الروس المجاورة اسم التتر عليهم، وقد ساعد في ذلك أيضا تقارب الأصول وتشابه اللغات بين البلغاريين وتتر القبيلة الذهبية- كما أسلفنا.

- من النتائج المهمة التي توصلنا إليها، هي: أن الشعب المسمى اليوم بالتتر وإن كان قريبا للتتر الجنكيزيين في الأصول واللغة، وإن عاش معهم واختلط بهم فترة من الزمن، وإن حكمهم ملوك من سلالة جنكيز خان؛ فإنهم مع ذلك كله ليسوا من الذين دمّروا بغداد بل ليس تتر الشمال (وهم تتر القبيلة الذهبية) ممن حارب الخلافة العباسية. والعكس هو الصحيح: إن التتر البلغاريين والتتر الذين جاؤوا مع باتو خان بل وكل الجيوش التابعة للقبيلة الذهبية برئاسة الملك البطل المؤمن بركة خان ثم أوزبك خان كانوا ممن ناصر المسلمين وحارب هولاكو وجيوشه مع سلطان مصر الظاهر بيبرس حتى هزموا أعداء الله وأظهروا دينه الحق على العالمين.

- بعد ما قامت الثورة البولشيفية في روسيا عاشت البلاد - بما فيها منطقة قازان- ما يقارب سبعين عاماً من الإلحاد وقمع الدين. ثم سقط الحكم الشيوعي وأعلنت الجمهورية جمهوريةً ديمقراطيةً ذاتَ استقلال ذاتي، ومن ثم منح الناس حرية الفكر والدين، ورجع التوحيد من جديد إلى بلاد التتر البلغاريين.

ثانياً: في مباحث الفصل الثاني:

١- العبادة هي أفعال المكلفين التي تجمع في نفسها أعمال القلوب والألسن والجوارح.

٢- من أعمال القلب الإخلاص، وهو شرط لقبول العبادة.

٣- ومنها محبة الله. إن الحب والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه، فإن كل حركة في الوجود تصدر عن المحبة: إما محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة. فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى. فإذا كان

أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده، فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهو كمال المحبة.

٤- كل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، وهما أيضاً من أعمال القلوب لا يجوز فيهما الإفراط ولا التفريط. وما حفظت حدود الله ومحارمه بمثل خوفه ورجائه ومحبته.

٥- التوحيد الحقيقي لا بد أن يثمر عملا آخر من أعمال القلوب، وهو التوكل. والتوكل الشرعي المطلوب هو الذي لا ينفي الأسباب.

ثالثاً: في مباحث الفصل الثاني:

١- إن الأقوال من مهمات العقيدة الإسلامية، وهي من الأعمال التي يُعامَل الإنسانُ بمقتضاها في الدنيا، ويُحاسَب عليها في الآخرة.

٢- لا بد في العبادات القولية من إخلاص القول لله وموافقة القول لسنة رسول الله ﷺ، فبالتالي تكون وفق الضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية.

٣- ومن العبادات القولية: الأذكار والأدعية.

٤- ومنها التلفظ بالأيمان والنذور.

٥- ومنها التوسل.

رابعاً: في مباحث الفصل الثالث:

١- من مظاهر توحيد الألوهية عند الشعب التتري العبادات العملية كالصلاة، والصوم، والذبح. ومع ذلك هناك نسبة من المجتمع قد انحرفت عن جادة الطريق، حيث توجد عندهم بعض المخالفات كالتهاون بالصلوات أو ممارسة بعض البدع المتعلقة بها، وكذلك المخالفات التي تتعلق بالصوم كإرادة تخفيف الوزن مما يشوب الإخلاص، وتخصيص بعض أيام السنة بصلوات معينة أو بالصيام مع أن الشرع لم يخصصها بذلك، وما يتعلق بالذبح مما يفعله البعض من تقديم القرابين عند القبور أو الأماكن التي يتعبد فيها بعض الوثنيين؛ وهذا وإن كان قليل الانتشار في المجتمع التتري- ولله الحمد، فإن علماء التتر قد نبهوا على تحريم ذلك.

٢- إن البدع كما تقع في العبادات، كذلك تقع في المعاملات والعادات. فالتحريم في غير العبادات يقع إما من جهة التعبد بها مع أن الشرع لم يشرع ذلك، أو من جهة التشبه بالكفار.

٣- إن للمسلمين أعياداً ثلاثة: عيدان حوليان الأضحى والفطر، وعيد أسبوعي يوم الجمعة، لا رابع لها. ومظاهر هذه الأعياد موجودة لدى الشعب التتري- ولله الحمد. ولكن لا يخلو الأمر من وجود بعض الانحرافات كالاحتفال ببعض الأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، ولم يحتفل بها من بعده صحابته- رضي الله عنهم. وبعض منها خاص بالمسلمين كالاحتفال بعيد المولد النبوي، فمثل هذه الأعياد تحرم لبدعيتها، ومنها ما هو خاص بكفار الديانات الأخرى كعيد الكريسمس لدى النصارى، أو ما هو عام لأهل بلد معين كعيد رأس السنة أو الاحتفال بيوم انتصار القوات السوفييتية على القوة الفاشيسية؛ فالاحتفال بها محرم لعدم مشروعيتها وللتشبه بالكفار.

٤- إن التداوي بالوسائل الجائزة أمر مشروع. ومنه التداوي بالأسباب المادية كالحبوب والأشربة، ومنها ما هو من نوع الرقى. والضابط في الرقية أن تخلو من الشرك، وهذا يستلزم أن تكون بما يفهم كلامه. ومظاهر التداوي بهذه الأسباب موجودة في المجتمع التتري. وهذا أمر طيب، ولكن الأمر يصبح خطيراً إذا تجاوز المشروع إلى استخدام التمائم واستعمال السحر والتطير.

٥- إن الجنائز والقبور تذكر بالآخرة وتحث على الاستعداد ليوم الرحيل، ولكن بعض مسلمي تتارستان يسيئون في ذلك ويشتغلون في مثل هذه المناسبات ببعض البدع وممارسة ما لم يشرع في الإسلام من وضع "جواب ناما" مع المقبور، وإقامة المآتم في اليوم الثالث من موت الشخص وسابعه وأربعينه وعند انقضاء السنة من موته. فكل هذا من البدع المنكرة في الإسلام لا أصل لها لا في الكتاب ولا في السنة.

٦- إن من مظاهر الزيارات الشرعية زيارة القبور لتذكر الآخرة وللدعاء بالمغفرة لأصحاب تلك القبور، ومنها السفر إلى المساجد الثلاثة. وهذه المظاهر موجودة لدى التتر، ومع ذلك نجد بعض الناس يخالفون الهدي النبوي في هذا الباب ويقومون بزيارات بدعية وشركية إلى

بعض المقابر وإلى بعض المنابع معتقدين قداستها، ولا قداسة في الإسلام إلا ما قدّسه الله تعالى.

٧- إن الشعب التتري ضرب مثلاً رائعاً في الولاء للإسلام والبراءة من الكفر. وهذا واضح جلي في مواقف أبناء هذا الشعب من الروس النصارى الذين حاولوا إغواء التتر وإدخالهم بالحديد والنار في النصرانية، ولكن الشعب المسلم صمد واحتفظ بالدين الإسلامي- ولله الحمد.

خامساً: في مباحث الفصل الرابع:

١- إن من أهم أسباب وجود الانحراف عن توحيد الألوهية هو الجهل بأمور الدين.

٢- ومن تلك الأسباب تسلط الحكم الشيوعي؛ فإنه كان سبباً في عزل الشعوب عن تعلم مبادئ دينهم، واستبدالها بمبادئ الكفر والإلحاد.

٣- ومن الأسباب كذلك حركة التنصير التي قامت بها الكنيسة النصرانية الروسية.

٤- ومن ذلك قلة العلماء الراسخين في العلم الشرعي الذين من شأنهم نشر العلم وقمع البدع.

٥- ومن الأسباب التعصب المذهبي بين المسلمين المتدينين واتباع الهوى.

سادسا: في مباحث الفصل الخامس:

١- مما يساعد في علاج مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية العناية بنشر العلم الشرعي.

٢- ومن ذلك أيضاً العناية بالمساجد والمدارس كماً وكيفاً، بالبناء وإعداد المناهج الدعوية والتعليمية.

٣- من الوسائل المهمة تواصل علماء تتارستان وطلبة علمه مع علماء أهل السنة في العالم الإسلامي.

وفي الختام أتوجه إلى الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالي الصالحة يوم القيامة، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملحقات:

١- خارطة جمهورية تتارستان

٢- الاستبانة رقم١

"مدى انتشار مظاهر توحيد الألوهية القولية لدى الشعب التتري"

٣- الاستبانة رقم٢

"مدى انتشار مظاهر توحيد الألوهية العملية لدى الشعب التتري"

٤- الاستبانة رقم٣

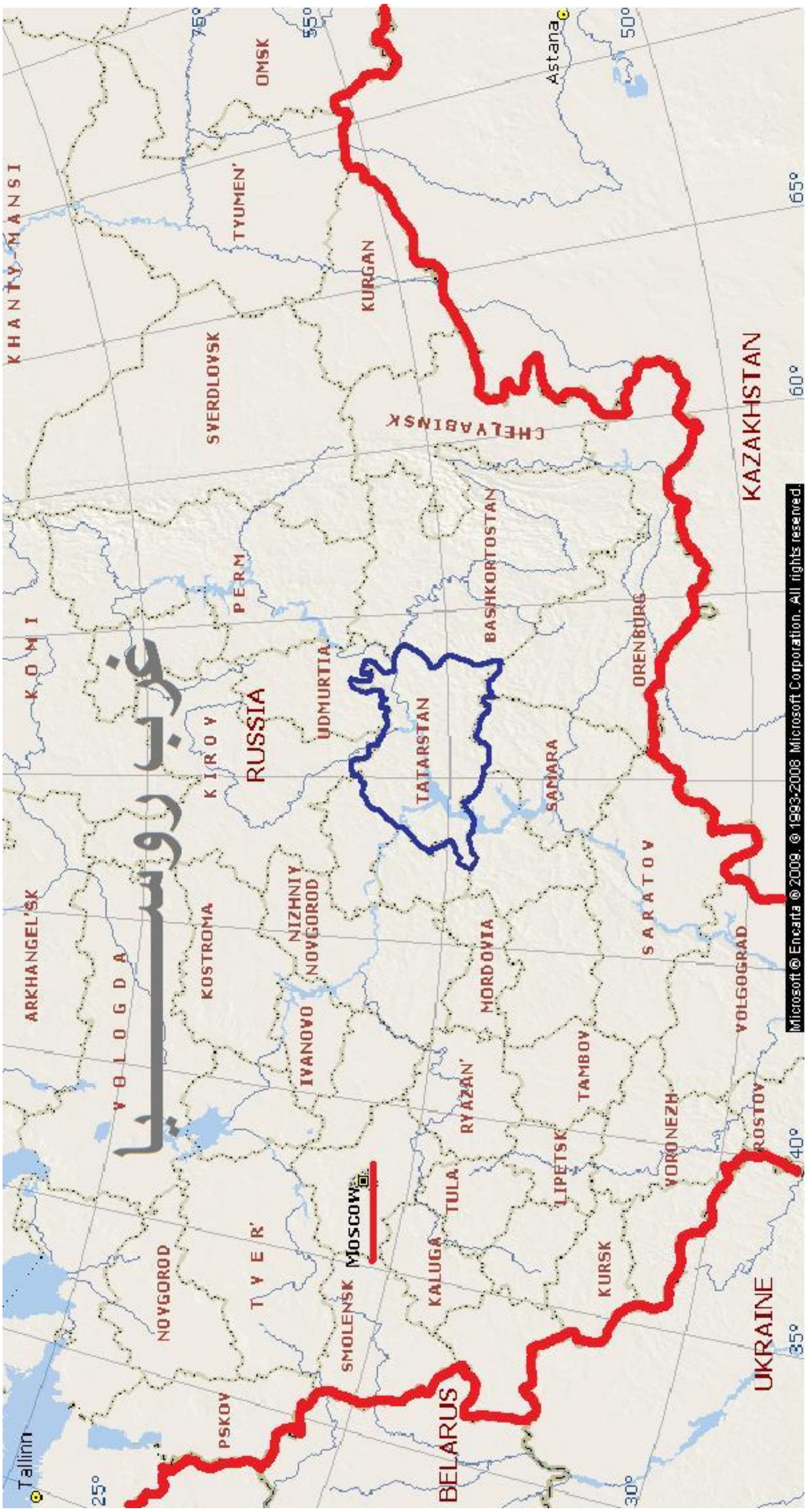
"أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان"

٥- الاستبانة رقم٤

"مدى انتشار بعض مظاهر توحيد الألوهية القولية

لدى الشعب التتري"


تتارستان
روسيا
روسيا
روسيا
روسيا
PERM
Neftekamsk
Sarapul
BASHKORTOSTAN
Oktyabr'skiy
UDMURTIA
Naberezhnyye Chelny
Nizhnekamsk
Al'met'yevsk
Bugul'ma
ORENBURG
KIROV
SAMARA
Dimitrovgrad
Kazan'
Ul'yanovsk
Yoshkar-Ola
MARI EL
Novocheboksarsk
Zelënodol'sk
Cheboksary
CHUVASHIA
UL'YANOVSK
MORDOVIA
Microsoft ® Encarta ® 2009. © 1993-2008 Microsoft Corporation. All rights reserved.


غرب روسيا
RUSSIA
TATARSTAN
BASHKORTOSTAN
UDMURTIA
KIROV
PERM
KOMI
KHANTY-MANSI
SVERDLOVSK
CHELYABINSK
KURGAN
TYUMEN'
OMSK
Astana
KAZAKHSTAN
ORENBURG
SAMARA
SARATOV
VOLGOGRAD
ROSTOV
VORONEZH
TAMBOV
LIPETSK
KURSK
UKRAINE
BELARUS
SMOLENSK
KALUGA
TULA
RYAZAN'
MORDOVIA
NIZHNIY NOVGOROD
IVANOVO
KOSTROMA
VOLOGDA
ARKHANGEL'SK
TVER'
NOVGOROD
PSKOV
Tallinn
Moscow
25°
30°
35°
40°
50°
55°
60°
65°
Microsoft ® Encarta ® 2009. © 1993-2008 Microsoft Corporation. All rights reserved.

Анкета № 1: استبانة رقم ١

"مدى انتشار مظاهر توحيد الألوهية القولية لدى الشعب التتري"

كشف نتائج الاستبانات في النسب المئوية

(عدد الاستبانات المرصودة ١٣٥ استبانة)

№	صورة الظاهرة (зикры) мольбы к Аллаху поминание **الأذكار و الأدعية** *توحيد الألوهية القولي*	на сколько сильно эта форма проявляется **مدى قوة انتشار الظاهرة**			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
1	совершение поминания Аллаха после намаза (субхан Аллах, альхамду лилЛяхи, Аллаху Акбар и др.) القيام بالأذكار بعد الصلوات: سبحان الله- الحمد لله-الله أكبر	60,7	37,0	0,8	1,5
2	поминание Аллаха при смерти близких. ذكر الله عند موت الأقارب	69,7	19,7	7,6	3,0
3	искреннее обращение к Аллаху в трудных моментах. الإخلاص في النداء إلى الله في أوقات الشدة	76,3	20,0	3,7	0
4	чтение Корана по усопшим. قراءة القرآن لأرواح الأموات	38,6	31,1	16,7	13,6
5	чтение Корана на собраниях и маджлисах. قراءة القرآن في المجالس و المناسبات	46,6	33,1	14,3	6,0
6	посвящение прочтения Корана пророку Мухаммаду (да благословит его Аллах и да приветствует). إهداء ثواب قراءة القرآن لروح محمد ﷺ	25,0	37,9	14,4	22,7
7	получение оплаты за чтение Корана или за совершение дуа. أخذ الأجرة على قراءة القرآن و الدعاء	15,0	19,5	16,6	48,9
8	чтение всего Корана с целью продать савап (награду) прочтённого Корана. ختم القرآن بهدف بيع ثوابه	4,6	23,7	11,4	60,3
9	обращение с мольбой к мертвым с просьбой разрешения проблем. الاستغاثة بالأموات في حل المشاكل	0,8	8,3	12,0	78,9
10	обращение с мольбой к живым, прося у них то, что обычно просят у Аллаха. طلب من الأحياء ما لا يطلب إلا من الله	3,8	8,4	9,2	78,6
11	обращение к Господу через посредников. دعاء الله باتخاذ الوسطاء بينهم وبين الله	3,8	6,1	11,3	78,8
12	взывание к защите сверхъестественных сил помимо Аллаха. الاستغاثة بالقوات الخفية دون الله	3,7	9,0	14,2	73,1
13	обращение к мёртвым с мольбой о заступничестве перед Аллахом. طلب الشفاعة من الأموات ليشفعوا لهم عند الله	6,1	5,3	6,9	81,7

14	встречали ли Вы какие либо формы поминания Аллаха не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: في بلدك أي تعبد مخالف للشريعة غير ما ذكر في الاستبانة؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- أذكار جماعية ٢- تغني بالأذكار في صلوات التراويح ٣- قراءة القرآن في المقابر

№	**صورة الظاهرة** произнесение обетов и клятв **النذور والأيمان** *توحيد الألوهية القولي*	**н**а сколько сильно эта форма проявляется **مدى قوة انتشار الظاهرة** сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
15	произнесение обета(назра) Аллаху, типа: « О Аллах, если будет так-то, то я принесу тебе в жертву барана» или «три дня буду поститься» или «раздам милостыню на такую-то сумму». النذر لله، مثل أن تقول: "يا الله، إذا حصل لي كذا، فسأقرّب إليك شاة"، أو: "سأصوم ثلاثة أيام"، أو: "سأتصدق بمبلغ كذا"	10,4	26,7	40,7	22,2
16	произнесение обета (назра) не Аллаху, с целью навлечь благо или избавится от беды, типа обращения к усопшему, говоря: « О такой-то, если все получится, то я принесу тебе в жертву барана». النذر لغير الله بهدف جلب المصلحة أو دفع المضرة، مثل أن تقول للميت:" يا فلان إذا حصل لي كذا فسأقرب إليك شاة"	0,8	5,2	9,8	84,2
17	произношение клятвы Аллахом, типа: «клянусь Аллахом…». الحلف بالله/ مثل: "والله"	16,4	36,6	26,9	20,1
18	произношение форм клятв типа: «клянусь матерью», «жизнью». الحلف بصيغ، مثل: "وحياتي"، أو: "أقسم بأمي"	11,9	20,2	14,9	53,0
19	встречали ли Вы какие либо формы обета или клятвы не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل لاحظت في بلدك أي نذر أو حلف مخالف للشريعة من غير ما ذكر في الاستبانة؟ اكتب عن هذا:	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١ -القسم بالخبز، بالأرض، بالماء ٢- القسم بلحية النبي ﷺ ٣- القسم بالرجولة			

Анкета № 2: استبانة رقم ٢

"مدى انتشار مظاهر توحيد الألوهية العملية لدى الشعب التتري"

كشف نتائج الاستبانات في النسب المئوية

(عدد الاستبانات المرصودة ١٣٥ استبانة)

№	صورة الظاهرة намаз, пост, жертвоприношение **العبادات العملية: الصلاة والصوم والذبح...** *توحيد الألوهية العملي*	на сколько сильно эта форма проявляется **مدى قوة انتشار الظاهرة**			
		сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
1	совершение всех пяти намазов в день без пропуска. إقامة الصلوات الخمس كل يوم	51,1	29,6	18,5	0,8
2	совершение намазов только по случаям Уразы байрама и Курбан байрама или по пятницам. إقامة الصلوات في مناسبات العيدين والجمع فقط	35,7	17,8	8,5	38,0
3	совершение «тасбих намаза» в ночь «бараат» (в ночь на 15-го шагбана). إقامة صلاة مخصوصة في ليلة النصف من شعبان	9,4	26,6	36,7	27,3
4	совершение намаза у могил предполагая что там намаз более принимаем Аллахом. الصلاة عند القبور رجاء أن تكون أكثر قبولا عند الله	0,8	3,0	13,6	82,6
5	встречали ли Вы какие либо формы совершения намаза не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل لاحظت في بلدك أي صلاة تخالف السنة؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- إقامة صلاة الهول			
6	держание поста в месяц священного Рамадана. الصيام في شهر رمضان المبارك	75,6	21,5	2,2	0,7
7	держание поста в целях похудения. الصيام بهدف تخفيف الوزن	2,3	6,8	22,5	68,4
8	заклание животных (корова, баран, куры и др.) с именем Аллаха. الذبح لله(بسم الله)	57,1	20,3	10,6	12,0
9	заклание барана (или двух) по всем правилам шариата при рождении ребенка. ذبح شاة حسب الشريعة عند ولادة المولود	20,8	33,8	18,5	26,9
10	заклание животных с именем «святых». الذبح بأسماء "الأولياء"	0,8	0,8	13,6	84,8
11	заклание животных на могилах. الذبح عند القبور	0,8	0	7,7	91,5
12	заклание животных на Булгаре. الذبح على أطلال مدينة بولغار	4,7	14,0	10,0	71,3
13	заклание животных на месте «Худжалар тавы». الذبح في مكان "خوجالار طاوي"	5,6	8,0	12,0	74,4

14	встречали ли Вы, какие либо формы заклания животных среди мусульман не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل رأيتم أي مخالفة للشريعة لدى مسلمي بلدكم أثناء ذبحهم من غير ما ذكر؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- يذبحون الديك عند دخولهم المسكن الجديد لمنع السحر دخول البيت

№	народные традиции **العادات** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
15	когда невеста первый раз входит в дом мужа, ей под ноги подкладывают подушку, чтоб вхождение в новую жизнь было легким. وضع الوسادة تحت أرجل العروس عند دخولها بيت زوجها لأول مرة	14,2	27,6	16,4	41,8
16	угощение молодожен мёдом, чтоб их жизнь была такой же сладкой как мёд. تحلية الأعراس بالعسل تفاؤلا	28,0	34,1	11,4	26,5
17	при новоселье в дом сперва запускают котёнка. إدخال القطة في بيت جديد قبل دخول صاحب البيت معتقدين بأن ذلك يجلب السعادة	12,7	23,1	19,4	44,8
18	встречали ли Вы, какие либо формы традиций среди мусульман не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل لاحظتم أي عادة لدى مسلمي بلدتكم مخالفة للشريعة غير ما ذكر في الاستبانات؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- تعليق حدوة فرس عند مدخل البيت ٢- انتظار الضيوف إذا سقطت الملعقة			

№	празднования **الأعيـــــــــاد** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
19	участие в праздниках Курбан-байрам и Фитр-байрам (по окончании Рамазана). الاحتفال بالأعياد: الفطر و الأضحى	67,4	24,3	3,8	4,5
20	празднование «Ночи Вознесения» (Исра ва Миградж). الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج	8,9	26,6	40,3	24,2
21	празднование рождение ребёнка, принося в жертву барана (или двух) как и велено Пророком - да благословит его Аллах и приветствует. الاحتفال بالمولود بذبح العقيقة حسبما ورد في السنة	26,9	28,5	30,0	14,6
22	празднование «Маулида» дня рождения пророка Мухаммада - да благословит его Аллах и приветствует. الاحتفال بمولد النبي- صلى الله عليه وسلم	17,2	32,0	28,4	22,4
23	празднование рождества Христова. الاحتفال بعيد الميلاد	12,3	4,6	10,8	72,3

24	празднование дни рождений, юбилеев. الاحتفال بعيد الميلاد الشخصي واليوبيلات وغير ذلك	38,1	23,9	14,9	23,1
25	празднование «Нового года». الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية	49,3	14,9	12,7	23,1
26	празднование «8-го марта». الاحتفال بعيد المرأة العالمي	49,3	15,7	9,0	26,0
27	празднование дня «Святого Валентина»(дня влюблённых 14 февраля), даря друг другу подарки, открытки, а так же одевая красного цвета одежду. الاحتفال بعيد الحب بتقديم التهاني والهدايا وبلبس الأحمر	23,5	21,2	13,6	41,7
28	празднование «Сабантуя». الاحتفال بعيد "الحصاد" الشعبي التتري	53,7	7,5	15,7	23,1
29	празднование Науруз-байрама. الاحتفال بعيد "النيروز"	19,2	23,1	26,9	30,8
30	встречали ли Вы, какие либо формы празднований среди мусульман не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل لاحظتم أيا من الاحتفالات المخالفة للشريعة الإسلامية غير ما ذكر في الاستبانات؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- الاحتفال بعيد القوات المسلحة السوفياتية ٢- الاحتفال بيوم المعلم، يوم رجال الإطفاء، ونحوه ٣- الاحتفال بيوم الوطن			

№	лечение от сглазов, заклинания, приметы и др. **التداوي والرقى والسحر** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
31	чтение Корана и использ-ие заклинаний, упомянутых в достоверных хадисах в целях исцеления от болезней. التداوي بالآيات القرآنية وبالرقى الواردة في الأحاديث الصحيحة	35,7	34,0	25,6	4,7
32	использование воды «зам-зам», «черного тмина», листьев сидра, шафрана в лечении от сглаза и сихра. علاج الأمراض والعين والسحر بماء زمزم وماء سدر والزعفران، وبالحبة السوداء	22,9	32,1	31,3	13,7
33	при болезнях используют лекарства, но надеются на Аллаха. التداوي بالأدوية مع التوكل على الله وحده	52,6	28,6	15,8	3,0
34	при лечении лекарствами забывают про Аллаха, полностью полагаясь на таблетки. الاتكال الكامل على الأدوية وعدم الالتفات إلى الله	25,8	18,9	14,4	40,9
35	обращение к знахарям, гадалкам и пр. для избавления от невзгод, сглаза, порчи и др. الرجوع إلى المشعوذين والعرافين والسحرة لحل السحر والعين ونحوه	15,0	24,1	13,5	47,4
36	ношение на груди или в сумочке аятов Корана с целью утвердить свою национальную самобытность. لبس آيات القرآن أو الاحتفاظ بها في المحفظة لإثبات الكيان الشعبي(التتري) لا غير	28,4	35,4	8,2	38,1

37	ношение на груди или в сумочке аятов Корана с целью получить покровительство Аллаха. لبس آيات القرآن أو الاحتفاظ بها في المحفظة رجاء رعاية الله	28,0	25,8	9,1	37,1
38	оберегание детей от джинов, сглазов, порчи посредством ножниц, которые кладутся под подушку или посредством завязывания ниточки на ручке или ножке ребёнка. عقد الخيط في يد الطفل أو رجله، أو وضع المقص تحت وسادته لحفظه من الجن والعين والسحر	12,0	13,6	15,8	58,6
39	присутствие поверий связанных с черной кошкой. الاعتقادات المتعلقة بالقطة السوداء	20,5	18,9	12,9	47,7
39-2	встречали ли Вы, какие либо заклинания или поверия среди мусульман, не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل لاحظتم في بلدتكم ما يخالف الشريعة من الرقى والاعتقادات (الطيرة والفأل) غير ما ذكر؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- التفل على اليسار حتى لا تصيب العين ٢- النقر على الخشبة حتى لا تصيب العين ٣- تعليق العين الزرقاء ضد العين ٤- اللعب بالوسادة يورث الصداع			

№	обряды связанные с усопшими **الجنـــــــــــائز** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
40	совершение омовения усопшего по правилам шариата. غسل الميت حسب الشريعة الإسلامية	73,3	21,4	0,8	4,5
41	совершение джаназа-намаза над усопшим. أداء صلاة الجنازة	75,6	18,9	3,1	2,4
42	совершение дуа над усопшим: الدعاء للأموات والجنائز بقوله: "إن لله وإن إليه راجعون"	74,4	17,8	5,5	2,3
43	оплакивание усопшего рёвом и громким плачем. البكاء الشديد عند موت القريب	10,8	19,2	23,1	46,9
44	погребение вместе с мертвым «жавап нама», где пишутся ответы на вопросы ангелов Мункара и Накира. دفن الميت مع الورقة"جواب ناما" التي فيها أجوبة على أسئلة المنكر والنكير	4,7	8,6	16,4	70,3
45	чтение суры «Ясин» над усопшим. قراءة "يس" على الميت	58,5	21,5	9,2	10,8
46	прочтение полного Корана над могилой усопшего. ختم القرآن على قبر الميت	4,8	11,2	20,0	64,0
47	возведение построек над могилами. نصب البنايات على القبور	24,0	11,6	13,2	51,2
48	проведение поминок на 3-ий день со дня кончины, а затем на 7-ой и 40-ой. المآتم يوم الثالث والسابع والأربعين من الموت	57,7	11,5	10,8	20,0
49	встречали ли Вы, какие либо поверия среди мусульман, не соответствующие установленным шариатом нормам? Если да, то напишите: هل رأيت ما يخالف الشريعة مما يتعلق بالأموات غير ما ذكر؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- إنشاء المآتم اليوم الثاني والخمسين من يوم وفاة الشخص.			

№	поездки и посещение святых мест **الزيـــــــــارات** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
50	совершение поездок на Хадж в Мекку شد الرحال إلى مكة لأداء الحج	36,6	27,6	13,7	22,1
51	убеждение в том, что поездки с целью поклонения разрешены шариатом только к трём мечетям: аль-Харам в Мекке, мечеть Пророка в Медине, мечеть аль-Акса в Палестине. الإعتقاد بأن شد الرحال بقصد التعبد جائز إلى المساجد الثلاثة فقط	31,3	25,0	27,3	16,4
52	совершение поездки в Медину для посещения могилы Пророка - да благословит его Аллах и да приветствует. السفر إلى المدينة المنورة بقصد زيارة قبر النبي- صلى الله عليه وسلم	23,4	17,2	24,2	35,2
53	посещение мест погребения родственников. زيارة قبور الأقارب	33,8	40,8	16,2	9,2
54	совершение поездок на руины древнего города Булгар с целью ознакомления с историей татарского народа. السفر إلى أطلال مدينة بولغار القديمة بهدف التعرف على تاريخ الأجداد	19,8	29,8	30,6	19,8
55	совершение некоторыми мусульманами поездок на руины древнего города Булгар с целью совершения там ряда поклонений. السفر إلى أطلال مدينة بولغار القديمة بهدف أداء بعض القربات	6,9	25,4	19,2	48,5
56	убеждение некоторых мусульман в том что посещение древнего города Булгар или места «Худжалар тавы» является богоугодным (желательным) делом. يعتقد بعض الناس أن زيارة أطلال بولغار أو "جبل خوجاوات" من القربات	10,8	20,8	30,0	38,4
57	убеждение некоторых мусульман в том что посещение древнего города Булгар или места «Худжалар тавы» является желательным хотя бы один раз в жизни. يعتقد بعض الناس أن زيارة أطلال بولغار أو "جبل خوجاوات" تستحب ولو مرة في الحياة	3,9	15,5	27,9	52,7
58	посещение мест захоронения «святых». زيارة قبور "الأولياء"	4,0	15,6	23,4	57,0
59	посещение кладбищ с целью поклонения там Аллаху. زيارة القبور للتعبد لله هناك	1,6	7,0	16,2	75,2
60	посещение кладбищ с целью вознесения мольбы к мёртвым. زيارة المقابر لمخاطبة أصحاب القبور	6,2	16,1	17,7	60,0
61	встречали ли Вы совершение каких либо посещений (поездок) среди мусульман, не соответствующих установленным шариатом нормам? Если да, то напишите где и как: هل لاحظتم لدى مسلمي بلدتكم أي انحرافات أخرى في مسألة الزيارات غير الذي ذكر في الاستبانات؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** لم يذكر			

№	صورة الظاهرة приверженность к культурным ценностям **الولاء لقيم الشعب التتري الثقافية** *توحيد الألوهية العملي*	сильно **كثير**	средне **متوسط**	слабо **قليل**	отсут. **لا يوجد**
62	приверженность к культурным ценностям татарского народа. الولاء لقيم الشعب التتري الثقافية	25,8	45,2	21,8	7,2
63	связь культуры татарского народа с Исламом. علاقة الثقافة التترية بالإسلام	35,9	39,8	18,8	5,5
64	влияние европейской культуры на мусульман Татарстана. تأثير الثقافة الغربية على مسلمي تتارستان	33,9	31,5	27,6	7,1
65	подражание некоторыми мусульманами Татарстана представителям других народностей и культур. تشبه بعض مسلمي تتارستان بممثلي ثقافات أخرى	16,5	26,8	33,1	23,6
66	напишите те формы проявления любви(или не любви) татарского народа к мусульманской культуре, с которыми вы встречались: هل لاحظت أي موالاة للإسلام من قبل الشعب التتري؟	**المظاهر غير المذكورة في الاستبانات:** ١- لبس الطاقية التترية . ٢- حب تعليق الإسلاميات في السيارات وفي علاقات المفاتيح. ٣- وضع صور المساجد في شاشات الحاسوب والجوالات. ٤- حب تعلم اللغة العربية.			

الاستبانة رقم ٣ Анкета № 3

«Причины отклонения некоторых мусульман Татарстана от правильного вероучения в вопросах поклонения одному лишь Аллаху».

"أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي تتارستان"

كشف نتائج الاستبانات في النسب المئوية

(عدد الاستبانات المرصودة ١٣٥ استبانة)

№	Причина الأســــباب	на сколько сильно она влияет مدى تأثير هذا السبب في وجود الانحرافات			
		сильно كثير	средне متوسط	слабо قليل	отсут. لا يوجد
1	слабая вера в Создателя. ضعف إيمان العبد بربه	32,0	38,4	14,4	15,2
2	слабые знания религии. ضعف العلم بالدين	55,9	26,0	10,2	7,9
3	подвластность своим желаниям и страстям. اتباع الهوى والشهوة	53,5	26,0	11,8	8,7
4	присутствие некоторых традиций не соответствующих установленным шариатом нормам. وجود العادات لا تتناسب مع الشريعة الإسلامية	27,4	37,1	20,2	15,3
5	присутствие литературы, которая предоставляет читателю неправильную информацию об Исламе. وجود مؤلفات تقدم معلومات خاطئة عن الإسلام	36,6	30,1	19,5	13,8
6	бездействие имамов мечетей, проповедников, получающих знание шакирдов по отношению к отклонениям в религии. عدم إنكار الأئمة والدعاة للبدع	28,7	30,3	23,0	18,0
7	не соответствующий уровень преподавания вероучения в мусульманских учебных заведениях и мечетях. عدم الكفاءة أو ضعف المستوى في تدريس مادة العقيدة في المدارس الدينية والمساجد	24,8	32,2	18,2	24,8
8	недостаточное количество религиозных учебных заведений. قلة المؤسسات التعليمية المختصة بتعليم الدين	30,3	34,4	21,4	13,9
9	влияние христианства تأثير النصرانية على وجود الانحرافات العقدية اليوم في توحيد الألوهية	16,7	30,2	32,5	20,6
10	влияние коммунизма تأثير الشيوعية على وجود الانحرافات العقدية اليوم في توحيد الألوهية	31,0	21,4	28,6	19,0
11	влияние других культур? تأثير ثقافات أخرى...	20,9	20,9	30,9	27,3
12	религиозное воспитание внутри семьи. سوء التربية داخل الأسرة	42,1	27,0	24,6	6,3
13	присутствие в обществе различных течений, сект, партий и тд. وجود الفرق والأحزاب الضالة في المجتمع	35,7	19,0	31,0	14,3

14	отвлечённость проповедников от преподавания поиском пропитания. انشغال الدعاة بكسب قوت اليوم عن الدعوة	16,2	33,3	33,5	17,0
15	На сколько сильно повлияла нехватка ученых в татарском отклонений от правильной акыды обществе на появление и появление бидъата у некоторых татар с конца 20 века по сегодняшний день? **ما مدى تأثير قلة العلماء في المجتمع التتري على الانحراف عن العقيدة الصحيحة في توحيد الألوهية وعلى ظهور البدع لدى بعض التتر في الفترة ما بعد انهيار الشيوعية إلى يومنا هذا؟**	١٠٠	٠	٠	٠
16	встречали ли Вы, какие либо факты, которые могли бы стать причиной возникновения отклонений среди мусульман Татарстана в вопросах поклонения Аллаху? Если да, то напишите: اذكر الأسباب – عدا ما ذكر- تراها مؤثرة في وجود الانحرافات في المجتمع التتري؟	**الأسباب غير المذكورة في الاستبانات:** ١- حب الدنيا ٢- عدم تقديم تعاليم الدين إلى الناس بطريقة صحيحة ٣- قلة أهل العلم الموثوف بعلمهم في البلد ٤- اتباع تقاليد الآباء وعاداتهم من غير تمييز بين حسنها وسيئها ٥- عدم فهم مبادئ الإسلام المتبعة ٦- تشويه صورة الإسلام من قبل وسائل الإعلام ٧- مخالطة أناس ملحدين ٨- اختلاف أقوال بعض الأئمة عن أعمالهم			

Анкета № 4:

استبانة رقم ٤

"مدى انتشار بعض مظاهر توحيد الألوهية القولية لدى الشعب التتري"

كشف نتائج الاستبيان في النسب المئوية

(عدد الاستبانات المرصودة ٢٥ استبانة)

№	форма проявления того или иного рода поклонения **صورة الظاهرة** في الأيمان والنذور	на сколько сильно эта форма проявляется **مدى كثرة استعمال الحلف**			
		сильно **كثيرا**	средне **متوسطا**	слабо **قليلا**	отсут. **لا يوجد**
١	На сколько часто татары используют клятвенные формы? **استعمال الحلف لدى التتر بشكل عام**	% ٢٠	% ٢٠	% ٦٠	-

№	(зикры), мольбы к Аллаху поминание **صورة الظاهرة** **في** الأيمان والنذور	Какая форма проявляется в большей мере **مدى كثرة استعمال هذا النوع من الحلف**		
		بالله	**بغير الله**	**متردد**
٢	Если татары клянутся, то в большей степени клянутся Аллахом или не Аллахом? **ما نوع الحلف الذي يغلب على المجتمع التتري: بالله أو بغير الله؟**	%٤٠	%٣٢	%٢٨

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾	البقرة: ١٩٨	١٠٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾	البقرة: ٢١٨	١٣٢
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾	البقرة: ٢٢٥	٢٢٩، ٢٣٢
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	البقرة: ٢٥٥	٢٨٣
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن ﴾	البقرة: ٢٧٠	٢٣٧
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	البقرة: ٢٨٦	٢٩٣
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾	آل عمران: ١٤	١٢٥
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	آل عمران: ١٩	٤٦٧
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	آل عمران: ٢٨	١٣٣
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	آل عمران: ٢٨	٤٦٩
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾	آل عمران: ٣١	١٢٧
﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى ﴾	آل عمران: ٤٣	٢٩٠
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾	آل عمران: ٦٤	٢٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ﴾	آل عمران: ٧٧	٢٣٠
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾	آل عمران: ٨٥	٤٦٨
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾	آل عمران: ٩٧	٤٤٨
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾	آل عمران: ١٦٠	١٥٩
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾	آل عمران: ١٧٥	١٤٤

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	المائدة: ٣٥	٢٧٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾	المائدة: ٥١	٤٥٨
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	المائدة: ٥٥	٤٥٨
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	المائدة: ٥٦	٤٥٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ﴾	المائدة: ٥٧	٤٥٨
﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾	المائدة: ٧٢	٢٧
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ ﴾	المائدة: ٧٨	٤٧٢
﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ ﴾	المائدة: ٧٩	٤٧٢
﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾	المائدة: ٨٩	٢٢٩، ٢٦٢
﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾	الأنعام: ٨٨	٢٦
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾	الأنعام: ٩١	٢٠٦
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	الأنعام: ١٦٠	١٩٩
﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ ﴾	الأنعام: ١٢١	٢٠٧
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ ... ﴾	الأنعام: ١٦٢	١٩، ٧٩، ٢٩٤، ٣٢٥
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾	الأنعام: ١٦٣	٧٩، ٢٩٤، ٣٢٥
﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	الأعراف: ٤٠	٤١٥
﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	الأعراف: ٥٥	٢٠٢

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ اُعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	الأعراف: ٨٥،٧٣،٥٩،٦٥	٢٧
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾	الأعراف: ٧٠	٢٣
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾	الأعراف: ١٨٠	١٩، ٢٧١، ٢٧٥
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	الأنفال: ٦٠	١٥٩
﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾	التوبة: ٣	٣٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ﴾	التوبة: ٢٣	٤٥٩
﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾	التوبة: ٢٤	١٢٥-١٢٦، ٣٥٩
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾	التوبة: ٣١	٣١٠
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ ﴾	التوبة: ٧٤	٢٦١
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾	التوبة: ٨٤	٤٣٤
﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾	التوبة: ١٠٨	٤٥٢
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾	التوبة: ١١٣	٢١٦
﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	التوبة: ١١٤	٢١٦
﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ ﴾	يونس: ٥٣	٢٣٠، ٢٤٤
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾	يونس: ٦٢	١٥٥
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	يونس: ٩٩	٤٧٥
﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾	يونس: ١٠٦	١٩٦
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	هود: ١٥	٩٩

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾	هود: ١٦	٩٩
﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾	هود: ٤٠	٣٦
﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾	هود: ١١٤	١٩٣
﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ﴾	هود: ١١٨	٤٧٥
﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾	هود: ١١٩	٤٧٥
﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	يوسف: ٢٤	٨١
﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾	يوسف: ٣٠	١١٢
﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾	يوسف: ٦٧	١٦١
﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾	يوسف: ٧٢	٢٦٦
﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ﴾	يوسف: ٨٧	١٥٠
﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم ﴾	يوسف: ١٠٦	٢٤٨، ٣٩٥
﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾	الرعد: ١٦	١٩
﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ﴾	الرعد: ٢١	١٤٥
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾	الرعد: ٢٨	١٢٢
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ ﴾	إبراهيم: ٧	١٥
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	إبراهيم: ٢٧	٤١٣
﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾	إبراهيم: ٤١	٢١٤، ٤٣١
﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾	الحجر: ٥٦	١٥٠

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾	النحل: ٣٦	٢٣، ٢٤
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	النحل: ٤٣	٥١٣
﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾	النحل: ٩١	٢٢٩-٢٣٠
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ ﴾	النحل: ١٠٦	٤٦٩
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ﴾	النحل: ١٢٥	٥٠٥
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾	الإسراء: ١	٣٦٥
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾	الإسراء: ٣١	١٦٧
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾	الإسراء: ٨٢	٣٨٣
﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾	الكهف: ٦٣	١٨٠
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾	الكهف: ١١٠	٨٠، ١٠١، ١٣٢، ١٣٦
﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾	مريم: ٢٥	١٦٠
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾	مريم: ٥٥	٢٩٠
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾	مريم: ٥٨	٢٩٠
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾	مريم: ٧١	١٥٢
﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ ﴾	مريم: ٧٩	١٧٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	مريم: ٩٦	١١٢
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	الأنبياء: ٧	٥١٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾	الأنبياء: ٢٥	٢٣

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾	الأنبياء: ٥٧	٢٤٤
﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا ﴾	الأنبياء: ٦٩	١٦٠
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ ﴾	الأنبياء: ٩٠	١٤٤، ١٨٦
﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾	الحج: ٢٧	١٠٥
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾	الحج: ٢٨	١٠٥
﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾	الحج: ٢٩	٢٣٩، ٤٤٨
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾	الحج: ٣١	٢٧، ٤١٥
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾	الحج: ٣٧	٨٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	المؤمنون: ٥٧	١٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾	المؤمنون: ٥٨	١٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾	المؤمنون: ٥٩	١٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾	المؤمنون: ٦٠	١٤٤، ١٤٥، ١٩٤
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	المؤمنون: ٦١	١٤٤
﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ ﴾	المؤمنون: ١١٧	٢٧٨
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ ﴾	النور: ٣٦	١٤٥
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾	النور: ٣٧	١٤٥
﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾	النور: ٣٨	١٤٥
﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾	النور: ٥٣	٢٦١

الآيـــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ ﴾	الفرقان: ٢٣	٨٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ ﴾	الفرقان: ٦٥	١١٢
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾	الشعراء: ٧٨	٣٨١
﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾	الشعراء: ٧٩	٣٨١
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	الشعراء: ٨٠	٣٨١
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	الشعراء: ٩٧	٢٧
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	النمل: ٦٢	١٩٦، ٢٦٥
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾	القصص: ٥٦	٢١٦
﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾	العنكبوت: ١٧	١٦٤
﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى ﴾	العنكبوت: ٤٦	٥٠٥
﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ ﴾	العنكبوت: ٦٥	١٩٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾	الروم: ٢٧	١٣٨
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الروم: ٤٧	٢٧٩
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان: ١٣	٢٧
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾	السجدة: ١٦	١٤٥، ١٨٦
﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم ﴾	الأحزاب: ٥	٢٣٣
﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	الأحزاب: ٦	٣٦٠
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	الأحزاب: ٢١	٥٠٤

الآيــــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾	ق: ٣٧	٦٧
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات: ٥٦	٢٣، ٢٦، ١١٥، ١٣٤، ١٦٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	الذاريات: ٥٨	١٦٧
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	الرحمن: ٤٦	١٤٦
﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾	الحديد: ٢٠	١٢٤
﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾	الحديد: ٢٧	٣٣١
﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	المجادلة: ١٤	٢٦١
﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ ﴾	المجادلة: ١٥	٢٦١
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	المجادلة: ١٦	٢٦١
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	المجادلة: ٢٢	٤٥٩
﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾	الحشر: ١٨	٤٢٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾	الجمعة: ٩	١٨٢، ٢٠٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾	المنافقون: ٩	١١٥، ١٢٥
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى ﴾	التغابن: ٧	٢٣٠،٢٤٤
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾	الطلاق: ٣	١٦٥
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾	الملك: ٢	٧٩، ١٩٩
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾	الملك: ٥	١٦٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾	الملك: ١٢	١٤٦

الآيـــــــة	السورة/رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾	القلم: ٨	٤٧٢
﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾	القلم: ٩	٤٧٢
﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾	القلم: ١٠	٢٦٢
﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾	الحاقة: ١٧	١٣١
﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾	نوح: ٢٨	٢١٤
﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾	الجن: ١٨	٢٩٠
﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ ﴾	الإنسان: ٧	٢٣٧، ٢٣٩
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾	النازعات: ٤٠	١٤٦
﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾	النازعات: ٤١	١٤٦
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾	الأعلى: ١	٢٠٧
﴿ ٱقْرَأْ ﴾	العلق: ١	٤٧٧
﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠) ﴾	العلق: ٩، ١٠	٣١٠
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾	البينة: ٥	٧٩، ٩٩
﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ ﴾	البينة: ٨	١٤٦
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾	الماعون: ٤	٩٧
﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	الماعون: ٥	٩٧
﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾	الماعون: ٦	٩٧
﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾	الكوثر: ٢	٢٩٤

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

الأثر	اسم الصحابي	رقم الصفحة
(أتحلف بالكعبة ؟!)	عمر بن الخطاب	٢٤٧
(إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقاً...)	عبدالله بن عمرو	١٠٤
(اقتلوا كل ساحر وساحرة)	عمر بن الخطاب	٣٩٩
(أمرت بقتل جارية لها سحرتها...)	حفصة بنت عمر	٣٩٩
(أن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله ؟)	عائشة بنت أبي بكر	٣٦٣
(أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى...)	أنس بن مالك	٢٧٤
(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)	عبد الله بن مسعود	٣٨٠
(إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة)	عمر بن الخطاب	٢٥
(إياك والحدث) قاله لابنه في الجهر بالبسملة.	عبد الله بن المغفل	٣٠٧
(أي: منافع الدنيا والآخرة)	عبد الله بن عباس	١٠٥
(حد الساحر ضربه بالسيف)	جندب بن كعب الأزدي	٣٩٩
رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله تعالى...	حذيفة بن اليمان	٣٩٥
(عليكم بشفائين: العسل والقرآن)	ابن مسعود	٣٨٣
(عملوا - والله - بالطاعات ...)	الحسن البصري	١٤٦
(قد علمت- ورب الكعبة- متى تهلك العرب)	عمر بن الخطاب	٢٥ حاشية
(قد فعل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من الناس)	معاوية	٩٨
(كان ابن مسعود يكرهه كراهةً شديدة جداً)	ابن مسعود	٣٩٦
(كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا...)	الحسن	١٥٢
(كان — والله - أحب إلينا من أموالنا...)	علي بن أبي طالب	٣٦٠
(كانوا يكرهون التمائم كلها: من القرآن وغير القرآن)	إبراهيم النخعي	٣٩٧
(كنا نعُد الاجتماع إلى أهل الميت ... بعد دفنه من النياحة)	جرير بن عبد الله البجلي	٤٢١
(كنا نعد هذا نفاقاً)	عبد الله بن عمر	٩٦

(لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي...)	ابن مسعود	٢٤٧
(لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام)	عبد الله بن عباس	٣٦
(اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا)	عمر بن الخطاب	٢٨٠، ٢٨١
(اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب)	عبد الله ابن عباس	٢٧٥
(نشدتك بالله؛ هل أنا منهم ...)	عمر بن الخطاب	٩٥
(في أي يوم مات رسول الله ﷺ، قالت: يوم الإثنين)	أبو بكر- عائشة	٣٦٣
(لا والله، ما أحب أن محمدا يشاك في مكانه بشوكة...)	زيد بن الدثنة	٣٦٠
(اللهم اجعل عملي صالحاً واجعله لك خالصاً)	عمر بن الخطاب	٨٤
(نعمت البدعة)	عمر رضي الله عنه	٣٣٦، ٤٢٦
((لقد جئتم ببدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب محمد ...))	عبد الله بن مسعود	٣٠٧
(من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود)	عبد الله بن مسعود	٣٠٦
(والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم...)	أبو سفيان	٣٦٠
(هي المهاودة فيما لا يحل)	عبد الله بن عباس	٤٦٨

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأماكن

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية:

١. **القرآن الكريم**

٢. "**صحيح البخاري**" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣. "**صحيح مسلم**" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار السلام، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤. "**سنن أبي داود**" للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة مميزة بوضع الحكم على الأحاديث، حكم على أحاديثه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٥. "**سنن الترمذي**" للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، طبعة مميزة بوضع الحكم على الأحاديث، حكم على أحاديثه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/١.

٦. "**سنن ابن ماجه**" للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، طبعة مميزة بوضع الحكم على الأحاديث، حكم على أحاديثه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧. "**سنن النسائي**" للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، طبعة مميزة بوضع الحكم على الأحاديث، حكم على أحاديثه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٨. "**آثار البلاد وأخبار العباد**" لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بدون ذكر الطبعة.

٩. "**الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**" لعبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي، تحقيق: محمد الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٠. "**الآداب الشرعية**" لعبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١١. "**الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات**" لنعمان ابن المفسر الشهير محمود الآلوسي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٢. "**الإبداع في مضار الابتداع**" لعلي محفوظ، دار الاعتصام، ط/٥، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

١٣. "**الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بظاهرة التداوي بالقرآن**" لصالح سليمان عبد العظيم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٤. "**أبواب في الصين والترك والهند**" لشرف الزمان طاهر المروزي، تحقيق: مينورسكي، الجمعية الآسيوية، لندن- إنجلترا، ١٩٤٢م.

١٥. "**الإجماع لابن عبد البر**" جمع وترتيب: فؤاد الشلهوب وعبد الوهاب الشهري، دار القاسم، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤١٨هـ.

١٦. "**أحاديث القصاص**" لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد ابن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٧. "**أحكام أهل الذمة**" لابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام- السعودية، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٨. "**أحكام الجنائز وبدعها**" لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة المنقحة المزيدة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٩. "**أحكام الرقى والتمائم**" رسالة علمية/د. فهد بن رضوان السحيمي، أضواء السلف، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٠. "**إحياء علوم الدين**" لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤.

٢١. "**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**" لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٢. "**الاستغاثة في الرد على البكري**" لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الله السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٦هـ.

٢٣. "**استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب، مجدي قاسم، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط/١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٤. "**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**" لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تصحيح وتخريج: عادل مرشد، دار الأعلام، عمان- الأردن، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٥. "**أسد الغابة في معرفة الصحابة**" لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي محمد معوض و عاول أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ/١٩٩٤م.

٢٦. "**أسماء المدلسين**" لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمود نصار، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٧. "**إصلاح المساجد من البدع والعوائد**" لمحمد جمال الدين القاسمي، خرج أحادثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/٥، ١٤٠٣هـ.

٢٨. "**أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**" لنخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة- السعودية، ١٤٢١هـ، بدون ذكر الطبعة.

٢٩. "**أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية**" لأحمد بن عبد العزيز الحليبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة- قطر، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٠. "**أضواء البيان**" لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط/٢، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

٣١. "**الاعتصام**" لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، جزآن في مجلد واحد.

٣٢. "**الأعلام**" لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط/١٥، ٢٠٠٢م.

٣٣. "**أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**" لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى- مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة- السعودية، ط/١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٣٤. "**أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة**" لحافظ بن أحمد الحكمي، دار الزاحم، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٥. "**إعلام الموقعين عن رب العالمين**" لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية، تعليق وتخريج مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط/١، رجب ١٤٢٣هـ.

٣٦. "**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**" لابن قيم الجوزية، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط/٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٧. "**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**" لابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، دار إشبيليا، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٨. "**الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا**" لسيد عبد المجيد بكر، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٣، إصدارات رابطة العالم الإسلامي، الناشر: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، دار الأصفهاني للطباعة بجدة، الترخيص سنة ١٣٩٣هـ.

٣٩. "**إكمال المعلم بفوائد مسلم**" لأبي الفضل القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء- دار الندوة العالمية، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤٠. "**الأم**" للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوري عبد المطلب، دار الوفاء/ الندوة العالمية، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤١. "**الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**" لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، دار ابن القيم- الرياض ودار ابن عفان-القاهرة، ط/٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٢. "**الأنساب**" لأبي سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني (ت:٥٦٢هـ)، تعليق: عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٣. "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" المعروف بـ"**تفسير البيضاوي**" لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، طبعة مصححة ومنقحة وضع التفسير فيها تحت الآيات، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٤. "**أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع**" لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: عبد القادر الارناؤوط وعبد الرحمن المحمود، دار الراية، الرياض- المملكة، ط/١، ١٤٢٢هـ.

٤٥. "**أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**" قاسم القونوي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، السعودية – جدة، ط/١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٦. "**الإيمان**" لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٢، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٤٧. "**الباعث على إنكار البدع والحوادث**" لشهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامه الشافعي، مطبعة النهضة الحديثية، مكة- السعودية، ط/٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٨. "**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**" للإمام العلامة الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٩. "**البحر الزخار المعروف بمسند البزار**" لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥٠. "بحر العلوم" لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت- لبنان.
٥١. "**البداية والنهاية**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، الاعتناء: عبد الرحمن اللادقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/٨، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥٢. "**البداية والنهاية**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة- مصر، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٥٣. "**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**"، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء، تحقيق محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥٤. "**بدائع الفوائد**" لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر أبو زيد، من مطبوعات المجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد، السعودية- جدة، ط/٢، ١٤٢٧هـ.
٥٥. "**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**" محمد علي الشوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٥٦. "**البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**" لابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي، أبو محمد عبد الله بن سليمان وغيرهما، دار الهجرة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٥٧. "**بدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجنائز والقبور والتعازي**" جمع وترتيب: أحمد ابن عبد الله السلمي، تقديم: الشيخ عبد الله الجبرين، مكتبة المعارف، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٥٨. "**البدعة والمصالح المرسلة: بيانها، تأصيلها، أقوال العلماء فيها**" لتوفيق يوسف الواعي، مكتبة دار التراث، الكويت- الفروانية، ط/١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٩. "**البرهان المبين في التصدي للبدع والأباطيل**" لأشرف إبراهيم قطقاط، دار ابن خلدون للتراث، الإسكندرية- مصر، ط/١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٦٠. "**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**" لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٦١. "**بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها" في شرح مختصر صحيح البخاري** لأبي جمرة بن عبد الله بن سعد الأندلسي، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة- مصر، ط/١، ١٣٤٨هـ.

٦٢. "**البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في مسائل المستخرجة**" لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ط/٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٣. "**تاج التراجم في من صنف من الحنفية**" قاسم بين قطلوبغا الحنفي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت، ط/١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦٤. "**تاج العروس من جواهر القاموس**" محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار التراث العربي، الكويت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٦٥. "**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**" لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٦. "**تاريخ بغداد أو مدينة السلام**" للإمام أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٧. "**التاريخ الكبير**" للإمام البخاري، دار الكتب العلمية (طبعة مصورة عن الطبعة الهندية)، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٠٨٦م.

٦٨. "**تاريخ مدينة دمشق**" لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦٩. **"التبيان في أيمان القرآن"** لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة- السعودية، ط/١، ١٤٢٩هـ.

٧٠. **"تبيين العجب بما ورد في فضل رجب"** لابي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم بن إسماعيل آل عصر، دون ذكر الطبعة، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٧١. **"تجريد التوحيد المفيد"** لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار القبس، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٢. **"تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين"** لأحمد بن حجر آل بوطمي البنعلي، تحقيق: خليل العربي، دار الإمام البخاري، ط/١، ١٤٢٨هـ.

٧٣. **"التحذير من البدع"** لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الإدارة العامة للتوعية والتوجيه، السلسلة رقم-٤٦. بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

٧٤. **"تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"** لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، نيروت- لبنان، ط/١ ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٥. **"تحفة الألباب ونخبة الأعجاب"** لأبي حامد محمد الغرناطي، اعتناء: قاسم وهب، دار السويدي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت- لبنان، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٣م.

٧٦. **"التحفة العراقية في الأعمال القلبية"** لتقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: يحي الهنيدي، مكتبة الرشد، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٧. **"تحفة المحتاج بشرح المنهاج"** لأحمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧٨. **"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"** لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٧٩. "**التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**" لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف- السعودية، ومكتبة دار البيان، دمشق- سوريا، ط/٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٨٠. "**التدوين في أخبار قزوين**" لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧.
٨١. "**تذكرة الحفاظ**" لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، اعتنى به: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٨٢. "**تذكرة الموضوعات**" محمد طاهر بن علي الهندي الفتني المتوفي سنة ٩٨٦ هـ. وفي ذيلها "قانون الموضوعات والضعفاء" للعلامة المذكور، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط/١، ١٣٤٣هـ.
٨٣. "**الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**" لأبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التعليق: مصطفى محمد عماره الاعتناء: عبد الله الأنصاري (وزارة التربية والتعليم بقطر)، المكتبة العصرية، بيروت/ صيدا ، ١٤٠٨هـ.
٨٤. "**تسهيل العقيدة الإسلامية**" لـ أ. د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ط/٤، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٨٥. "**تصحيح الدعاء**" لبكر بن عبد الله أبي زيد، دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٨٦. "**التعريفات الاعتقادية**" سعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٨٧. "**تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**"، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وغيره، دار طيبة، الرياض- السعودية، الإصدار الثاني- الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٨٨. **تفسير الثعالبي المسمى بـ "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"** لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي معوّض وغيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨٩. **"تفسير حقي المسمى بـــ"روح البيان في تفسير القرآن"** لإسماعيل حقي الحنفي الخلوتي البروسوي، عناية: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٤هــ/٢٠٠٣م.

٩٠. **تفسير الخازن المسمى بـــ "لباب التأويل في معاني التنزيل"** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ومعه تفسير البغوي المسمى "معالم التنزيل"، الاعتناء: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٥هــ/١٩٩٥م.

٩١. "**تفسير السمعاني**" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن، الرياض- السعودية، ١٤١٧هــ/١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٩.

٩٢. "**تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار**" للشيخ محمد رشيد رضا، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٣هــ/٢٠٠٢م.

٩٣. "**تفسير القرآن العظيم**" للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الإصدار الثاني، ط/٢، ١٤٢٥هــ/٢٠٠٤م.

٩٤. "**تفسير الكشاف**" لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢٦هــ/ ٢٠٠٥م.

٩٥. "**تفسير اللباب**" لأبي حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى، تحقيق: عادل الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤١٩هــ/١٩٩٨م.

٩٦. "**التفسير الميسر**" إعداد: نخبة من العلماء، الإشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة- السعودية، ١٤١٩هــ، دون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

٩٧. "**تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ**" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٣٩٥هــ/١٩٧٥م.

٩٨. "**تقرير القواعد وتحرير الفوائد**" لأبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، الاعتناء: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط/١.

٩٩. "**تقويم البلدان**" لعماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه، اعتناء: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر- بيروت، نسخة مصورة عن طبعة دار الطباعة السلطانية بمدينة باريس (فرنسا) سنة ١٨٤٠م.

١٠٠. "**تلبيس إبليس**" لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٣هـ.

١٠١. "**تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**" لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، اعتناء: عبد الله هاشم اليماني، دار أحد، المدينة المنورة- السعودية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٠٢. "**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**" للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد البر المالكي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولي في ٩ مجلدات، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٠٣. "**التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة**" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الأثير، الرياض- المملكة العربية السعودية ، ط/١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٠٤. "**تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**" لأبي الحسن علي بن محمد ابن عراق الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٥. "**توحيد الألوهية**" لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠٦. "**تهذيب الأسماء واللغات**" لأبي زكريا محيي الدين بن شرف التووي، عناية إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١٠٧. " **تهذيب التهذيب**" لابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد- الهند، ط/١، ١٣٢٦هـ، تصوير دار صادر، بيروت- لبنان.

١٠٨. "**تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية**" لمحمد علي بن حسين المكي المالكي، بحاشية كتابي: "الفروق" للقرافي و"إدرار الشروق على أنواء الفروق" لابن

الشاط، اعتناء: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٠٩. "**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**" لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيف: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١١٠. "**تهذيب اللغة**" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وغيره، مكتبة الخانجي، مصر، يقع في ١٧ جزءاً، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١١١. "**تهذيب مدارج السالكين**" لابن القيم الجوزية، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي، دار قتيبة، دمشق- سوريا، ط/٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١١٢. "**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**" لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١١٣. "**تيمورلنك**" للعقيد محمد أسد الله صفا، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١١٤. "**جامع الأصول في أحاديث الرسول**" لابن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٠٣هـ.

١١٥. "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" المعروف بتفسير الطبري للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط و تعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١١٦. "**جامع العلوم و الحكم**" لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١٠، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١١٧. "**الجامع في الحديث**" للإمام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين محمد، دار ابن الجوزي، السعودية- الدمام، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١١٨. "**جامع النواريخ – تاريخ غازان خان**" لرشيد الدين فضل الله الخمذاني، دراسة وترجمة فؤاد الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة-مصر، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١٩. "**الجامع لأحكام القرآن**" لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٢٠. "**الجامع لشعب الإيمان**" لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د.عبد العلي حامد ومختار الندوي، الدار السلفية، بومباي- الهند، ط/١، طبع مجزئا خلال سنوات عديدة ابتداءاً بسنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م وانتهاءا بسنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢١. "**الجرح والتعديل**" لعبد الرحمن بن أبي حاتم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد – الهند، ط/١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، إعادة الطبعة من دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٢٢. "**جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**" لابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة- السعودية، دون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١٢٣. "**جهود العلماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**" لشمس الدين بن محمد الأفغاني، دار الصميعي- الرياض، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢٤. "**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء و الدواء**" للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، دار مكتبة الرشد، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٢٥. "**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**" لعبد القادر من محمد القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، بتحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة/ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٢٦. "**الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**" إبراهيم بن محمد بن أدمر بن دقماق، تحقيق: محمد كمال الدين، دار عالم الكتب، ط/١، ، لبنان- بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٢٧. "**حاشية الأصول الثلاثة**" لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ١٣٩٢هـ، ط/٦، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بدون ذكر الدار.

١٢٨. "**الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون**" لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢٩. "**حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه**" لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/٧، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣٠. "**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**" لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، ١٣٦٨هـ/١٩٦٧م، عدد الأجزاء: ٢.

١٣١. "**الحق الواضح المبين في شرح توحيد لأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، طبعة جديدة، سنة الطباعة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٣٢. "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ما عدا المجلد الثامن منه، فهو من طباعة مطبعة السعادة، عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٣٣. "**الحوادث والبدع**" لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، السعودية- الرياض، ط/٢، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٣٤. "**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**" لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة- مصر، دون ذكر سنة الطباعة، عدد الأجزاء: ٤.

١٣٥. "**خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد الفهيد، دار أطلس الخضراء، ط/٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٣٦. "**درء تعارض العقل والنقل**" ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٣٧. "**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**" مجموعة رسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، طبعة منقحة ومزيدة – ١٦ مجلدا، طبعة الجزء الثامن خامسةٌ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وطبعة الجزء الرابع عشر أولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٣٨. "**الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة**" لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١٣٩. "**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**" جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤٠. "**الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية**" لجيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٤١. "**دعوة التوحيد: أهميتها والأدوار التي مرت بها ومشاهير دعاتها**" لمحمد بن خليل هراس، دار الشريعة، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٤٢. "**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**" لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي، مكتبة دار التراث، القاهرة- مصر، ط/٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤٣. "**ديوان الإمام الشافعي**" للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتعليق: د.أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، المنصورة- مصر، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤٤. "**ديوان لغات الترك**" لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، مطبعة عامرة- دار الخلافة العلية، ط/١، سنة ١٣٣٣هـ.

١٤٥. "**الذخيرة في فروع المالكية**" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بالقرافي، تحقيق: أبي إسحاق أحمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤٦. "**ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع**" لعبد الرحمن محمود خليفة، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة- السعودية، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤٧. "**الذيل على طبقات الحنابلة**" لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٤٨."**رجال صحيح البخاري المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد** " للإمام أبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، لبنان-بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٤٩."**الرد على المنطقيين**" لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الصمد الكتبي، اعتناء: محمد طلحة، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٥٠. "**رد المحتار على الدر المختار**" لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥١. "**رسالة ابن فضلان**" في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والسقالبة (٣٠٩هـ/٩٢١م) لأحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، تحقيق: د. سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، سوريا- دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

١٥٢."**الرسالة القشيرية في علم التصوف**"، لأبي القاسم عبد الكريم بن موازن القشيري النيسابوري، تحقيق و إعداد: معروف زريق و علي عبد الحميد ملطه جي، دار الخير، ط/١، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.

١٥٣."**الروح**" لابن القيم الجوزية، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار البيان للتراث، بدون بيانات أخرى.

١٥٤. "**روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**" لمحمد باقر الموسوي الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت- لبنان، ط/١ منقحة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٥٥. "**روضة الطالبين**" للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ومعه المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، تحقيق: عادل الموجود وعلي معوض، دار عالم الكتب، الرياض- السعودية، طبعة خاصة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١٥٦. "**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه**" على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لموفق الدين ابن قدامة، العناية: محمود حامد عثمان، دار الزاحم، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.
١٥٧. "**رياض الصالحين**" لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: أحمد الدقاق وغيره، مراجعة: شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق- سوريا، ط/٢ منقحة، بدون ذكر سنة الطباعة.
١٥٨. "**الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة**" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى: أبو يوسف عبد الرحمن آل محمد، دار المعالي، الإصدار الثاني، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٥٩. "**زاد المسير في علم التفسير**" لأبي الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
١٦٠. "**زاد المعاد في هدي خير العباد**" لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٦١. "**الزاهر في معاني كلمات الناس**" لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، اعتنى به: عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٦٢. "**الزهد**" ويليه كتاب الرقائق، لعبد الله بن المبارك (ت: سنة١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٣٨٦هـ.
١٦٣. "**الزهد**" لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٦٤. "**زين الأخبار**" لأبي سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، ترجمة من الفارسية إلى العربية: د. عفاف زيدان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٦٥. "**سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام**" لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي، دار ابن الجوزي، الدمام- السعودية، ط/٥، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٦٦. "**سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**" لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دون ذكر الطبعة.

١٦٧. "**سر العالمين وكشف ما في الدارين**" لأبي حامد الغزالي، تحقيق محمد حسن و أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٦٨. "**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**" لمحمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٦٩. "**سلسلة الأحاديث الصحيحة**" لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٧٠. "**سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**" لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ط/٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٧١. "**سنن أبي داود**" لأبي داود سليمان بن الأشعث، الاعتناء: مشهور حسن، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢، ١٤٢٧ هـ.

١٧٢. "**سنن الترمذي**" للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، اعتناء مشهور حسن، مكتبة المعارف- الرياض. ط/١.

١٧٣. "**السنن الكبرى**" لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، العناية: عبد السلام علّوش، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧٤. "**سنن ابن ماجة**" لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٧٥. "**سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي**"، تحقيق: خليل مأموم شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٧٦. "**سنن النسائي**" لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الاعتناء: مشهور حسن، مكتبة المعارف- الرياض، ط/٢، ١٤٢٩ هـ.

١٧٧. "**السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات**" لمحمد بن أحمد القشيري الحوامدي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١٧٨. "**السنة**" لأبي بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم، تحقيق: د/ باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨.

١٧٩. "**سير أعلام النبلاء**" لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨٠. "**شأن الدعاء**" لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق/ بيروت، ط/٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٨١. "**شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال**" للعز بن عبد السلام السلمي، اعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

١٨٢. "**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد بن محمد مخلوف، اعتناء: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٨٣. "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**" للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة، بدون ذكر سنة الطباعة.

١٨٤. "**شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر**" تحقيق و تعليق د.الطيب بن عمر الحسين الشنقيطي، دار الفضيلة، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٥. "**شرح التبصرة والمذكرة**" لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: د. عبد اللطيف الهميم وماهر فحل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٦. "**شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**" لمحمد بن صالح العثيمين، إشراف: مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر، الرياض- السعودية، ١٤٢٥هـ.

١٨٧. "**شرح السنة**" للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش، دار المكتب الإسلامي، دمشق و بيروت، ط/٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨٨. "**شرح صحيح البخارى**" لعلي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، اعتناء: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية ، ط/٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨٩. "**شرح عقيدة الطحاوي**" لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٩٠. "**شرح العقيدة الطحاوية**" لعلي بن علي من محمد بن أبي العز الحنفي، مكتبة المؤيد- الرياض، ط/٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٩١. "**شرح فتح القدير**" لكمال الدين محمد بن عبد الواحد بن همام السواسي، دار إحياء التراث العربي: دار الكتب العلمية بدون بيان الطبعة.

١٩٢. "**شرح القواعد الفقهية**" لأحمد بن محمد الزرقا، اعتناء: د. عبد الستار أبو غدة، دار القلم، دمشق- سوريا، طبعة ثانية مذيلة بطائفة من قواعد أخرى بقلم مصطفى الزرقا ابن المؤلف، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٩٣. "**شرح مختصر المنار**" لملا علي القارئ الهروي، تحقيق: إلياس قبلان، دار صادر، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٩٤. "**شرح مشكل الآثار**" لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٩٥. "**شرح المنار**" لعبد اللطيف بن عبد العزيز بن فرشتا المعروف بابن ملك، عناية: د. يحيى محمد أبو بكر عبد المبدي، دار الفكر العربي، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٩٦. "**شرح منار الأنوار في أصول الفقه**" لابن ملك الحنفي، بهامشه شرح الشيخ زين الدين العيني، طبعة مصورة عن نسخة المطبعة النفيسة العثمانية سنة ١٣٠٨هـ، تصوير دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٩٧. "**شرح النووي على صحيح مسلم**" لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، اعتناء: عبد السلام علّوش، مكتبة الرشد، الرياض، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٩٨. "**الشرك في القديم والحديث**" لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٩٩. "**الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**" للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. بدون ذكر الطباعة.

٢٠٠. "**الصارم المسلول على شاتم الرسول**" لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني وغيره، رمادي للنشر-الدمام والمؤمن للتوزيع- الرياض/المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٠١. "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**" لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

٢٠٢. "**الصحاح**" لإسماعيل بن حماد الجوهري، مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، اعتناء: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٠٣. "**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**" محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٠٤. "**صحيح ابن خزيمة**" لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٠٥. "**صحيح البخاري**" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام، الرياض، ط/٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٠٦. "**صحيح الترغيب والترهيب للمنذري**" لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٠٧. "**صحيح الجامع الصغير و زيادته**" لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠٨. "**صحيح الجامع الصغير وزيادته**" لمحمد ناص الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط/٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠٩. "**صحيح مسلم**" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: ١٤٠٠ هـ.المملكة العربية السعودية.

٢١٠. "**صفة الصفوة**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار المعرفة – بيروت، ط/٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، *عدد الأجزاء :٤.*

٢١١. "**صفة الصفوة**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار ابن خلدون، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، دون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

٢١٢. "**الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**" لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢١٣. "**الطب النبوي**" لابن القيم الجوزية، عناية: محمد زكية، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢١٤. "**طبقات الحفاظ**" لجلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط/٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢١٥. "**طبقات الحفاظ**" لجلال الدين السيوطي، اعتناء: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

٢١٦. "**طبقات الشافعية الكبرى**" لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١٧. "**طبقات الفقهاء**" لأبي إسحاق الشيرازي، المحقق: د. علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر- مصر، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢١٨. **طبقات الفقهاء الشافعية"** لابن قاضي شهبة، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة — مصر، دون ذكر طبعة وسنة الطباعة.

٢١٩. **"الطبقات الكبرى"** لمحمد بن سعد البصري الزهري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٢٠. **"طبقات المفسرين"** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، اعتناء: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دون ذكر الطبعة والسنة.

٢٢١. **"طريق الهجرتين وباب السعادتين"** لأبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الإصلاحي، إشراف بكر أبو زيد، من مطبوعات المجمع بجدة، دار عالم الفوائد، مكة- السعودية، تمويل: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، ط/١، ١٤٢٩هـ.

٢٢٢. **"الطريقة النقشبندية"** لعبد الرحمن دمشقية، نشر موقع الفرقان/ www.frqan.com، نسخة منشورة في الموقع على صيغة الوورد.

٢٢٣. **"طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية"** لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، الاعتناء خالد العك، دار النفائس- بيروت، ط/٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢٤. **"العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"** لعبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٢٥. **"العقلية الإسلامية وفكرة المولد، ٣- عن التربية والمجتمع"**، لعلي بن محمد العيسي، مكتبة الخريجي، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤٠٥هـ.

٢٢٦. **"العقود"** لابن تيمية، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، مكتبة المورد، ط/١، ١٤٢٣هـ.

٢٢٧. **"العقيدة الطحاوية"** متن مع حاشية الشيخ محمد مانع، وتعليق الشيخ عبد العزيز ابن باز، اعتناء: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٢٨. **"عقيدة المؤمن"** لأبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة — المملكة العربية السعودية، ط/٦، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٢٩. "**علم أصول البدع**" لعلي بن حسن الحلبي الأثري، دار الراية، الرياض- السعودية، ط،١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٣٠. "**عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**" لبدر الدين أبي محمد محمود العيني، طبعة مصححة مدققة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٣١. "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**" للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٣٢. "**العناية شرح الهداية**" لأكمل الدين محمد البابرتي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٣٣. "**عون المعبود شرح سنن أبي داود**" لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، إشراف: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٣٤. "**غريب الحديث**" لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٣٥. "**غريب الحديث**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٣٦. "**فتاوى إمام المفتيين ورسول رب العالمين**" لابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار المعارج الدولية، ط/١، ١٤١٥هـ.

٢٣٧. "**الفتاوى الحديثية**" لأحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي، تحقيق: أحمد عناية، دار التقوى، سوريا- دمشق، ط/١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٢٣٨. "**الفتاوى السعدية**" عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٣٩. "**الفتاوى الكبرى**" لابن تيمية، تحقيق: محمد ومصطفى ابنا عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢٤٠. "**فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**"، جمع و ترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٤١. "**الفتتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية** في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان" للهمام الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام، الضبط: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٤٢. "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان وجماعة، كافة الحقوق لمكتبة تحقيق دار الحرمين، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة- السعودية، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٤٣. "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دار السلام، الرياض، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٤٤. "**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**" لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتناء: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٤٥. "**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**" للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٤٦. "**فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**" لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: د. عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢٦هـ.

٢٤٧. "**الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**" لمحمد بن علان الصديقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، سنة ١٩٨٩م، الأجزاء: ٤.

٢٤٨. "**الفروق**" المسمى بـ "**أنوار البروق في أنواء الفروق**" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: د. محمد سرّاج وعلي جمعة، دار السلام، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٤٩. "**فقه السنة**" لسيد سابق، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٥٠. "**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**" لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي مع التعليقات السنية على الفوائد البهية له، تعليق: محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، سنة الطباعة ١٣٢٤هـ.

٢٥١. "**فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**" لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون ذكر الطبعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٥٢. "**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**" لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢٥٣. "**قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**" لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، الرياض- السعودية، ط/٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٥٤. "**قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**" للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد هلال، دار العلم للملايين، ط/٣، ١٩٨٠م.

٢٥٥. "**القاموس المحيط**" للعلامة اللغوي مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط/٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٥٦. "**القاموس المحيط الفارسي**" ترجمة: سيد أبو الحسن فهري، انتشارات مادوراه كتاب، طهران — إيران، طبعة سنة ١٣٨٠هـ/ ش.

٢٥٧. "**القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي**" لزين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي، تحقيق: حسن مروة وخالد مروة، تخريج: محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٨م.

٢٥٨. "**القواعد الكبرى" الموسوم بـ"قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**" لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة، دار القلم، دمشق- سوريا، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٥٩. "**قواعد معرفة البدع**" لمحمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، السعودية – الدمام، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٦٠. "**القول المفيد على كتاب التوحيد**" للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، السعودية- الدمام، ط/٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٦١. "**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**" للإمام الذهبي، مع حاشيته للإمام أبي الوفاء إبراهيم العجمي الحلبي، تحقيق: محمد عوامة وغيره، دار القبلة للثقافة الإسلامية- مؤسسة علوم القرآن، السعودية- جدة ، ط/١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٢٦٢. "**الكامل في التاريخ**" لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ابن الأثير، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢٦٣. "**كتاب التعريفات**" لعلي الجرجاني الحنفي، تحقيق: د.محمد المرعَشلي، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٦٤. "**كتاب السنن الكبرى**" للبيهقي، اعتناء: عبد السلام علّوش، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٦٥. "**كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**"، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٢٦٦. "**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**" لمحمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط/١، ١٩٩٦م.
٢٦٧. "**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**" لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٢٦٨. "**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**" لإسماعيل بن محمد العجلوني، تعليق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٦٩. "**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**" لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، مع الترجمة إلى اللاتنية لعوستاف فلوغل، دار صادر، بيروت.

٢٧٠. "**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**" لمحمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان- الأردن، ط/٢، ١٤١٣هـ.

٢٧١. "**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**" لعلاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: بكري حياتي وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٧٢. "**الكواكب النيرات في إثبات وصول الحسنات المهداة إلى الأحياء والأموات**" للقاضي سعد الدين بن محمد المقدسي القاهري الحنفي المعروف بابن الديري، اعتناء: نظام يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٧٣. "**اللباب في علوم الكتاب**" لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧٤. "**لسان العرب**" لابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٧م.

٢٧٥. "**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**" لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق/سوريا- بيروت/لبنان، ط/٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٧٦. "**لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات**" لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة- مصر، طبعة جديدة معتنى بإخراجها، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٧٧. "**لوامع الأنوار البهية**" لمحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٧٨. "**المجالسة وجواهر العلم**" لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري المالكي، الاعتناء: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم- بيروت/ لبنان، جمعية التربية الإسلامية- البحرين، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

٢٧٩. "**مجلة البحوث الإسلامية**" رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- السعودية، العدد الأربعين.
٢٨٠. "**مجلة مجمع الفقه الإسلامي**" الدورة السابعة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة – المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢.
٢٨١. "**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**" لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢.
٢٨٢. "**إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات**" ضمن "**مجموع ثلاث رسائل**" لمحمد العربي بن التباني بن الحسين الواحدي المغربي، طبعة مع الزيادات، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
٢٨٣. "**مجموع الفتاوى**" لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٨٤. "**مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**" جمع وترتيب: فهد ابن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٨٥. "**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**" للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع: محمد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية- الرياض، ط/٤، ١٤٢٣هـ.
٢٨٦. "**مجموعة التوحيد**" المعروفة بـ"**مجموعة التوحيد النجدية**" مجموعة كتب ورسائل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض- السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢٨٧. "**محاضرات في العقيدة والدعوة**" لصالح بن فوزان الفوزان، إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الناشر: أولي النهى للإنتاج الإعلامي، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٨٨. "**محاضرة فخامة الرئيس مينتيمير شريف الله شايمييف رئيس جمهورية تتارستان**"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مؤسسة الملك فيصل الخيرية، الرياض- المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٨٩. "**المحرر**" لأبي البركات مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الجد، ومعه "**النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر**" لابن مفلح، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٩٠. "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، محققة عن نسخة آياصوفيا، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ/١٠٠١م.

٢٩١. "**المحكم والمحيط الأعظم**" لأبي الحسن علي بن إسماعيل، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٩٢. "**مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل**" لجمال الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب، تحقيق: د. نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٩٣. "**المخصص**" لأبي الحسن علي بن إسماعيل اللغوي، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت- دمشق، طبعة سنة ١٣٢١هـ.

٢٩٤. "**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**" للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن لأبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط/٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٩٥. "**المدخل**" لابن الحاج أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي، مكتبة دار التراث، القاهرة- مصر، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

٢٩٦. "**المدخل إلى علم الدعوة**" لمحمد البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٩٧. "**المراسيل**" للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٩٨. "**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**" لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٩٩. "**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**" لابن فضل الله العمري، تحقيق: محمد خريسات وغيره، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين — الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

٣٠٠. "**المسالك والممالك**" ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣٠١. "**المستدرك على الصحيحين**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٠٢. "**مسند أبي داود الطيالسي**" لسليمان بن داود بن الجارود، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

٣٠٣. "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**" للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية، المشرف العام على الإصدار: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٠٤. "**مشارق الأنوار على صحاح الآثار**" للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء ٢، سنة الطباعة ١٣٣٣هـ .

٣٠٥. "**مشاهير علماء نجد وغيرهم**" لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق وتعليق: المؤلف نفسه، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط/٢، ١٣٩٤هـ.

٣٠٦. "**المصالح المرسلة**" لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- السعودية، ط/١، ١٤١٠هـ.

٣٠٧. "**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**" لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، اعتناء: عادل مرشد، توزيع دار الإفتاء بالرياض- المملكة العربية السعودية، بدون ذكر الطبعة وسنة الطباعة.

٣٠٨. "**المصنف لعبد الرزاق الصنعاني**" لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/٢، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٣٠٩. "**المصنف لابن أبي شيبة**" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القرطبة، بيروت- لبنان، ط/١، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣١٠. "**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**" للشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية، بدون سنة الطباعة.
٣١١. "**المعارف**" لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة- مصر، الطبعة الرابعة، بدون ذكر سنة الطباعة.
٣١٢. "**معاني القرآن وإعرابه**" لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط/١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٣١٣. "**معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**" لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣١٤. "**المعجم الأوسط**" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة- مصر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣١٥. "**المعجم الكبير**" لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، ط/٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٣١٦. "**معجم لغة الفقهاء**" عربي-إنكليزي- إفرنسي، وضعه: محمد راوس قلعه جي وغيره، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣١٧. "**معجم المؤلفين**" لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، بدون ذكر الطباعة وسنة الطباعة.
٣١٨. "**المعجم الوسيط**" لمجموعة من متخصصي اللغة، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- مصر، ط/٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣١٩. "**المغني**" لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون بيان الطبعة.

٣٢٠. "**المغني**" لموفق الدين ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض- السعودية، ط/٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٢١. "**المفردات في غريب ألفاظ القرآن**" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.

٣٢٢. "**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**" لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب متو وجماعة، دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦.

٣٢٣. "**مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها: دراسة عقدية في ضوء منهج السلف الصالح**" لـ أ. د. سليمان بن صالح الغصن، دار كنوز إشبيليا، الرياض- السعودية، ط/١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٢٤. "**المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**" لمحمد عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٢٥. "**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**" لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الاعتناء: منصور بن عبد العزيز السماري، دار العاصمة، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٢٦. "**منازل السائرين إلى الحق المبين**" لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط/٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٣٢٧. "**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عطا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٢٨. "**المنثور في القواعد**" بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق: تسير فائق أحمد محمود- عبد الستار أبو غدة، الناشر: وزارة الأوقاف بالكويت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٢٩. "**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**" لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية، ط/١، سنة الطباعة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٣٠. "**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**" ليوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن، تحقيق: د. محمد بن محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة ١٩٨٤م، دون ذكر الطبعة.

٣٣١. "**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**" المعروف بـ"**الخطط المقريزية**" لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد زينهم/مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولى، ١٩٩٨م، بدون ذكر الطبعة.

٣٣٢. "**الموافقات**" لابي إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم/الدمام- السعودية، ودار ابن عفان/القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٣٣. "**الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**" لمحماس بن عبد الله الجلعود، دار اليقين، المنصورة- مصر، وتوزيع دار الفرقان، الرياض-السعودية، ط/١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٣٤. "**الموسوعة الفقهية الكويتية**"، مجموعة من العلماء، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط/١-٣، ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

٣٣٥. "**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**" إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط/٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٣٦. "**موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**" الموسوعة الموجزة في جزئين، لعبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط/١، سنة ٢٠٠٣م.

٣٣٧. "**الموضوعات**" لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٣٣٨. "**موطأ الإمام مالك**" رواية يحيى بن يحيى الليثي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، طبعة دارة النفائس، بيروت- لبنان، ط/٧، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣.

٣٣٩. "**موقف الإسلام من الإلهام، والكشف، والرؤى، ومن التمائم، والكهانة،والرقى**" للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط/١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٤٠. "**ميزان الأصول في نتائج العقول**" لعلاء الدين أبي بكر محمد السمرقندي الحنفي، تحقيق: عبد الملك السعدي، رسالة علمية بجامعة أم القرى، عام١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٤١. "**النبوات**" لتقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، السعودية- الرياض، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٤٢. "**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**" لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٤٣. "**نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**" لشمس الدين أبي عبد الله محمد الصوفي الدمشقي، تحقيق أغسطس مَهرَن، طبعة ليبسيك- ألمانيا، سنة ١٩٢٣م.

٣٤٤. "**نصب الراية لأحاديث الهداية**" لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، بعناية محمد عوامة، دار القبلة- جدة، المنار للنشر والتوزيع- دمشق، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٤٥. "**النقشبندية: عرض وتحليل**" لعبد الرحمن الدمشقية، تقريظ: عبد الله الجبرين، هدية رابطة العالم الإسلامي، مكة- السعودية، بدون ذكر دار النشر، والطبعة، وسنة الطباعة.

٣٤٦. "**نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**" للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي، دار المسلم، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٤٧. "**النهاية في غريب الحديث والأثر**" لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٤٨. "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لأحمد بابا التنبكتي، اعتناء: طلاب من كلية الدعوة الإسلامية بطرالس،إشراف: عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، ط/١، ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م.

٣٤٩. "**نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**" لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- السعودية، ط/١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٥٠. "**الهداية شرح بداية المبتدي**" للإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني مع شرح العلامة عبد الحي اللكنوي، إدارة القرآن و العلوم الإسلامية، ط/١، ١٤١٧هـ.

٣٥١. "**الوافي بالوفيات**" لخليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٥٢. "**الوجيز في أصول الفقه**" لعبد الكريم زيدان، مؤسسة قرطبة، ط/٦، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٣٥٣. "**الوجيز في أصول الفقه**" لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، إعادة الطبعة الأولى (ط/١ سنة ١٩٩٤م) ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٥٤. "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**" لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٥٥. "**الولاء والبراء في الإسلام**" لمحمد بن سعيد القحطاني، تقديم: عبد الرزاق العفيفي، الفتح للإعلام العربي، القاهرة- مصر، ط/٦، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

المصادر المحلية:

٣٥٦ -"**الآثار**" لرضاء الدين بن فخر الدين التتري، مطبعة فاتح علمان كريموف، أورينبورغ- روسيا القيصرية، سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.

٣٥٧ -"**ابن عربي**" لرضاء الدين بن فخر الدين، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

٣٥٨ -"**أتراك البلغار وقازان**" لرضاء الدين بن فخر الدين، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٣م.

٣٥٩ -"**الأدب والتصوف التتاري**" لألفينا صبغة الله صمن الكتاب"التصوف في منطقة نهر فولغا: تاريخ وخاصية" بتحرير من ولي الله يعقوب ورشاد أميرخان، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٣٦٠ -"**الإرشاد للعباد**" لأبي النصر عبد النصير البلغاري القرصاوي، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م.

٣٦١ -"**الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية في تتارستان في نهاية القرن العشرين**" رفيق محمدشين، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٣٦٢ -"**الإسلام لدى تتار فولغا من قرن ٩م إلى قرن ١٩م**" نائل غريب، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٩م.

٣٦٣ -"**الإسلام والكنيسة الأرثوذوكسية في حوض فولغا في العصر الثامن عشر: من الصراع إلى التعايش**"لـفيض الحق إسلامييف، دار "الجامعة القازانية"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م.

٣٦٤ -"**إعانة أرواح الأموات**" ولي الله يعقوب، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

٣٦٥ -"**أقوام الترك وممالكهم**" لأقدس نعمت كورات/

A.N.Kurat "Turk kavimleri ve devletleri", Ankara, 1972.

٣٦٦ -"**إنقاذ الهالكين**" لعبد الرحيم أوتوز إماني ضمن "مجموع رسائل عبد الرحيم أوتوز إيماني"، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٣٦٧ -"**أوردا الذهبية قبيل انهيارها**" لسلطان الشمسي، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٨م.

٣٦٨ -"**البرق الوميض على البغيض المسمى بالنقيض**" لشهاب الدين المرجاني التتاري، مطبعة "ويجيسلاف"، روسيا، مدينة قازان، ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م.

٣٦٩ -"**البلغار الأوائل في ما وراء قوقاز وسواحل نهر فولغا**" لسيرجي كلاشتورني ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة"، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٧٠ -"**بلغار وأوروبا الشمالية/ علاقات قديمة**" ريناد نبييف، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م.

٣٧١ -"**تاريخ التتار من العصور القديمة**" البحث العلمي لعديد من العلماء، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٧٢ -"**تاريخ التتار من العصور القديمة**" البحث العلمي لعديد من العلماء، دار "روح-إيل" للطباعة و النشر، ج/٢، "РухИЛ"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٦م.

٣٧٣ -"**تاريخ التتار- نظرة من العصر الحادي والعشرين**" مقالة رفائيل حكيموف ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة"، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٧٤ -"**تاريخ التتار**" لعزيز عبيد الله، دار "موسكوفسكي ليتسي" للطباعة و النشر، ط/٣، "Московский лицей"، روسيا، مدينة موسكو، ١٩٩٤م.

٣٧٥ -"**تاريخ التنظيم الدولي لدى الشعب التتاري وتتارستان**" إ.ر.طاهيروف، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، ط/٢، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٨م.

٣٧٦ -"**تاريخ الغون**" لبريسك بانييسكي، ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة"، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٧٧ -"**تاريخ مختصر**" رسالة لنيكيفور ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة" ج/١، دار "روحيات" للطباعة والنشر، روسيا- مدينة قازان، ط/١، ٢٠٠٢م.

٣٧٨ -"**تاريخ مدينة بلغار**" ع. خليل، مطبعة "ocean"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٣٧٩ -"**تاريخ النظارة الدينية وترجمة المفتيين**" عبد الحق صديقوف، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

٣٨٠ -"**تاريخنما بلغار**" لتاج الدين يلجيقول، دار "الكتب البشكيردية" للطباعة و النشر، "башкирское книжное издательство"، روسيا، مدينة أوفا، ١٩٩٨م.

٣٨١ -"**تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين**"/ أبو عبد الرحمن محمد الشستاوي، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٨٢ -"**التتار رواية مشهورة عن تاريخ الشعب التتاري**" ضمير إسحاق، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م.

٣٨٣ -"**التتار في الآسيا الوسطى**" سيرجي كلاستورني، ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة "، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٨٤ -"**تتار قازان**" لبطرس زنامينسكي، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٤م.

٣٨٥ -"**التجديد الديني في العالم التركي**" لإبراهيم ماراش، دار الإيمان للطباعة والنشر، قازان- روسيا، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٨٦ -"**تحليل وتقييم عقدي لتعاليم الصوفية المبينة في مؤلفات أبرز العلماء المسلمين في روسيا لفترة القرن ١٧- ٢٠**" لرسلان طاهر، رسالة ماجستير غير مطبوعة.

٣٨٧ -"**التراث**" لموسى جار الله بيغييف، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٣٨٨ -"**ترغيب الفضلاء إلى تخليص الشريعة عن تسلط السفهاء**" التنتاري، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

٣٨٩ -"**التقويم التتاري الإسلامي**" من عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.محرر: شيخ زبيروف، فانيا حجا أحمد، دار "الجرائد والمجلات التتارية"، " Татарстан газета-журналлар нашрияты"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٦م.

٣٩٠ -"**التقويم التتاري الديني لعام ١٩٩٩م/١٤١٩هـ** ".محرر: شيخ زبيروف، فانيا حجا أحمد، دار "الجرائد والمجلات التتارية"، " Татарстан газета-журналлар нашрияты"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٧م.

٣٩١ -"**التقويم التتاري الديني لعام ٢٠٠١م**"، محرر: رنيس عزيزوف، دار "راننور" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٣٩٢ -"**التقويم التتاري الديني**" لعام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.محرر: رستم غاراييف، ليلى غاراييفا، دار الطباعة و النشر "poligraficheskiy kombinat"، روسيا، مدينة قازان، دون ذكر سنة الطباعة.

٣٩٣ -"**التقويم التتاري المسلم**" لعام ٢٠٠٠م.محرر: شيخ زبيروف، فانيا حجا أحمد، دار "الجرائد والمجلات التتارية"، "Татарстан газета-журналлар нашрияты"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٩م.

٣٩٤ -"**التقويم العائلة المسلمة**" لعام ٢٠٠٦م.محرر: رستم غاراييف، ليلى غاراييفا، دار الطباعة و النشر "poligraficheskiy kombinat"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م.

٣٩٥ -"**تنصير التتار: مجموعة الوثائق**" تحت إشراف ندوة الشباب التتار، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٣٩٦ -"**التوحيد**" لعبد الملك إبراهيم، دار "نور الإسلام" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة تشالي، ١٩٩٧م.

٣٩٧ -"**التوسل**" ولي الله يعقوب، دار "الإيمان" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة قازان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٣٩٨ -"**ثبات العاجزين**" لصوفي ألاهيار، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٣٩٩ -"**جامع التواريخ**" لرشيد الدين في ملحقات ضمن "تاريخ التتار من العصور القديمة"، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤٠٠ -"**جريدة التتاريا السوفياتية**" الإصدار الخمسون عن ١٢ مارس عام ١٩٩٢م.

٤٠١ -"**الجريدة الروسية**" عن ١ أكتوبر عام ١٩٩٧م عدد ١٩٠.

٤٠٢ -"**جنكيز خان والتتار: خرافة وحقيقة**" غ. ر. إينيكييف، دار "ماعاريف" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٤٠٣ -"**جواهر البيان**" لعبد الرحيم أوتوز إيماني، نسخة مطبوعة، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٠٤ -"**جواهر البيان**" لعبد الرحيم أوتوز إيماني، نسخة مخطوطة، قسم المخطوطات بمعهد اللغة والأدب والتاريخ بأكاديمية العلوم في جمهورية تتارستان، قازان، الأرشيف رقم٣٩، رقم المخطوطة: ٢٩٨٢.

٤٠٥ -"**حالة التتار المحمديين المعاصرين ونظرهم تجاه أهل الأديان الأخرى**" تقرير بروفيسور ماشانوف في مؤتمر المنصرين عام ١٩١٠م، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤٠٦ -"**حزب البحر**"،حسن الشاذلي، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـــ.

٤٠٧ -"**الخطب والمواعظ**" مجلس المعلمين بمدرسة ألف سنة على قبول الإسلام، مطبعة "المدرسة العالية باسم ألف سنة على قبول الإسلام"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٥م.

٤٠٨ -"**خلاصة المسائل ومهمة الدلائل**"، لطيّب بن ملا علمان، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـــ.

٤٠٩ -"**دراسات في تاريخ ثقافة الشعب التتري الدينية**" عامرجان دولتشين، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٤م.

٤١٠ -"**دفتر الذكرايات**" عالجان بارودي، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٤١١ -"**دين التتار والإسلام النبوي**" ولي الله يعقوب، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـــ.

٤١٢ -"**الدين والأدب**" مجلة دورية بالتترية عن عام ١٩٠٦م العدد ٢، وعن عام ١٩١٦م العدد ٣، ٥، روسيا، قازان.

٤١٣ -"**رسالاي تواريخ بلغارية وذكر مولينا حضرت آقساق تيمر وخراب شهر بلغار**"، مطبعة "الجامعة القازانية الإمبراطورية"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٠٢م.

٤١٤ -"**رسالاي عزيزا**" تاج الدين يالشيغول، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م.

٤١٥ -"**رسالة إرشادية**" لعبد الرحيم أوتوز إيماني ضمن "مجموعة رسائل عبد الرحيم أوتيز إيماني البلغاري"، عناية: راميل أديغاموف، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٤١٦ -"**الرسالة الأستوانية في المسائل المتعلقة بالطهارة والصلاة على مذهب الحنفية**" اعتنى به ولي الله يعقوب، ترجمه من التتارية القديمة إلى التتارية الجديدة ريزيدا عباد الله، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤١٧ -"**رسائل في تاريخ خانية قازان**" لميخايل خودياكوف، دار "ماعاريف" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٤م.

٤١٨ -"**روحانيون التتار اليوم (عام ١٩٢٩م) وأعمالهم**" لــنجيب الدوماوي، مطبعة قازان-١٩٢٩م.

٤١٩ -"**سلسلة المختارات: عبد الرحيم أوتوز إيماني**"، العناية راميل أديغاموف، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٤٢٠ -"**سيرة عبد الرحيم أوتوز إيماني**" لراميل أديغاموف، دار "فان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م.

٤٢١ -"**شرح جوامع الكلم**" لرضاء الدين بن فخر الدين، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، ط/١، روسيا، مدينة قازان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٢٢ -"**شعبي التتاري**" رمضان عبد اللطيف، دار "classics still"، روسيا، مدينة موسكو، ٢٠٠٥م.

٤٢٣ -"**طبقات خوجاوات النقشبندية**" شعيب بن إدريس الباقيني، دار الإيمان، قازان- روسيا، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٢٤ -"**الطريقة المحمدية**" لمحمد البريكلي، الترجمة لشيخ الإسلام الحامدي، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤٢٥ -"**العادات الإسلامية والصحة في المجتمع التتاري**" لــألماز صابر، دار "الشفاء" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٥م.

٤٢٦ -"**العبادات الإسلامية: سؤال جواب**"، أحمدهادي المقصودي، دار "نور الإسلام" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة تشالي، ١٩٩٨م.

٤٢٧ -"**عماد الإسلام**" لشاكرجان حامد الله، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤٢٨ -"**عن مُلّاوات المسلمين**" قوبلوف، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٨م.

٤٢٩ -"**عيد المولد عند التتار**" مسعودة شمس الدين، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م.

٤٣٠ -"**الغون في الغرب**" لإيرينا زاسيتسكايا ضمن البحث العلمي لعديد من العلماء في موضوع "تاريخ التتار من العصور القديمة"، دار "روحيات" للطباعة و النشر، ج/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤٣١ -"**الغيبة، الزنا، عبادات لا أصل لها، الكفار**" إدريس علاء الدين، دار "نور الإسلام" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة تشالي، ١٩٩٨م.

٤٣٢ -"**فضائل الشهور والليالي المباركة**" لولي الله يعقوب، دار "الإيمان" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٠م.

٤٣٣ -"**قاموس الروسي العربي**" لـبوريسوف، دار "سام انترناشينال" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة موسكو، ١٩٩٣م.

٤٣٤ -"**قاموس اللغة الروسية**" لأوجيغوف وشفيدوفا، دار "أزبوكوفنيك" للطباعة والنشر، ط/٤، موسكو- روسيا، ١٩٩٧م (С.И.Ожегов и Н.Ю.Шведова)،"Азбуковник" .

٤٣٥ -"**قل هو الله أحد**" لإدريس علاء الدين، "دار الطباعة" "матбугат йорты"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٤م.

٤٣٦ -"**كتاب ردنامه كول–كول جهان**"، بدون ذكر المألف، دار "الإيمان" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٠٤م.

٤٣٧ -"**كل شيء عن تتارستان**" لـــ م. ر. مصطفين و ر.غ. خوزييف، دار الكتب التتارية للطباعة والنشر، ط/٢، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٤م.

٤٣٨ -"**كيف اضمحلت دولة بولغاريا**" خليلوف، روسيا، مدينة قازان، معتمر البلغاري الشعبي، ٢٠٠٦م.

٤٣٩ -"**كيف تودع الميت**" إدريس علاء الدين، روسيا، مدينة تشالي، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـــ.

٤٤٠ -"**لا إكراه في دخول الجنة**" راسيم حبيب الله التتاري، "دار الطباعة" " Матбугат йорты нашрияты"، روسيا، مدينة قازان ٢٠٠٥م.

٤٤١ -"**لنُفرح أرواح موتانا– مجالس التعزية في اليوم الواحد والخمسين**" لراضية ذكيروفا، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م/١٤٢٢هـــ.

٤٤٢ -"**ماذا تقول الأسماء التتارية**" غ. ف. ستاروف، دار "رانّور" للطباعة والنشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٨م.

٤٤٣ -"**مجلة "التقويم الإسلامي التتاري لعام ٢٠٠٣م**".شيخ زبيروف، فانيا حجا أحمد، دار "إديل– بريس"، "Идель-пресс"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م.

٤٤٤ -"**مجلة "التقويم الإسلامي التتاري لعام ٢٠٠٩م**" للسيد زبيروف، فانيا خوجا أحمد، دار "إديل–بريس"، "Идель-пресс"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٨م.

٤٤٥ -"**مجموع رسائل عبد الرحيم أوتوز إيماني**"، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٧م.

٤٤٦ -"**مجموعة المحاضرات في تاريخ التتار**" لمفتاحوف، دار "الطباعة"، " Матбугат йорты нашрияты"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م.

٤٤٧ -"**مجموعة رسائل حسين بن فيض خان**"، دار "jeyen"، "жыен"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٦م.

٤٤٨ -"**مجموعة من الدروس: العقيدة، الدين الإسلامي، الأدب والأخلاق**"، لرضاء الدين بن فخر الدين، دار "أكاديمية روحي معرفات"، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٦م.

٤٤٩ -"**المرجاني**" لصالح بن ثابت عبيد الله، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، م/١، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.

٤٥٠ -"**مرور ١٣٠ سنة من ميلاد مؤرخ قازاني مراد رمزي و٥٠ سنة من يوم وفاته**" لمؤرّخ تركي أحمد تيمير/ Temir A. Doğumunun 130. ve Ölümünün 50. Yılı Dolayısıyla Kazanlı Tarihçi Murad Remzi (1854-1934).-Belleten Türk Tarih Kurumu.-Cilt 5O.-Sayı 197.-Ankara,1986.

٤٥١ -"**مستفاد الأخبار في أحوال قازان وبولغار**" لشهاب الدين المرجاني، دار "الكتب التتارية" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ١٩٨٩م.

٤٥٢ -"**معلومات تاريخية في حق عيد المولد**" عالمجان بارودي، مقالة في المجلة الدورية "الدين والأدب" بالتتارية عن عام ١٩٠٦م العدد ٢، وعن عام ١٩١٦م العدد ٣، ٥، روسيا، قازان.

٤٥٣ -"**مفتي عبد السلام**" لمسعود عين الدين، دار "الإيمان" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة قازان، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

٤٥٤ -"**الموسوعة التركية**" باللغة التركية/
Turk ansiklopedisi, Ankara, Maarif Basimevi, Cilt,8, 1956.

٤٥٥ -"**نسيم مدينة بلغار**" س.م. علاج الدين، دار "الجرائد والمجلات التتارية"، "Татарстан газета-журналлар нашрияты"، روسيا، مدينة قازان، ١٩٩٢م.

٤٥٦ -"**نضال الشعب التتاري**" إسحاق لطف الله وفيض الحق إسلاييف، طبعة قازان سنة ١٩٩٨م.

٤٥٧ -"**نغمة المنابع الفضية**" لإلسيار خير الله، دار "روحيات" للطباعة و النشر، روسيا، مدينة الميتيفسك، ١٩٩٨م.

٤٥٨ -"**نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات**" باللغة العربية لملا مراد رمزي القازاني التتري، مطبة المدينة المنورة، بدون سنة الطباعة، الكتاب موجود في مكتبة مكة المكرمة برقم ٩٢٢- ع م ح.

المصادر الإليكترونية ومواقع الإنترنت:

٤٥٩ -برنامج "أنكارتا" للخرائط العالمية، شركة ماكروسوفت، رايموند- الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٨م.

٤٦٠ -برنامج التقويم إلى العام ٣٠٠٠- 3000 Years Calendar, version 1.0.14, Sergey M. Hozyainov, Microsoft Visual Basic, 1998-2000.

٤٦١ -موقع الرسائل الجامعية الروسية في الإنترنت:
http://www.planetadisser.com/sec/dis_90763.html

٤٦٢ -الموقع الرسمي لجمهورية تتارستان:
http://www.tatar.ru/?node_id=2480

٤٦٣ -الموقع الرسمي للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان:
http://www.e-islam.ru/education

٤٦٤ -موقع "وكيبيديا" / تعريف بعلم إتنولوجيا:
http://ru.wikipedia.org/wiki/этнология
http://en.wikipedia.org/wiki/Ethnology

٤٦٥ - موقع "وكيبيديا" باللغة الروسية/ تعريف بكلمة سابانتوي :
http://ru.wikipedia.org/wiki/sabantuy

مواقع الإنترنت المختلفة:

٤٦٦ - www.religion.ng.ru/problems/2007-07-18/4_russian.html

٤٦٧ - www.rusk.ru/st.php?idar=22634

٤٦٨ - http://federalmcart.ksu.ru/publications/kateg_2.htm

٤٦٩ - http://g2p.tatar.ru/rus/culture/museums.htm

٤٧٠ - http://mission-center.com/islam/orthopol.htm

٤٧١ - /http://news.mail.ru/society/2293489

٤٧٢ - http://rutube.ru/tracks/788216.html

٤٧٣ - http://tatar.yuldash.com/146.html

٤٧٤ - http://tataroved.ru/publication/almet/7/9

٤٧٥ - http://www.kcn.ru/tat_ru/politics/pan/index.php?tbut=18&sod=4

٤٧٦ - http://www.gzt.ru/politics/2002/08/27/120030.html

٤٧٧ - http://www.moskvam.ru/2004/11/missia.htm

٤٧٨ - /http://www.tataroved.ru/institut/novhist/publ/10

٤٧٩ - http://www.tatartele.ru/?q=node/48

٤٨٠ - http://www.islamnews.ru/news-9798.html

٤٨١ - http://ar.wikipedia.org/wiki/

فهرس الموضوعات: